مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

# شرح
# الزيارة الجامعة الكبيرة

عبدُ الحليم الغِـزّي

منشـورات موقع زهرائيّـون

# شرح الزيارة الجامعة الكبيرة

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في ثلاثين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 10 / 06 / 2010

القسم الأول: من الحلقة الاولى الى الحلقة العاشرة

# يـــا زهـــــراء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمْدُ للهِ والصّلاة عَلىَ رَسولِ الله وآلِهِ آلِ الله

واللَّعْنُ على أعدائِهم وأَعْدَاء شِيعَتِهم أَعْدَاء الله إلى يَومِ لقاءِ الله

# الحلقة الاولى

## مقدمة أولى لبيان معاني الزيارة الجامعة

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، الحلقةُ الأولى من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، الحلقة الأولى من برنامجنا هذا هي مقدمةٌ أولى لبيانِ معاني هذه الزيارة الشريفة التي جاءتنا مرويةً عن إمامنا العاشر أبي الحَسَن الهادي صلوات الله وسلامه عليه، هناك عدّةُ مَطَالِب أودُّ الإشارة إليها بِمَثابة مُقَدِّمةٍ أولى للشروع في بيان مضامين هذه الزيارة الشريفة، هناك عِدَّةُ نقاط أريد الإشارة إليها:

النقطة الأولى:

أتحدث فيها عن الباعثِ لهذا البرنامج وعن السَّببِ في الحديثِ عن بيانِ مضامينِ الزيارةِ الجامعة الكبيرة، لا أريدُ أن أدَبِّجَ العباراتْ وأَنْ أُطيلَ في الكلام لَكنَّها الحقيقة، هذا البرنامج هو اقتناصَةُ وقتٍ وسرقةٌ من هذا الزمان الذي يَضيعُ ضَيَاعاً، تَمُرُ السنون وتَمُرُ الشهور وتَمُرُ الأيام والليالي ووقتنا يضيعُ هَدْراً ما بين تفاهات النفس ومشاغل الحياة اليومية التي لا تعودُ بكثير فائدةٍ على عاقبة الإنسان في هذه الحياة، ما بين الغفلة وما بين المشاغل والشواغل التي يَضيعُ فيها الإنسان ويَضيّعُ فيها العُمْر، هذا البرنامج اقتناصةُ شيءٍ من الوقت، وكما قلتُ قبل قليل سرقةٌ من هذا الوقت الذي يضيعُ هدراً، لا أبتغي منها شيئاً إنها قطعةٌ من الوقت يدور فيها الحديثُ عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ كي تتطهر هذه القلوب وكي تتطهر هذه الألسن والحديثُ عن نفسي أولاً قبل غيري، ساعةٌ اقتنصها للحديثِ عن آلِ مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كي أُطَهِّرَ قلبي أُطَهِّرَ لساني فَهُمْ الطهور الأعظم، هُمْ الطهور الأعظم في هذه الحياة، وهُمْ الطهور الأعظم في الحياة الأخرى، شيءٌ من وقت نُزَيِّنهُ بذكر مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولا أجِدُ أجمل من هذا النَّص الشريف من الزيارة الجامعة الكبيرة لذا كان هذا البرنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، هذه النقطةُ الأولى التي أحببت أن أشير إليها.

وهناك نقاطٌ أخرى سأتناولها في طوايا هذه الحلقة، قبل أن أبدأ بقراءةِ النَّص، بقراءة الرواية التي وردت عن إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه أُشير إلى مصادر هذه الزيارة الشريفة، الزيارة التي سنقرؤها من مفاتيح الجنان لشيخنا المحَدِّث القمي رضوان الله تعالى عليه، لكنَّ الشيخ القمي من أين ينقلها؟

إنَّما أقرأها من مفاتيح الجنان باعتبار أن هذا الكتاب متوفرٌ في أكثر بيوت مُحبِّي أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الزيارة جاءت مرويةً في أهم مصادرنا الحديثية، قبل أن أشير إلى مصادر الزيارة الجامعة الكبيرة بنحوٍ خاص أشير إلى هذه القضية:

أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حَدَّثونا وعَلَّمونا وأخبرونا وكشفوا لنا عن كثيرٍ من الحقائق، حديثهم الشريف رواهُ أصحابهم الأجلاء، وقد جَمَعَ أصحابُ الأئمة من حديث أهل البيت أربعمائة كتاب عُرفت بين علمائنا وبين فقهائنا وبين محدثينا بالأصول الأربعمائة، هناك أربعمائة كتاب نقل فيها أصحاب الأئمة أحاديث الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكانت هذه الكتب تُكتب وتُجمَع وتُنَقَّح بإشرافٍ من الأئمة والروايات عندنا على سبيل المثال مثلاً: إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه أَمَرَ أصحابه بأن يجمعوا له جميع ما كتبوا، فجاءوا بكتبهم، وأشرف عليها ونَقَّحَها ورفع ما فيها من اشتباهات أو من أحاديث حَاوَلَ البعض أن يدسها من أصحاب المُغيرة بن سعيد وغير المُغيرة بن سعيد من الذين أرادوا أن يضعوا أحاديث الغلو والزندقة في كتب أصحاب إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه، وكذلك إمامنا الرضا صلوات الله وسلامه عليه أمرَ أصحابهُ بأن يجمعوا له هذه الكتب وأعاد تنقيحها والنَظَرَ فيها، وكذلك في زمان إمامنا الجواد، وهكذا كان أئمتنا يتابعون هذه الكتب التي عُرفت بالأصول الأربعمائة.

لذلك هنالك رواية جميلة في الكافي الشريف وهذا هو الجزءُ الأول من كتاب الكافي الشريف في باب العلم وفي بابِ رواية الكتب والحديث وفضل الكتابة والتمسك بالكتب، الحديثُ الخامسُ عشر: **عَنْ مُحمَّد بن الحَسَن بن أبي خَالِد قَالَ: قُلْتُ لِأبي جَعْفَرٍ الثَّاني عَليهِ السَّلامْ:** – يعني إمامنا الجواد صلوات الله وسلامه عليه، حين يُقال أبو جعفرٍ الثاني يعني جواد الأئمة فأبو جعفرٍ الأول هو باقر العترة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليه، مُحمَّد بن الحسن يقول لإمامنا الجواد: – **جُعِلتُ فِدَاك إنَّ مَشَايِخنَا رَووا عَنْ أبي جَعْفَرٍ** – يعني عن أبي جعفرٍ الأول باقر العترة – **وَأبي عَبْد الله عَلَيهِمَا السَّلامْ وَكَانَتْ التَّقيَّةُ شَديدَة** – أشد في زمانهما – **فَكَتَموا كُتُبَهُم وَلَمْ تُرْوَى عَنهُم فَلَمَّا مَاتوا صَارَتْ الكُتُبُ إِلَينَا** – ولم تروى عنهم أي أنه لم ينقل أحدٌ بشكل مباشر عنهم عن هؤلاء الذين جمعوا هذه الكتب – **إنَّ مَشَايِخنَا رَووا عَنْ أبي جَعْفَرٍ وَأبي عَبْد الله عَلَيهِمَا السَّلامْ وَكَانَتْ التَّقيَّةُ شَديدَةً فَكَتَموا كُتُبَهُم وَلَمْ تُرْوَى عَنهُم فَلَمَّا مَاتوا صَارَتْ الكُتُبُ إِلَينَا** – فماذا قال إمامنا الجواد؟ – **فَقَالَ: حَدِّثوا بِهَا فَإنَّها حَقّ** – كلامُ الإمام صلوات الله وسلامه عليه هنا حين يقول حدثوا بها فإنها حق أولاً في هذا الكلام دلالة واضحة على أن هذه الكتب هذه الأصول الأربعمائة كلها بتمامها منقولة عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وإن حَدَث خللٌ فيها فإن الأئمة قد رَفَعوه، إن حدث خلل بسببِ دس بعض المُغرضين أو بسبب

الاشتباهِ من نفس الرواة، الراوي الثقة قد يشتبه في النقل وقد يخلط بين الأحاديث في بعض الأحيان، لذلك الأئمة كما قلت قبل قليل هُمْ أشرفوا على تنقيح هذه الكتب، وكلمة الإمام الجواد هذه: **حَدِّثوا بِها فَإنَّها حَقَّ**. تُشير إلى أن هذه الكتب هذه الأصول الأربعمائة منقولة بتمامها عن الأئمة ومُنَقّحة كما قلتُ قبل قليل، وأيضاً هذه الرواية فيها دلالةٌ على الإجازةِ في الحديث من هذه الكتب لكل شيعة أهل البيت، هذه إجازةٌ في الحديث وإجازة من أين صادرة؟

صادرة من الإمام المعصوم، من الإمام الجواد صلوات الله وسلامه عليه – **حَدِّثوا بِهَا فَإنَّهَا حَقّ** – دلالةٌ على حقانية وأحقية وحقيقة الأصول الأربعمائة ودلالةٌ على إجازة الحديث الصادرة عن الإمام الجواد صلوات الله وسلامه عليه، هذه الأصول الأربعمائة بقيت تتناقلُ بيد أصحابنا، بيد أصحاب الأئمة، بيد رواة الحديث حتى وصلت إلى زمان الغيبة الصغرى، في زمان الغيبة الصغرى بدأ علمائنا الأجلاء يجمعونها في جوامع حديثية، وكان الجامعُ الحديثي الأول هو: (الكافي) لشيخنا الكليني فقد نَقَلَ الكثير من أحاديث الأصول الأربعمائة، ربما نَقَلَ أكثر من ثلاثمائة أصل من الأصول الأربعمائة في كتاب الكافي، نَقَلَ أكثر أحاديثها، وللمعلوم فإن الشيخ الكُليني توفي قبل وفاة النائب الرابع قبل وفاة عليِّ بن مُحَمَّد السَمَري، المعروف أن الشيخ الكُليني توفي سنة: 328 للهجرة الشريفة والنائب الرابع علي بن مُحَمَّد السَمَري رضوان الله تعالى عليه توفي سنة: 329 للهجرة، ثم جاء شيخنا الصدوق فَجَمَع أيضاً من هذه الأصول الأربعمائة كتبهُ الشريفة المعروفة وأعلاها رتبةً بين العلماء كتاب (فقيه من لا يحضره الفقيه) وكذلك بقية كتبه فإنها لا تقل درجةً وفضلاً وعلماً ووثاقةً عن كتاب الفقيه، الشيخ الصدوق له اليد الطولى في حفظ حديث أهل البيت وفي حفظ الأصول الأربعمائة، فقد نقلها في كتبهِ، في عيون أخبار الرضا، في توحيد الشيخ الصدوق، في كمال الدين وتمام النعمة، في علل الشرائع، في معاني الأخبار، وغير ذلك من الكتب المهمة التي جمعها الشيخ الصدوق من الأصول الأربعمائة، وجاء بعدهُ كذلك شيخنا الطوسي شيخ الطائفة فكان كتاب: (الاستبصار) وكان كتاب (التهذيب) وهذه هي الأصول الأربعة.

لماذا سميت بالأصول الأربعة؟ الكافي للكليني والفقيه للصدوق والتهذيب والاستبصار لشيخ الطائفة الطوسي؟! سميت هذه الكتب بالأصول الأربعة لأنها أساساً نُقلت عن الأصول الأربعمائة، هذه الكتب سُميت بالأصول الأربعة ويُضافُ إليها ما جمعهُ الشيخ الصدوق، والد الشيخ الصدوق، الشيخ المفيد وغير هؤلاء الأعلام من أجلة علماء الطائفة، فكانت هذه الأصول الأربعة وسُميت بالأصول الأربعة لأنها نُقلت عن الأصول الأربعمائة.

إلى أين أريد أن أصل؟ الزيارة الجامعة الكبيرة أين رويت؟ رويت في كتاب (فقيه من لا يحضرهُ الفقيه) أحد الأصول الأربعة المنقولة عن الأصول الأربعمائة التي جُمِعت فيها أحاديث الأئمة ونُقِّحت هذه الكتب

بإشراف الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأمرنا الإمام الجواد قبل قليل كما في رواية الكافي الشريف قال حَدِّثوا بها فإنها حَقّ، الزيارة الجامعة الموجودة في مفاتيح الجنان رواها شيخنا الصدوق في كتابهِ الفقيه وهذا هو الجزء الثاني من كتاب الشيخ الصدوق رواها في صفحة: 609 تحت عنوان زيارةٌ جامعة لجميع الأئمة عليهم السلام، والمُحَدِّث القُمي رضوان الله تعالى عليه ينقل الزيارة الجامعة من كتاب الفقيه لشيخنا الصدوق رضوان الله تعالى عليه، ورواها أيضاً شيخنا الصدوق في كتابٍ آخر من كتبهِ المُهمَّة وهو كتابُ (عيون أخبار الرضا)، هذا هو الجزء الأول من كتاب عيون أخبار الرضا، أيضاً رواها شيخنا الصدوق في صفحة: 305 تحت عنوان زيارةٌ أخرى جامعة للرضا عليِّ بن موسى عليه السلام، يعني يُزار بها الإمام الرضا ولجميع الأئمة عليهم السلام ورواها بسندهِ وبكل تفاصيلها التي جاءت مذكورةً في مفاتيح الجنان، فهذا مصدرٌ ثانٍ من مصادر الشيخ الصَدوق، رواها في الفقيه وهو أحدُ الأصول الأربعة المَنْقولة عن الأصول الأربعمائة، ورواها في عيون أخبار الرضا وكل رواياتهِ منقولةٌ عن الأصول الأربعمائة.

ورواها شيخنا الطوسي في (تهذيب الأحكام) أحد الأصول الأربعة المنقولة عن الأصول الأربعمائة التي قال عنها جواد الأئمة حَدِّثوا بها فإنها حَقّ، أيضاً هذا هو الجزء السادس من تهذيب الأحكام لشيخ الطائفة الطوسي في صفحة: 107 تحت عنوان: زيارة جامعة لجميع المشاهد، يعني مشاهد الأئمة على أصحابها السلام، وذكر الزيارة الشريفة كما رواها شيخنا الصدوق بالتمام والكمال، ثم بعد ذلك المُحَدِّثُون وعلماء الحديث والذين جَمَعوا الزيارات والأدعية ذَكَروا هذه الزيارة الجامعة الكبيرة في الجَوامِع الحديثية المعروفة وفي كتب المزارات وعلى سبيل المثال مثلاً: (بحارُ الأنوار) في الجزء التاسع والتسعين، بحارُ الأنوار بحسب الطبعة المعروفة هو يشتمل على 110 جزء، هذا هو الجزء التاسع والتسعون من بحار الأنوار، الشيخُ المجلسي رضوان الله تعالى عليه، بابُ الزيارات الجامعة، ذكر في هذا الباب مجموعة من الزيارات الجامعة لأئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في صفحة: 127، الحديث الرابع، ذكر فيه الزيارة الجامعة الكبيرة التي نَحْنُ بصددها، وإنما جئتُ ببحار الأنوار كمثال عن الجوامع الحديثية المتأخرة وإلاَّ الجوامع الحديثية الأصلية أشرتُ إليها مثل الفقيه ومثل تهذيب الأحكام وما رواهُ الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا، أنا هنا لا أريد أن استقصي المصادر الروائية والمصادر الحديثية التي نَقَلت الزيارة الجامعة الكبيرة، يكفيني أن أقول أن الشيخ الصدوق رواها وذكر هذه الرواية في كتابهِ الفقيه.

ولا غرابة أن نجد من علماء السُنّةِ من ينقل هذه الزيارة الجامعة بكل تفاصيلها، وهذا هو الجزء الثاني من كتاب فرائد السمطين لِلمُحَدِّث إبراهيم الجويني الخراساني والذي توفي في سنة: 722 للهجرة، كانَ في خراسان وتوفي في خراسان وقصة إسلام السلطان المَغولي غازان معروفة كانت على يديه، أسلم السلطان المَغولي غازان على يدي هذا المُحَدِّث السُني الكبير المُحَدِّث إبراهيم الجويني، هذا هو كتاب فرائد

السمطين، في الجزء الثاني هذه الطبعة طبعة دار الحبيب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة بتحقيق العلامة الشيخ مُحَمَّد باقر المحمودي، صفحة: 179 في العنوان: زيارة الجامعة الكبيرة التي يُزارُ بها كلُّ واحدٍ من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وينقل هذه الزيارة من طريق الحاكم، المراد من الحاكم الحاكم النيشابوري كما يبدو، قال الحاكم، يعني الحاكم النيشابوري، ويُشير إلى السند وهو نفسُ السند الذي جاء مذكوراً في كتاب الفقيه لشيخنا الصدوق رضوان الله تعالى عليه، والزيارة موجودة بتمامها وبكل ألفاظها في فرائد السمطين وهو من كتب أهل السنة.

أنا هنا لا أريد الحديث عن توثيق الزيارة الجامعة الكبيرة، الزيارة الجامعة الكبيرة توثقني لا أوثقها، الزيارة الجامعة الكبيرة من النصوص المعروفة الواضحة والتي وَضَع فيها إمامنا الهادي جُلَّ المعاني وأكمل المعاني وأمثل المعاني وهذا ما سيتضحُ لنا من خلال شرحها وبيانها.

أنا قلت بأنني أوقفت الحديث في كتاب الكافي الشريف، في يوم الخميس كان من المعتاد أن يكون لي برنامج في فناء الكافي الشريف وكانت الحلقات التي مرت من هذا البرنامج تدورُ حول أحاديث الحُجَّة، حول الروايات التي جاءت مرويةً في كتاب الحُجَّة من كتاب الكافي الشريف، لكنني أوقفتُ الحديثَ في شرح هذه الروايات وقلت في مستقبل الأيام سأتناول باباً آخر إن شاء الله تعالى من أبواب الكافي الشريف، أوقفتُ ذلك لأنني أردتُ الشروع في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة وجميع المضامين الموجودة في الكافي الشريف هي موجودة في الزيارة الجامعة الكبيرة، لذلك لا نحتاجُ للبحثِ في سندٍ أو للكلام عن توثيق هذه الزيارة، مضامين هذه الزيارة الشريفة موجودةٌ في الكافي وسترون من خلال شرح هذه الزيارة أن مضامينها موجودةٌ في الكافي الشريف وفي أمهات كتبنا الحديثية المنقولة عن أئمتنا المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

هناك مسألة أودُّ الإشارة إليها قبل أن أنتقل إلى نقطةٍ أخرى، بخصوص إمامنا الهادي الذي جاءت عنهُ هذه الزيارة، إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه وردت عنهُ زيارتان مهمتان: الزيارة التي بين أيدينا الزيارة الجامعة الكبيرة هكذا عُرفت، وهناك زيارةٌ ثانية، الزيارة الجامعة الكبيرة يُزارُ بها كل الأئمة يمكن أن نزورهم جميعاً في زيارةٍ واحدة ويمكن أن نزورهم واحداً واحداً، يمكن أن نزور أئمتنا بهذه الزيارة جميعاً نخاطبهم جميعاً ويمكن أن نزور بها أئمتنا واحداً واحداً، لكن الزيارة الجامعة الكبيرة بالدرجة الأولى هي في مخاطبة سيد الأوصياء، وبالدرجة الثانية هي في مخاطبة أبنائهِ المعصومين، لذلك في الزيارة هناك مخاطبة لسيد الأوصياء: **وَإِلَى أَخِيكَ**. ثم هناك مخاطبة ثانية: **وَإِلَى جَدِّكُمْ**. وسنصل في الكلام إلى هذه العبائر إذا تسلسلنا في نص الزيارة الشريفة، الزيارة الجامعة الكبيرة في أصلها لعليٍّ صلوات الله وسلامه عليه ومن بعد عليٍّ لأبنائهِ المعصومين وفي يومنا هذا لإمام زماننا الحُجّة بن الحَسَن صلوات الله وسلامه عليه، هذه الزيارة الأولى زيارةٌ

من عليٍّ لعليٍّ، من عليٍّ الهادي لعليٍّ المرتضى ولِولد عليٍّ المرتضى.

الزيارة الثانية التي جاءت مرويةً عن هادي العترة هي زيارةٌ لعليٍّ بنحو الخصوص وهي من أهم الزيارات العلوية، هذه الزيارة موجودة في مفاتيح الجنان وهي زيارة الأمير يوم الغدير هذه هي أهم زيارات سيد الأوصياء، وهذه الزيارة تتعانقُ في كثيرٍ من تفاصيل جهاتها مع الزيارة الجامعة الكبيرة، فإمامنا الهادي أوصل إلينا زيارة سيد الأوصياء في يوم الغدير وأوصل إلينا الزيارة الجامعة الكبيرة فأحببت أن أُلفِت نظر إخوتي وأخواتي المؤمنين والمؤمنات إلى هذه القضية أن زيارة الأمير في يوم الغدير المذكورة في مفاتيح الجنان وهي زيارةٌ طويلةٌ مبسوطة تتحدث عن الجانب العقائدي التأريخي، أمَّا الزيارة الجامعة الكبيرة تتحدث عن الجانب العقائدي المعرفي وكلاهما لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأننا إذا أردنا أن نُطَبِّقَ الجانب العقائدي المعرفي فإننا سنحتاجُ إلى التأريخ، لذلك هاتان الزيارتان إحداهما تُكَمِّلُ الأخرى وكلاهما مرويتان عن هادي العترة الطاهرة، وقلتُ بأن الزيارة الجامعة الكبيرة بالدرجة الأولى لسيد الأوصياء وبعد ذلك للأئمة من بعدهِ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهناك حديثٌ عن الجانب المعرفي العقائدي وهنا في زيارة يوم الغدير حديثٌ عن الجانب التأريخي العقائدي، وأتمنى أن يأتي يومٌ فنتناول هذه الزيارة أيضاً بالشرح والبيان فهي من أهم الزيارات العَلَوية لسيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، هذه المسألة التي أحببتُ الإشارة إليها وأحببتُ توضيحها لإخواني وأخواتي من مُحبِّي أهل البيت ولأبنائي وبناتي من مُحبِّي أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أبدأُ بقراءةِ السطور الأولى من رواية الزيارة الجامعة الكبيرة كما هي في مفاتيح الجنان والتي نقلها عن المصادر التي أشرتُ إليها قبل قليل.

موسى بن عبد الله النُخَعي يقول للإمام الهادي صلوات الله وسلامه عليه: **عَلِّمْني يَا ابْنَ رَسولِ الله قَولاً أقولهُ بَليغَاً كَامِلاً إذا زُرْتُ وَاحِداً مِنْكُمْ** – السائل وهو النُخَعي يسألُ إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه – **عَلِّمْني يَا ابْنَ رَسولِ الله قَولاً بَليغَاً كَامِلاً إذا زُرْتُ وَاحِداً مِنْكُمْ** – قطعاً الأولوية لسيد الأوصياء، سيدُ الأوصياء لهُ الأولوية ثم للأئمة من بعدهِ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والخصوصية في هذا الزمان لإمام زماننا، الروايات تقول: **إنَّ لِكُلِّ إمامٍ عَهْدٌ في عُنُقِ شِيعَتِه** – لكل إمامٍ عهدٌ في عنق شيعته، فإمامنا له عهدٌ في أعناقنا، نحن شيعتهُ ونحن عبيدهُ ونحن عبيد عبيده، ورضوان الله تعالى على الشيخ الحر العاملي:

**وإني لهُ عبدٌ وعبدٌ لعبدهِ وحاشاهُ أن ينسى غداً عبده الحُرَ**

**إنَّ لِكُلِّ إمامٍ عَهْدٌ في عنق شيعته** – هكذا تقول الرواية الشريفة – **وَمِنْ تمَام الوفاءِ بالعهد زيارتهُ** – إن لكل إمام هناك عهد في أعناق شيعته ومن تمام الوفاء بالعهد زيارتهُ، الزيارة الجامعة الكبيرة زيارةٌ لعليّ العُلا

بالدرجة الأولى وبالدرجة الثانية لأبنائهِ المعصومين وبالدرجة الخاصةِ والخصيصةِ والمخصوصة في هذا الوقت هي لإمام زماننا الحُجَّة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائهِ الطاهرين، ونحن أساساً إنما دخلنا من هذا الباب من أي بابٍ؟

**اللَّهُمَّ عَرِّفْني حُجَّتَك** – نحن هنا في هذا البرنامج إنما جئنا وفتحنا هذا الباب وطرقنا هذا الباب – **اللَّهُمَّ عَرِّفني حُجَّتَك فَإنَّكَ إنْ لَمْ تُعَرِّفني حُجَّتَك ضَلَلتُ عَن ديني، اللَّهُمَّ لا تُمتني ميتَةً جاهلية** – لماذا؟ فإن من لم يعرف إمام زمانهِ مات ميتةً جاهلية – **اللَّهُمَّ عَرِّفني حُجَّتَك فَإنَّك إنْ لَمْ تُعَرِّفني حُجَّتَك ضَللتُ عَنْ ديني، اللَّهُمَّ لا تُمتني ميتَةً جاهلية ولا تُزغ قلبي بعد إذ هديتني** – والهدى على أعتابِ فناء رحمةِ وجودِ وفضلِ إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، الهدى والإسلامُ والإيمان والحقيقةُ هناك في ذلك الفناء الطاهر في فناء ابن نرجس الطاهرة في فناء الحُجَّة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه – **عَلِّمْني يا ابنَ رَسول الله** – وإن لم أتعلم منك يا ابن رسول الله فممن أتعلم؟ – **عَلِّمْني يا ابنَ رَسول الله قَولاً أقولهُ بَليغاً كَامِلاً إذا زُرْتُ واحداً منكم** – إذاً نَحْنُ أمام قولٍ بليغٍ كامل، لأن الإمام أجابهُ مباشرةً، السائل يسأل – **عَلِّمْني يا ابنَ رسولِ الله قَولاً أقولهُ بليغاً كَامِلاً إذا زُرْتُ واحداً منكم** – مباشرةً من دون أي رد، من دون أي نقاش، مباشرةً – **فقال: إذا صِرتَ إلى الباب فقف** – وتستمر الزيارة، يعني هذا القول هو القولُ البليغُ الكامل، نقولهُ إذا زرنا واحداً منهم.

لماذا نزورهم؟ فهو شيءٌ من الوفاء بعهد الإمامة والولاية، وسنتحدثُ عن الزيارة وعن مضامينها فيما يأتي إن شاء الله من حلقات هذا البرنامج، أتحدث عن معنى الزيارة بشكل خاص عن معنى الزيارة ما المراد من الزيارة وما هو الهدفُ من الزيارة؟ وأتحدَّثُ عن مضامين الزيارة الجامعة الكبيرة، القولُ إذاً قولٌ بليغ كامل، أما كونُ هذا القول قولاً كاملاً فذلك يعني إن تمام أصولَ العقيدة التي يجب علينا أن نعتقد بها وأن نصل إلى معرفتها كل ذلك موجودٌ في هذا النص وإلا كيف يكون قولاً كاملاً!! القول هو الكلام الذي له دلالة، له معنى، حينما يأتي الإنسان بعدة ألفاظ مختلفة لا دلالة لها لا معنى لها لا يُقال لهذه الألفاظ قول، القول يعني المراد مجموعة الكلمات، مجموعة الجُمَل، مجموعة العبائر، مجموعة المقاطع الحديثية والكلامية التي تدل على معنىً واضحٍ وجلي يُقال له قول، يعني هناك معنىً يُستفادُ من القول وإلاَّ إذا أتينا بمجموعة من الألفاظ مجموعة من الكلمات مبعثرة لا يُقال لهذه الكلمات المبعثرة قول، يعني الآن لو أتلفظ بكلمات مبعثرة لا يوجد رابط معنوي بين هذه الألفاظ لا يُقال لهذه الألفاظ قول، القول هو الكلام المفيد، الكلام الذي يعطينا معنىً مفيداً، فكلمة القول هي بنفسها دالة على المعنى المفيد، حينما توصف بالكمال، قولٌ كامل يعني أن تمام المعنى موجودٌ في هذا القول.

نحن حينما نزور الأئمة ونخاطبهم فقطعاً في الزيارة سوف نخاطبهم بما يليقُ مع مقاماتهم الشريفة، فحينما يكون هذا القول قولٌ كامل يعني أنَّ تمام أصول العقيدة وتمام أصول المعرفة التي يجبُ علينا أن نعتقد بها وأن ندركها وأن نصل إليها وأن نتدبر فيها وأن يكون مدارُ فكرنا حولها كلُّ ذلك موجودٌ في هذا النص، وإلا كيف يكون قولاً كاملاً؟! القول الكامل القول المشتمل على هذه المعاني، وكما يقول المَنَاطِقة القول الكامل يمكن أن أصفه بقول المَنَاطِقة هو القول الجامعُ المانع، القول الكامل يمكن أن أصفهُ بما يقول المَنَاطِقةُ والفلاسفة بأنهُ قولٌ جامعٌ مانع، فهو جامعٌ لكل مقامات وأوصاف وحالات الأئمة، ومانعٌ لأن يدخل معهم صلوات الله عليهم أن يدخل غيرهم معهم في هذه الأوصاف، فهذا القول قولٌ جامعٌ لهم ومانعٌ لأغيارهم، قولٌ كامل، قولٌ جامعٌ ومحيطٌ ومُلم بأوصافهم وحالاتهم ومقاماتهم العِلْوية.

ثم هو قولٌ بليغ، هو قولٌ بليغٌ وكامل، كاملٌ وبليغ، والقول البليغ القول الذي يشتملُ على أدق المعاني، يعني الكلامُ البليغ هو الكلام الذي لا زيادات فيه ولا نواقص فيه، يعني كل عبارة من هذه العبارات دالة على نفس المعنى المراد منها من دون زيادات ومن دون نواقص هذا هو القول البليغ، فما بالك إذا كانت هذه البلاغة من عليِّ بن مُحَمَّدٍ الهادي.

البليغ، البلاغة في كلام العرب، الإنسان حينما يكون بليغاً فسيكون كلامهُ محسوباً في ألفاظهِ وفي معانيه هو هذا البليغ، البليغ الذي لا يلفظ الكلام إلا أن يكون قد أعَدَّ واستعدَّ لألفاظهِ ولمعانيه، فألفاظهُ محسوبة ومعانيه محسوبة، لا يطلق الكلام هكذا على عواهنه من دون تدبر من دون تفكر ومن دون حساب، البليغ هو الذي إذا تلَفظ تلفظ على أساس حسابٍ وكتاب، هذا البليغُ من عامة الناس أنا وأنت إذا كنا من البلغاء، فإذا كانت البلاغة من عليٍّ وأبن عليٍّ!! هذا قولٌ بليغٌ كاملٌ من عليٍّ بن عليٍّ، من عليٍّ الهادي بن عليٍّ المرتضى صلوات الله وسلامه عليهما وآلهما الأطيبين الأطهرين، فهذا القول البليغ هو القول الذي لا زيادات فيه ولا نواقص فيه، لا توجد زيادات ولا نواقص لأنهُ قولٌ بليغ، القول البليغ القول الذي تكون ألفاظهُ كلماتهُ محسوبة وكذلك دلالاتهُ ومضامينهُ ومعانيه وفحاويه محسوبة ومدروسة، ويكون الكلامُ فيه مُرَتّباً على أساس منهج، لا هكذا يُطلق الكلام من دون منهج، من دون طريق، من دون أساس، ومن هنا جاءت هذه الزيارة الشريفة، جاءت مُحْكَمَةً، مُحْكَمَةً في بنيتها الأدبية ومُحْكَمَةً في بنيتها المعرفية، الزيارة الجامعة الكبيرة فيها ميزتان وستتضح هاتان الميزتان من خلال الحلقات القادمة كيف أنَّ هذه الزيارة الجامعة مُحْكَمَة أدبياً ومحْكَمة فكرياً، هناك إحكام أدبي في هذه الزيارة في التعبير، إحكام أدبي بكل ما في هذه الكلمة من معنى، وهناك إحكامٌ معرفي، إحكامٌ عقائدي بكل ما في هذه الكلمة من معنى، وستتضح لنا الصورة إن شاء الله من خلال حلقات هذا البرنامج.

لن أستمر في قراءة عبارات الزيارة الشريفة ولكنني أقف هنا لأشير إلى قضيةٍ مهمة لابد أن يُلتفت إليها،

القضية المهمة التي أريد الإشارة إليها المضامين الموجودة في الزيارة الجامعة الكبيرة تعتمد على ركني العقيدة وعلى أسس المعرفة وهما التوحيد والولاية، حين أقول الولاية، الولاية أَعَمّ فهي تعمُّ النبوة والإمامة، الزيارة الجامعة الكبيرة تبتني على هذين الأساسين، تبتني على أساس التوحيد وعلى أساس الولاية، وكما قلتُ قبل قليل المراد من الولاية بمعناها العام بمعناها الأعم النبوة والإمامة وما يتفرع عليهما من موالاة المؤمنين ومن البراءة من أعدائهم، فالولاية للنبي ولآله ولأشياعهم، والبراءة من أعدائهم جَميعاً، حين أقول البراءة من أعداء المؤمنين المراد من العداء ليس العداء الشخصي وإنما العداء لأجل مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، لأن المؤمن قد يواجه في حياتهُ أعداءُ النبي وأعداءُ أهل البيت عموماً، لأن النبي معصوم ولأن الإمام معصوم فلا توجد هناك عداوات تؤخذ بهذا المنظار أنها عداوات شخصية، العداءُ مع النبي ومع الإمام المعصوم عداءٌ مع الله مباشرةً – **وَمَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبّني وَمَنْ سَبّني فَقَدْ سَبَّ الله** – العداء مع النبي مع الإمام المعصوم هو عداءٌ مع الله مباشرةً، فاطمة صلوات الله وسلامه عليها رضاءها رضا الله سبحانه وتعالى وسخطها سخطُ الله سبحانه وتعالى، إذا رضيت رضيَ الله وإذا غضبت غضب الله سبحانه وتعالى.

فالعداء والمودّة مع المعصوم تكون مباشرةً مع الله، أمَّا مع أوليائهم فإن أوليائهم يواجهون في الحياة نوعين من العداء: هناك قد يكون عداء شخصي لمسائل شخصية لأمور عائلية هذا لا يدخل في البحث هنا وإنما البحث في هذه المسألة إذا كان العداء مع أشياع النبي وأشياع أهل البيت لأنهم أشياع النبي لأنهم أشياع أهل البيت العداء يأتي من هذه الجهة، إذا كان العداء من هذه الجهة فإنا نبرأ من أعدائهم، ويدخل هنا العداء والولاية والبراءة في بُعدها العقائدي، على أي حالٍ، كما قلتُ قبل قليل الزيارة الجامعة الكبيرة مبنية على هذين الأساسين: التوحيد والولاية، ومن خلال شرح الزيارة سيتضحُ لنا مضمون التوحيد وسيتضح لنا مضمون الولاية بمعناها الأعَمّ، وهنا أشير إلى هذه القضية، إلى أي قضيةٍ؟ إلى أننا لابد أن نجعل أساساً وميزاناً لحديثنا في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، هذا الميزان يشتمل على نقطتين، يشتمل على فرعين، يشتمل على أصلين، قل ما شئت.

الأصلُ الأول كلُّ كلامٍ، كلُّ حديثٍ، كلُّ فكرةٍ تمسُّ بالتوحيد فهي باطلة، لأن أساس الوجود التوحيد، ولأن أساس الدين التوحيد، ولأن أساس العقيدة التوحيد، فكلُّ كلامٍ يمسُّ هذه العقيدة، ينتقصُ من هذه العقيدة فهو كلامٌ باطل، من أي جهةٍ صدر، من أي أحدٍ صدر، لأن الأساس الأول في عقيدتنا هو التوحيد، وما غيرُ التوحيد من العقائد فهو يندرجُ تحت التوحيد، أيُّ عقيدةٍ كانت، وأيُّ معرفةٍ كانت فإنها تندرجُ تحت التوحيد، هذا الأساس الأول الذي يجب أن يكون سياجاً وحصناً حامياً ومانعاً كما في الحديث، هناك عندنا حديثان رضويان:

**كلمة لا آله إلا الله حصني فمن دخل حصني أَمِنَ من عذابي**. وحديثٌ رضويٌ آخر أيضاً:

**ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أَمِن من عذابي.**

كلمة لا آله إلا الله حصني فمن دخل حصني أَمِنَ من عذابي، ولاية عليّ بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أَمِن من عذابي، أولاً: التوحيد. وثانياً: ولاية أهل البيت ولاية النبي وأهل بيته.

معرفة النبي وأهل بيته، معرفة الولاية، معرفة الولاية لا حدود لها، مقامات أهل البيت لا حدود لها، لكنها دون التوحيد – **نَزِّهونا أرباباً تُعبد وقولوا في فضلنا ما شئتم** – هكذا قال سيد الأوصياء، هكذا قال أئمتنا نزهونا أرباباً تُعبد، أبعدونا عن هذه المنزلة وقولوا في فضلنا ما شئتم فإن الباب مفتوحٌ لكم، وإنما صار الباب مفتوحاً لنا لأننا مهما تعمقنا فإننا لن ندرك معشار العشر من فضلهم، ولذلك أصبح الباب مفتوحاً لنا لأننا مهما ذهبنا بعيداً في الفكر فإننا لن نصلَ إلى شيءٍ من حقيقة مراتبهم ومقاماتهم العليّة.

ومن هنا سيكون الضابط، سيكون الأساس، سيكون الميزان، سيكون السياج، سيكون الحصن الذي نتحرك في داخله هما هذان الأساسان: الأصل الأول التوحيد وهو العقيدة الأولى والأخيرة، وغيرُ التوحيد من العقائد فإنما هو يندرجُ تحت التوحيد، معرفةُ أهل بيت العصمة، معرفة النبي وآل النبي، معرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد ما دامت دون التوحيد فإن الباب مفتوحٌ فيها، نزهونا أرباباً تُعبد وقولوا في فضلنا ما شئتم، لكن ذلك لا يعني أن نقول قولاً كيفياً، أن نأتي بالكلام من جيوبنا الخاصة ومن حساباتنا الشخصية وأن نُنشئ الكلام هكذا أن نبتدعهُ ابتداعاً من دون أساس، مَرَدُّنا الأول والأخير إلى حديث أهل البيت، إلى الأصول الأربعمائة، أين نجدُ حديث أهل البيت؟ نجدهُ في الأصول الأربعمائة، وهذه الزيارة الجامعة جاءتنا من هناك، جاءتنا من ذلك المنهل العاطر ومن ذلك الغدير المُطَهَّر من غدير حديث أهل البيت، من غدير عليٍّ وآل عليّ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، نحن ننهل من ذلك الغدير ونَرِدُ إلى ذلك الغدير ونشربُ من ذلك الغدير ونتطهر بذلك الغدير، وضوء عقيدتنا ووضوء ديننا من ذلك الغدير، وضوءنا الحقيقي وضوء الولاية، وضوء الولاية الحقيقي في حياتنا من أين نأتي بمائهِ؟

نأتي به من ذلك الذي جاء موصوفاً بالطهور الأعظم، والطهور الأعظم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد هم الطهور الأعظم، هم الماء الأعظم، هم السر الأعظم، هم الاسم الأعظم، هم الحقيقة الأعظم، هم الكلمة الأعظم، هم الصفة الأعظم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد، هم السبيلُ الأعظم، هم الصراط الأقوم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إلى هذه العين نَرِد، إلى هذا الغدير نَرِد، وعن هذا الغدير نصدر، وهنا نشربُ من هذا الغدير كي نُطفئ هذه الغُلَّة، غُلَّةُ هذا العطش، وغُلَّةُ هذا الأُوام، وهنا نتطهر، هنا نُسبغ وضوء الحقيقة، كيف نُسبغ وضوء الحقيقة؟ ومن أين؟ من غدير عليٍّ وآل عليّ، وهنا نتعطر من هذا الغدير، ألم يكن عطر رسول الله الماء؟ هكذا تقول الروايات كان عطرهُ الماء، وفي ذلك إشارةٌ من بعيدٍ إلى هذه المضامين التي أشير إليها، ولا أريد الدخول في مثل هذه التلويحات والتلميحات، عطرنا من هذا الغدير من غدير عليٍّ وآل

عليّ، وماءُ شرابنا من هذا الغدير، وديننا من هذا الغدير، وما الزيارة الجامعة الكبيرة إلا قَدَحٌ مُعلى، إلا قَدَحٌ مُعلى قد ملأهُ لنا عليُّ بن مُحَمَّد الهادي من ذلك الغدير، من تلكم الروضة الطاهرة، من تلكم العيون النقية، هذه الزيارة الجامعة الكبيرة قَدَحٌ نشربُ منه نَمير مَحَبَّة عليٍّ وآل عليّ وسلسبيل ولاية عليٍّ وآل عليّ، هذه الزيارة الجامعة الكبيرة من عمق حديث مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، نبقى نطوفُ حولها، منها بدايتنا وإليها نهايتنا، فإن البداية والنهاية مَنوطةٌ بمعرفة إمام زماننا، وما الزيارة الجامعة الكبيرة إلا لوحةٌ مزدانةٌ قد وشّتها الألوان وقد عَبَّقتها المعارف والحقائق، فاضت بها شفاهُ ابن الزهراء، شفاهُ الهادي صلوات الله وسلامه عليه، هذه الكلمات فاضت بها وجادت بها شفاهُ عليٍّ الهادي صلوات الله وسلامه عليه، وكلامي كما قلت سيكون في هذا الحصن في حصن لا آله إلا الله وفي حصن ولاية عليٍّ بن أبي طالب فإنهما الأمان الذي من دخل فيه نجا، كلمة لا آله إلا الله حصني، قال الله تعالى:

**كلمة لا آله إلا الله حصني فمن دخل حصني أَمِنَ من عذابي، ولاية عليٍّ بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي.**

كلامنا سيكون محكوماً على هذا الأساس، وكلامنا سيكون محكوماً بحديث أهل البيت فإننا نأخذ منهم وإننا نرجع إليهم في كل شيء وتلكم هي النجاة الحقيقية، أنا قلتُ في أول هذه الحلقة بأن هذا البرنامج وحقِّ الحسين لا ابتغي منهُ شيئاً إنما هي ساعةٌ اقتنصها من هذا العمر الذي راح هدراً في التفاهات وفي الشواغل التي لا قيمة لها، ساعةٌ أسرقها من هذا الوقت المُر ومن هذا الزمان الذي أثقلنا بكلكلهِ وكلاكله، هذه الساعة اقتنصها اغتالها أسرقها كي أعيشَ في جو مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، كي أتطهَّرَ أولاً وأدفعها هديةً لإخوتي من عُشاق أهل البيت للذين يُطربهم هذا الحديث، هذا الحديث هناك الكثير الذين لا يعجبهم هذا الكلام، وأنا لا أخاطبهم، أنا أخاطب أولئك الذين يُطربهم هذا الكلام، يُطربهم، يطربهم سماعُ حديث مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، أمَّا الذين لا يرغبون بهذا والذين لا تميل قلوبهم ولا تهشُ أرواحهم ولا تُسْعَد نفوسهم بمثل هذا الحديث لا علاقة لنا بهم، هذه هديةٌ متواضعة أمدُّ يدي بها إلى إخواني وأخواتي وأبنائي وبناتي من عُشاق أهل البيت من مُحبِّي أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذا حديثُ سَمَر، حديثٌ أنقلهُ عن عليِّ بن مُحَمَّدٍ الهادي وأتقلَّبُ في أفنائهِ ما بين الكافي وأخواتهِ من كتب الحديث، أسْتَلُّ فيها جُمَلاً وكلمات وأحاديث تَعَبَّقَ بها هذا الوجود، فاض بها جعفر بن مُحَمَّد في يومٍ من الأيام، وجاد بها علينا عليّ بن موسى الرضا في ساعةٍ من الساعات، واستهلَّ بها علينا الحسن العسكري، كلماتٌ عطَّرت حياتنا وأقول حياتنا حياة الذين أحبّوا مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد لا أعني غيرهم كلمات عَطَّرت حياتنا، كلمات أنارت الظلمات في دروب هذا العالم الذي تضغطُ عليه الجهالات وتضغط عليه الغفلة وتضغط عليه الترهات والتفاهات من كل مكان، هذه الكلمات هي التي أدفعها هديةً فإن أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قالوا:

**مَن لَم يقدر على زيارتنا فليزر صالحي موالينا يُكتب له بذلك ثوابُ زيارتنا** – هذه زيارةٌ لكم أحباب أهل البيت، إمامنا الكاظم يقول: **من لم يقدر على صلتنا فليصل صالحي موالينا يُكتب لهُ بذلك ثواب صِلَتنا** – فما نحن بقادرين أن نزور إمام زماننا وما نحن بقادرين أن نَصِل إمام زماننا، هذه زيارةٌ لأحبابهِ وصلةٌ لأحبابهِ وهذا حديثٌ أقتطفهُ من ثمار رياض وجنان مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ اليانعة لِذا أقف هنا وقفة موجزة أبيِّنُ فيها حقيقةً جاءت في روايات أهل البيت وفي قرآنهم ونحن لا نخرج عن هذين العمودين، نحن إن خرجنا من القرآن دخلنا في حديث أهل البيت، وإن خرجنا من حديث أهل البيت دخلنا في قرآنهم، ملاذنا الآمن هو هذا، إذا أردتم الأمان لدينكم وإذا أردتم الأمان لآخرتكم هما بابان: بابٌ كُتِبَ عليه قرآن آل مُحَمَّد وبابٌ كُتِبَ عليه حديثُ آل مُحَمَّد، فإذا خرجنا من هذا الباب دخلنا في الباب الثاني، وإذا خرجنا من الباب الثاني دخلنا في الباب الأول، من هنا البداية وأيضاً هنا النهاية، فالبداية والنهاية في نقطةٍ واحدة، في كتابٍ وفي عترة، وكما قلت قبل قليل حديثنا مُسيِّجٌ بسياج التوحيد أولاً وبسياج الولاية ثانياً.

في برنامج قرآننا وفي أوائل سورة البقرة المباركة مرت علينا هذه الآية وهي الآية السادسة والعشرون ولقد تحدثتُ في بيان جانبٍ من مضمونها، اليوم أيضاً أشير إلى جانب آخر، وهناك جوانب أخرى أتناولها في وقتٍ آخر إن شاء الله تعالى، الآية هي السادسة والعشرون من سورة البقرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ إلى آخر الآية، أنا هنا أريد أن أقرأ نصاً جاء مروياً عن إمامنا الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليه بخصوص هذه الآية، أقرأ هذا النص على مسامعكم، النص طويل، وأنا أقتطف منه موطن الحاجة – **فقيل للباقر عليه السلام: فَإِنَّ بِعْضَ مَنْ يَنْتَحِلُ مُوالاتكم** – ينتحل يعني يعتقد – **فقيلَ للباقر عليه السلام: فإنَّ بَعْضَ مَنْ يَنْتَحِلُ موالاتكمَ يزْعَم أنَّ البَعوضَة عَليٌّ عليه السلام** – طبعاً هناك روايات وأنا لا أريد الدخول في كل التفاصيل، قلت قبل قليل في برنامج قرآننا بينتُ جانباً من معنى الآية واليوم أشير إلى جهة أخرى وهناك جهات أخرى نأتي على بيانها في وقتٍ آخر إن شاء الله تعالى، وإنما أخذ موطن الحاجة الذي يتعلق بالبرنامج الذي نحن فيه الآن – **فقيلَ للباقر عليه السلام: فإنَّ بَعْضَ مَنْ يَنْتَحِلُ موالاتكمَ يزْعَم أنَّ البَعوضَة عَليٌّ عليه السلام** – البعوضة التي ذُكرت في هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ – **يزْعَم أنَّ البَعوضَة عَليٌّ عليه السلام وأنَّ مَا فَوقَها** – الفوق من البعوضة يعني أكبر منها – **وهو الذُباب مُحَمَّدٌ رسول الله صلى الله عليه وآله** – أقرأ الكلام مرة أخرى حتى يكون المعنى واضحاً:

**فقيلَ للباقر عليه السلام: فإنَّ بَعْضَ مَنْ يَنْتَحِلُ موالاتكمَ يزْعَم أنَّ البَعوضَة عَليٌّ عليه السلام وأنَّ مَا**

**فَوقَها وهو الذُبَاب مُحَمَّدٌ رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال الباقرُ عليه السلام: سَمِعَ هؤلاء شيئاً لم يضعوه على وجهه** – يعني هناك كلام مذكور في هذا الاتجاه لكن هؤلاء ما وضعوا الكلام كما هو، الآن يبين إمامنا الباقر عليه السلام هذا المضمون – **فقال الباقر عليه السلام: سَمِعَ هَؤلاء شيئاً لم يَضَعوه عَلى وَجهه إنَّما كان رسول الله صلى الله عليه وآله قَاعِداً ذاتَ يوم هو وعليٌّ عليه السلام إذ سَمِع قائلاً يقول: ما شاء الله وشاء مُحَمَّد، وسَمِعَ آخر يقول: ما شاء الله وشاء عليّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تقرنوا مُحَمَّداً وعليَّاً بالله عزَّ وجل ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء مُحَمَّد، ما شاء الله ثم شاء عليٌّ، إن مشيئة الله هي القاهرة التي لا تُساوى ولا تُكافى ولا تُدانى** – ولا زال الكلامُ لرسول الله مستمراً – **وما مُحَمَّدٌ رسول الله صلى الله عليه وآله في الله وفي قدرتهِ إلا كذبابةٍ تطير في هذه المسالك** – رسول الله يتكلم عن نفسهِ بهذا الكلام حين يُقايس نفسه بالله – **وما مُحَمَّدٌ رسول الله صلى الله عليه وآله في الله وفي قدرتهِ إلا كذبابةٍ تطير في هذه المسالك الواسعة، وما عليٌّ عليه السلام في الله وفي قدرتهِ إلا كبعوضةٍ في جملة هذه المسالك مع أن فضل الله تعالى على مُحَمَّدٍ وعليّ هو الفضل الذي لا يفي بهِ فضلهُ على جميع خلقه** – قولوا فينا ما شئتم – **مع أن فضل الله تعالى على مُحَمَّدٍ وعليٍّ هو الفضل الذي لا يفي به فضلهُ على جميع خلقه من أول الدهر إلى آخره هذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله في ذكر الذبابة والبعوضة في هذا المكان** – هذا كلام إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه.

نبينا هكذا يقول: **وما مُحَمَّدٌ رسول الله صلى الله عليه وآله في الله وفي قدرتهِ إلا كذبابةٍ تطير في هذه المسالك الواسعة، وما عليٌّ عليه السلام في الله وفي قدرتهِ إلا كبعوضةٍ في جملة هذه المسالك مع أن فضل الله تعالى على مُحَمَّدٍ وعليٍّ هو الفضل الذي لا يفي به فضله على جميع خلقه من أول الدهر إلى آخره** – وأظنُ أن المعنى واضحٌ وأن الدلالة بيِّنة، هذا حَدٌّ يبدأُ منهُ الكلام وينتهي عندهُ الكلام أيضاً.

وحَدٌّ آخر بيّنه القرآن الكريم جاء في سورة النور المباركة في الآية الخامسة والثلاثين من سور النور المباركة: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ – الآية المعروفة بآية النور – ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ﴾ – الآية الخامسة والثلاثون من سورة النور الشريفة، وهذه الآية يمكن أن يُقال عنها بأنها أعلى مقامٍ تَحَدَّثَ فيه القرآن من مقامات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فهناك حَدٌّ أشار إليه نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أنَّ حقيقة مُحَمَّدٍ وآل محَمَّد إذا قيست بحقيقة الله فهي لا شيء، وكل شيءٍ إذا قيس بالله سبحانه وتعالى فهو لا شيء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ وكلما تكامل المخلوق صار أكثر فقراً وازداد فقره أكثر، لماذا؟ لأن حاجتهُ تكون أكثر، فلما كان فضل الله الأكمل على رسولهِ وعلى آل رسول الله كانوا هم الأشد فقراً إلى الله وهذا هو معنى العبودية، لماذا لا تُطلق العبودية بالمعنى الحقيقي الأكمل الأتم إلا على رسول الله؟ وإذا أطلقت على غيرهِ فذلك من باب التجوز والتسامح، العبودية الحقيقية هي عبودية مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد لماذا؟ لأن الله قد أفاض عليهم تمام الفيض، وقد بلغوا أعلى المراتب التي ليس بعدها مرتبة لأي مخلوقٍ من المخلوقات، هم الحقيقةُ الأولى، هم النور الأول، هم الكلمة الأولى، هم الاسمُ الأول، هم العقل الأول، هم الصادر الأول، هم الفيضُ الأول، عَبِّر ما شئت من هذه العبارات وانتقي ما أردت أن تنتقي من هذه المصطلحات.

عباراتنا شتى سيدي يا رسول الله، سيدي يا أمير المؤمنين، سيدتي يا زهراء، سيدي يا بقية الله، عباراتنا شتى وحُسنك واحد، وحسنكم واحد

**عباراتنا شتى وحُسنك واحدٌ وَكلٌّ إلى ذاك الجمال يشيرُ**

**عباراتنا شتى وحسنكم واحد وكلٌّ إلى ذاك الجمال يشير**

فكلما تكامل المخلوق كلما ازداد فقراً وأهل البيت هم المخلوق الأكمل فهم الأكثر فقراً والأكثر حاجةً لأنهم هم الأكثر عطاءً، لأن الله قد أعطاهم أكثر مما أعطى سائر المخلوقات فكانوا هم الأكثر فقراً إلى الله، هذه الآية تتحدثُ عن أدق المعاني وعن أعمق المعاني في منزلةِ مُحَمَّدٍ وآل محَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، في البداية سأبين المعاني اللغوية للآية الشريفة، أولاً هذه الآية جاءت في سياق الأمثال القرآنية وأئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أمرونا أن نتدبر في أمثال القرآن لأن أمثال القرآن توصلنا إلى الحقائق وهذا مَثَلٌ من الأمثال القرآنية بودي لو أطلت الوقوف عند هذه الآية كثيراً، أنا سأُبَيِّن جانباً من مضمونها في هذه الحلقة وأتحدّثُ عن جوانب أخرى في مناسباتٍ أخرى إن شاء الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هنا الحديث ليس عن نورٍ حسي، الحديث عن نورٍ حقيقي، هناك فارقٌ بين نور الحس وبين نور الحقيقة، النور الحسي هو الذي يساعدنا على رؤية الأشياء، حين يأتي الظلام ولا ضوء فإننا

لا نرى الأشياء من حولنا، أما حينما يأتي ضوء النهار فإننا نرى الأشياء من حولنا بواسطة هذا الضوء الحسي والذي يُعَرِّفهُ الفلاسفة بأنَّهُ كاشفٌ عن نفسهِ وكاشفٌ عن غيره، نحن لا نملك تعريفاً للضوء أو للنور الحسي إلا هذا التعريف، ربما يكون هناك تعريفٌ فيزيائي أنهُ مجموعة الفوتونات الصادرة من الانشطارات الذرية من الهيدروجين والهليوم في الشمس أو غير ذلك، لكن الحديث عن التعريف الفلسفي، التعريف الفلسفي للضوء وللنور هو الكاشف عن نفسه والكاشفُ عن غيرهِ، وبقدرِ ما يكشفُ عن نفسهِ يكشفُ عن غيرهِ هذا هو النور الحسي.

أما النور الحقيقي وهو نور الوجود يمكن أن أُقَرِّبَ معنى النور الحقيقي بمثال: كلكم يعرف قصة ملكة اليمن بلقيس، وكلكم قرأ في القرآن قصة مجلس سليمان وحين أراد أن يكون عرشها الملكي بين يديه والقصة معروفة، آصف بن برقيا قال له: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طَرفُك وجاء بالعرش ولا أريد الخَوضْ في هذه القصة لكن فقط أردت أن أخذ منها لقطة ومضة، هناك من المفسرين من قالوا وتحدثوا في كيفية انتقال العرش من اليمن إلى فلسطين، فقالوا إن آصف بن برقيا كانت عنده ولاية على الفيض فقطع الفيض في اليمن فانعدم العرش في اليمن ونقل الفيض إلى فلسطين فأوجد العرش في فلسطين، فكأنهُ قطع الفيض، مثل ما مثلاً هناك أنبوب وفي هذا الأنبوب يأتي الماء جارياً ينزل في مكان معين فَقُطِع هذا الماء قُطِع الفيض، فلمَّا قُطِع الفيض هذا الفيض هو هذا النور الحقيقي، أنا كيف تحقق وجودي؟! أو كيف يتحقق وجودي الآن ووجود كل شيءٍ من حولي؟! كيف يتحقق وجودكم أنتم؟ هناك فيضٌ ينزلُ في كل آن وهذا الآن لا يُقاس بمقياس الزمان، آنات الفيض ما يُعَبَّر عنها بالتجليات لا تُقاس بالوحدات الزمنية، هي أدق وأبعد مما وراء الزمان ولا أريد الدخول في هذه التفاصيل، لكن يتحقق وجودي بنزول الفيض، مثل ما هذا الضوء حينما مثلاً الآن نحنُ في غرفة مظلمة، نحن في غرفة مظلمة وبيدي مصباح، مصباح يدوي كلما وجهتهُ إلى جهة فإنني أرى تلكم الجهة، هذي مجموعة من الكتب وبيدي مصباح صغير وأردت أن أعرف هذا الكتاب فوجهتُ ضوء المصباح فقرأت أصول الكافي، لمَّا أزحت الضوء إلى كتابٍ آخر ووضعتهُ عليه فقرأت بحار الأنوار، فكأن هذا الضوء هو الذي أوجد الكتاب، الفيض هو الذي أوجدنا، هناك فيض، وهذا الفيض ما دام متصلاً فإننا موجودون، متى انقطع الفيض فإننا نُعدم، ومن هنا هؤلاء الذين قالوا بهذا القول أخذوا هذه الفكرة من هنا بأن آصف بن برقيا كانت له ولاية على الفيض فقطع الفيض في اليمن وأوجدهُ.

طبعاً في فكر أهل البيت هذا الكلام ليس صحيحاً، فإن آصف جاء بنفس العرش، ولكنني جئتُ بهذا توضيح لأجل مثال ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النور الحقيقي وليس النور الحسي، النور الحقيقي الذي

أوجدنا، النور الحسي يكشف عن الأشياء، النور الحقيقي يوجد الأشياء هو هذا الفارق بين النورين، أيضاً النور الحقيقي كاشفٌ عن نفسهِ وكاشفٌ عن غيرهِ لكن الكاشفية هنا إيجاد وليس الكاشفية إراءة كما في النور الحسي، النور الحسي كاشفٌ عن نفسهِ وكاشفٌ عن غيرهِ، لكن الكاشفية هنا فقط في الإراءة بواسطة النور الحسي نرى الأشياء، النور الحقيقي كاشفيتهُ هي الإيجاد فهو كاشفٌ عن نفسهِ وكاشفٌ عن غيرهِ لكن كاشفية النور الحقيقي هو الإيجاد ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني هذا الوجود إنما هو متحقق بأي شيءٍ؟ متحقق بالنور الحقيقي الصادر من الله سبحانه وتعالى، ليس النور الحسي، النور الحسي إنما هو متحقق بالنور الحقيقي، النور الحسي إنما هو كاشفٌ عن نفسهِ وكاشفٌ عن غيرهِ بسبب أنَّهُ هو موجودٌ بالنور الحقيقي، إذاً أصلاً لا مقايسة بين النور الحقيقي والنور الحسي وإنما جئتُ بالنور الحسي مثالاً كي تتضح صورة ومعنى النور الحقيقي، لأن النور الحسي إنما هو متحققٌ بسبب النور الحقيقي.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إنما تحققت هذه الأشياء وتحقق النور الحسي وتحققت هذه القدرة على الإراءة والكاشفية في النور الحسي بسبب ماذا؟ بسبب النور الحقيقي هذا النور الصادر من الله سبحانه وتعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهذه الكلمة بحاجة إلى شرحٍ كثير لكنني أكتفي بهذا لأنني لست بصدد شرح هذه الآية وإنما أردتُ فقط أن أستفيد منها فائدة تتعلق بما بين يدي من موضوع الزيارة الجامعة الكبيرة ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ﴾ القرآن هنا يأتينا بمثالٍ لنور الله لهذا النور الساطع في السماوات والأرض ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ المشكاة هي يقولون الكوة غير النافذة، يعني كأن تكون فتحة في الجدار وهذه الفتحة في الجدار فقط كأنها مثل رف يوضع فيها المصباح، يعني هذه الكوة ليس مفتوحة إلى الخارج بحيث يدخل منها الضوء أو تكون مثل النافذة، الكوة مكان يُفتح في الحائط مثل الرفوف، رف، الرف الخاص بوضع المصباح يمكن أن نقول هكذا، ويمكن أن تكون المشكاة أيضاً مثلاً الإطار الذي يؤطر به المصباح مثلاً في زماننا هذا كأن يكون عندنا ضوء وحول هذا الضوء إطار هذا الإطار يحفظ فيه المصباح وكأن يكون في داخل هذا الإطار شيء من مرايا لزيادة نور المصباح أو للزينة أو لتجميل المصباح، بالنتيجة المشكاة هو المكان أو الحاوية التي تحوي المصباح قد تكون كوة في جدار.

قد تكون مكان على منضدة، قد يكون إطار أو شيء يوضع على المصباح هي هذه المشكاة، المشكاة شيءٌ يحيطُ بالمصباح، المصباح هو نفسهُ النور، النور المتوهج، قديماً كانوا يصنعون المصابيح من أي شيءٍ؟ من ذُبالةٍ وهذه الذُبالة تكون منقوعة في الزيت، في زيت الزيتون مثلاً أو في زيتٍ آخر ﴿الْمِصْبَاحُ فِي

زُجَاجَةٍ﴾ وإنما توضع الزجاجة لأي شيءٍ؟ لتجميل المصباح، للحفاظ على ضوء المصباح، ولزيادة نور المصباح بسبب شفافية هذه الزجاجة ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ الكوكب واضح معناه ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ طبعاً في لغة العرب الكوكب تُطلق على ما يُرى نجماً كبيراً في السماء، أمَّا في المصطلحات العلمية الفلكية هناك نجوم وكواكب، النجوم التي تكون مشعة بنفسها مثل الشمس، والكواكب التي لا تكون مشعة بنفسها وإنما هي عاكسة لأضواء غيرها لإشعاعات غيرها مثل القمر مثل الأرض وغير ذلك من الكواكب، الأرض لا يُقال لها نجم لأنها كوكب لأنها تعكس أنوار الشمس، أما الشمس لا يُقال لها كوكب بحسب المصطلحات الفلكية، أما في لغة العرب الكوكب يُقال للنجوم الكبيرة الواضحة ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ الدري أُخِذَ من الدُر والدُر هو هذا الحجر الذي يكون ساطعاً واضحاً منيراً مشرقاً ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ تُشَبّه الكواكب المشعة والمشرقة والكبيرة الواضحة في السماء في وقت الليل يُقال هذا كوكبٌ دُري فكأنهُ دُرة ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ الشجرة المباركة، المباركة هي التي يكونُ عطائها وفيراً هذا أولاً، وفي غاية الكمال، يُقال شجرة مباركة، شجرة لا عيب فيها، يعني الآن إذا كان عندنا مثلاً شجرة وهذه الشجرة مريضة فواكهها ثمارها تكون مُسَوسة هل يُقال لهذه الشجرة شجرة مباركة؟!

أو تكون مثلاً ثمارها ذات طعم سيئ طعمها غير طيب، أو مثلاً الثمار الاعتيادية كبيرة وهذه ثمارها صغيرة لا يُقال لها شجرة مباركة، الشجرة المباركة هي الشجرة التي لا عيب فيها، لا نقص فيها، جذعُ الشجرة، ساق الشجرة، أغصان الشجرة، أوراق الشجرة في غاية الجمال، ثمار الشجرة، الشجرة المباركة هي الشجرة التي لا عيب فيها، لا عيب في جذورها، جذورها تمتص الأملاح والمعادن والمياه بشكل على أحسن وجه، أغصانها أوراقها، خضرة أوراقها على أكمل وجه، شجرة مباركة شجرة لا عيب فيها لا نقص فيها، لا في ساقها، لا في جذورها، لا في أغصانها، لا في أوراقها، لا في ثمارها ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ الشجرة المباركة زيتونة لأن هذا الزيت هو الذي يستعمل في الإضاءة، كانت الناس بأي شيءٍ تُضيء مصابيحها؟ بالزيت ﴿شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ ما المراد لا شرقية ولا غربية؟

وصفٌ للشجرة، شجرة الزيتون كلمَّا طال إشراق الشمس عليها كُلما كَمُلت ثمرتها والزيت المستخرج من ثمارها يزداد صفاءً وإشراقاً ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ يعني لا تغيب الشمس عنها صباحاً ولا عصراً، يعني هي

واقعة في الوسط، لا هي في شرق المكان ولا في غربها، لا هي في شرق المكان فحينما تبدأ الشمس تتجه إلى المغيب تبتعد عنها، ولا هي في غرب المكان فحينما تشرق الشمس تكون بعيدة عنها وإنما هي في الوسط في المركز بحيث أن الشمس من أول ظهورها إلى آخر اليوم هي مشرقة على هذه الشجرة وذلك يؤدي إلى تكامل ثمرتها وإلى جمال أوراقها وبعد ذلك ذَلك يؤدي إلى أن الزيت المستخرج من ثمارها سيكون في غاية الصفاء وفي غاية النقاء وفي غاية الإشراق وهذا هو أحد معاني الشجرة المباركة، إنما كانت مباركة لأنها لا شرقية ولا غربية غذائها يصلُ إليها كاملاً متكاملاً فهي لا عيب فيها وثمارها كاملة، لا شرقية ولا غربية ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ من شدة صفائهِ ومن شدة نقائهِ قبل أن يُسَجَّر بالنار، يعني كأننا لسنا بحاجةٍ إلى نار كي نُسَجِّر النار في هذا الزيت ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا﴾ يكاد من أفعال المقاربة، والذين يعرفون قواعد العربية ولغة العرب يفهمون هذا المضمون أن هناك مجموعة من الأفعال تسمى بأفعال المقاربة، يعني من أفعال المقاربة أوشكت أن تكون، كادت أن تكون،كأنها قريبة من أن تتحقق ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ هو لم يُضئ لكن لشدة صفائهِ، لشدة نقائهِ كأنهُ يضيء من دون الحاجة إلى النار، لا يعني أنهُ هو أضاء من دون النار، هو يحتاج إلى نار كي يضيء ولكن لشدة صفائهِ، لشدة نقائهِ، لكمالهِ، كأنهُ لا يحتاج إلى النار، كأنهُ، كأنهُ للتشبيه هذي أفعال مُقاربة ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لكنهُ بعد أن تمسهُ النار سيتحول ﴿نُّورٌ عَلَى نُورٍ﴾ نورٌ متأتي من النار ونورٌ متأتي من الزيت من صفاء هذا الزيت.

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ هذا النور الله سبحانه وتعالى يهدي إليه من يشاء ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ وهذا مَثَل ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ إذاً هناك صورة أدبية عندنا، صورة جميلة جداً، صورة في غاية البلاغة، في غاية التعبير الأدبي المنمق المدَبَّج الجميل الرصين، صورة لا أستطيع أن أصف جمالها بعباراتي هذه القاصرة وبكلماتي هذه المحدودة وبهذه الألفاظ الضيقة، لكنني أحاول وأحاول أن أقرب المعنى بقدر ما أتمكن، بحدود قدرتي القاصرة، الحديث ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ نور الحقيقة في هذا العالم، نور الإيجاد والوجود، لولا هذا النور لَمَا كنتُ أنا ولَمَا كنت أنت، الله سبحانه وتعالى يبين لنا مَثَلاً لهذا النور ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ يعطينا صورةً، مشكاة وهذه المشكاة ماذا فيها؟

﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ هناك مصباح، المصباح في زجاجة ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾

تتوهج، تتوهج، من أين جاء هذا التوهج؟ جاء التوهج بسبب الزيت، هذا الزيت من أين جاء؟ جاء من شجرة مباركة، شجرة كاملة لا نقص لا عيب فيها، عندنا شجرة، المثال من هنا يبدأ، عندنا شجرة مباركة، البداية من هنا، لأن النور من الزيت والزيت من أين جاء؟ جاء من الشجرة، إذاً الصورة هنا، عندنا شجرة هذه الشجرة هكذا وصفتها الآية: شجرة مباركة، جذورها لا نقص فيها، كل الغذاء الموجود في الأرض هذه الجذور ممتدة في باطن الأرض وتقتنص جميع المعادن جميع الأملاح جميع المركّبات التي تحتاجها الشجرة في نموها ونمائها وفي ثمارها الذي يُعْصَرُ منها الزيت، شجرة زيتونة، شجرة الزيتون المباركة والتي هي في مكانٍ تُشرِقُ عليها الشمس من أول شروقها حتى تغيب، فتأتي الثمار كاملة ناضجة، يستخرج منها زيت صافٍ، هذا الزيت هو الذي سيكون سبباً في إعطاء هذا الضوء في هذا المصباح، وهناك زجاجة تُجَمِّل المصباح، وهناك مشكاة تحصرُ نور المصباح، وهناك نورٌ على نور، هذا النور من أين تأتى؟

تأتى من نور النار التي توهج بها المصباح ومن نور الزيت الذي لشدة صفائهِ وشدة نقائهِ كأنهُ يريد أن يشتعل من دون أن تمسهُ النار ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ زيتها يضيء يضيء يضيء ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ يضيء من دون أن تمسهُ النار، أيُّ زيتٍ هذا؟!! زيتُ فاطمة، الروايات فسرت هذه الشجرة بفاطمة، هذه الشجرة المباركة فاطمة، وفاطمة من أسمائها المباركة، فاطمة لها أسماء كثيرة، أحدُ أسمائها المباركة، فاطمة الزهراء، فاطمة الراضية، فاطمة المرضية، فاطمة الزاكية، فاطمة البتول، فاطمة الزهرة، البعض يتصور أن تسمية الزهرة باللهجة الدارجة أبداً الزهراء من أسمائها فاطمةُ الزهراء وفاطمة الزهرة، زهرة الوجود، وفاطمةُ الزُهرة زُهرة السماء، ففاطمةٌ من أسمائها الزهراء ومن أسمائها الزاهرة ومن أسمائها الزهرة ومن أسمائها الزُهرة وأسمائها كثيرة، وإن شاء الله في يوم من الأيام نتحدث عن أسمائها، ومن أسمائها المباركة، هذه الشجرة المباركة هي فاطمة، هذه الشجرة النقية التي امتدت جذورها أين امتدت؟ امتدت جذورها في أرض الوجود في حقيقة الوجود، هذه الشجرة المباركة فاطمة وتلكم الأغصان الطاهرة ذريتها الطاهرة، وتلكم الثمار الطاهرة.

أليس في الروايات عندنا أن هذه الشجرة هي فاطمة وأن هذه الشجرة في أصلها في جذورها في عمقها – **أنا وعليٌّ من شجرةٍ واحدة وسائر الناس من شجرٍ شتى** – هذه الشجرة المباركة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، أليس الروايات تقول بأن الثمار أولادها وأن الورق شيعتها هذا الورق الملتف بهذه الشجرة شيعتها، أوراقها شيعتها، وثمارها أولادها، والشجرة فاطمة وأصلها مُحَمَّدٌ وعليّ، الروايات هكذا بينت لنا مضامين وصور أخرى مرسومة لوحات أخرى لهذه الشجرة، وإن شاء الله نتحدث عن هذه الشجرة المُطَهَّرة، هذه الشجرة المباركة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، وهذا النور هو نور الولاية، نحن قلنا توحيدٌ

وولاية، هذا الزيت هو زيت الولاية، فكأن الآية تريدُ أن تقول إن هذا الزيت لكمالهِ ولفضلهِ كاد أن يكون من دون أن تمسهُ نار القدرة وهو تعبيرٌ مجازي، كاد أن يكون من دون أن تمسه نار الجبروت، يكاد فعل مقاربة يعني لم يكن كذلك، وإنما التعبير هنا التعبير القرآني تعبير الباري سبحانه وتعالى في كتابهِ الكريم يريد أن يبين فضل مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، أن هذا الزيت يكاد أن يضيء ولو لم تمسسه نار، كأنه يحمل في ذاتهِ قدرةً ذاتية، ولكن هذه القدرة الذاتية من أين متأتية؟ هي عطاء الله سبحانه وتعالى لأنهم وجه الله، وجه الله الذي لا يفنى، ووجه الله الذي لا يهلك، فحدود معرفة أهل البيت بين هذين المعنيين بين هذا المعنى الذي أشرتُ إليه قبل قليل في رواية الإمام الباقر وبين هذا المعنى الذي أشارت إليه هذه الآية المباركة، وبودي أن أتحدَّثَ ولا أقف ولكن ماذا نصنع للوقت، ماذا أصنعُ للوقت؟ بودي أن أتحدث وأتحدث وأتحدَّث ولا أنهي الحديث حتى تنتهي الحياة ولكن ماذا نصنعُ لمشاغل الحياة، وماذا نصنع لطبيعة الحياة، فهذه حياتنا وكما قلتُ قبل قليل إنها فرصةٌ، قطعةٌ من زمنٍ أقتنصهُ من هذا العمر الذي هدرناه يميناً وشمالاً.

سادتي آل مُحَمَّد منكم أبتدي وإليكم أعود أنتم ملاذي وأملي ورجائي في الدنيا والآخرة وأقول لأحبتي أولياء مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد إن كان في هذا الحديث شيءٌ من حُسن فهو وحقِّ عليٍّ من حُسنهم، وإن كان فيه شيءٌ من قُبح وشيءٌ من نقص وشيءٌ من سوء تعبير فهو مني، فما كان من حُسنٍ ومن جمالٍ فهو منهم وما كان من سوءٍ ومن نقصٍ فهو مني، أقول آخر كلمة في هذه الحلقة الكلمات التي تلفظ بها الكميت ومات بعدها وانطفأت حياتهُ، آخر كلمات قالها الكميت بن زيد الأسدي، آخر كلمات ما هي؟ قال:

اللَّهُمَّ آل مُحَمَّد آل مُحَمَّد آل مُحَمَّد

أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

# الحلقة الثانية

## مقدمة ثانية لبيان معاني الزيارة الجامعة

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، هذه الحلقة الثانية من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة. مرَّ في الحلقة السابقة شيءٌ من كلامٍ كان بمثابة مقدمةٍ أولى قبل الشروع في بيان معاني وفحوى نص الزيارة الجامعة الكبيرة المروية عن إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه والذي نعيشُ في هذه الأيام أيام ولادتهِ وأيام شهادتهِ أيضاً على ما أخبرت به جملة من الروايات والأخبار، بشكلٍ موجز أشيرُ إلى أهم نقطةٍ تقدَّمَ الحديث عنها في الحلقة الماضية، النقطةُ المهمة التي تحدَّثتُ عنها والتي لابد أن نأخذها بنظر الاعتبار على طول حلقات هذا البرنامج حين بيان معاني ومضامين الزيارة الجامعة الكبيرة، قلتُ إنَّ كلامنا لابد أن يكونَ محصوراً ولابد أن يكون محاطاً بسياجٍ تحدثتُ فيه عن أساسين مهمين:

الأساس الأول: التوحيد.

والأساس الثاني: الولاية بمعناها الأعم ولاية النبي ثم ولاية الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأن جملة عقائدنا إنما هي تندرجُ تحت عقيدة التوحيد فكل عقيدةٍ وكل فكرةٍ وكل قولٍ يتعارض مع عقيدة التوحيد لا قيمة له ومرفوضٌ أساساً بالجملة وبالتفصيل، أشرتُ إلى أمرين مهمين بشكل سريع أتناولهما في هذه الحلقة:

الأمر الأول: ما جاء في الرواية عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه والرواية مرويةُ عن إمامنا الزاكي العسكري – فَقيلَ للباقر عليه السلام: **فَإِنَّ بَعْضَ مَن يَنْتَحِلُ مُوَالاتكُم يَزْعَمُ أَنَّ البَعْوضَة عليٌّ عَلَيهِ السَّلام** – المراد من البعوضة الإشارة إلى الآية الكريمة التي أشرتُ إليها وهي الآية السادسة والعشرون من سورة البقرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ الكلامُ عن هذه الآية الشريفة – فَقيلَ للباقر عليه السلام: **فَإِنَّ بَعْضَ مَن يَنْتَحِلُ مُوَالاتكُم يَزْعَمُ أَنَّ البَعْوضَة عليٌّ عَلَيهِ السَّلام وَأَنَّ مَا فَوقَهَا وَهوَ الذُباب** – يعني أكبر منها – **وَأَنَّ ما فوقها وهو الذباب مُحَمَّدٌ رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال الباقر عليه السلام: سَمِعَ هؤلاء شيئاً لم يضعوه على وجهه إنما كان رسول الله صلى الله عليه وآله قاعداً ذات يوم هو وعليٌّ عليه السلام إذ سَمِعَ قائلاً يقول: ما شاء الله وشاء مُحَمَّد، وسَمِعَ**

**آخر يقول: ما شاء الله وشاء علي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تقرنوا مُحَمَّداً وعليّاً بالله عزَّ وجل ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء مُحَمَّد، ما شاء الله ثم شاء عليّ إن مشيئة الله هي القاهرة التي لا تُساوى ولا تُكافى ولا تُدانى، وما مُحَمَّدٌ رسول الله صلى الله عليه وآله في الله وفي قدرته إلا كذبابةٍ تطيرُ في هذه المسالك الواسعة وما عليٌّ عليه السلام في الله وفي قدرتهِ إلا كبعوضةٍ في جملة هذه المسالك مع أن فضل الله تعالى على مُحَمَّدٍ وعليّ هو الفضل الذي لا يفي بهِ فضله على جميع خلقه من أول الدهر إلى آخره، هذا ما قال رسول الله صلى الله عليه في ذكر الذباب والبعوضة في هذا المكان** – الرواية لا تحتاجُ إلى شرحٍ وإنما أوردتها مرةً ثانية ذكرتها في الحلقة السابقة وها أني أتلوها على مسامعكم في الحلقة الثانية لتوكيد هذا المعنى ولتأكيد هذه الحقيقة من أن كل وجودٍ إذا ما قيسَ بوجود الله سبحانه وتعالى فما هو إلا ظِلال، الوجود الأصل هو الوجود الإلهي الأول، هو الأول الذي لا أولية لأوليته وهو الآخرُ الذي لا آخرية لآخريته، هو الأول على أتم الحقيقة، وهو الآخر على أتم الحقيقةِ، وهو الظاهرُ على أتم الحقيقة، وهو الباطنُ على أتم الحقيقةِ، وهو الواسعُ المحيط بكل شيء على أتم الحقيقة أيضاً، الرواية هنا واضحةٌ جليّةٌ صريحةٌ في بيان مراتب أهل البيت إذا ما قيست بالله سبحانه وتعالى، أشرتُ إلى هذا المعنى.

وأشرتُ أيضاً إلى ما جاء في الآية الخامسة والثلاثين من سورة النور المباركة، الآية المعروفة بآية النور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وبينت جوانب من معنى هذه الآية لا أعيد ما بينتهُ في الحلقة الماضية لكنني أشير فقط إلى نقطتين:

النقطة الأولى: بأن هذه الآية هي أعظم آيةٍ أشارت إلى أعظم منازل أهل البيت، إلى أعظم منازل النبي وأهل بيتهِ، هذه الآية تحدثت عن الحقائق الأولى، عن الحقيقة المُحَمَّدية، عن الحقيقة العلوية، عن الأنوار الأولى، عن الأشباح الأولى، عن الحقائق الأولى، عن حقائق مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذه الآية يمكن أن أقول عنها بأنها أعظم آيةٍ في كتاب الله تحدثت عن أعظم منازل النبي وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وجوهر الآية ولُبابها الحقيقة الزهرائية، هذه الشجرة المباركة هي فاطمة حقيقة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، هذه الشجرة المباركة الزيتونة التي لا هي شرقية ولا هي غربية، هي منزهةٌ عن العوالم العلوية ومنزهةٌ عن العوالم السفلية، هذه حقائق أسمى من كل هذه العوالم،

العوالم الشرقية هي العوالم العلوية التي أشرق فيها النور، والعوالم الغربية هي العوالم السفلية والتي أشرقت فيها ظلمات الطبيعة، أشرقت فيها ولم تُشرق فيها الأنوار القادسة، قيل لها غربية لأن الأنوار ما أشرقت فيها وإنما الذي أشرق فيها أيُّ شيءٍ؟ أشرق فيها ظلام الطبيعة وحينما أقول أشرق فيها ظلام الطبيعة فهذا معنىً مجازي، العوالم الغربية هي العوالم الطبيعية، عالمنا الأرضي وما يشبههُ من العوالم الأخرى، في السماء الدنيا أو ما دون ذلك، ما تسمى بالعوالم السفلية، ما تسمى بالعوالم المظلمة، ما تسمى بالعوالم الترابية، ما تسمى بالعوالم الطبيعية سمي ما شئت، هذه الحقائق لا هي شرقية ولا هي غربية لأن ما في العوالم الشرقية وما في العوالم الغربية إنما هو مشتقٌّ من أنوار هذه الشجرة، أول ما خلق الله خلق الله هذه الشجرة، هذه الشجرة الزيتونة التي جعلها لا شرقيةً ولا غربية وإنما من نورها أشرقت العوالم الشرقية وأشرقت العوالم الغربية، وكما قلت قبل قليل فالعوالم الشرقية هي العوالم العلوية ما تسمى بعالم الملأ الأعلى أما العوالم الغربية فهي العوالم السفلية وهي عوالم الطبيعة وهي عوالم الغواسق والظلمات المادية، فهذه الحقيقة هي الشجرة المباركة هي الحقيقة التي قُدِّست ونُزِّهت عن أي شيءٍ؟ عن العوالم الشرقية وعن العوالم الغربية، ومن هنا تتضح حقيقة هذه الشجرة ومنزلة هذه الشجرة.

الكلامُ في الزيارة الجامعة الكبيرة إنما يكون بين هذا الأمر الذي بيّنهُ إمامنا الباقرُ في الرواية التي تلوتها على مسامعكم مرةً ثانية قبل قليل، وبين هذا المضمون العالي الكبير الذي أشارت إليه آية النور الآية الخامسة والثلاثون من سورة النور المباركة، هذه المسألة الأولى وهذا الأمر الأول الذي أحببتُ الإشارة إليه وأحببتُ تأكيدهُ لأجلِ التذكير لأجل أن تكون هذه المعاني حاضرةً دائماً حينما نشرعُ في بيان مضامين الزيارة الشريفة.

الحلقة هذه أيضاً هي بمثابة مقدمة ثانية قبل أن نشرع في بيان معاني الزيارة الشريفة.

المسألة الثانية أيضاً التي أريد الإشارة إليها، لقد قلت في طوايا حديثي كلاماً حين تحدثت عن عَظَمَةِ هذه الزيارة الكريمة، أعني الزيارة الجامعة الكبيرة، قلتُ بأنني هنا لا أريدُ أن أوثقَ الزيارة الجامعة الكبيرة وإنما هي التي توثقني، وهنا يسألُ بعض الإخوان عن هذا المضمون عن هذا المعنى: ما هو مقصودي إنني لا أريدُ أن أوثقَ الزيارة الجامعة وإنما هي التي توثقني؟! مرادي من هذا الكلام إن الزيارة الجامعة الكبيرة:

أولاً: وردت في أوثق المصادر وقد أشرت إلى مصادرها وإلى الكتب التي نَقَلت هذه الزيارة الشريفة، ولا أريدُ أن أعيدَ الكلام، الكلام مرَّ في الحلقة الماضية، الزيارة وردت في أوثق المصادر وفي أهم المصادر الحديثية، هذا أولاً.

وثانياً: متنُ الزيارة من أقوى المتون التي وردت عن أهل بيت العصمة في البناء الأدبي وفي البناء اللغوي أو في البناء المعرفي، يعني نحن في مواجهة نص يتكامل أدبياً ولغوياً ويتكامل معرفياً، أما تكامل هذا النص أدبياً

ولغوياً فذلك راجع إلى البنية البلاغية وإلى البنية البيانية وإلى البنية المعنوية التي نُظمت ورُصِفت فيها عبارات وألفاظ هذه الزيارة، وأما البناء المعرفي للزيارة فذلك سيتضحُ من خلالِ ما سأتمكن من بيان مضامينه ومعانيه وستتجلى هذه الحقيقة من أن هذه الزيارة تشتملُ على بناءٍ عقائديٍ معرفي يندر أن نجدهُ في نصوص أخرى، ربما نمتلك نصوص قليلة إن كان في نصوص الأخبار والأحاديث أو في نصوص الزيارات نمتلك نصوصاً قليلة مماثلة لهذا النص الجامع المانع – **علمني يا ابن رسول الله قولاً بليغاً كاملاً** – هناك قولٌ بليغٌ كامل كما مرَّ الكلامُ في بيان هذا الكلام.

ومن جهةٍ ثالثة: قوة المصادر، وثاقة المصادر، وقوة المتن، قوة هذا النص، هناك أمرٌ ثالث وهو إن جميع المضامين التي وردت في هذه الزيارة الشريفة هذه المضامين وردت بخصوصها وفي بيان مضامينها ومعانيها رواياتٌ كثيرةٌ جداً، يعني نَحْنُ إذا أردنا أن نأخذَ كل عبارة وكل فقرة من فقرات هذه الزيارة فنضعها في مكان ثم نجعل هذه الفقرة عنوان وعلى أساسهِ مثلاً نذهب إلى الجوامع الحديثية التي جُمِعت فيها أحاديثُ أهل البيت لوجدنا العشرات بل المئات من النصوص تتطابق وتتفرع على هذه العناوين المُجْمَلة التي جاءت مذكورةً في الزيارة الجامعة الكبيرة، يعني يمكن أن أقول بأن العناوين والمصطلحات التي وردت في الزيارة الجامعة الكبيرة هي بمثابة فهرست، فهرس للعناوين الموضوعية التي تحدثت عنها كلمات أهل البيت لا في مجموعة محدودة من الروايات، لا في مئة رواية أو في مئتين، هناك أعداد هائلة من النصوص، هناك ألاف من النصوص، الحديث ليس عن عشرات أو عن مئات، الحديث عن ألاف من النصوص وردت عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في كتبنا الحديثية التي جَمَعَت كلمات وأحاديث أهل البيت، وطبعاً لا تستغربوا أبداً بأن أقول وحتى في كتب المخالفين لأهل البيت، هناك الكثير من النصوص التي تأتي منسجمةً مع مضامين الزيارة الجامعة ودالة على نفسِ معانيها وفحاويها.

أنا أشرت في الحلقة الماضية إلى مصدرٍ من مصادر المخالفين لأهل البيت وهو كتاب فرائد السمطين، وإنما أشرت إلى هذا المصدر لا اهتماماً مني بما يأتي في كتب المخالفين لأهل البيت، نحن لا نعتمدُ على حديثٍ لا يأتي من طريق أهل البيت، حديثنا نأخذهُ من طريق أهل البيت ومن طريق أشياع أهل البيت من طريق أوليائهم، لكن لأن هناك الكثيرين ممن يتابعون هذا البرنامج من غير أتباع أهل البيت ولا يملكون مصدراً شيعياً يجدون فيهِ هذا النص لذلك أنا نبهت إلى هذه القضية قلت بأن هذا النص قد جاء مروياً في كتابٍ من كتب السنة وهو فرائد السمطين للمحدث الجويني الشافعي، فمن هنا قلت بأنني لا أريدُ توثيق الزيارة الجامعة، الزيارة الجامعة هي التي توثقني، إذا كانت هذه الزيارة وردت في أهم المصادر وحتى أن من السنة من رواها، وإذا كانت هذه الزيارة تمتازُ بقوة متنها من جهة اللغة والأدب ومن جهة القيمة المعرفية فضلاً عن أن الآلاف من النصوص في أحاديث أهل البيت تأتي متناسقةً ومستوسقةً ومتوافقةً لِمَا في مضامين هذه الزيارة

الشريفة، فكيف لا توثقني هذه الزيارة؟!!

الزيارة هي التي توثقني إذاً، لأنني حين لا اعتقد بمضامينها فذلك القدح لا في الزيارة سيكون القدحُ فيَّ وفي غيري إذا كان أيضاً لا يعتقدُ بمضامين هذه الزيارة، وإنَّ الاعتقاد بمضامين هذه الزيارة هو مدحٌ لمن يعتقد بها وبذلك ستكون سبباً هي للتوثيق ولا تحتاجُ إلى توثيق، أما أولئك الذين يريدون البحثَ في سندٍ رجاليٍ وهو قرينة ضعيفةٌ جداً بالقياس إلى هذه القرائن فذلك ما لا قيمة له أبداً، لأن الأمور إنما تثبت لا من جهةٍ واحدة، نحن كيف تثبت عندنا النصوص؟ تثبت عندنا النصوص من خلال القرائن ومن خلال الأدلة ومن خلال البينات ومن خلال الشواهد التي تحفُّ النص، وهذه القرائن والبينات التي تحفُّ النص قد تكونُ في السند، قد تكون في المصدر، قد تكون في الشهرة في شهرة هذا الحديث، قد تكون في قوة المتن، قد تكون في موافقة هذا المتن للمتون الصحيحة الأخرى، وقد تكون وقد تكون، هناك الكثير من القرائن التي من خلالها نستطيع أن نعرف مدى وثاقة هذا النص.

ومع كل ذلك مع كل هذه الأمور التي أشرتُ إليها وأنا هنا لستُ بصدد توثيقها لو كنتُ بصدد توثيقها لاحتجتُ في هذا المطلب إلى ساعاتٍ وساعات لأنني سأضطر إلى تطبيق هذا النص مع النصوص الأخرى ومع المصادر الأخرى وهذا يحتاجُ إلى وقتٍ طويل، ولكن لو أردنا أن نلقي نظرة تأريخية على الأجيال التي مرت من علمائنا، كل علمائنا كانوا قد تلقوا هذه الزيارة بالقبول والاعتقاد وقد شُرِحت شروحاً كثيرة هذه الزيارة الشريفة، تلقاها العلماء بالقبول وبالاعتقاد بها وبالعمل على أساسها وبزيارة الأئمة بها صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولا أريد الإطالة أكثر من ذلك وإنما أتناول مسالةً أخرى تتعلقُ بالمقدمة الثانية.

قلتُ قبل قليل بأن الحلقة الماضية إنما هي عبارة عن مقدمة أولى تسبق الحديث في بيان مضامين الزيارة الجامعة الكبيرة، والحلقة هذه أيضاً هي بمثابة مقدمةٍ ثانية.

سيكون كلامي في المقدمة الثانية بعد أن بينتُ التوضيحات التي أشرتُ إليها قبل قليل سيتناول كلامي أولاً معنى الزيارة، قبل أن أدخل في نص الزيارة، ما هو المراد من الزيارة؟ لماذا نزور الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؟ لماذا نزور الأئمة؟ هناك جوانب كثيرة، أنا سأشير إليها، لكنني سأركز النظر إلى نقطةٍ من هذه النقاط، هناك عدة أبعاد في زيارة الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين:

البُعد الأول من أبعاد زيارة الأئمة هو البُعدُ العقائدي، ومُرادي من البُعد العقائدي إننا حين نزور الأئمة صلوات الله عليهم إنما نجدد العهد معهم، وهذا من واجباتنا، هناك عهود ومواثيق، عهود الإمامة ومواثيق الإمامة التي أعطيناها لأئمتنا، هذي عهود ومواثيق أُخِذت في أصل الخلقة، في أصل الخلقة أُخِّذت، في أصل الوجود، وهناك عهود ومواثيق أُخِذت في عالم الذر، وهناك عهود ومواثيق أُخِذت في عالم الأصلاب، وهناك عهود ومواثيق أُخِذت علينا بعد أن قامت علينا الحُجَج، بعد أن خرجنا إلى الدنيا، وبعد أن بلغنا

سن التكليف، هناك عهد الإمامة وعقدُ الولاية في أعناقنا، ومن الوفاءِ لهذا العقد ولهذا الميثاق هو زيارة الأئمة التي تعطي هذا المعنى هو تجديد العهد مع الأئمة، وهذا بُعدٌ عقائدي، قلت بأن الزيارة فيها عدة أبعاد، البُعد الأول البُعد العقائدي، البُعد العقائدي يشتمل على هذا المعنى على معنى تجديد العهد، على معنى توكيد الميثاق، نحن حين نزور الأئمة إن كانت هذه الزيارة من قريبٍ أو من بعيد على حدٍ سواء، أئمتنا يسمعوننا إن كنا نزورهم من قريب أو من بعيد، حين نخاطب الإمام عليه السلام: **أشهدُ أنَّكَ تَسْمَعُ كلامي وتَردُّ سلامي** – حين نخاطبه هكذا بأنك أشهد وهذه شهادة عقائدية – **أشهدُ أنَّكَ تسمعُ كلامي وتَشْهَدُ مقامي وتَردُّ سلامي** – هذا النوع من التعامل وهذا النوع من الترابط لا يحول فيما بينهُ بين الإمام وبين المأموم التضاريس الأرضية، الإمام يسمعُ كلامنا في أي مكانٍ كُنا – **أشهدُ أنَّكَ تسمعُ كلامي وتَشْهَدُ مقامي وتَردُّ سلامي** – يا ابن رسول الله، البُعد العقائدي فيه هذا المعنى الأول وهو معنى تجديد العهد معنى توكيد الميثاق.

وهُناكَ بُعدٌ آخر البُعد الآخر هو صلةُ الإمام، يجب علينا أن نَصِلَ الإمام، لماذا؟ لأن صلة الإمام هي صلة رسول الله، وإن الرحم الذي يجب أن نَصِلَه هو رحم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الرحم الذي يجب علينا أن نصله هو رحم رسول الله، الروايات التي تقول: **إن الرحم مُعلقةٌ بالعرش فمن وصلها وصلهُ الله ومن قطعها قطعهُ الله** – أيُّ رحمٍ هذا؟!! هل هو رحمُ عوائلنا؟!! هذا رحم مُحَمَّدٍ وآل محَمَّد – **إن الرحم مُعلقةٌ بالعرش فمن وصلها وصلهُ الله ومن قطعها قطعهُ الله** – هذه المعاني التي نقرأها في زيارات أهل البيت وخصوصاً مثلاً في زيارة الصديقة الطاهرة ونحن نخاطبها نخاطبُ بنت رسول الله: **وأن من وصلك فقد وصل رسول الله وأن من قطعك فقد قطع رسول الله** – من وصلها وصل رسول الله ومن قطعها قطع رسول الله وهذا المعنى يجري فيها وفي ولدها إلى إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه.

فالبُعد العقائدي في الزيارة لأئمتنا أولاً فيه تجديد عهد الولاية وتوكيد ميثاق الإمامة مع عليٍّ وآل عليّ، وفيه أيضاً صلةُ عليٍّ وآل عليّ، صلة رسول الله وآل رسول الله، الرحم المعلقة بالعرش هي رحم مُحَمَّد والصلة التي نصل بها هذا الرحم هي صلة لله فمن وصل مُحَمَّداً فقد وصل الله لأنهُ من أطاع مُحَمَّداً أطاع الله، من أحَبَّ مُحَمَّداً أحبَّ الله، من عصا مُحَمَّداً عصا الله، من أبغض مُحَمَّداً أبغض الله، هذه صلةٌ لله، نحن حين نزور أئمتنا فكأنما نزور الله سبحانه وتعالى، الذي يزور الحسين صلوات الله وسلامه عليه هو زائرُ الله، الروايات تبين هذا المعنى، مثل ما أن الذي يذهبُ إلى الحج، يذهبُ إلى العمرة، والذاهبُ إلى الحجِ والذاهبُ إلى العمرة هو زَورُ الله، زَورُ الله يعني هو زائرُ الله، زيارتنا لأئمتنا هي زيارةٌ لله، هي صلةٌ لله سبحانه وتعالى، هذا هو البُعد الأول البُعد العقائدي في زيارة الأئمة، البُعد العقائدي في معناه الأول في تجديد العهد وتوكيد

الميثاق، وفي معناه الثاني في صلة الرحم، هناك عندنا روايات، روايات تحدثت عن صلة الرحم بأي معنىً؟ صلة الرحم بالمعنى الاجتماعي، صلة الرحم بالمعنى النَسَبي، طبعاً هذا من المعاني الأكيدة والمهمة والتي حثت عليها الروايات، وعندنا في الروايات الشريفة التأكيد الشديد على صلة الرحم النسبي، صلة الرحم الاجتماعي، صلة الرحم الإنساني، لكن صلة الرحم بالمعنى الأصلي بالمعنى الأصيل وبالمعنى الأول هي صلةُ الرحم الإلهي صلةُ رحم مُحَمَّد وآل محَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فإنَّ من قطع رحم مُحَمَّدٍ وآل محَمَّد لن يدخل إلى الجنة، وهذه الروايات التي تقول بأن قاطع الرحم لن يشم رائحة الجنة أيُّ رحمٍ؟ رحم مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، أما قاطع الرحم الإنساني، قاطع الرحم الاجتماعي يمكن أن يدخل الجنة إذا ما رضيَ عنهُ أرحامهُ في يوم القيامة، لكن الذي يقطعُ رحم آل محَمَّد لا يمكن أن يدخل الجنة لأن الروايات صريحة واضحة في أن الجنة لن يدخل فيها مبغضٌ لمحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

الروايات واضحة صريحة لَمَّا يتحدث إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه عن أبواب الجنان فيقول: **بأن للجنة ثمانية أبواب، قال بابٌ للأنبياء والصديقين، وبابٌ للشهداء والصالحين، وخمسة أبوابٍ لشيعتنا، والباب الثامن لمن قال: لا آله إلا الله وليس في قلبهِ ذرة من بغضنا أهل البيت** – إذاً هناك شيء يمنع من الدخول إلى الجنان وهو بغض مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، والباب الثامن لمن قال لا آله إلا الله وليس في قلبه ذرة من بغضنا أهل البيت، إذاً المانع الذي يحولُ فيما بين الناس وبين الجنان يوم القيامة هو بغضُ أهل البيت، ومن هنا قلتُ قبل قليل بأن قاطع رحم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، والمراد من قاطع رحم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد الذي أعرضَ عن العترة، وليس المراد هنا من قطيعة الرحم قطيعة الرحم النسبية، الحديث عن رحم مُحَمَّد وآل مُحَمَّد ليس كل من ينتسب بنسبة الرحم إلى مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وإن كان هذا الأمر أيضاً صلة أرحام النبي النسبيين أيضاً من الأمور التي أكدت عليها الروايات، ولا أريد الحديث عن هذه القضية، لكن الحديث عن رحم مُحَمَّدٍ المعلقة بالعرش الحديث عن الكتاب والعترة، حينما نريد أن نصل رحم مُحَمَّدٍ وآل محَمَّد أن نصل الكتاب والعترة، رحم مُحَمَّدٍ وآل محَمَّد هو دين مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، ودينُ مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد هو الكتاب والعترة، والحديث عن صلة رحم مُحَمَّد الحديث عن صلة الكتاب والعترة، على أي حالٍ لا أريد التفريع كثيراً في هذه القضية لكنني قلت بأن للزيارة مجموعة من الأبعاد منها البُعد العقائدي وتحدثت عنه.

ومنها أيضاً البُعد العبادي فالزيارة عبادةٌ من العبادات وقُربة من القربات يُتقرَّب بها إلى الله، الزيارة عبادة يترتب عليها الثوابُ العظيم والأجر الجزيل وليس المقام هنا للحديثِ عن الثواب العظيم وعن الأجر الجزيل الذي يترتبُ على الزيارات، فذلك بابٌ واسعٌ لا أريدُ الدخول إليه في هذه الحلقة، البُعد العبادي، الزيارة عبادة والعبادة أمرٌ يترتب عليه الثواب والأجر والزيارة من العبادات ومن الأعمال التي يترتب عليها ثوابٌ عظيمٌ وأجرٌ جزيلٌ لا يترتب على الكثير من العبادات، ولربما، نص واحد فقط أشير إليه، نص واحد جاء في

كامل الزيارات هذا النص يتحدث عن زيارة الحسين في يوم عرفة، ماذا يقول هذا النص؟ روايات أهل البيت ماذا تقول؟ ألا تقول بأن الله سبحانه وتعالى ينظرُ إلى زوار الحسين في يوم عرفات قبل أن ينظر إلى الواقفين في الموقف في عرفات، قبل أن ينظر إلى حجاج بيتهِ، وهذا الكلام عن أئمتنا المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فإن الله ينظرُ إلى زوار الحسين في يوم عرفات قبل أن ينظر إلى الواقفين في الموقف في موقف عرفات، وأنا قلت لا أريد الدخول في هذا الباب في باب الأحاديث التي تخبرنا عن عظمة الثواب وعن عظمة الأجر الجزيل الذي يترتب على الزيارة بعنوان أنها عبادة من العبادات، هذا أولاً.

والأمر الثاني أيضاً الذي يدخل في البُعد العبادي للزيارة، الأمر الثاني الذي يدخل في البُعد العبادي أن الزيارة محطةٌ للتفكر وللاعتبار، والتفكر والاعتبار من أجَلِّ العبادات، أصلاً الروايات تقول ليس العبادة بكثرة الصلاة والصيام وإنما العبادة بكثرة التفكر في أمر الله، وهل هناك توجد محطة وساحة حقيقية أفضل من ساحة الزيارة للتفكر والاعتبار؟!! وهذا الجانب المهم في الجانب العبادي للزيارة، فالجانب العبادي يشتمل على هذين الأمرين: الأمر الأول الزيارة هي بنفسها عبادة من العبادات يترتب عليها الثوابُ والأجر وهي محطةٌ من محطات حياة الإنسان، محطة للتفكير وللاعتبار، محطة لتجديد التوبة، محطة لشيءٍ من المحاسبة، الإنسان حينما يكون في محضر أهل البيت فهذه فرصة، هذه فرصة أن يقرأ القرآن، ربما في بيتهِ لا يجد فرصةً لقراءة القرآن، هذه فرصة يقرأ فيها الدعاء، هذه فرصة يؤدي فيها الصلوات المستحبة، هذه فرصة يقرأ فيها نصوص الزيارات ويتأمل المعاني والمضامين الموجودة فيها، هذه فرصة يمكن بسببها أن تقع عينهُ على كتاب في مكتبةٍ من المكتبات التي تحوطُ الحضرات الشريفة، هذه فرصة يمكن أن يستمع إلى موعظة أو أن يلتقي بإنسانٍ يكونُ سبباً إلى أن يفتح له أبواباً كبيرة وأبواباً واسعة عريضة في القرب وفي التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، الزيارة فيها بُعدٌ عباديٌ واسع من جهة أنها عبادة ومن جهة أنها محطةٌ للتفكر والاعتبار والاتعاظ.

وهناك بُعدٌ ثالث في الزيارة أيضاً البُعد السياسي، هناك بُعدٌ سياسي والمراد من البُعد السياسي في حدهِ العقائدي ليس البُعد السياسي السياسة التي هي بمعنى المكر والخداع والصراع على المناصب وجمع الأموال وقهر الناس وغلبة البشر ليس المراد المعنى السياسي هو هذا، وإنما المراد من البُعد السياسي هو نُصرة الحق والوقوف بوجه الباطل ونُصرة العدل والوقوف بوجه الظلم، البُعد السياسي إنَّ الزيارة تمثل موقفاً سياسياً وهذا الأمر واضح عبر التأريخ، زيارة الأئمة تعكسُ الموقف السياسي لأتباع أهل البيت إن كان بنحوٍ فردي أو إن كان بنحوٍ عام للمجتمع الشيعي، فالزيارة فيها البُعد السياسي وهو البُعد الجهادي، وهو قول الحق، وهو عمل الحق، في بعض الأحيان الإنسان ينصر الحق بقولهِ، وفي بعض الأحيان ينصر الحق بعملهِ من دون أن يقول، الذهابُ إلى زيارة الأئمة هو نُصرةٌ عمليةٌ للأئمة ونُصرة الأئمة هي نصرة الحق، هي نصرة الخلافة

الربانية، هي نصرة السياسة الإلهية التي يريد الله سبحانه وتعالى لهذه السياسة أن تُطَبَّق على وجه الأرض، فهناك الموقفُ السياسي للمؤمنين بشكلٍ خاص لأفراد المؤمنين، وكذلك لعامة شيعة أهل البيت للأُمَّة الشيعية، وأيضاً يدخلُ في الموقف السياسي أمرٌ آخر وهو إحياءُ أمر أهل البيت وهذا أيضاً يمكن أن نَعُدَّهُ من فروع الأمر السياسي فهو مرتبطٌ في عقيدة الجهاد في طريق أهل البيت، إحياءُ أمر أهل البيت، وإحياءُ أمر أهل البيت يمكن أن يقوم بهِ الفرد لوحدهِ لكن حينما تكون الزيارات جماهيرية فهذا البُعد الجماهيري يُعطي لمعنى إحياء الأمر معنىً آخر ويعطيه عمقاً وبُعداً آخر، في الزيارات المليونية مثلاً لأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هناك إحياءٌ لأمرهم بشكلٍ جماهيري، بشكلٍ واسع، وهذا يؤكد معنى البُعد السياسي والبُعد الجهادي في زيارة أهل البيت.

وهناك بُعدٌ رابع وهو البُعد الاجتماعي، التلاقي بين المؤمنين، أن يتعارف المؤمنون فيما بينهم، أن يعرف المؤمنون مشاكل بعضهم البعض الآخر، أيضاً ما يترتب على ذلك من المنافع التي ينتفع منها المؤمنون ينتفع منها شيعة أهل البيت إن كان على مستوى السياحة، إن كان على مستوى الإعلام، إن كان على المستوى التجاري والاقتصادي، إن كان على مستوياتٍ مختلفة ترتبط بالحياة الاجتماعية للناس، فهناك بُعدٌ اجتماعيٌ واضح في زيارات أهل البيت، هناك البُعد العقائدي، وهناك البُعد العبادي، وهناك البُعد السياسي، وهناك البُعد الاجتماعي، وهذه الأبعاد كلها إنما هي في سطح الزيارة الشريفة، الزيارة فيها معنى أعمق من كل هذه المعاني، هذه المعاني التي أشرتُ إليها إن كان في البُعد العقائدي أو كان في البُعد العبادي أو إن كان في البُعد السياسي أو إن كان في البُعد الاجتماعي وربما هناك أيضاً أبعاد أخرى يمكن الإشارة إليها كل هذه المضامين وكل هذه المعاني إنما هي في أفق واحد في سطحٍ واحد، هناك ما هو أعمق من هذه المعاني وما هو أبعد أبعدُ غوراً من كل هذه المعاني.

زيارة أهل البيت إنما هي صورةٌ ومثالٌ لحقيقةٍ أعمق من كل هذه المعاني، هذه الحقيقة الأعمق، هذا المثال الأعمق، وهذا التجلي الواضح إنما هو العودةُ إلى الوطن، ما جاء في الروايات الشريفة – **حُبُّ الوطَنِ من الإيمان** – حبُّ الوطن من الإيمان لا أريد الحديث عن المعنى الدنيوي الظاهري وهذا المعنى صحيحٌ أيضاً، لكن في كلمات أهل البيت هناك ما هو في أفق العبارة وهناك ما هو في أفق الإشارة وهناك ما هو في أفق اللطائف وهناك ما هو في أفق الحقائق، كلام أهل البيت فيه معنىً في أفق العبارات وهذا الذي أشرتُ إليه قبل قليل، ما بينتهُ في الأبعاد المذكورة قبل قليل، العقائدي، العبادي، السياسي، الاجتماعي، هذه المعاني في أفق العبارة، أما هناك أفق وراء أفق العبارة وهو أفق الإشارة، حُبُّ الوطن من الإيمان هناك إشارة وهناك تلويحٌ إلى هذه الحقيقة، إنَّ الوطن الحقيقي هو الحقيقة التي صدرت منها الكائنات، الحقيقة التي صدرت منها الكائنات هي الحقيقة المُحَمَّدية، هكذا أخبرنا نبينا وأهل البيت بأن الله خلق نوراً أول ما خلق وهو

نور نبينا صلى الله عليه وآله ومن هذا النور اشتقَّ جميع الأنوار واشتقَّ جميع الكائنات، فكل الكائنات مردها إلى النور الأول إلى النور المُحَمَّدي وذلك هو الوطن، الوطن الجهةُ التي تتوطن فيها الحقائق والجهة التي تولدت منها الحقائق، ألا يُقال الآن في اللغة وفي العُرف وحتى في الأحكام الشرعية بأن الوطن هو المكان الذي يكونُ مسقط رأس الإنسان، المكان الذي يكونُ مسقط رأس الإنسان حيثُ ولد وحيثُ عاش وحيث نشأ وترعرع هو هذا الوطن، وذلك في اللغةِ وفي العُرف وحتى في الشريعة، الوطنُ في المعنى الحقيقي هو الجهة التي تولد منها الوجود، حقيقتنا لا في أبداننا ولا في أرواحنا، حقيقتنا في وجودنا، الإنسان جَسَدٌ وروح، بدنٌ وروح، ولكن هذا البدن من دون الوجود هل يتحقق؟ وهذه الروح من دون الوجود هل تتحقق؟

حقيقة الإنسان في حقيقة وجودهِ، إنما كانت الروح لأن فيض الوجود تجلى فيها، وإنما كان البدن لأن فيض الوجود قد تجلى فيها، وفيض الوجود إنما تأتى من النور الأول، الوطن الحقيقي هو الحقيقة التي ولدنا منها وجئنا منها، الحقيقة التي ولد منها وجودنا وتلك هي حقيقة النور المُحَمَّدي، المخلوق الأول، الصادر الأول، عَبِّر ما شئت، العقل الأول، العرش الأول، قل ما شئت من العبائر والكلمات، كلها تشير إلى هذا المعنى إلى معنى الكلمة الأولى التي تكلم الله بها وبعد هذه الكلمة صدرت كل الكلمات – **اللَّهُمَّ إنّي أسألك من كلَمَاتِكَ بأتَمِّها وكُلُّ كَلِمَاتِك تامة، اللَّهُمَّ إنّي أسألك بكلماتكَ كُلِّها** – الكلمة الأتم النور الأصلي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله في الأفق الأعلى لا في الأفق الأرضي، مُحَمَّد بن عبد الله في الأفق الأرضي إنما هو تجلي لتلكم الحقيقة، نحن حين نتحدث عن أن نور نبينا هو مصدر الكائنات، الله سبحانه وتعالى جعل فيه القدرة على إيجاد الكائنات نحن لا نتحدث عن مُحَمَّد بن عبد الله الذي ولد في عام كذا من أُمٍّ أسمها كذا ومن والد أسمهُ كذا، مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله الذي كان في المدينة والذي دُفن في المدينة إنما هو تجلٍ هو التجلي الأعظم لتلكم الحقيقة المُحَمَّدية، الكائنات الموجودات حينما أشرقت أشرقت من تلكم الحقيقة الأولى التي تجلى اسمها الأعظم في العالم الأرضي وهو مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا ما تشهد بهِ الروايات الكثيرة الكثيرة وسنأتي على بيانها إن شاء الله تعالى في حلقاتنا القادمة.

الزيارة هي عودةٌ لمن؟ عودةٌ للوطن، عودةٌ للوطن الذي حال فيما بيننا وبينه غواسق عالم الطبيعة، نحن هنا في هذا العالم الطبيعي أليس هذا الحديث تحفظونهُ – **بأن الدنيا سجنُ المؤمن** – من جملة الإشارات في هذا الحديث له مضامين ومعاني كثيرة، لكن من جملة الإشارات بأن الدنيا سجنُ المؤمن هي السجن الذي يحول فيما بينهُ وبين العودة إلى وطنهِ، فيما بينهُ وبين العودة إلى بيتهِ الأصلي، ولذلك الرحم الأصلي كما بينتُ قبل قليل هو رحم مُحَمَّدٍ وآل محَمَّد، الوطن الأصلي مُحَمَّدٌ وآل محَمَّد ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ هذه الملاقاة أين تكون؟ الملاقاة بالعودة إلى الحقيقة الأولى إلى الحقيقة المُحَمَّدية، الله

سبحانه وتعالى خلق النور الأول ومن هذا النور شعت أنوار الوجود شعت الكائنات ونحن جئنا من ذلك النور، هذه حقيقة الخلق تحدثت عنها كلمات النبي الأعظم وكلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وما زيارتنا إلا مثالٌ إلا صورة، صورة للعودة إلى الوطن، كي نخرج من الغربة، نحن في عالم غربة، قبل قليل تحدثتُ عن الشجرة الزيتونة التي هي لا شرقية ولا غربية، هذه العوالم الغربية عوالم الغربة عن العالم الأصلي عن الوطن الأصلي، وحُبُّ الوطن من الإيمان، حُبُّ الوطن من الإيمان حب الرجوع إلى ذلك الأصل من الإيمان، بل هو الإيمان بكل معناه، نحن حين نزور أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مثلاً من جملة آداب الزيارة الاستئذان، في نفس مفاتيح الجنان في باب الزيارات قبل أن نشرع في زيارة النبي هناك آداب الزيارة من جملة آداب الزيارة الاستئذان، أورد المُحَدِّث القُمّي استئذان في غاية العُمق، أنا لا أريد أن أطيل الوقوف عندهُ كثيراً لكنني أشير إلى بعضٍ مما ورد فيه يتناسب مع ما ذكرتهُ، مما جاء في هذا الاستئذان حين نقف على أبواب الحضرات القدسية لنبينا ولأئمتنا كيف نستأذن؟

**اللَّهُمَّ إن هذه بقعةٌ طهَّرتَها وعَقْوةٌ شَرَّفتَها ومَعَالِمُ زكَّيتها حيث أظهرت فيها أدلة التوحيد وأشباح العرش المجيد.** هُم أدلة التوحيد وهُم أشباح العرش المجيد في وجودهم الأرضي أما في وجودهم العلوي فإن العرش خُلِقَ من نورهم وستأتينا أحاديث النبي الكثيرة جداً، وهذه الأحاديث منها ما هو موجودٌ في كتب المخالفين ليس في كتبنا فقط، هناك أحاديث كثيرة أيضاً موجودة في كتب المخالفين تشهد بهذه الحقائق، بأن العرش وما دون العرش خُلِقَ من نورهم، فهم في منزلةٍ وفي مرتبةٍ فوق الفوق، وما العرش وما الكرسي وما الحجُبُ إلا من مشارق أنوار تلكم الحقيقة القادسة الأولى، الحقيقة المُحَمَّدية – **اللَّهُمَّ إن هذه بقعةٌ طهَّرتها وعَقْوةٌ شَرَّفتَها ومَعَالِم زكَّيتها حيث أظهرت فيها أدلة التوحيد وأشباح العرش المجيد الذين اصطفيتهم ملوكاً لحفظ النظام** – ليس لحفظ النظام الدنيوي لتنظيم أمور الحياة السياسية العادية وإنما لنظام الخلق – **الذين اصطفيتهم ملوكاً لحفظ النظام واخترتهم رؤساء لجميع الأنام وبعثتهم لقيام القسط في ابتداء الوجود إلى يوم القيامة ثم مَننت عليهم باستنابة أنبياءك لحفظ شرائعك وأحكامك فأكملت باستخلافهم رسالة المنذرين كما أوجبت رياستهم في فِطَر المكَلَّفين** – هذا النص يحتاجُ إلى الوقوف عليه كثيراً لكنني لا أجدُ وقتاً لبيان هذا المضمون فقط أشير إليه وعلى إخواني وأخواتي التبَصُّر بهذا المضمون، على أبنائي وبناتي من محبي أهل البيت أن يتبَصّروا بهذه العبارة: **كما أوجبت رياستهم في فِطَر المكَلَّفين** – هذه الرئاسة مودعة، هذه الرئاسة هي الإمامة، هذه هي الإمامة الكونية والإمامة الوجودية أما الإمامة الشرعية هذه إمامة متفرعة عن تلكم الإمامة العظمى، هذه الإمامة الوجودية التي وضعت في فِطَر المُكَلَّفين – **كما أوجبت رياستهم في فِطَر المُكَلَّفين** – إلى أن تقول وأنت تستأذن الأئمة، الاستئذان

طويل ولا أجدُ مجالاً لقراءتهِ كاملاً، إلى أن تقول:

**الحمْدُ لله الذي مَنَّ علينا بِحُكّامٍ يقومون مقامهُ لو كان حاضِراً في المكان** – هذي أيضاً العبارة تحتاج إلى شرح – **الحمْدُ لله الذي مَنَّ علينا بِحُكّامٍ يقومون مقامهُ لو كان حاضِراً في المكان** – إلى أن نقول ونحن ندعو الله سبحانه وتعالى: **وفقنا للسعي إلى أبوابهم العامرة إلى يوم الدين** – لندعو بهذا الدعاء من كل قلوبنا، لندعو بهذا الدعاء ونحن نتوسلُ إلى إمام زماننا أن يُطَهِّر قلوبنا بنظرةٍ منه لحظة ما ندعو بهذا الدعاء – **وفقنا للسعي إلى أبوابهم العامرة إلى يوم الدين واجعل أرواحنا تحنُ إلى موطئ أقدامهم** – إلهي بدماء نحر الحسين – **وفقنا للسعي إلى أبوابهم العامرة إلى يوم الدين واجعل أرواحنا تحنُ إلى موطئ أقدامهم ونفوسنا تهوي النظر إلى مجالسهم وعرصاتهم حتى كأننا نخاطبهم في حضور أشخاصهم** – إلى أن يقول الدعاء: **اللَّهُمَّ فأذن لنا بدخول هذه العرصات التي استعبدت بزيارتها أهل الأرضين والسماوات وأرسل دموعنا بخشوع المهابة وذلل جوارحنا بذل العبودية وفرض الطاعة حتى نقر بما يجب لهم من الأوصاف** – إلى آخر الدعاء الشريف، هؤلاء هم أئمتنا، إلهي بحقِّ الحسين فاجعل أرواحنا تحنُ إلى موطئ أقدامهم واكتبنا في زوارهم وسجلنا في ديوان زوار الحسين من قريبٍ ومن بعيد بحق الحسين.

هذه مقاطع من الاستئذان الذي أوردهُ الشيخ القمي يمكنكم أن تراجعوه وتتبصروا في عبائرهِ وفي جُمَلهِ وفي كلماتهِ الجميلة، وفي ذلك إشاراتٌ إلى هذا المضمون الذي تحدثتُ عنه وهو أن الزيارة حنينٌ إلى وطن، عودةٌ إلى وطن، الوطن الحقيقي، الزيارة إنما هي مثالٌ إنما هي رمزٌ للعودة إلى الوطن الحقيقي، الوطن الحقيقي مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد، الدين الحقيقي مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد، الروايات هكذا تقول: الوالد الحقيقي مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد، الأم الحقيقية مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد، الأخ الشقيق، الأنيس الرفيق، الصديق الصدوق هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد الروايات هكذا أخبرتنا، القرآن الناطق هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد، الحقُّ بكل معانيه هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد ولذلك يتجلى هذا المعنى في زيارتنا لأهل البيت هي العودةُ إلى الوطن، وكلما كان الشوقُ إلى الوطن أكثر كان معنى الزيارة أعمق، ولذلك المنافع التي ينتفعها الزائرون إن كان في أفق الثواب والأجر وإن كان في أفق المنافع المعنوية والمنافع الروحانية والمنافع الملكوتية التي ينالها الزائرون تكون مختلفة باختلاف النوايا، باختلاف المعارف، باختلاف العقول، باختلاف الحنين إلى الوطن، كم هو الحنين إلى الوطن الحقيقي؟

حينئذٍ تكون المنفعة ويكون الثواب ويكون الأجر، لأننا حينما نذهبُ إلى أوطاننا حين يعود المرء إلى وطنهِ بعد الغربة ماذا سيجد؟

سيجدُ أهلاً وأحباباً، سيجد احتراماً، سيجد شوقاً، وسيجد دموع لقاء، كلُّ ذلك يجعلهُ يعيش في حالة هذه

الحالة تسمو فيها روحهُ، هذا في الوطن المادي في الوطن العادي للحياة البشرية، أما الوطن الحقيقي فهذا ما تذكرهُ لنا الزيارة الجامعة الكبيرة، ماذا تقول الزيارة الجامعة الكبيرة وهي تحدثنا عن بعض الجوانب التي سنجدها حين نعودُ إلى وطننا الحقيقي – **وَجَعَلَ صَلَاتِنا عَلَيْكُمْ** – نحن حين نزورهم عنوان الزيارة هو الصلاة عليهم والسلام عليهم – **وَجَعَلَ صَلَاتِنا عَلَيْكُمْ وَما خَصَّنا بِهِ مِنْ وِلايَتِكُمْ طيباً لِخَلْقِنا** – عملية تكوينية هناك تغييرٌ تكويني – **طيباً لِخَلْقِنا** – للخلق – **وَطَهارَةً لأنْفُسِنا، وَتَزْكِيَةً لَنا، وَكَفّارَةً لِذُنُوبِنا** – يعني الكفارة للذنوب هي آخر مرتبة، المرتبة الأعلى طيباً لخلقنا، طيباً لأصل وجودنا – **طيباً لِخَلْقِنا، وَطَهارَةً لأنْفُسِنا، وَتَزْكِيَةً لَنا، وَكَفّارَةً لِذُنُوبِنا** – هذا ما سنجدهُ حين نعودُ إلى الوطن، إلى الوطن الحقيقي، إلى مُحَمَّدٍ وآل محَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وربما أيضاً ستتضح لنا معانٍ أخرى من معاني الزيارة في طوايا شرحنا لما سنقرأهُ من نص الزيارة الجامعة الكبيرة.

لا زلتُ في المقدمة الثانية لكنني سأبدأ بقراءة النص لأن للنص مقدمة فالسائل سأل الإمام: **علمني يا ابن رسول الله قولاً أقولهُ بليغاً كاملاً إذا زرتُ واحداً منكم، فقال عليه السلام: إذا صرت إلى الباب** – إلى باب الحضرة الشريفة – **فقف وأشهد الشهادتين** – وسنأتي على شرح الشهادتين – **فقف وأشهد الشهادتين** – فلا أقف هنا عند شرح الشهادتين لأن الشهادتين بل الشهادات الثلاث سيأتي ذكرها في ضمن نص الزيارة – **فاشهد الشهادتين** – أي قل: أشهد أن لا آله إلا الله وحدهُ لا شريك له وأشهد أن محَمَّداً صلى الله عليه وآله عبدهُ ورسوله – **وأنت على غسل فإذا دخلت ورأيت القبر فقف وقل: الله أكبر ثلاثين مرة، ثم امشي قليلاً وعليكَ السكينة والوقار وقارب بين خُطاك** – قارب بين خُطاك أن تكون خطواتك ليست عريضة هذا المراد قارب بين خُطاك – **فإذا دخلت ورأيت القبر فقف وقل: الله أكبر ثلاثين مرة، ثم امشي قليلاً وعليكَ السكينة والوقار وقارب بين خُطاك، ثم قف وكبر الله عزَّ وجل ثلاثين مرة، ثم أدنو من القبر وكَبِّر الله أربعين مرة تمام مئة تكبيرة، ثم قُل: اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** ... – إلى آخر الزيارة.

هذا الكلام سيكون في ضمن حديثي في المقدمة الثانية، لا زال الحديث في المقدمة الثانية، لأنني حين أقصدُ الزيارة الجامعة أو حين أتحدث عن نص الزيارة الجامعة فإنما أعني ابتداءً من قولهِ عليه السلام: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** ... – إلى آخر النص، أما هذه المُقدمات ذكرُ الشهادتين والغُسل وهذه التكبيرات المئة وكيفية الدخول هذه مقدمة للزيارة، قلتُ بأن الحديث عن الشهادتين سيأتي في ضمن نص الزيارة وكذلك لا أريد أن أقف على الإشارات أو المعاني التي يمكن أن نذكرها عند ذكرنا للطهارة للوضوء وللغسل، وهذه معاني يمكن أن تأخذ منا وقتاً لا أجد مجالاً الآن للحديث عنها، أنا أريد أن أختصر الكلام

حتى نشرع قريباً في النص الأصلي للزيارة الجامعة الكبيرة، لكن هذه المسألة بحاجةٍ إلى بيان وهو أنك تقف فتكبر ثلاثين مرة، ثم تخطو بخطوات وتكبر ثلاثين مرة، ثم تدنو من القبر وتكبر أربعين مرة فهذه مئةٌ كاملة، أقف هنا لبيان معنى التكبير ولبيان الحكمةِ من هذه العبادة أو من هذا الذكر أو من هذا الطقس أو من هذا المنسك، تكبر ثلاثين ثم تكبر ثلاثين ثم تكبر أربعين وأنت في خلال مشيتك من الباب إلى القبر الشريف إلى قبر المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، أولاً ما المراد من التكبير؟ حينما نقول الله أكبر ما المراد من قولنا الله أكبر؟ لا أريد أن أطيلَ في الكلام ولا أريد أن أدخل في التفاصيل اللغوية وما قالهُ شُراحُ هذه الألفاظ.

بنحوٍ مستقيمٍ أذهبُ إلى كتاب الكافي، وهذا هو الجزءُ الأول من كتاب الكافي الشريف، **الرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال رجلٌ عندهُ الله أكبر** – رجل كان جالساً عند الإمام الصادق الرواية يرويها الشيخ الكُليني بسندهِ عن ابن محبوب، على أي حالٍ، كان هناك رجل جالس عند الإمام الصادق فهذا الرجل قال: الله أكبر، الإمام سألهُ – **فقال: الله أكبر من أي شيء؟ فقال: من كل شيء** – الرجل قال الله أكبر، الإمام سأله: الله أكبر من أي شيء؟ فقال: من كل شيء، ماذا قال له الإمام؟ – **فقال أبو عبد الله عليه السلام: حددتهُ!!** – يعني جعلت لله حداً، هناك رواية ثانية الإمام ماذا قال لهُ؟ – **وكان ثَمَّ شيءٌ فيكون أكبر منه؟** – هل هناك شيء حتى تقول بأن الله أكبر من كل شيء؟! كان الله ولم يكن معهُ شيء، إذاً ماذا نقول؟ – **فقال الرجل: كيف أقول؟ قال: قُل الله أكبر من أن يوصف.**

ولا اعتقد بأنني وكذلك المشاهدون يجدون بياناً في معنى الله أكبر أجمل من هذا البيان، هل كان مع الله شيء حتى نقول الله أكبر من كل شيء؟! كيف نقيس الله مع الأشياء!! الأشياء لا حقيقة لها، الحقيقة لله، وكل شيءٍ ما خلا الله باطلُ، الحقُّ والحقيقة الله سبحانه وتعالى، وكل شيءٍ ظِلالهُ، وكل شيءٍ آياتهُ، وكل شيءٍ أسمائهُ، وكل شيءٍ كلماتهُ، وكل شيءٍ عبيدهُ، كل شيءٍ راجعٌ إليه – **إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ** – إنا لله هذه اللام، هذه اللام لام الملك، إنا لله نحن مِلكٌ له فلا يُقاسُ الله سبحانه وتعالى بخلقهِ، هذه العبارة الدقيقة التي قالها إمامنا الصادق – **الله أكبر من أن يوصف** – فنحن حين نُكَبِّرُ الله سبحانه وتعالى هنا الله أكبر ثلاثين مرة، ثلاثين ثم بعد ذلك نكبر الله أربعين مرة قبل أن ندنوا من القبر الشريف ونقرأ الزيارة:

**اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – إذاً المراد الله أكبر: الله أكبر من أن يوصف، حين أقول الله أكبر من أن يوصف يعني أني قد قَفَلتُ عقلي وقَفَلتُ قلبي وقفلتُ وجداني وقَفَلتُ كل قدرةٍ من قدراتي على التفكير وعلى المعرفة وعلى العلم من أن أدركهُ، وإنما غاية المعرفة هو عجزنا عن معرفته، لذلك النصوص الشريفة ماذا تقول؟ أنكم لا تفكروا في ذاتهِ!! أين نُفكر؟ فكروا في صفاتهِ في أفعالهِ، التفكير لا يكون في ذات الله،

كُلما ازددتم تفكراً كُلما ازددتم تحيراً، هكذا قال أئمتنا: كُلما ازددتم تفكراً كُلما ازددتم تحيراً، لا يمكن لهذه العقول القاصرة أن تحيط بالله سبحانه وتعالى، نعم هذه العقول تستدلُ عليه، نعم هذه العقول تستشرفُ نورهُ، نعم هذه العقول تستشرف كمالهُ، أما أنها هل يمكن أن تحيط به!! لا يمكن ذلك – كُلما ازددتم تفكراً كُلما ازددتم تحيراً – الله أكبر من أن يوصف وليس الله أكبر من كل شيء، متى كان مع الله شيء حتى نقول بأن الله أكبر منه، وإنما الله أكبر من أن يوصف، هذا المعنى الإجمالي حين نقول الله أكبر، فحين نكبر الباري ونحن داخلون نستحضر هذا المعنى: الله أكبر من أن يوصف، يَجِلُّ أن تُحيط به العقول، تقف عندهُ العقول عاجزة، وتقف عندهُ القلوب عاجزة، وتقف عندهُ كل القدرات وكل الإدراكات عاجزة، كل القابليات على العلم وعلى المعرفة وعلى الخيال وعلى التصور إنها تقفُ عاجزة، يستحيلُ على هذه العقول أن تتقدم خطوةً بهذا الاتجاه، ليكن هذا النص دائماً أمامنا الله أكبر من أن يوصف، عقولنا أصغر، أرواحنا أصغر من أن تدرك وصف الله الحقيقي، الله أكبر من أن يوصف، هذا معنى التكبير، لماذا التكبير؟ لماذا نكبر ونحن داخلون؟ نكبر ونحن داخلون لأشي شيءٍ؟

نكبر ونحن داخلون أولاً، أولاً لرفع الحجُب، وثانياً إذا ما ارتفعت الحجُب فإن ذلك يقربنا إلى أهل البيت، هناك الكثير من الحُجُب أمامنا، وهذا التكبير إنما فيه إشارة إلى معنىً عميق، هذا المعنى العميق جاء في روايات أهل بيت العصمة وهذا كتابُ وسائل الشيعة بين يدي: هذه الرواية يرويها هشام بن الحكم عن الإمام الكاظم عليه السلام، وهذا هو الجزءُ الرابعُ من وسائل الشيعة، ماذا تقول هذه الرواية عن إمامنا موسى بن جعفر؟

**أن النبي صلى الله عليه وآله لَمَّا أُسريَ به إلى السماء قطع سبع حُجُب فَكَبَّرَ عند كل حجابٍ تكبيرة فأوصلهُ الله عزَّ وجل بذلك إلى منتهى الكرامة** – هذه التكبيرات السبع التي كبرها النبي عند كل حجاب إلى أن تقول الرواية: فأوصلهُ الله عزَّ وجل، بعد أن عبر الحجُب السبعة – **فأوصلهُ الله عزَّ وجل بذلك إلى منتهى الكرامة** – منتهى الكرامة التي لا نعرف معناها، منتهى الكرامة لا يعرفها إلا الله ورسوله وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لأنها منزلةٌ خاصة بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

هناك رواية ثانية عن إمامنا الكاظم أيضاً يرويها هشام بن الحكم، **هشام يسأل الإمام قلتُ له: لأي علةٍ صار التكبير في الافتتاح سبع تكبيراتٍ أفضل؟** – الافتتاح يعني تكبيرة الإحرام، التكبيرة الواجبة هي واحدة ولكن يُستحب للإنسان إذا أراد أن يعمل بالتكبيرات المتعددة أن يأتي بسبع تكبيرات ثم يدخل في الصلاة، يعني هذه تكبيرات الإحرام، مقصود من تكبيرات الافتتاح هي تكبيرات الإحرام السبعة، وهي مستحبة، التكبير الواجب مرة واحدة – **قلتُ له** – هشام يقول يسأل الإمام الكاظم – **لأي علةٍ صار**

**التكبير في الافتتاح سبع تكبيرات أفضل؟ الإمام صلوات الله صلوات الله وسلامه عليه يقول: يا هشام إن الله خلق السماوات سبعاً والأرضين سبعاً والحُجُبَ سبعاً** – الحُجُب هذه بعد السماوات، الحُجُب هذه بعد العرش – **يا هشام إن الله خلق السماوات سبعاً والأرضين سبعاً والحُجُبَ سبعاً فلمَّا أَسْرَى بالنبي صلى الله عليه وآله، أو فلمَّا أُسْريَ بالنبي صلى الله عليه وآله فكان من ربه كقاب قوسين أو أدنى رُفِعَ لهُ حجاب، أو رَفَع لهُ حجاب، رَفَعَ لهُ حجاباً من حُجُبهِ فَكَبَّرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وجعل يقول الكلمات التي تُقال في الافتتاح** – يعني الدعاء المستحب ذكرهُ أثناء افتتاح الصلاة – **فلما رفع له الثاني كَبَّر فلم يزل كذلك حتى بلغ سبع حُجُب فَكَبَّر سبع تكبيرات فلذلك العلةُ يُكَبّر للافتتاح في الصلاة سبع تكبيرات** – فيستحَبُّ في الصلوات أن يفتتح المُصلي بسبع تكبيرات، السرُّ ما هو؟

كما يقول إمامنا الكاظم، طبعاً هناك دلالات ومعانٍ أخرى لكننا لا نستطيع أن نتطرق إلى كل المضامين وإنما بحسب ما يسنح به المقام، الرواية هنا تتحدث أن السبب في تشريع التكبيرات السبع في افتتاح الصلاة يعني التكبيرات المستحبة عند الإحرام عندما نُحرم للصلاة عندما نفتتح الصلاة بتكبير الإحرام إنما كان مثالاً وكان صورةً لما كان في عالم الحُجُب حينما أُسري به وحينما عُرِجَ بهِ وحينما وصل إلى مقامات الحُجُب فكان يُكَبّر فيرتفع الحجاب إلى أن كَبَّر سبعاً فارتفعت الحُجُب بتمامها وكمالها فوصل إلى منتهى الكرامة، ووصل إلى المكان الذي لا يمكن أن يصل إليه مخلوقٌ غيرهُ صلى الله عليه وآله وسلم، وصل إلى المكان الذي لا يمكن أن يصل إليه ممكنٌ من الممكنات موجودٌ من عالم الإمكان غيرهُ صلى الله عليه وآله وسلم، فكانت هذه التكبيرات صورة لتلكم الحقيقة أو لذلك المشهد الإلهي، فالتكبيرات إنما جيء بها لرفع الحجُب والتكبيرات ليست فقط هي هذه التكبيرات السبع هي المستحبة وإنما إذا أردنا أن نحسب التكبيرات الموجودة في الصلوات اليومية تصل إلى خمسة وتسعين تكبيرة، وهناك باب كامل موجود في وسائل الشيعة وفي غير وسائل الشيعة، الحديث فيها عن استحباب خمسة وتسعين تكبيرة في الصلوات الخمس ابتداءً من تكبيرات الإحرام وانتهاءً بالتسليم انتهاءً بالصلاة المفروضة المعروفة.

على أي حال فهنا نحن نقفُ فنُكَبّر ثلاثين ثم نكبر ثلاثين ثم نكبر أربعين، هذه التكبيرات إنما هي لرفع الحُجُب، أيّة حُجُب؟ نحن الآن هنا عندنا مئة تكبيرة، لماذا هذا العدد؟ لماذا نكبر ثلاثين ثم ثلاثين ثم نكبر أربعين، لماذا هذه الأعداد؟ قطعاً هناك دلالات، قطعاً هناك إشارات، هناك رموز في هذه الأعداد وإلا لَمَا ذُكِرت ولَمَا رُسمت بهذا الشكل، نحن هنا حينما نكبر ثلاثين هذا التكبير بهذا المعنى الذي أشرتُ إليه وهو أن الله أكبر من أن يوصف وأن التكبير فيه رمزيةٌ لرفع الحجُب، أنا لا أريد أن أدخل فيما يذكرهُ علماء

السير والسلوك وعلماء تهذيب النفس وعلماء الأخلاق من أن المراتب للنفس البشرية تبلغ إلى مئة مرتبة وأمام كل مرتبة حجاب، ويمكن أن يكون هذا المعنى صحيحاً لكنني لا أريد التوغل في هذه المطالب، علماء السير والسلوك يقولون بأن النفس البشرية لها مئة مرتبة وأمام كل مرتبة إذا أرادت أن تترقى وأن تصل إلى كمالها عليها أن تترقى إلى مئة مرقاة، إلى مئة مرتبة، وذكروها هذه المراتب والمراقي وتحدثوا عن كيفية الوصول إليها وأنا لا أريد الخوض في هذا المطلب، وأمام كل مرتبة هناك حجاب فقد يُقال بأن الإشارة إلى هذه المعاني أو إلى هذه المضامين ويمكن أن يكون ذلك، يمكن أن يكون ذلك ولكن تبقى هذه الكلمات إنما هي في طور الاحتمال وفي طور الظن، ولا أريد أيضاً أن أشير إلى مضامين أخرى أو معانٍ أخرى تحدثت عن أصلِ خلقة الإنسان وكيف خُلِق وأنهُ مَرَّ بمراحل لو جُمِعت هذه المراحل بحسب الروايات لبلغت هذه الأعداد التي أشار إليها نص الزيارة، ثلاثين، ثلاثين ثم بعد ذلك أربعين.

ولكن من خلال الروايات الشريفة ولا أقول بأننا نملك نصوصاً تتحدثُ عن هذه الأسرار بشكلٍ خاص وإنما من خلال المعاني المُجملة التي يمكن أن نستفيدها من كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الكلام هنا في التوحيد الأفعالي وفي التوحيد الصفاتي وفي التوحيد الذاتي، يعني هنا حينما نحن نكبر الثلاثين، حينما نصل إلى الحضرة الشريفة ونقف على الباب وبعد ذلك نبدأ بهذا الذكر هذه الثلاثين الأولى هذا المقطع، هذا المقطع من منسك الزيارة إنما هو يريد الإشارة إلى التوحيد الأفعالي، والمقطع الثاني إلى التوحيد الصفاتي، والأفعال إنما هي مظاهر الصفات، ثم نصل إلى الأربعين وهو الرقم الأكمل، وهناك الحديث عن التوحيد الذاتي، فهنا توحيد أفعالي وتوحيد صفاتي وتوحيد ذاتي وبعد التوحيد الذاتي سيكون الكلام في زيارة الأئمة هو التوحيد العبادي، نحن لا نستطيع أن نوحد الله سبحانه وتعالى إلا بتوحيده بهذه المراتب، التوحيد الأفعالي، التوحيد الصفاتي، التوحيد الذاتي، وبعد ذلك يأتي التوحيد العبادي، لا أريد الآن الدخول في تفاصيل هذه المضامين لأننا سنتحدثُ عن التوحيد ونتحدث عن هذه المضامين عن مضمون التوحيد الأفعالي وعن مضمون التوحيد الصفاتي وعن مضمون التوحيد الذاتي والتوحيد العبادي، لأننا في هذه الزيارة سنتناول معاني التوحيد وسنتناول معاني الولاية، وحينما نصل إلى التوحيد سيكون الكلام مفصلاً إن شاء الله تعالى بهذا الخصوص بحسب ما جاء في كلمات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وبهذا تتم المقدمة الثانية من مقدمات الزيارة الجامعة الكبيرة وتتمة الحديث إن شاء الله تعالى تأتينا بحول الله تعالى وقوته في الحلقة القادمة، أسألكم الدعاء جميعاً وأتمنى لكم أوقاتاً صالحةً وأوقاتاً هانئةً بولاية عليٍّ وآل علي خصوصاً ونحن في أيام شهر رجب شهر عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، في أمان الله.

# الحلقة الثالثة

## معنى السَّلامُ عَلَيكُمْ

السَّلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، أسعد الله أيامكم وأوقاتكم ولياليكم في هذا الشهر المبارك الشريف في شهر عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، وهذه الحلقة الثالثة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة.

تَقدَّمَ الكلام في الحلقتين الماضيتين في مقدمتين للشروع والابتداء ببيان وتوضيح معاني الزيارة الجامعة، وآخر شيءٍ تَحَدَّثتُ عنه حين وصل الكلام في ما قالهُ إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه في مقدمة الزيارة حين قال: **فقف وقل: الله أكبر ثلاثين مرة، ثم أمشي قليلاً وعليك السكينة والوقار وقَارِب بين خُطاك ثُم قف وكَبِّر الله عزَّ وجل ثلاثين مرة، ثم أدنو من القبر وكَبِّر الله أربعين مرة تمام مئة تكبيرة** – وتحدَّثتُ عن معنى التكبير وما جاءت فيه الروايات الشريفة من أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في معراجهِ حين وصل إلى الحُجُب فكان يُكَبِّر عند كل حجابٍ فينكشفُ ذلك الحجاب إلى أن وصل إلى المقام الذي لم يصل إليه مخلوق، تحدثت عن هذا المعنى وأن التكبير سببٌ وبابٌ لرفع الحجاب، وأشرتُ إلى أن هذه التكبيرات ثلاثون، ثلاثون، أربعون فيها إشارةٌ وفيها رمزٌ لمعاني التوحيد، التوحيد الأفعالي ثم التوحيد الصفاتي ثم التوحيد الذاتي، وبعد الأربعين تأتي الزيارة حيث تتجلى فيها معاني التوحيد العبادي وهذه مراتب التوحيد التي لا يتحققُ الإيمان بالتوحيد إلا بها، وقلتُ بأنني فيما يأتي من حلقاتٍ في بيان معاني الزيارة الجامعة الكبيرة سأتناولُ هذه المطالب حين الحديثُ عن التوحيد، وكررتُ هذا الكلام وأكررهُ بأن هذا الشرح وهذا البيان وهذه المضامين تعتمد على ركنين على أساسين:

الأساس الأول: التوحيد.

والأساس الثاني: الولاية بمعناها الأعم ولاية النبي والأئمة، ولاية المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

تقريباً هذه هي آخرُ ما ذكرتهُ في الحلقة الماضية، ثم تقول الرواية يعني بعد أن تُكَبِّر مئة تكبيرة الإمام يقول: **ثم قُل: اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ** ... إلى آخر الزيارة الشريفة.

أتناول في هذه الحلقة معنى السَّلامُ عَلَيكُمْ، وتتردُ هذه العبارة في كلِّ زيارات أهل بيت العصمة صلوات الله

وسلامه عليهم أجمعين لِذا أقفُ في هذه الحلقة لبيان جانبٍ من معنى قولنا ونحن نخَاطِب نبينا وأئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فنقول السلامُ عليكم، أكان ذلك من قريبٍ بين أيديهم وفي حضراتهم المقدسة أو كان ذلك من بعيد، ما معنى قولنا السلامُ عليكم؟

كلامُ أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يحملُ خصائص القرآن، كلامُ أهل البيت يحملُ نفحات القرآن، إمامنا الصادق صلوات الله عليه يقول: **إن القرآنَ نزلَ على أربعة أشياء: على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء** – وهذا المعنى كما ينطبق على آيات الكتاب الكريم ينطبق على كلام أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، نحن نقرأ في الزيارة الجامعة مخاطبين الأئمة: كَلامُكُمْ نُور والقرآن جاء موصوفاً بأنهُ نور، النورية واحدة والنورية من مصدرٍ واحد ومن منبعٍ واحد، ولِذا كلام أهل البيت أيضاً فيه ما هو في أفق العبارة وفيه ما هو في أفق الإشارة وفيه ما هو في أفق اللطائف وفيه ما هو في أفق الحقائق، ونحن نقفُ عند حد العبارة فالإمام قال: **فالعبارة للعوام**. ونَتَلمَّسُ شيئاً من معنى الإشارة من خلال كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أما اللطائف والحقائق فذلك شيءٌ بالنسبة لنا بعيدُ المنال، ذلك شيءٌ لا نستطيع أن نصطاده بشباكنا ولا تستطيع العقول أن تتوجه إلى ساحتهِ أو إلى فناءهِ، فاللطائفُ للأولياء والحقائق للأنبياء وذلك لسانٌ آخر وحديثٌ آخر وكلامٌ ورموزٌ وأشياء لا نستطيع أن نحيط بها علماً، نحن ندور مدار العبارة وقد نتلمَّس شيئاً من معاني الإشارة الإمام قال: **العبارة للعوام والإشارة للخواص**.

فنحن ندور مَدارَ العبارة إذ نحن عوامٌ أمام حديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وحين أقول هذا فإني أعني المتكلم والسامع على حدٍ سواء، قد نتلمَّسُ شيئاً من الإشارة من خلال حديث أهل البيت أما اللطائف والحقائق فذلك شيءٌ بعيدٌ المنأى وذلك شيءٌ لا نستطيع أن نصل إليه، لِذا أقف هنا عند بيان الزيارة الجامعة الكبيرة عند هذا الحد عند حد العبارة وعند تلمُّس شيءٍ من الإشارة، في هذه الحلقة كما قلت قبل قليل أحاول أن أبين جوانب من معنى: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ**.

حين نقول السَّلامُ عليكم، السلامُ في لغة العرب هو الخَلاص، حين نقول السلام في مقابل الحرب يعني المراد من ذلك الخلاص من شرور الحرب ومن أضرار الحرب ومن أخطار الحرب، وحين نقول السلام في مقابل المرض السلام والسلامة في مقابل المرض فإن السلام هنا هو الخلاص من العاهات ومن الآلام ومن الأوجاع ومن كل ما يترتب على الإنسان وما يعانيه الإنسان حين يُصابُ بالأمراض، وهكذا في كل شيءٍ، وحين يوصف القلب بأنه قلبٌ سليم فإنه ذلك القلب الذي يكون قد خلص من الشكوك ومن الشبهات ومن كل ما فيه عيبٌ ومن كل ما فيه ظُلمةٌ ومن كل ما فيه حجابٌ بينه وبين الله، فإذاً السلامُ هو

الخلاص، السلامُ هو النقاء، حين نقول هذا شيءٌ سالم أي نقي لا عيب فيه، السلام إذاً الخلاصُ، السلامُ إذاً النقاءُ، السلامُ إذاً الكمال، ولِذا من أسمائهِ سبحانه وتعالى السلام، وأنا هنا لا أريد أن أقف عند بيان معنى اسمهِ سبحانه وتعالى، قد يتضح معنى هذا الاسم الشريف من خلال كلامي على طول الحلقة، ولكن لو سنحت لنا فرصة في بيان معاني أسماء الله الحسنى وبودي أن تكون لنا فرصة لبيان معاني هذه الأسماء بحسب ما يقتضيه المقام أن يكون ذلك في ليالي شهر رمضان المبارك إن وفقت لذلك، السلامُ إذاً هو الخلاص والسلام هو الكمال والسلام هو عدم العيب والسلام هو النقاء، هذا في لغة العرب المعنى اللغوي للسلام، أما ما المراد من السلام حين يُسَلم بعضنا على البعض؟ حين أسلم فأقول السلام عليكم، وحين تُسَلم عليَّ فتقول السلام عليكم، السلامُ هنا هو قد يكون بياناً، قد يكون إقراراً، قد يكون عهداً، قد يكون شرحاً، قُلْ ما شئت، حين أقول لك السلام عليكم معنى ذلك أنك تسلم مني، أنهُ لا يصلُ إليك مني إلا السلام، المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، من أي جهةٍ يسلمون؟ يسلمون على دمائهم، أنفسهم، ويسلمون على أموالهم، ويسلمون على متعلقاتهم، ويسلمون على كل شؤونهم، ويسلمون على أعراضهم، المسلم من سلم الناس من لسانهِ ويده، فكأني حين أقول لك السلام عليكم أو حين تقول لي السلام عليكم إنما هو بيانٌ أو شرحٌ أو رسالةٌ أو عهدٌ أو عقدٌ بين الاثنين بأن يسلم كل واحدٍ منهما من الطرف الآخر، سلامٌ يعني أماناً، يعني إني أعطيك الأمان فلا يصل الضررُ إليك مني هذا المعنى الإجمالي لكلمة السلام عليكم حين تتردد بيننا.

هناك روايةٌ منقولةٌ في كتاب مصباح الشريعة هذه الرواية تُنقَلُ عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه، الإمام يتحدث فيها عن معنى السلام، ماذا تقول الرواية الشريفة؟

**والسلامُ اسمٌ من أسماء الله تعالى أودعهُ خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات والأمانات والإضافات وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم وصحة معاشرتهم وإذا أردت أن تضع السلام موضعهُ وتؤدي معناه فاتقي الله وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك ولا تدنسها بظلمة المعاصي ولتسلم حَفَظَتُك لا تُبرمهم ولا تُمِلَّهُم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم، ثم صديقك، ثم عدوك، فإن من لم يسلم منه من هو الأقرب إليه فالأبعد أولى، ومن لا يضعُ السلام مواضعهُ هذه فلا سلام ولا تسليم وكان كاذباً في سلامهِ وإن أفشاهُ في الخلق** – الحديث هنا عن معنى السلام الذي يتردد بين الناس ولذلك الإمام يقول: – **وكان كاذباً في سلامهِ وإن أفشاهُ في الخلق** – باعتبار أنهُ من الروايات ومن الأحاديث المعروفة التي وردت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي توصينا بالأسباب التي تفتح الطريق إلى الجنان، ما هي؟ النبي يقول: **من أطعم الطعام وأفشى السلام وصلى والناس نيام.** إفشاءُ السلام من الأسباب ومن السبلِ

التي تفتح الطريق إلى الجنان، من الأسباب والسبل التي تكون سبباً لنزول الرحمة على الإنسان، إفشاء السلام من الخُلق الذي أوصى به رسول الله والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإفشاء السلام يعني إشاعة السلام، يعني نشر السلام، يعني السلام على الصغير والكبير، وهذا هو عنوان التواضع، وهذا هو عنوان الخلق الحسن، كيف نستدل على الخلق الحسن للإنسان؟ عنوان الخلق الحسن وعنوان التواضع في مسيرة الإنسان العملية هو إفشاء السلام، هو بشاشة الوجه، قطعاً إفشاء السلام لا يكون من عند الوجوه المُقَطِّبة لا يكون من عند الوجوه الكالحة، إفشاء السلام تصاحبهُ البشاشة، تصاحبه الطلاقة في الوجه، فإفشاء السلام هو عنوان الخُلق الحسن وهو عنوان التواضع، الإمام صلوات الله وسلامه عليه في هذه الرواية يشرح لنا معنى السلام، أمرُ على الرواية بشكلٍ سريع وإلا فهي بحاجة إلى وقفةٍ طويلة، الإمام هكذا قال: **قال: والسلامُ اسمٌ من أسماء الله تعالى أودعهُ خلقه.**

السلام اسمٌ من أسماء الله تعالى، ما هي تجليات هذا الاسم؟ تجليات هذا الاسم الرحمة، الرحمة من السلام، تجليات هذا الاسم المحبَّة، المحبَّةُ من السلام، تجليات هذا الاسم الأخلاق العالية الفاضلة – **والسلامُ اسمٌ من أسماء الله تعالى أودعهُ خلقه** – يعني أن هذا الاسم الشريف، تجليات هذا الاسم، قدرة هذا الاسم أودعت في خلق الله سبحانه وتعالى، فكلُّ ما عندنا من الأوصاف وكل ما عندنا من الطاقات وكل ما عندنا من القابليات والقدرات في الإنسان وفي غير الإنسان في كل المخلوقات إنما هي مجالي إنما هي صور، هذه الصور من أين تنبع؟ من أين يأتي المدد؟ يأتي المدد من أسماء الله سبحانه وتعالى، أسماء الله هي التي تدفق فينا الحياة، أسماء الله هي التي تُجَلِّي فينا كلَّ معاني الطاقة وكل معاني النشاط وكل معاني الكمال وكل ما يملكهُ المخلوق إنما هو متأتٍ من أسمائه سبحانه وتعالى – **والسلامُ اسمٌ من أسماء الله تعالى أودعهُ خلقه** – لأي شيءٍ؟ – **ليستعملوا معناه** – حتى يتجلى هذا المعنى في الإنسان، الله سبحانه وتعالى لم يخلق إنساناً سيئ الخلق، ولم يخلق إنساناً حَسَن الخلق، الله سبحانه وتعالى أودع في الإنسان القدرة على أن يكون حسن الخلق وعلى أن يكون سيئ الخُلُق، هناك قدرة في الإنسان وهذه القدرة قدرة أن يكون الإنسان حَسَن الخلق هو حين يكون هذا الإنسان منسجماً منساقاً مع فطرتهِ التي يتجلى فيها معنى السلام من أسمائهِ سبحانه وتعالى، وحينما يكون الإنسان سيئ الخلق فإنهُ ينساق باتجاهٍ معاكسٍ لما قد تجلى في فطرتهِ من معنى السلام، الله سبحانه وتعالى أودع في فطرة الإنسان هذا المعنى، لذلك الإمام يقول:

**والسلامُ اسمٌ من أسماء الله تعالى أودعهُ خلقه** – جَعَلهُ في فطرتهم لأي شيءٍ؟ – **ليستعملوا معناه** – حتى تتجلى هذه المعاني في حياتهم اليومية – **ليستعملوا معناه** – أين؟ – **في المعاملات والأمانات والإضافات وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم وصحة معاشرتهم** – هذه الأمور التي يحتاجها الإنسان في

حياتهِ اليومية، ماذا يحتاج؟ يحتاج هذه الأمور: معاملات، أمانات، إضافات، إضافات يعني كل ما يتعلق ويرتبط بشؤونات الحياة اليومية – **وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم** – الصداقات والعلاقات إن كان من طريق الأرحام أو من غير طريق الأرحام – **وصحة معاشرتهم** – يعني إن السلام إنما يحتاجهُ الناس لهذه المعاني، حين يكون الإنسان حَسَنَ الخُلُق، وحين يكون الإنسان طيب المعشر، جميل الملاقاة قطعاً ستكون معاملاته وأماناتهُ وإضافاتهُ وصداقاتهُ وعلاقاته وعشرتهُ تكون جميلة، الله سبحانه وتعالى أودع هذه المعاني في فطرة الإنسان والإنسان هو الذي يتمكن من إخراج هذه المعاني للواقع العملي في حياتهِ اليومية – **والسلامُ اسمٌ من أسماء الله تعالى أودعهُ خلقه ليستعملوا معناه** – أين يستعملوا معناه؟ – **في المعاملات والأمانات والإضافات وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم وصحة معاشرتهم** – يعني أن الإنسان يكون خالياً من العيوب في هذه المعاني، تكون معاملاتهُ سليمة، أماناتهُ وفية وكاملة، إضافاتهُ لا نقص فيها، صداقاتهُ كلها وفاء وكلها صدق، معاشرتهُ جميلة وهذا هو معنى السلام.

فحينما يأتي السلام ويحل في قلب الإنسان تتجلى هذه المعاني، وحينما يُسلم الإنسان بلسانهِ إنما يريد أن يؤكد هذا المعنى، يؤكد هذا المعنى لمن يسلم عليه فيقول: إن معاملاتي معك تكون سليمة وإن أماناتكِ محفوظة وإن الصداقة صادقة وإن المعاشرة جميلة فإنك لن تلقى مني أذىً وإنك لن تلقى مني ضرراً والمسلم من سَلم الناس من لسانهِ ومن يده، فإنك ستسلم من لساني ومن يدي، ثم تستمر الرواية – **وإذا أردت أن تضع السلام موضعه** – يعني إذا أردت أن تجعل السلام كما يريدهُ الله سبحانه وتعالى، أن تضعهُ في موضعهِ الحقيقي – **وإذا أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدي معناه** – فماذا عليك؟ – **فاتقي الله** – إذاً معنى السلام هو تقوى الله، وما مرَّ من بيانٍ خلاصتهُ هي هذه الكلمة، السلامُ هو تقوى الله، إذاً حين أُسَلِّمُ عليك فما المراد من السلام؟ أقول السلام عليكم يعني يا أيها الذي أسلم عليه إني سأتعاملُ معك بتقوى الله ولذلك سيسلم مالك ونفسك مني، ستسلم شؤوناتك مني لأني حينئذٍ أتعامل معك بتقوى الله، ولكن هل هذا الأمر هو واقعٌ في الحقيقة!! أنا هنا لا أتحدث عن الجانب العملي، أنا هنا بصدد شرح روايةٍ وشرح كلماتٍ جاءت عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه – **وإذا أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدي معناه** – تؤدي معنى السلام – **فاتقي الله** –إذاً معنى السلام هو تقوى الله، تقوى الله في التعامل فيما بين العباد – **وليسلم منك** – أول شيء ماذا يسلم؟ إذا كان السلام هو التقوى فأول شيء يسلم منك ما هو؟ – **وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك** – ليسلم دينك وقلبك وعقلك.

الإمام ذكر هذه المعاني الثلاثة، قال وليسلم دينك وسلامة الدين إنما هي سلامة أصولهِ وسلامة فروعه وإلا كيف يسلم دينك، سلامة الدين بينها لنا رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **تركت فيكم كتاب**

**الله وعترتي أهل بيتي** – من أراد أن يبحث عن سلامة الدين فسلامة الدين لا توجد إلا في هذا الطريق – **إني مُخَلِّفٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إني تاركٌ فيكم الثقلين، إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي** – لن تضلوا ولن هنا ماذا تفيد؟ تفيد النفي التأبيدي، يعني لن تضلوا بعدي أبداً، أبداً، أبداً، سلامة الدين هي في التمسك بالكتاب والعترة – **وليسلم منك دينك** – ثم – **وقلبك وعقلك** – والإنسان أين يكون؟ حقيقة الإنسان في قلبهِ وفي عقله، حقيقة الإنسان لا في ثيابهِ التي يرتديها ولا حتى في بدنهِ ولا حتى في طعامه وشرابه الذي يسعى إليه ليل نهار، حقيقة الإنسان أين تكون؟ إنما هي في قلبه وعقله، فإذا كان السلامُ هو تقوى الله – **وإذا أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدي معناه فاتقي الله وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك ولا تُدَنِّسها بِظُلمة المعاصي** – إذاً أول سلام وأول سلامة مطلوبة هي سلامة الدين وسلامة القلب والعقل، وهذا موضوعٌ طويلٌ عريض، سلامة القلب والعقل هذا كلُّ ما ورد من تعاليم أهل البيت يمكن أن تكون شرحاً لهذه الكلمة، السلام هو تقوى الله وأول شيءٍ يسلم منك دينك وقلبك وعقلك، والإمام يقول: **ولا تُدَنِّسها**. يعني لا تُدَنِّس قلبك ولا تدنس عقلك ولا تدنس دينك أيضاً – **ولا تُدَنِّسها** – يعني لا تدنس هذه الثلاثة لا تدنس دينك بأي شيءٍ؟

بالانحراف عن الكتاب والعترة، إنك إن انحرفت عن الكتاب والعترة فقد دنست دينك وما بقي لك من دين – **وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك ولا تُدَنِّسها بِظُلمة المعاصي ولتسلم حَفَظَتُك** – المراد من حَفَظَتُك يعني الملائكة الموكلين بك، ملائكة الحسنات وملائكة السيئات، الملائكة الحفَظَة – **ولتسلم حَفَظَتُك** – كيف تكون السلامة والسلام مع الحفَظَة؟ – **لا تبرمهم** – الإبرام هو الإيذاء النفسي، أبرمني يعني آذاني نفسياً، الإبرام هو الإيذاء النفسي – **لا تبرمهم ولا تُمِلَّهُم** – لا يصيبهم الملل منك – **ولا توحشهم، لا تبرمهم ولا تُمِلَّهُم وتوحشهم** – بأي شيءٍ؟ بالمعاصي أو بالغفلات، يصيبهم الإبرام ويصيبهم الملل وتصيبهم الوحشة منك من أي شيءٍ؟ من النوايا السيئة، من الغفلات، من تضييع الوقت، ومن المعاصي – **لا تبرمهم ولا تُمِلَّهُم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم** – سوء المعاملة هو ما يصدر منك من فعلٍ سيء.

طبعاً في الروايات عندنا حين يسألون الأئمة كيف يعلم ملائكة الحسنات والسيئات بنوايا الإنسان؟ الإمام يقول: إذا نوى الإنسان نية حسنة خرجت منه رائحة طيبة تشمها الملائكة، تشمها ملائكة الحسنات، وإذا نوى نية سيئة خرجت منه رائحة سيئة رائحة قبيحة وهذه يعرفها ملائكة السيئات فيسجلون في سجلاتهم هذه النوايا إذا ما ترتب عليها الأثر العملي، فيعرفون النوايا الحسنة والنوايا السيئة يعني هم إذا شموا الرائحة يضعونهُ تحت المراقبة ليلاحظوا هل يأتي بهذه النية أو لا، فإن أعرض عنها كُتب له ذلك حسنة، إن أعرض

عن هذه النية السيئة، وإن عمل كُتبت له سيئة وإلا الملائكة لا يسجلون النوايا، هذه النوايا نعم النوايا الحسنة من رحمة الله وجوده تكتب للإنسان حسنة، لكن النوايا السيئة لا تُكتب للإنسان بل إذا أعرض عنها الإنسان تُكتب له حسنة في سجل الحسنات، ولكن حينما يُقدِمُ عملياً على ارتكاب هذه النية حينئذٍ تُكتب له هذه السيئة، وحتى هذه السيئة في الروايات عندنا يبقى المَلَك لعدة ساعات، لساعات عديدة ينتظر لعله يتوب فلا يكتب هذه السيئة، إذا مرت عدة ساعات على الإنسان ولم يتب من هذا العمل القبيح الذي ارتكبه حينئذٍ يكتب ذلك في سجل سيئاتهِ، هذه رحمتهُ سبحانه وتعالى، وهذا عطائه وفضله وجودهُ – **ولتسلم حَفَظَتُك لا تبرمهم ولا تُمِلَّهُم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم** – ثم من يسلم منك؟ – **ثم صديقك ثم عدوك** – حتى عدوك أنت لا تبادرهُ بالأذى، عدوك إذا بادرك فادفع أذاه لكن لا تبادر عدوك بالأذى، وهذه سيرة أهل البيت، حتى في يوم عاشوراء، في ذلك اليوم الذي أهتزَّ له عرش الله، الحسين عليه السلام ما بدأ القوم بقتال، قال: إني أكره أن أبدأهم بقتال، حتى في تلكم اللحظة، أهل البيت هم رمز السلام وهم رمز المحبة وهم عنوان المودة ولِذا كان الوفاء لهم بأي شيءٍ؟ الوفاء بالمودة، لِذا كان أجر الرسالة ما هو؟ المودة، المودةُ هي تحية أهل البيت من عندنا، نحن بماذا نُحَيِّي أهل البيت؟ نُحَيِّي أهل البيت بالمودة، هذا القتل والعنف والإرهاب هذه ميزة أعداء أهل البيت، ميزة الذين هجموا على بيت فاطمة وإلى يومنا هذا.

السلام هو عنوان أهل البيت، السلام هو عقيدة أهل البيت – **ثم صديقك ثم عدوك** – والإمام بعد ذلك يقول: **فإن من لم يسلم منه من هو الأقرب إليه فالأبعد أولى** – يعني حاول أن توصل السلام إلى من هو الأقرب فإن لم يكن الأقرب على الأقل أن توصلهُ إلى الأبعد – **ومن لا يضعُ السلام مواضعهُ هذه فلا سلام ولا تسليم** – يعني إذا لم يكن السلامُ بهذه المعاني، الإمام هكذا يقول: **ومن لا يضعُ السلام مواضعهُ هذه فلا سلام ولا تسليم وكان كاذباً في سلامه وإن أفشاهُ في الخلق** – إذاً هذا هو المعنى الحقيقي للسلام الذي يُسَلم به بعضنا على البعض الآخر وهذه كلماتُ إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه، وإن كانت الرواية بحاجة إلى شرحٍ أكثر من ذلك لكنني لا أستطيع أن أطيل الموقف وأن أطيل المقام، فهناك جملة كثيرة من الأمور لابد أن أتناولها، الآن ماذا فهمنا من هذه الرواية؟ هذه الرواية فهمنا منها معنى السلام، والرواية كما لاحظتم تتحدث عن السلام الذي يكون فيما بيننا، والإمام يقول: **ومن لا يضعُ السلام مواضعهُ هذه** – المواضع التي مرت علينا، تحدث الإمام عن المعاملات، عن الأمانات، عن الإضافات، عن الصداقات وعن المعاشرات، وتحدث الإمام عن أن السلام ما هو معناه؟ **فاتقي الله** – قال: – **وإذا أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدي معناه فاتقي الله** – ثم قال: – **ليسلم منك دينك وقلبك**

**وعقلك** – وقال: – **ولا تدنسها بِظُلمة المعاصي** – وقال: – **ولتسلم حَفَظَتُك لا تبرمهم ولا تُمِلَّهُم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم ثم يسلم صديقك ثم عدوك.**

هذه المعاني كلها موجودة في هذه الكلمة، في الكلمة التي بيني وبينك، الله أعلم كم نعطي لهذه الكلمة من هذه المعاني، يعني هل هناك لهذه المعاني وجود في حياتنا؟! الله أعلم، الواقع العملي يقول لا وجود لكل هذه المعاني في السلام الذي نحاول أن نفشيه، أن نفشيهُ بين الناس، على أي حالٍ، نحن نتمنى أن يكون سلامنا هكذا، ونحن نتوسلُ إلى إمام زماننا أن يكون سلامنا فيما بيننا هكذا وإن كان الواقع العملي يقول إن السلام بين الناس بيننا، حين أقول بيننا بين محبي أهل البيت إنما هو مجاملات، هل أن السلام فيما بيننا وأنا أتحدث عن نفسي قبل أن أتحدث عن غيري، هل أن السلام الذي أقوله يشتمل على هذه المعاني؟ الواقع العملي يقول بأن السلام الذي نشيعهُ أو نحاول أن ننشرهُ بين الناس أو نحاول أن نرددهُ فيما بيننا لا يشتمل على هذه المعاني، الواقع العملي هكذا يقول، إمامنا ماذا يقول؟ – **ومن لا يضعُ السلام مواضعهُ هذه فلا سلام ولا تسليم** – هذا لا يُقال له سلام، هذه لقلقة – **وكان كاذباً في سلامه وإن أفشاهُ في الخلق** – أنا هنا لا أريد أن أتناول مسألة أخلاقية، ولا أريد أن أكون واعظاً في شرح هذه الرواية، السبب الذي دعاني لإيراد هذه الرواية وللوقوف عندها بعض الشيء ليتضح لنا معنى السلام فيما بيننا فهو بهذا العمق، فإذا كان السلام فيما بيننا بهذا العمق فما بالكم بالسلام على أهل البيت ما هو عمقهُ إذاً؟!!

هذا السبب الذي دعاني لإيراد هذه الرواية، أنا شرحت هذه الرواية ووقفت عندها أريد أن أصل إلى هذه النقطة: إذا كان السلام فيما بيننا، فيما بيني وبينك، أنا عبدٌ وأنت عبد، نحن عبيد أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إذا كان السلام فيما بيني وبينك بهذا العمق وبهذا المعنى وحين لا يتحقق هذا المعنى الإمام يقول: **فلا سلام ولا تسليم وكان كاذباً في سلامه وإن أفشاهُ في الخلق** – الحديث عن الخلق عن عامة الناس، إذاً كم هو عمق معنى السلام حين أقرأ في الزيارة: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ؟** حتى لو أردتُ أن أبقى في مستوى العبارة، لا أتجاوز مستوى العبارة، لو أردتُ أن أقف عند مستوى العبارة فذلك يعني أن هذه المعاني التي ذُكرت في هذه الرواية لابد أن تأخذ عُمقاً آخر مع الأئمة صلوات الله عليهم، إذاً حين أُسَلم عليك وتُسلم عَلَيَّ لابد أن تسلم المعاملات والأمانات والإضافات والصداقات والمعاشرات، لابد أن أتعامل معك بتقوى الله، لابد أن يسلم ديني وقلبي وعقلي، لابد أن يسلم الحفَظَةُ مني، لابد أن يسلم صديقي وعدوي، إذاً كيف يكون الكلام مع أهل البيت؟!

لابد أن تكون هذه القلوب سليمة مع أهل البيت، لابد أن تكون هذه العقول سليمة مع أهل البيت، إذاً لابد أن تكون الحياة سليمة مع أهل البيت، هذا الذي سأل الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه من

أصحابهِ – **قال: يا ابن رسول الله ما هي منزلتي عندك؟ قال: أنظر إلى قلبك كم لي من المنزلة عندك فلك من المنزلة عندي** – أنظر إلى قلبك، هذه المضامين، هذا المضمون ربما يلخص المعنى الذي أريد الإشارة إليه، مثل ما السلام فيما بيننا حينما أكون وفياً لك، حينما أقول السلام عليك يا أخي وأكون وفياً فإنك ستقابلني بالوفاء، وحين لا أكون وفياً فإنك لن تكون وفياً معي، حين نسلم على الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين نفس المعنى الوارد في الروايات حين يقول المُلبي إن كان في حَجِّهِ إن كان في عمرتهِ لبيك اللهم لبيك أليس في الروايات إن الله يقول للكثير من هؤلاء لا لبيك ولا سعديك، لبيك اللهم لبيك ويأتي الجواب لا لبيك ولا سعديك. كم لي من المنزلة عندك يا ابن رسول الله؟ قال: أنظر إلى قلبك كم لي من المنزلة عندك فإن لك في قلبي من المنزلة بقدر ما لي من المنزلة في قلبك.

حين نسلم على الأئمة – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – كم لهم من المنزلة سيأتي الجواب منهم – **أَشْهَدُ أِنَّكَ تَسْمَعُ كَلاَمي وتَردُّ سَلاَمي** – كم للأئمة من المنازل في قلوبنا السلام يأتي بمستوى هذه المنزلة، إذا كانت هذه القلوب غير وفية للأئمة الجواب أيضاً يأتي بحسب السلام، ما هو نوع التحية؟ وإذا حُييتم بتحية فماذا يترتب عليها؟ أن التحية إذا ما صدرت إما أن تكون التحية مماثلة أو بأحسن منها، قطعاً أهل البيت يردون بما هو أحسن وبما هو أحسن الأحسن، لكن إذا كانت التحية حسنة، إذا كانت التحية حسنة فماذا يردُّ أهل البيت؟ هذه الجارية التي حَيّت الإمام السجاد بطاقة ريحان يعني قدمت له وردة، في يوم من الأيام في بعض الروايات في يوم عيد حيته بوردة قدمت له وردة، قطعت لها وردة زهرة وقدمتها، حيّت الإمام بها، كيف كان رَدُّ هذه التحية أن اعتقها لوجه الله، حياها بما هو أحسن من هذه التحية، أهل البيت يردون على تحياتنا بما هو أحسن وبما هو أحسن الأحسن، لكن لابد أن تكون التحية صادرة من عندنا حسنة، فحين نقول: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – هذه التحية هل مشتملة على هذه المعاني؟! يعني أن معاملاتنا مع أهل البيت حسنة، أن حبنا مع أهل البيت في غاية الصدق، ما هي معاملتنا مع أهل البيت؟ معاملتنا مع أهل البيت أساسها المعرفة، ما هي معرفتنا؟ هل أن معرفتنا بأهل البيت معرفة كما يريدها أهل البيت مستندة إلى كلام أهل البيت أو مستندة إلى أحاديث ينقلها فلان وفلان من كتب المخالفين أو مستندة إلى كلامٍ يدبجهُ فلان وفلان الذي حشا مخه بكلام الصحف والجرائد والمجلات، من أين نأخذ معرفة أهل البيت؟

نحن حين نُسلم على أهل البيت: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – هذا السلام لابد أن تتوفر فيه الشروط التي مرت وهذا كله في مستوى العبارة لأن هذه الرواية التي بين أيدينا رواية في مستوى العبارة تشرح معنى كلمة السلام، وتشترط في السلام الذي بيني وبينك يا أخي، بيني وبينكِ يا أختي أن يكون هذا السلام

فيما بيننا على أي أساسٍ؟ على أساسٍ من صدق المعاملة ومن حُسن الخلق ومن الوفاء ومن التقوى وكل هذه المعاني التي هي بعيدةٌ عن حياتنا العملية، بعيدة بتمام معانيها، لا توجد لها في حياتنا إلا رسوم وأشباح، وهذه الحقيقة، حتى نحن الذين ألسنتنا طويلة في الحديث عن الدين وفي الكلام عن المعارف الربانية لا نملك من هذه المعاني إلا أشباح إلا ظلال باهتة وصور خافتة، الحقائق غير موجودة وهذه طامتنا الكبرى التي نعيشُ فيها، وهذه هي الحقيقة، هذه هي الحقيقة التي نعيشها ليل نهار، وما عجبٌ في ذلك إمامنا الصادق يقول: **تَمرُّ على قلب المؤمن ساعات كالشِنِّ البالي خالٍ من الإيمان وخالٍ من الكفر** – الرواية تتحدث عن مؤمن من أصحاب الدرجات العالية، ساعات تمر على قلبه فما بالك وقلوبنا تمر السنون والسنون وليس ساعات وهي خالية من الإيمان وخاليةٌ من الكفر، إلا لقلقة اللسان، وإلا ظِلال خافتة وباهتة من أعمال نضعها تحت عنوان التقوى والورع وغير ذلك من العناوين الحقيقية التي لا نملك منها إلا الصور الباهتة في حياتنا، على أي حالٍ، أنا لا أريد أن أتوسع كثيراً في هذا الموضوع ولكن الكلام عند الزيارة الجامعة، حين نسلم على الأئمة: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ** – لابد أن يكون هذا السلام صادقاً، صادقاً في المعرفة، صادقاً في الوفاء، صادقاً في التسليم، أن نجعل حياتنا، أن نجعل عقولنا، أن نجعل قلوبنا، أن نجعل أعمارنا، أموالنا، أن نجعل كل شيءٍ، أوقاتنا، صحتنا في سبيل مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ** – لابد أن تكون معرفتنا كما هم يريدون، المعرفة المستندة إلى ما قالوه لا إلى ما قالهُ المخالفون لأهل البيت، لا إلى ما يأتي مذكوراً في الصحف والمجلات والكتب المتنوعة التي لا صلة لها بأهل بيت العصمة ولا علاقة لها بالكتاب والعترة أو الكلام الذي يستند إلى المقاييس الباطلة التي منشأها الذوق البشري والاستحسانات والقياسات الخرقاء، ومثلُ هذا كثير، يُقالُ على المنابر، يُقال في الفضائيات، يُذكر في الكتب وفي كل مكان، أين هي معرفة أهل البيت؟

معرفة أهل البيت في الكتاب والعترة، معرفة أهل البيت تأتينا من أهل البيت، لابد أن نُحقق المعرفة حتى يكون على الأقل السلام فيه شيء من الصدق، حين أقول: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – على الأقل أن يكون عندنا شيء من المعرفة الصادرة منهم من أهل البيت ليس صادرة من أشخاص يدّعون أنهم في خط أهل البيت وهم يغترفون من كل مكان إلا من أهل البيت، من كل مكان يغترفون، لكن حين يأتي الكلام من أهل البيت تُثارُ حولهُ الشكوك والشبهات، وكلام أهل البيت واضحٌ وصريح وبيِّن، وما نص الزيارة الجامعة إلا من هذه النصوص الواضحة لهذا السبب أنا اخترت هذا النص الشريف، فحين نقول: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ** – لابد من تحقيق أول شرطٍ وهو المعرفة، على الأقل المعرفة بحدود، على الأقل أن تكون هذه المعرفة في الحد الأدنى ولكن من أي عينٍ تنبع هذه المعرفة؟! من العين الصافية من الكتاب والعترة ما

إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، من هنا يتضح لنا معنى السلام عليكم ونحن نخاطب أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إن كان ذلك في الزيارة الجامعة الكبيرة أو كان ذلك في أي زيارةٍ أخرى، في زيارة عاشوراء المقدسة أو في أي زيارةٍ أخرى، أو كان ذلك في سلامٍ نحن ننشئه نسلم على الأئمة من بعيدٍ أو من قريب أو كان ذلك هو السلام الذي نقرأهُ في آخر الصلاة ونحن نسلم على النبي الأعظم السلام عليك أيها النبي، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم، السلام عليكم هذا السلام موجهٌ لرسول الله ولآلهِ الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الصلاة بكل معانيها من أولها إلى آخرها إنما هي من تجليات أسماء الله الظاهرة والواضحة في حقائق أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإن شاء الله نجد وقتاً لبيان معاني الصلاة التي نصليها بحسب ما جاء في كلمات أهل بيت العصمة عليهم أفضل الصلاة والسلام.

**اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – هذا السلام لابد أن يكون نابعاً من معرفة، على الأقل الحد الأدنى، وهذه المعرفة صادرة من نفس العين الصافية من عين الكتاب والعترة، هذا المعنى وهذا الأفق هذا هو أفق العبارة، نحن إلى الآن ما خرجنا من هذا الأفق، وهناك معانٍ أخرى لكن الوقت لا يرحم، الوقت لا يكفي والمطالب كثيرة والزيارة الجامعة الكبيرة هي الأخرى طويلة، وأنا أحاول أن أشرح ما أتمكن من شرحهِ فلا يضمن الإنسان أجلاً ولا يضمن الإنسان أمراً لا من عمرهِ ولا من حياتهِ، بودي أن أبين هذه المعاني لإخواني وأخواتي ولأبنائي وبناتي من محبي أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عَلَّني أنتفع وعلَّهم ينتفعون، علَّنا نعيشُ شيئاً من الوقت، نقتطع شيئاً من الوقت نتذاكرُ فيه حديث أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – هذا السلام لابد أن ينشأ من معرفةٍ، هذه المعرفة تعني الوفاء بالعهود لهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذا الكلام وغيره كثير إنما هو في أفق العبارة، أنا لا أستطيع أن أتناول هذه الرواية وأطبق لها مصاديق في التعامل مع الأئمة إن كان في المعاملات أو في الأمانات والإضافات والصداقات والمعاشرات وتقوى الله وسائر المعاني الأخرى، لكل معنى من هذه المعاني معنىً يقابلهُ في تعاملنا مع أهل البيت، ولو أردنا أن نشرح كل هذه المعاني لطال بنا الوقت، لكنني استعملت هذه الطريقة أن أخذت هذه الرواية وبينت معنى السلام فيما بين العباد، فيما بين الخلق، فيما بيني وبينك واتضح لنا عمق المعنى مع أني ما شرحتُ الرواية بتمام معناها حتى من هذه الجهة لكن أتضح لنا عمق المعنى وعلى هذا قستُ هذا القياس، وعلى هذا أشرتُ إلى هذه الإشارة إذاً كيف يكون عمق معنى السلام مع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقلت بأن كل ذلك إنما هو في أفق العبارة، ولو خرجت بعض الشيء عن أفق العبارة إلى أفق الإشارة، والإشارة إشارة، فالإشارة لا تحتاجُ إلى شرحٍ ولكن مع ذلك فإنا لا نأخذ من الإشارة إلا أطراف الإشارة،

نحن في مستوىً وحين أتحدثُ إنما أتحدثُ عن نفسي، فأنا وأمثالي في مستوىً لا نأخذ من الإشارة إلا أطرافها ومن خلال حديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أما عميق الإشارات فذلك شيءٌ بالنسبة لي وبالنسبة لأمثالي بعيدُ المنال، لن أتمكن من الوصول إليه، أنا سأتمسك بشراشرِ أفق الإشارة، مُراد من الشراشر هي هذه الخيوط التي تكون في أطراف الأغطية في أطراف السجاد، الخيوط التي تكون في نهاية السجادة أو في نهاية الغطاء الذي يتغطى به الإنسان هي هذه التي تسمى بالشراشر، أتمسك بشراشر أفق الإشارة، وأشير مثلاً ما جاء في الكافي الشريف، وأنا قلت في الحلقتين الماضيتين بأن الزيارة الجامعة مضامينها موجودةٌ في الكافي الشريف، في الكافي الشريف:

الرواية هي التاسعة والثلاثون في باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ووفاته، الرواية يرويها شيخنا أبو جعفر الكليني بسندهِ: **عن داوود بن كثيرٍ الرقي قال: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: ما معنى السلام على رسول الله؟** – نحن حين نسلم على رسول الله، حين نسلم على أهل البيت، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً، سلموا تسليماً طبعاً لها دلالتان: الدلالة الأولى السلام، والدلالة الثانية التسليم لأمره، الكلام هنا عن السلام، داوود بن كثير الرقي يسأل الإمام الصادق ما معنى السلامُ على رسول الله؟ أو ما معنى السلامِ على رسول الله؟ ممكن أن يكون ذلك ما معنى السلامِ على نحو الإضافة، ويمكن أن يكون ما معنى السلامُ على رسول الله إذا كان ذلك على نحو الحكاية يجوز في بعض الحالات إذا كان السلامُ على رسول الله عنوان، هي محرَّكة بالرفع هنا. داوود بن كثير الرقي يسأل الإمام ما معنى السلام على رسول الله؟ وهذا سؤال نحنُ الآن نسألهُ، نحن نسلم على الأئمة، نسلم على رسول الله في الزيارة الجامعة: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – ما معنى هذا السلام؟ إمامنا الصادق يشرح لنا – **فقال: إن الله تبارك وتعالى لَمَّا خلق نبيهُ ووصيهُ وابنتهُ وابنيه** – ابنيه يعني الحسن والحسين فهما ابنا رسول الله حقاً وحقيقةً – **إن الله تبارك وتعالى لَمَّا خلق نبيهُ ووصيهُ وابنتهُ وابنيه وجميع الأئمة** – إلى إمام زماننا عليه السلام – **وخلق شيعتهم أخذ عليهم الميثاق وأن يصبروا ويصابروا ويُرابطوا** – أخذ عليهم الميثاق كلٌّ بحسبهِ، الميثاق الذي يؤخذ على رسول الله هل هو كالميثاق الذي يؤخذ عَلَيَّ وعليك؟

هناك ميثاق أُخِذَ على رسول الله وأهل بيتهِ وهناك ميثاق أُخِذَ على الشيعة، قطعاً الميثاق المأخوذ على خاتم الأنبياء على سيد الكائنات ميثاق يؤخذ عليه نحن لا نعرف ما هو هذا المضمون ما هو هذا الميثاق، على أي حالٍ، الرواية فيها إشارة وأنا قلت الإشارات يصعب شرحها، وإن قلتُ قبل قليل بأنني إنما أتمسكُ بشراشر أفق الإشارة من خلال هذه الروايات – **إن الله تبارك وتعالى لمَّا خلق نبيهُ ووصيهُ وابنتهُ وابنيه وجميع الأئمة وخلق شيعتهم أخذ عليهم الميثاق وأن يصبروا ويصابروا ويُرابطوا وأن يتقوا الله**

**ووعدهم** – وقبل قليل تحدَّثنا عن معنى السلام، فيه معنى تقوى الله، وهذا المضمون يعاضد ذلك المضمون – **وأن يتقوا الله ووعدهم أن يُسلم لهم الأرض المباركة والحرم الآمن وأن ينزل لهم البيت المعمور ويُظهِر لهم السقف المرفوع ويُريحهم من عدوهم والأرض التي يبدلها الله من السلام ويسلم ما فيها لهم لاشية فيها، قال: لا خصومة فيها لعدوهم، وأن يكون لهم فيها ما يحبون، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جميع الأئمة وشيعتهم الميثاق بذلك** – يعني هذا ميثاقٌ آخر من رسول الله – **وإنما السلامُ عليه** – السلام على رسول الله – **تذكرةُ نفس الميثاق وتجديدٌ له على الله لعله أن يُعَجِّلَهُ جلَّ وعز ويُعَجِّلَ السلام لكم بجميع ما فيه** – إشارة واضحة وصريحة في معنى السلام.

هذا هو الكافي الشريف زينةُ كتب الحديث، وهذا هو كلام إمامنا الصادق زينة الكلام وزينة الحديث، داوود بن كثير الرقي يسأل الإمام عن معنى السلام على رسول الله، ونحن هنا أيضاً نريد أن نعرف معنى السلام في الزيارة الجامعة – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – ما هو هذا السلام الذي نقولهُ؟ الرواية ماذا تقول؟ تقول: أُخِذَ علينا ميثاقان: الميثاق الأول أخذهُ الله، هكذا قالت الرواية – **إن الله تبارك وتعالى لما خلق نبيهُ ووصيهُ وابنتهُ وابنيه وجميع الأئمة وخلق شيعتهم أخذ عليهم الميثاق وأن يصبروا ويصابروا ويُرابطوا وأن يتقوا الله ووعدهم** – هذا ميثاق الله، ماذا وعدهم؟ – **أن يُسلم لهم الأرض المباركة** – متى؟ بعد أن يصبروا ويصابروا ويرابطوا ويتقوا الله، والإمام هنا يشير إلى آخر آية من سورة آل عمران، الآية الأخيرة من سورة آل عمران المباركة، الآية التي رقمها مئتان من سورة آل عمران ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فهناك صبرٌ ومصابرة ومرابطة وهناك تقوى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الميثاق ماذا أُخِذَ عليهم؟

**وأن يصبروا ويصابروا ويُرابطوا وأن يتقوا الله** – وهذه معاني تحتاج إلى شرح ولا أريد أن أقف عليها لشرحها ولكن أبين بقية الرواية – **ووعدهم أن يُسلم لهم الأرض المباركة والحرم الآمن وأن ينزل لهم البيت المعمور ويُظهِر لهم السقف المرفوع** – متى يكون ذلك؟ إنما يكون ذلك في أيام دولة الحق، بدايات ذلك في زمان إمامنا الحجة بعد ظهورهِ الشريف وهذه المعاني تتحقق حينما تكون الرجعة، رجعة النبي والأئمة، لأن الإمام الحجة صلوات الله وسلامه عليه برنامجه هو أن يفتح الأبواب فيما بين عالم الشهادة وعالم الغيب، أن يكون الإنسان على الأرض متواصلاً مع عالم الغيب، كيف يكون فتحُ هذا الباب؟ هناك ترابط تكويني، هناك الكثير من التغييرات الكونية ستتغير، وستكون وستحدث ولذلك سيحدث تغيير، هذه الأرض ستتحول إلى أرضٍ أخرى إلى أرضٍ مباركة إلى أرض فيها خصائص تختلف عن

خصائص الأرض التي نعيش عليها اليوم، تُبَدَّل هذه الأرض بأرضٍ أخرى، تتغير طباعها، تتغير خصائصها، لذلك الحيوانات تتغير طباعها، لا جدب، ولا يوجد هناك قلة ماء، ولا يوجد هناك تلوث بيئي، تتغير الأرض، أرض مباركة، ولا توجد زلازل، ولا توجد براكين، وتخرج الأرض أفلاذ أكبادها – **ووعدهم أن يُسلم لهم الأرض المباركة والحرم الآمن وأن ينزل لهم البيت المعمور ويُظهِر لهم السقف المرفوع** – الحرم الآمن، الحرم الآمن الممتد، هذا الحرم الآمن هو الحرم الممتد، من أين ممتد؟ يمتدُ من مكة إلى المدينة إلى عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه إلى النجف إلى كربلاء إلى طوس هذا هو الحرم الآمن – **ووعدهم أن يُسلم لهم الأرض المباركة والحرم الآمن وأن ينزل لهم البيت المعمور** – وينزل لهم البيت المعمور هذا التغير الذي سيحدث في الأرض وهذا الترابط بين عوالم الغيب والشهادة.

البيت المعمور إنما هو في السماء الرابعة لكن الحواجب والحواجز والنظام الكوني سيتغير سيكون هناك تواصل بين هذا العالم وبين تلكم العوالم – **وأن ينزل لهم البيت المعمور ويُظهِر لهم السقف المرفوع** – السقف المرفوع العوالم العلوية التي رُفِعت عنا، مقصود رُفِعت هناك حواجب وحواجز حالت فيما بيننا وبينها، وإنما رُفعت عنا للطبيعة العلوية لتلكم العوالم وللطبيعة السفلية التي نعيشها في هذا العالم، فعند ظهور الإمام وعندما تبدأ دولة الحق وتبدأ التغيرات الكونية هذا العالم سيرتقي هذا العالم السفلي سيرتقي وستُزال الكثير من الحجُب فيما بين هذا العالم الطبيعي والعالم اللاهوتي، قضية الظهور ليست مسألة سياسية، قضية حكم، وقضية إصلاح اجتماعي، هذا جانب جزئي من القضية، القضية أكبر من ذلك، الله سبحانه وتعالى يحقق معنى الاستخلاف، الاستخلاف على الأرض، خليفة الله سبحانه وتعالى حينما يكون على الأرض هذا الخليفة لابد أن يكون متواصلاً في جميع الاتجاهات إن كان في العالم الطبيعي المادي وإن كان في العالم العلوي، أليس لابد في هذا الخليفة أن يحمل شيئاً من صفات الذي استخلفهُ – **ووعدهم أن يُسلم لهم الأرض المباركة والحرم الآمن وأن ينزل لهم البيت المعمور ويُظهِر لهم السقف المرفوع ويُريحهم من عدوهم** – إلى آخر الرواية ثم ماذا تقول الرواية – **وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله على جميع الأئمة وشيعتهم الميثاق بذلك** – فهناك ميثاقان:

ميثاقٌ من الله، وهناك ميثاقٌ من رسول الله، الإمام يقول – **وإنما السلامُ عليهِ** – السلام على رسول الله– **والسلام على الأئمة تذكرة نفس الميثاق وتجديدٌ له على الله** – هذا السلام، السلام على الأئمة هو تجديدٌ لذلك الميثاق، هو تذكرٌ لذلك الميثاق – **لعلَّهُ أن يُعَجِّلهُ جلَّ وعز ويُعَجِّلَ السلام لكم بجميع ما فيه** – إذاً السلام هو هذا، إذاً رمزية السلام هي هذه، إذاً معنى السلام هو تجديد عهدٍ مع رسول الله وتجديد العهدِ مع رسول الله في معناه الواقعي والعملي هو تجديد العهدِ مع إمام زماننا، نحن إذا أردنا أن

نجدد العهد مع الله ومع رسولهِ، نجدد العهد مع من؟ نجدد العهد مع صاحب الزمان صلوات الله وسلامه عليه – **اللَّهُمَّ عَرِّفْني نَفْسَك فَإِنَّكَ إن لم تُعَرِّفْني نفسك لم أَعْرِف رسولك لم أعْرِف نبيك، وعرِّفني رسولك فإنَّك إن لم تُعَرِّفني رسولك لم أعْرِف حُجَّتَك، وعَرفني حُجَّتَك فإنَّكَ إن لم تُعرِّفني حُجَّتك ضللتُ عن ديني** – هناك معرفة الحجَّة هي التي تقودنا إلى أي بابٍ؟ إلى باب رسول الله إلى باب الله، فهذا السلام – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – هو تجديد لذلك الميثاق للميثاق الإلهي ولميثاق رسول الله صلى الله عليه وآله، أيُّ ميثاق؟ ميثاق الإمامة والولاية، الإمامة والولاية متى يتحققُ معناها العملي الحقيقي؟ عند ظهور إمام زماننا وعند رجعة نبينا والأئمة، هناك يتحقق معنى الخلافة والولاية والإمامة وإنما نحن الآن في أي طور؟ اصبروا وصابروا ورابطوا في طور الانتظار، نحن الآن والذين سبقونا وحتى في زمان رسول الله وحتى في زمان سيد الأوصياء وفي زمان الأئمة السابقين من أئمتنا صلوات الله عليهم جميعاً، الكلُّ في انتظار.

الرواية قالت إن العهد أُخِذَ على رسول الله وعلى الأئمة وعلى شيعتهم اصبروا وصابروا ورابطوا، ورابطوا كما في الروايات قال: رابطوا صاحب الأمر، انتظروا الإمام الحجَّة صلوات الله وسلامه عليه، إذاً – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – هو تجديدٌ للعهد الإلهي وتجديدٌ للميثاق المُحَمَّدي في أي شيءٍ؟ في الصبر والمصابرة والمرابطة والانتظار وتأكيد العهود والمعرفة التمسك بعروة إمام زماننا، بانتظار ذلك اليوم الذي يُفتح فيه عالم الشهادة على عالم الغيب، بانتظار ذلك اليوم الذي تكون هناك الأرض المباركة ويكون هناك الحرم الآمن من مكة إلى المدينة ومن المدينة إلى النجف إلى كربلاء إلى طوس إلى كل جهةٍ فيها عبقات وعطرٌ من مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، الحرم الآمن هو حرم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إلى ذلك العهد الذي يتنزل فيه البيت المعمور وينكشف فيه السقف المرفوع، هذا السلام تذكيرٌ بتلكم المواثيق فحينئذٍ حينما نُسلم على أئمتنا ونقول – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – هذا تجديدٌ للمواثيق معهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا شيءٌ من إشارة، المضمون عميق جداً ولا أجد وقتاً لشرحهِ بكل تفاصيلهِ ولكن شيءٌ من إشارة، والحر تكفيه إشارة ومن أظلمت دروبهُ فوالله لا تغنيه ألفُ ألف عبارة، هذه إشارة وإشارةٌ من بعيد، وقلتُ بأني لا أتمكنُ إلا أن أتمسك بأطراف شراشر أفق عالم الإشارة، ألم يقل أمير المؤمنين يا كميل إن القلوب أوعية، ما عندي من وعاءٍ لا أستطيع إلا أن أتمسك بأطراف شراشر عالم الإشارة، ومن خلال روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وإشارةٌ أخرى، لمحةٌ أخرى من أفق الإشارة، الرواية في علل الشرائع لشيخنا الصدوق رضوان الله تعالى عليه، في الجزء الثاني وفي الباب الأول في باب علل الوضوء والأذان والصلاة، والرواية طويلة، الرواية مرويةٌ عن

إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه وهو يحدثنا عن رسول الله عن معراج رسول الله، والرواية عميقة جداً أنا فقط أشير إلى موطن الحاجة منها، الله سبحانه وتعالى يخاطب نبيه – **فقال لي** – إمامنا الصادق يحدثنا عن جده رسول الله، النبي يقول – **فقال لي: يا مُحَمَّد سَلِّم، فقلت: السلام عليكم** – هذا السلام الذي هو في آخر الصلاة والذي هو نفسهُ في الزيارات والذي هو نفسهُ في سائر المواطن الأخرى – **فقال لي: يا مُحَمَّد سَلِّم، فقلت: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال الله** – ماذا قال؟ – **يا مُحَمَّد إني أنا السلام** – وذكرتُ في أول الحلقة بأن السلام من أسمائهِ سبحانه وتعالى – **فقال: يا مُحَمَّد إني أنا السلام، والتحية والرحمةُ والبركات أنت وذريتك، ثم أمرني ربي العزيز الجبار أن لا ألتفت يساراً** – أنا السلام قول الله سبحانه وتعالى والتحية والرحمة والبركات أنت وذريتك يا مُحَمَّد، الحديث عن الذرية عن المعصومين، الحديث عن أهل بيت العصمة – **يا مُحَمَّد إني أنا السلام، والتحية والرحمةُ والبركات أنت وذريتك، ثم أمرني ربي العزيز الجبار أن لا ألتفت يساراً** – هنا إشارة واضحة أن لا ألتفت يساراً لأن اليسار فيه رمزية، رمزية إلى أي عوالم؟

إلى العوالم السفلية، اليسار فيه إشارة إلى عوالم الحُجُب، أن لا ألتفت يساراً، الإلتفات يكون إلى أي جهة؟ الإلتفات يكون إلى جهة اليمين، لذلك في سورة الواقعة وسورة الواقعة بحاجة أن نقف عليها طويلاً ولكن الوقت لا يكفي لأن نقف طويلاً عند هذه السورة، السورة تتحدث في أولها عن مجموعات ثلاثة ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ ثم يأتي الحديث عن هذه المجموعات أصحاب المشأمة هم نفسهم يأتي ذكرهم في الآية الحادية والأربعين ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ الآيات بعد ذلك تتحدث عن المقربين، تتحدث عن أصحاب اليمين، ثم تتحدث عن أصحاب الشمال ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ إلى آخر الآيات، في آخر سورة الواقعة أيضاً يأتي الكلام ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم السابقون ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾ يعني من أصحاب المشأمة من أصحاب الشمال ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ، ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ واليمين عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه، وأصحاب اليمين أصحاب عليٍّ شيعة عليٍّ – **ثم أمرني ربي العزيز الجبار أن لا ألتفت**

**يساراً** – وإنما الإلتفات إلى جهة اليمين، إلى أي جهةٍ؟ إلى جهة عليٍّ وهنا إشاراتٌ دقيقة جداً لا يسع المقام لبيانها، إن شاء الله في طوايا الحلقات القادمة أشير إلى بعضٍ منها ولكن يمكن أن أشير إلى هذه النكتة، إلى هذه النقطة، ما جاء في الروايات من أن الله سبحانه وتعالى كلمهُ على بساط النور بصوت عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، وأنه صلى الله عليه وآله حينما صعد إلى الذُرى العالية إلى المقامات العالية وجد عليّاً صلوات الله وسلامه عليه، وجد مثالاً لعلي، وأن الملائكة كانت تطوفُ وتزور هذا المثال وإن الملائكة هي التي طلبت من الله أن يجعل لها مثالاً شوقاً لعليٍّ، هكذا في الروايات وفي كل ذلك رموز، القضية لا تؤخذ بهذا الإطار الظاهري، في كل ذلك رموز وإشارات نأتي على بيانها في وقتها المناسب إن شاء الله تعالى.

**يا مُحَمَّد إني أنا السلام، والتحية والرحمةُ والبركات أنت وذريتك** – الكلام هنا عن النبي وعن أهل بيت العصمة فهم التحية وهم الرحمة وهم البركات ولذلك القرآن الكريم أشار إلى هذه الرمزية بنحوٍ واضح، القرآن الكريم في الآية الثامنة بعد العاشرة من سورة المائدة، في الآية الخامسة والعشرين من سورة يونس ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ودارُ السلام هي الجنان، والسلام في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، السلام في روايات أهل البيت المراد منه ولاية عليٍّ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ السلام هو اسمٌ لجنة الباري سبحانه وتعالى والتي أشار إليها في الآية الخامسة والعشرين من سورة يونس ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ والكلام هو الكلامُ الذي جاء في هذه الرواية – **يا مُحَمَّد إني أنا السلام، والتحية والرحمةُ والبركات أنت وذريتك** – هذه إشارة وهذا مضمونٌ آخر من مضامين معنى السلام.

وهناك إشارةٌ أخرى أيضاً جاءت في كتاب الله العزيز في سورة القدر ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ: إذا أردنا أن نركب الجملة تركيباً نحوياً – سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ – تكون هي سلام حتى مطلع الفجر، فهي ضمير الشأن مبتدأ، وسلامٌ خبر وهي تعود على ليلة القدر، السورة سورة القدر ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾

هي ضمير الشأن يعود على ليلة القدر مبتدأ وسلام خبر، الإخبار هنا عن أن ليلة القدر إنما هي سلام، طبعاً هناك إشارات دقيقة جداً في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تتحدث عن هذا المعنى، مثلاً ما جاء في سورة الدخان، الآيات الأولى من سورة الدخان ماذا تقول؟

﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ الرواية في الكافي الشريف وفي غير الكافي الشريف عن إمامنا باب الحوائج موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليه، **قال: حم: مُحَمَّد، وَالْكِتَابِ المبِينِ: عليٌّ، إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ: قال الليلة المباركة فاطمة** – حم مُحَمَّد، الكتاب المبين عليٌّ صلوات الله عليه – إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ – الليلة المباركة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، وهو نفس المضمون الذي ورد في عدة رواياتٍ عن أهل بيت العصمة في معنى ليلة القدر، في معنى الآية ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ في رواياتٍ عديدة أن ليلة القدر التي جاءت مذكورة في سورة القدر هي فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، وهي نفسها الليلة المباركة التي جاءت في سورة الدخان ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ في روايات وأحاديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على سبيل المثال ما جاء في تأويل الآيات الظاهرة في العترة الطاهرة وهو من أهم مصادر تفسير البرهان، وهذا هو الجزء الثاني من هذا الكتاب، ينقل الرواية عن الشيخ الطوسي رضوان الله تعالى عليه – **الرواية عن عبد الله بن عجلان السَكْوني قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: بيتُ علي وفاطمة حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسقف بيتهم** – الحديث هنا ليس عن بيتٍ بهذا المعنى المبني من الطابوق والآجر، الحديث عن البيت بالمعنى الغيبي بالمعنى الأبعد الأعمق، قلت نحن نتحدث في أفق الإشارة وليس في أفق العبارة – **بيتُ علي وفاطمة حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسقف بيتهم عرش ربِّ العالمين وفي قعر بيوتهم فرجةٌ مكشوطة** – فتحة – **إلى العرش** – معراج الوحي – **والملائكة تنزَّلُ عليهم بالوحي صباحاً ومساء وفي كل ساعة وطرفة عين والملائكة لا ينقطع فوجهم فوجٌ ينزل وفوجٌ يصعد وإن الله تبارك وتعالى كشط لإبراهيم عليه السلام عن السماوات حتى أبصر العرش وزاد الله في قوة ناظره وإن الله زاد في قوة ناظر مُحَمَّدٍ وعليٍّ وفاطِمةَ والحسن والحسين صلوات الله عليهم وكانوا يبصرون العرش ولا يجدون لبيوتهم سُقفاً غير العرش فبيوتهم مُسَقَّفَةٌ بعرش الرحمن ومعارج الملائكة والروح فوجٌ بعد فوج لا انقطاع لهم وما من بيتٍ من بيوت الأئمة منا إلا وفيه معراج الملائكة لقول الله عزَّ وجل: تنزل الملائكة والروح فيها بأذن ربهم بكل أمر سلام، قال: قلت: من كل أمر؟! قال: بكل أمر، قلتُ: هذا التنزيل؟ قال: نعم** – هذا التنزيل ليس

الحديث هنا عن تنزيل الوحي الحديث عن معنى أعمق من ذلك، حديث الوحي الذي يُتحدث عنه في كتب الكلام وفي كتب التفسير الحديث عن نزول القرآن بألفاظهِ نزول القرآن على رسول الله وهذا معنىً من معاني الاتصال بين النبي وبين الله سبحانه وتعالى، القضية أعمق من ذلك وأبعد من ذلك، والرواية تتحدث عن التنزيل في أفقٍ آخر في أفق أعمق، الإمام صلوات الله وسلامه عليه ماذا يقول؟

**ولا يجدون لبيوتهم سُقفاً غير العرش فبيوتهم مُسَقَّفَةٌ بعرش الرحمن** – الحديث هنا ليس عن بيوت طينية، الحديث عن حقائق الأئمة، الحديث عن قلوب الأئمة، الحديث عن قلب النبي عن قلب عليٍّ عن حقيقة مُحَمَّدٍ عن حقيقة عليٍّ، الحديث عن جانب من منازل ومقامات مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ وهم في العالم الأرضي، هم في العالم الأرضي متواصلون مع العوالم العلوية لذلك – **ولا يجدون لبيوتهم سُقفاً غير العرش فبيوتهم مُسَقَّفَةٌ بعرش الرحمن ومعارج الملائكة والروح** – والروح خلقٌ أعظم من الملائكة.

الرواية في الكافي الشريف وهذا هو الجزءُ الأول من أجزاء الكافي الشريف من أصول الكافي الرواية عن إمامنا الصادق في باب مواليد الأئمة الرواية الأولى، الرواية طويلة أخذ منها موطن الحاجة، يرويها أبو بصير عن إمامنا الصادق – **قلتُ: جُعِلتُ فداك الروح ليس هو جبرئيل؟!** – الروح الذي في سورة القدر، لأنهُ قبل هذا الكلام الإمام يقول – **واستحقَّ زيارة الروح في ليلة القدر** – يتحدث عن مقام الإمام المعصوم وأن الإمام المعصوم يزورهُ الروح في ليلة القدر – **واستحقَّ زيارة الروح في ليلة القدر** – أبو بصير يقول – **قلتُ: جُعِلتُ فداك الروح ليس هو جبرئيل؟! قال عليه السلام: الروح هو أعظمُ من جبرئيل، إن جبرئيل من الملائكة وإن الروح هو خلقٌ أعظم من الملائكة** – الروح خلقٌ آخر، الروح شيءٌ آخر – **أليس يقول الله تبارك وتعالى:** ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ – فجبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والملائكة الكروبيون والملائكة المقربون وكل أصناف الملائكة يدخلون في هذا العنوان – تَنَزَّلُ المَلَائِكَةُ – أما الروح كما يقول إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه – **الروح هو أعظمُ من جبرئيل، إن جبرئيل من الملائكة وإن الروح هو خلقٌ أعظم من الملائكة** – ما هو هذا الروح؟!

هذا الروح الذي جاء ذكرهُ في سورة القدر ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ كما قال الإمام صلوات الله وسلامه عليه وهو يسألهُ – **قال: من كل أمر؟! قال: بكلِّ أمر** – الآية الخامسة والثمانون من سورة الإسراء ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ الروح الذي جاء مذكوراً في سورة القدر هو هذا الروح الذي تتحدث عنه هذه الآية وليس الكلام عن الروح البشرية، نعم الروح البشرية أيضاً هي من أمر الله سبحانه وتعالى لكن الروح بمعناه الأكمل والأتم هو ذلك الروح الذي

جاء مذكوراً في سورة القدر والذي قال عنهُ الإمام بأنهُ خلقٌ أعظم من الملائكة ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية الخامسة والثمانون من سورة الإسراء ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ هذا هو الروح الذي تتحدث عنه سورة القدر والذي جاء مذكوراً في هذه الروايات تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم بكل أمر، بكل أمرٍ من الله سبحانه وتعالى والروحُ، نقفُ نتبصر في سورة القدر، سورة القدر ماذا تقول ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ وفي الروايات إن ليلة القدر المذكورة في هذه السورة هي فاطمة، روايات موجودة عندنا هذه رواية الآن بين يدي، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ يعني فاطمة، روايات عديدة عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ليلة القدر التي جاءت مذكورةً في سورة القدر هي فاطمة وأشرت إلى الرواية التي جاءت مرويةً عن الإمام الكاظم في تفسير الآيات الأولى من سورة الدخان، الليلة المباركة التي جاءت مذكورة ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ حم قال: مُحَمَّد، الكتاب المبين: عليٌّ، والليلة المباركة: هي فاطمة، ليلة القدر فاطمة، ثم تبدأ السورة تتحدث عن خصائص وعن مجريات تجري في ليلة القدر، في ليلة القدر التي هي رمزية زمانية في العالم الأرضي، أما في العالم العلوي فهي الحقيقة الفاطمية، صورتها الزمانية الفلكية في العالم الأرضي هي ليلة القدر التي نزل فيها القرآن بجملتهِ على قلب مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ هذا الروح خلقٌ أعظم من الملائكة، خلقٌ آخر، هذا الروح هو مظهرٌ من مظاهر الحقيقة الفاطمية.

هذه الليلة ليلة القدر وليلة القدر فاطمة كما في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذه الليلة تتنزل فيها الملائكة كل الملائكة ومع الملائكة يتنزل الروح، الروح الحقيقة الفاطمية، الحقيقة الفاطمية هي تشير إلى الجوهر الجامع بين حقيقة النبوة والولاية، الحقيقة الفاطمية هي الجوهر الجامع بين حقيقة النبوة والولاية، ولذلك كانت حُجَّة على الأئمة – **نحن حُججُ الله على الخلق وفاطمة أُمّنا حجة علينا، حُجَّةُ الله علينا** – لأنها هي الحقيقة الجامعة بين النبوة والولاية، لأنها الحقيقة الجامعة بين المعنى المُحَمَّدي والمعنى العلوي، بين المعنى النبوي وبين المعنى الولوي، بين معنى مُحَمَّدٍ وعليٍّ كانت حقيقة فاطمة، وهذا هو الروح الذي يتجلى في ليلة القدر، وهذه الليلة ما هو وصفها؟ ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ هي سلامٌ، هذه الليلة هي سلامٌ، هذه صورة أخرى كصورة الميثاق، كصورة المناجاة التي كانت بين الله وبين رسوله لَمَّا قال: **يا مُحَمَّد إني أنا السلام، والتحية والرحمة والبركات أنت وذريتك.** كما مرَّ علينا في حديث علل الشرائع قبل قليل، الحديث الذي يرويه الشيخ الصدوق عن إمامنا الصادق عن رسول الله

صلى الله عليه وآله كما مرَّ الكلامُ في حديث الكافي في معنى السلام على رسول الله وأنهُ تجديدٌ لذلك الميثاق، الميثاق الإلهي والميثاق المُحَمَّدي في أن الله سبحانه وتعالى يعطيهم بعد ذلك متى؟ حينما يتم الاستخلاف في زمان إمامنا عليه السلام وفي الرجعة يعطيهم الأرض المباركة والحرم الآمن والبيت المعمور والسقف المرفوع ومرَّ الكلام، وكذلك حينما صعد في معراجهِ، فقال له: سَلم وسَلِّم، فقال: إني أنا السلام والتحية والرحمة والبركات أنت يا مُحَمَّد، أنت وذريتك يا مُحَمَّد، هذه صورةٌ أخرى، وصورةٌ ثالثة هذه التي بين يدي، صورة ليلة القدر هذا هو السلام، تنزُّل الملائكة والروح فيها على الإمام المعصوم هذا هو تحية الله للإمام المعصوم، تتنزل الملائكة والروح فيها.

حين نسلم على الأئمة – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – هذا السلام إقرارٌ بهذه المنزلة، نحن هنا نُقرُّ للأئمة بما لهم من المنازل والمقامات وهذا فيه شيءٌ من إشارة، طبعاً المطالب بحاجة إلى شرح أوفى وأوسع وأكثر وهناك مطالب أخرى كان بودي أن أشير إليها لكن وقت البرنامج انتهى وأخذتُ وقتاً إضافياً على وقت البرنامج، كان المقرر أن يكون وقت البرنامج أقل من هذا الوقت لكنني أحببت أن أوضح هذا المعنى معنى السلام عليكم حتى أتناول معنىً ومضموناً جديداً في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى.

فالذي نخلصُ إليه أننا حين نقول السلام عليكم، السلام عليكم هو تجديد عهدٍ وميثاق وبيانٌ لعقيدةٍ بأهل البيت، أهل البيت هذه منازلهم، ليلة القدر ليلتهم وحقيقتها أمهم فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، والروح الذي هو خلقٌ أعظم من الملائكة الروح إنما هو من تجليات الحقيقة الفاطمية التي تتجلى في هذه الليلة في ليلة القدر وتلكم الحقيقة هي السلام هي سلام الله هي سلام الملأ الأعلى للإمام المعصوم على الأرض، هذا التنزل هو معنى السلام، وحين نسلم على الأئمة إنما نستعرض هذه العقيدة ونتذكر هذه العقيدة ونتذكر هذه المعاني ونعاهد الأئمة على الاعتقاد بها وهذه هي فاتحةُ الكلام، الكلامُ لم ينتهي بعد والحديث عن السلام يحتاجُ إلى شرحٍ أو إلى بسطٍ في القول أكثر من ذلك لكننا ماذا نصنع لسيف الوقت وسيفهُ قاطع، ولو سنحت لي فرصة أخرى ربما أضيف إضافات أخرى على معنى السلام.

أختمُ كلامي وحديثي أن أقول:

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ،

واَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا شيعة أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

# الحلقة الرابعة

## معنى أَهْلَ بَيْتِ النُّبُـوَّةِ

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، وهذه الحلقةُ الرابعةُ من برنامجنا الزيارةُ الجامعةُ الكبيرة، كما اتفقنا في الحلقات الماضية أننا نقرأُ الزيارة الجامعة الكبيرة من مفاتيح الجنان لتوفر هذا الكتاب بين يدي المؤمنين والمؤمنات من محبّي أهل البيت صلوات الله وسلامهُ عليهم أجمعين.

في الحلقة السابقة شرعنا في قراءة أول عِبارةٍ مِنْ عبارات الزيارة الجامعة الكبيرة حين يبدأ الزائر فيقول: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ**. تَقَدَّمَ الكلامُ في الحلقة الماضية في معنى السلام وتناولت جُمَلَةً من الأحاديث والروايات الشريفة التي رُويت عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولا زِلنا نتناول عبائر هذه الزيارة الشريفة – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – في هذه الحلقة أتناول هذه العبارة: **يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ**. بيّنتُ معنى السَّلام في الحلقة الماضية، أتناول في هذه الحلقة معنى: يا أهل بيت النبوة، أول شيءٍ أتناوله ما جاء في الروايات الشريفة والتي سأبقى دائماً أعود إليها وأتناولها بالشرحِ والبيان من دون أن أذهب في تفاريع وجوانب من هنا ومن هناك.

الروايةُ يرويها شيخنا الصدوق، **عن أبي بصيرٍ قال: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: مَنْ آلُ محَمَّد؟** – نحن هنا نُسَلِّمُ عليهم صلوات الله وسلامهُ عليهم، نُسَلِّمُ عليهم فنقول: اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ فمن هم أهل بيت النبوة؟ – **عن أبي بصيرٍ قال: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: مَنْ آلُ مُحَمَّد؟ قال: ذريتهُ، آل مُحَمَّد ذريتهُ** – وذريتهُ مُنحَصِرةٌ في فاطمة، فذريتهُ وُلدُ فاطمة، والكلمات النبويةُ واضحةٌ صريحة: **كُلُّ نبيٍ ذريتهُ من صُلبه وذريتي من صُلبِ عَليٍّ وفاطمة – قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام** – أبو بصير يقول – **مَنْ آلُ مُحَمَّد؟ قال: ذريتهُ، فقلتُ: مَنْ أهل بيتهِ؟ قال: الأئمة الأوصياء، فقلتُ: مَنْ عترتهُ؟ قال: أصحاب العباء** – الرواية واضحة وصريحة وجلية في بيان معاني هذه المُصطلحات، عندنا عنوان آل مُحَمَّد، وعندنا عنوان أهلُ بيتهِ، وعندنا عنوان العترة الطاهرة – **مَنْ آلُ مُحَمَّد؟ قال: ذريتهُ** – ذريتهُ ذريةُ فاطم – **فقلتُ: مَنْ أهل بيتهِ؟ قال: الأئمةُ الأوصياء، فقلتُ: مَنْ عترتهُ؟** – العترة هي الشجرة، أصل الشجرة، في لغة العرب كلمةُ العترة هو أصل الشجرة – **فقلتُ: مَنْ عترتهُ؟ قال: أصحاب**

**العباء** – أصحاب العباء أنت تعرفهم، أصحاب العباء مع رسول الله عليٌّ وفاطمة والحسنان صلوات الله وسلامهُ عليهم أجمعين – **فقلتُ: مَنْ أمَّتهُ؟ قال: المؤمنون الذين صدقوا بما جاء به من عند الله عز وجل المُتَمَسكون بالثقلين الَذَين أُمروا بالتمسك بهما كتاب الله وعترتهُ أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وهُما الخليفتان على الأُمَّة عليهم السلام** – السلام على العترة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليه، الرواية جميلة جداً، هذه الرواية أقرأها الآن من الجزء الخامس والعشرين من كتابِ بحار الأنوار لشيخنا المجلسي وهو ينقلها عن كتاب معاني الأخبار لشيخنا الصدوق رحمة الله عليه، رواية واضحة جداً وصريحة وجميلة في نفس الوقت ولا تحتاجُ إلى شرحٍ كثير، أعيد قراءتها لأهميتها ولأجل أن يتركز ما جاء فيها من معنىً في أذهان من يستمعُ إلي – **قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: مَنْ آلُ مُحَمَّد؟ قال: ذُريته، فقلتُ: مَنْ أهل بيته؟ قال: الأئمة الأوصياء، فقلتُ: مَنْ عترتهُ؟ قال: أصحابُ العباء، فقلتٌ: مَنْ أُمَّتهُ؟ قال: المؤمنون الذين صدقوا بما جاء به من عند الله عز وجل المُتَمَسِكون بالثقلين الذين أُمروا بالتمسك بهما كتاب الله وعترتهُ أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وهما الخليفتان على الأُمَّة عليهم السلام** – الخليفتان الكتاب والعترة، ما يتعلقُ بما في الزيارة الجامعة الكبيرة التي بين أيدينا نحن نخاطب الأئمة – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أهْلَ بَيْتِ النُبُوَّةِ** – وسؤال أبي بصير – **فقلتُ: مَنْ أهل بيته؟ قال: الأئمةُ الأوصياء** – الحديث هنا عن الأئمة الأوصياء، الخِطاب هنا خِطاب مع الأئمة الأوصياء.

رواية ثانية من الروايات الجميلة جداً والواضحة، واضحة الدلالة، بينَّة جداً، الرواية، **عن غياث بن إبراهيم عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: سُئِلَ أمير المؤمنين عليه السلام عَنْ معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: إني مخَلِّفٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، من العترة؟** – سؤال وُجه إلى أمير المؤمنين، من العترة التي أشار إليها رسول الله في الحديث إني مخَلِّفٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، من العترة؟ ماذا أجاب الأمير عليه السلام – **فقال: أنا والحسنُ والحسينُ والأئمة التسعة من وُلدِ الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حوضه** – رواية صريحة وجلية في بيان معنى العترة ولا أحتاجُ أن أذهب إلى أقوال الكلاميين، ولا أحتاجُ إلى أن أذهب إلى معنى كلمة الأهل والآل في اللغة، الروايات صريحة وواضحة، الزيارةُ الجامعة كلام مُحَمَّد وآل محَمَّد، وهذه الروايات رواياتهم، وهذه الكلمات كلماتهم جليةٌ صريحةٌ واضحة، الروايةُ قاطعةٌ جداً، لَمَّا سُئل الأمير من العترة التي جاء ذكرها في حديث الثقلين، بشكل واضح وبيّن ماذا قال؟ – **أنا والحسنُ والحسينُ والأئمة التسعة من ولد الحسين تاسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله**

**ولا يفارقهم حتى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حوضه.**

رواية ثالثة مروية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامهُ عليه، هذه الروايات كلها جَمَعَها الشيخ الصدوق في معاني الأخبار، **عن محَمَّد بن سليمان الديلمي عن أبيه** – يعني عن سليمان الديلمي – **قال: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: جُعِلتُ فداكَ مَنْ الآل؟ قال: ذريةُ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، قال: قلتُ: فمن الأهل؟ قال: الأئمة عليهم السلام، فقلتُ: قولهُ عزَّ وجلَّ** ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ – ما المراد من كلمة آل في هذه الآية، السائل يسأل الإمام في البداية سأل الإمام، من الآل؟ قال: ذريتهُ، من الأهل؟ قال: الأئمة ثم سأل عن هذه الآية: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ من المراد من آل فرعون هنا؟ – **قال الإمام الصادق: والله ما عنى إلا ابنته** – آل فرعون الذين جاء ذكرهم في هذه الآية الإمام يقول: – **والله ما عنى إلا ابنته إنها ابنة فرعون** ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ – فالآل الذرية والأهل والعترة هم المعصومون صلوات الله وسلامهُ عليهم أجمعين كما قال سيد الأوصياء العترةُ أنا والحسنُ والحسين والتسعةُ من ولد الحسين تاسعهم مهديهمُ وقائمهمُ، هؤلاء هم الذين نخاطبهم في هذه الزيارة الكريمة وفي أيِّ زيارةٍ أخرى، نحنُ حين نقول – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – إنما نقصدُ هؤلاء، نقصدُ عليّاً والحَسَنَ والحسين والتسعةُ المعصومين من ولد الحُسين، تاسعهم مهديهمُ وقائمهمُ إمام زماننا الحجةُ بن الحسن.

لذلك نحنُ إذا أردنا أن نستمر في قراءة الزيارة الجامعة سنصل إلى موطن من المواطن حينما نصل إلى هذه العبارة – **وَبِكُمْ يُنَفِّسُ الْهَمَّ وَيَكْشِفُ الضُّرَّ، وَعِنْدَكُمْ ما نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَتْ بِهِ مَلائِكَتُهُ** – هنا حينما نصل إذا كان الخطاب في الزيارة إلى أمير المؤمنين نقول – **وَإِلَى أَخِيكَ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ** – إذا كان الخطاب مع سيد الأوصياء – **وَإِلَى أَخِيكَ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ آتَاكُمُ اللَّهُ مَا لم يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالمينَ** – إلى أخر الزيارة وإذا كان الخطاب مع الأئمة المعصومين من غير أمير المؤمنين إن كانوا جميعاً أو كان الخطاب مع واحدٍ منهم – **وَإِلى جَدِّكُمْ بُعِثَ الرُّوحُ الْأَمِينُ** – وإذا كنا نسلم في هذه الزيارة على سيد الأوصياء وعلى الأئمة فنقول: **وإلى أخيك يا أمير المؤمنين، وإلى جدكم سادتي الأطهار بعث الروح الأمين.** فالزيارةُ زيارةٌ لسيد الأوصياء وللمعصومين من ولده صلوات الله وسلامهُ عليهم أجمعين.

هذا المعنى بشكلٍ مجمل – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – أهل بيتهِ إذاً المعنى واضح، قطعاً الزهراء صلوات الله وسلامهُ عليها، الزهراء داخلةٌ في العترة، وداخلةٌ في آلهِ، وداخلةٌ في أهل بيتهِ، بل إن الزهراء صلوات الله وسلامهُ عليها لها الحُجيةُ على الأئمة من ولد سيد الأوصياء، ألم يقل إمامنا الزاكي العسكري:

نحنُ حُجج الله على الخلق على العباد وفاطمة أمنا حُجةُ الله علينا، لكن الكلام هنا في هذا النص الشريف نحنُ نخاطبُ فيه سيد الأوصياء والأئمة المعصومين من ولده صلوات الله وسلامهُ عليهم أجمعين، إذاً حين نقول: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – فاطمة من جملة هذا العنوان فهي سيدةُ بيت النبوة لكن بحسب الخطاب تارةً نوجه الخطاب إلى سيد الأوصياء وتارةً نوجه الخطاب إلى الأئمة المعصومين من ولده وربما نوجه الخطاب إلى كل أهل بيت النبي ففاطمة سيدةُ أهل بيت النبي صلوات الله وسلامهُ عليها – **يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – هؤلاء الآل وهؤلاء الأهل وهؤلاء العترة إلى أي جهةٍ نُسبوا؟ نُسبوا إلى بيت النبوة – **يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – فلا يتضح المعنى جلياً إلا أن نوضح معنى النبوة، ما المراد من النبوة؟

ولا أريد أن أذهب إلى التفاصيل اللغوية، ولا أريد أن أذهب إلى أقوال الكلاميين أو أقوال المفسرين في معنى النبوة، وإنما أتناول هذا المعنى من روايات النبي والأئمة صلوات الله وسلامهُ عليهم أجمعين حتى تتضح الصورة دون الدخول في تفريعات، لا أريد أن أتناول مثلاً الفارقُ بين النبي والرسول، لا أريد أن أتناول مثلاً أن من الأنبياء من تأتيه نبوتهُ في المنامات، ومن الأنبياء من تأتيه نبوته عن طريق الملائكة يسمع الصوت ولا يرى الملك وأمثال هذه المعاني، هذه المعاني تنطبق على سائر الأنبياء من دون نبينا صلى الله عليه وآله، نبينا صلى الله عليه وآله نبوتهُ هي فوق الأنبياء، ونبوته فوق النبوات، لذا لا أدخل في هذه التفاصيل التي يتناولها الكلاميون والمُفسرون، أذهبُ مباشرةً إلى روايات المعصومين صلوات الله وسلامهُ عليهم أجمعين لبيان معنى النبوة، نبوة نبينا صلى الله عليه وآله، في اللغة النبوة تعني العلو، نبا يعني علا، والنَبْوة المكان العالي في لغة العرب، فحينما تُشَدّد، النَبّوة هو المكان العالي، وطبعاً يأتي معنى النبوة بمعنى العلم، النَبْوة العلو أو المكان العالي وكذلك النبا يأتي بمعنى العلم، النبوة هو المكان العالي ولا يكون المكان عالياً من دون علم لأن العلو إنما هو في العلم وفي حقيقة العلم، النبوة، ما المراد من النبوة؟ النبوة في روايات أهل البيت معنىً واسع، أوسع من قضيةِ تبليغ رسالةٍ، أو تبليغ أحكامٍ شرعية، بالنسبة لنبينا صلى الله عليه وآله، هناك المقام الأعظم للنبوة والمقام الأعظم للنبوة هو مقامُ الخلافة الإلهية المُطلقة، الله سبحانه وتعالى كان ولم يكن معه شيء ثم تكلم بكلمه هذه الكلمة أنه سبحانه وتعالى جعلها أساس الوجود، والروايات في هذا الكلام طويلةٌ وسنأتي على ذكر بعضها بحسب ما يسنحُ بها المقام، هذه الكلمة هي عنوان الخلافة الإلهية المُطلقة، لأن الله سبحانه وتعالى أستخلف هذه الكلمة على الوجود، وهذه الكلمة في حقيقتها هي الحقيقةُ المحَمَّدية، هي النور المحَمَّدي الأول هكذا تحدثت رواياتُ أهل البيت.

إذاً الخلافةُ الإلهية المطلقة إنما هي في الحقيقةِ المُحَمَّدية وأعلى مراتب وأعلى تجليات هذه الخلافة هي درجةُ النبوة، النبوة المُطلقة، ليس النبوة المحصورة في العالم الأرضي، النبوة في العالم الأرضي وإن كانت بهذه

المرتبة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ رحمة للعالمين لكل العوالم، هذه رحمة مطلقة لأنها تنشأ من الخلافة الإلهية المُطلقة، هناك الخلافةُ الإلهية أو قل بعبارةٍ أخرى الولاية الإلهية المُطلقة، أعلى مراتب هذه الولاية هي النبوة الختمية، هي النبوة الفاتحة الخاتمة، وحين أتحدث عن النبوة هنا بالمعنى المطلق لا بالمعنى الأرضي، كما قلت النبوة هو العلو، النبوة في المعنى الأرضي تتناسب مع العالم الأرضي، أما الحقيقة المُحَمَّدية فهي الحقيقة التي لها مقام الخلافة المُطلقة، مقام الولاية المُطلقة، مقام النبوة المُطلقة، وهذا معنى أوسع من أن يبحث في ضمن أُطر علم الكلام وفي ضمن أُطر أن النبي يوحى إليه عن طريق المنام أو أن يكلمه الملك ولا يرى الملك وأمثال هذه المعاني، الكلام هنا عن شيءٍ وسيعٍ وعميق جداً، لذلك سأتناول بعضاً من الأحاديث أو من الروايات التي تتناول هذا المعنى.

هذه رواية، وهذه الروايةُ رواها شيخنا الكليني في الكافي، وهذا هو الجزء الخامس عشر من بحار الأنوار، الشيخ المجلسي ينقل الرواية عن الكافي الشريف، الروايةُ: **عن مُحَمَّد بن سنان قال: كنتُ عند أبي جعفرٍ الثاني** – يعني جواد الأئمة صلوات الله عليه – **كنت عند أبي جعفرٍ الثاني عليه السلام فأجريتُ اختلاف الشيعة** – ذكرتُ أن هناك اختلافاً بين الشيعةِ في بعض المطالب في بعض الأمور، وقطعاً من أهم أسباب هذا الاختلاف هو عامل التقية وعدم استطاعتهم أن يتواصلوا مع الأئمة بسبب خوفهم من الظالمين – **كنت عند أبي جعفرٍ الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة فقال: يا مُحَمَّد** – يخاطب مُحَمَّد بن سنان – **يا مُحَمَّد إن الله تبارك وتعالى لم يزل مُتَفرداً بوحدانيته** – كان ولم يكن معه شيء – **ثم خلق مُحَمَّداً وعلياً وفاطمة** – طبعاً هذه الروايات قد يتراءى أنها تختلف، في بعض الروايات تذكر الأسماء بتمامها، في بعض الروايات تذكر اسم النبي فقط، في بعض الروايات تذكر هذه الأسماء الثلاثة، هذه الروايات كل واحدة ناظرة إلى جانب أو إلى جهة أو إلى حيثية، وكما يقول الحكماء لولا الحيثيات لبطلت الحكمة – **ثُم خلق مُحَمَّداً وعليّاً وفاطمة فمكثوا ألف دهر** – والأرقام والتقسيمات الزمانية والتقسيمات الوقتية في مثل هذه الروايات لا علاقة لها بالزمان الدنيوي، هذا الكلام قبل خلق الخلق، قبل أن توجد الأفلاك والنجوم والشموس والأرض وقبل كل شيء، فلا يوجد هناك زمان كهذا الزمان الذي نحنُ نعيشُ فيه – **إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته ثم خلق مُحَمَّداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورها إليهم** – هذه هي النبوة، هذه النبوة بالمعنى المطلق، هذه هي الخلافة الإلهية المُطلقة، هذه هي الولاية الكلية للنبي وآله، ليس الحديث عن أن الإمام صلوات الله عليه سلبه فلان وفلان ممن لا قيمة لهم خلافةً أو منصباً أو حكومةً على الناس.

خلافة النبي وأهل بيته خلافه إلهية أوسع من كل المعاني التي يتحدث عنها علماء الكلام مثلاً – **يا مُحَمَّد إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته ثم خلق مُحَمَّداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء** – خلق جميع الأشياء يعني بعد ذلك خلق الزمان وخلقت الأفلاك، فألف دهر هذه المذكورة لا علاقة لها بالزمان الدنيوي – **ثم خلق مُحَمَّداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها** – أشهدهم كان لهم الإشراف – **وأجرى طاعتهم عليها** – أجرى طاعتهم على جميع الخلق – **وفوض أمورها إليهم** – هذه الرواية في الكافي الشريف – **فهم يحلون ما يشاءون ويحرمون ما يشاءون** – وهذا التحليل والتحريم ليس في الدائرة الشرعية، هذا التحليل والتحريم الجانب الشرعي جزءٌ منه، هذا التحليل والتحريم في الجانب التكويني والجانب التشريعي يتفرع بعد ذلك على الجانب التكويني، الرواية تتحدث عن البعد التكويني في الوجود: أشهدهم خلقها، أجرى طاعتهم عليها، على كل الأشياء لا يوجد هناك تحليل وتحريم للجمادات، الحديث هنا عن تكوين – **فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورها** – أمورها التكوينية – **وفوض أمورها إليهم فهم يحلون ما يشاءون ويحرمون ما يشاءون ولن يشاءوا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى** – مشيئتهم مشيئة الله – **ثم قال: يا مُحَمَّد** – الخطاب مع مُحَمَّد بن سنان – **هذه الديانةُ** – هذه العقيدة، الديانة العقيدة – **هذه الديانةُ التي من تقدمها مرق** – خرج من الدين من تقدم على هذه العقيدة يعني من لم يقبل بهذه العقيدة – **من تقدمها مرق** – مرق كمروق السهم حينما يخرج السهم من القوس يقال للسهم مرق، فلذلك هذا التعبير يرد في الروايات.

هنا تعبير مجازي كأن الذي يخرج من هذه الديانة كيف يخرج؟ يعني قلبه وعقلهُ لا يقبلان هذه العقيدة فإنما هو مارقٌ مرق، مرق من العقيدةِ ومن الدين – **يا مُحَمَّد هذه الديانةُ التي من تقدمها مرق ومن تخلف عنها مُحِق** – مُحِق يعني بطُل لا وجود لهُ – **ومن لزمها لحق** – الذي يلزم هذه الديانة لحق – **خذها إليك يا مُحَمَّد** – يا مُحَمَّد يا ابن سنان، خُذها إليك واضحةً صريحةً جليةً وكل الصيد في جوف الفرى، كل العقيدةِ أجملها الإمام في هذه الرواية، الرواية جميله جداً وعميقة في معناها ومختصره، الرواية مختصرة ومروية في الكافي الشريف عن إمامنا الجواد صلوات الله وسلامهُ عليه، أعيد قراءة الرواية، أنا أُعيد وأكرر هذه الروايات لأجل أن تتركز معانيها – **يا مُحَمَّد إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته ثم خلق مُحَمَّداً وعليّاً وفاطمة فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها** – الطاعة التكوينية – **وفَوَّضَ أمورها إليهم فهم يُحِلون ما يشاءون** – تكويناً قبل التشريع – **ويحَرِّمون ما يشاءون** – تكويناً قبل التشريع – **ولن يشاءوا** – المشيئة التكوينية – **إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى، ثم قال: يا مُحَمَّد هذه الديانة** – هذه العقيدة – **التي من تقدمها مرق ومن تخلف عنها محِق ومن لزمها لحق**

**خذها إليك يا مُحَمَّد** – هذه منزلةُ النبوة المُطلقة، الولاية المُطلقة، الولاية الكلية، الحديث في هذه الرواية عن الولاية الكلية، أعلى مرتبة في الولاية الكلية، أعلى مرتبة هي مرتبة النبوة، إذاً حينما نخاطب المعصومين – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – السلامُ عليكم يا أهل الولاية، بيت النبوة هو بيت الولاية، بيت النبوة هو مركز الولاية، بيت النبوة يعني الخلافة الكلية، أعلى مرتبة في الخلافة الكلية هي مرتبة النبوة، النبوة الفاتحة الخاتِمة، الصادرُ الأول مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم، مُحَمَّد في وجوده الأول في وجوده الأعلى الذي من نوره أشتقت الأنوار.

رواية ثانية تتناول هذا الموضوع من جهة أخرى بنحوٍ فيه ملاحظة إلى حيثية ثانية، وإلا المضمون واحد، المضمون في النهاية واحد، وهذا التَكَثُّر وهذا التفصيل إنما هو لمراعاة الفهم الإنساني كما يقول إمامنا الصادق صلوات الله وسلامُ عليه كان العلم نقطةً واحده فكثرها الجاهلون، العلم في أصلهِ حقيقة واحده ولكن جهلُ الإنسان يدفعُ الإنسان إلى صناعة المفاهيم الاعتبارية، وهذا بحث خارج عن موطن حديثنا الآن، لكن في الفلسفة هناك هذا الموضوع واضح ومعروف موضوع المفاهيم الاعتبارية التي يصنعها الإنسان بالقدرة العقلية المودعة فيه، مفاهيم اعتباريه لأجل أن يسهل عليه التعلم ولأجل أن يسهل عليه التفكير ولأجل أن يسهل عليه إدراكُ المعاني المحيطة به، وإلا المفاهيم العقلية لا حقيقة لها في الواقع الخارجي وإنما هي في طبقة وفي أفق الاعتبار لذلك تسمى مفاهيم اعتبارية لا أريد الخوض في هذه القضية.

أشير إلى رواية ثانية أقرأ على مسامعكم نصاً آخر عن النبي وأهل بيته تتناول جهة أخرى ولكن كل الحديث عن الولاية الكلية وعن أعلى رتبه فيها وهي رتبة النبوة الكلية، الرواية الثانية ينقلها شيخنا المجلسي عن كنز الفوائد للمحدث الجليل الكراجكي رحمة الله عليه، الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله، ماذا يقول خاتمُ الأنبياء؟ – **إن الله خلقني وخلق عليّاً وفاطمةَ والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم عليه السلام** – هذه الرواية ذكرت الأسماء الخمسة، أنا قلتُ قبل قليل ليس هذا اختلافاً في الروايات وإنما كل رواية ناظرة إلى جهة من الجهات، يعني كل رواية تبيّن جانباً من الحقيقة – **إن الله خلقني وخلق عليّاً وفاطمةَ والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم عليه السلام** – متى؟ – **حين لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا ظلمة ولا نور ولا شمس ولا قمر ولا جنة ولا نار** – قبل كل الخلق، نفس المضمون السابق خلقهم ثم خلق الأشياء بعد ذلك – **إن الله خلقني وخلق عليّاً وفاطمةَ والحسن والحسين قبل أن يخلق أدم عليه السلام حين لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا ظلمة ولا نور ولا شمس ولا قمر ولا جنة ولا نار** – هذه المرتبة، هذا الأفق هو أفق الولاية الكلية، وأعلى رتبة في الولاية الكلية النبوة الكلية، هذا الأفق خارج عن أفق الأرض، خارج عن أفق السماء، خارج عن أفق العالم الطبيعي، خارج عن أفق العوالم السفلية

والعلوية، هذه هي الشجرة الزيتونة التي هيَ لا شرقية ولا غربية، هذه هي الشجرة الزيتونة التي هي أصلُ كلِ شيءٍ ومن زيتها كان الوجود ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ من زيت هذا الشجرة اشتعلت شمعة الوجود.

هذا الأفق هو الأفق اللا شرقي ولا غربي، حيث لا سماء، لا أرض، لا ظلمة، لا نور، لا شمس، لا قمر، وهنا حينما تُذْكَر الأرض وتُذْكَرُ الشمس والقمر باعتبار هذه الأشياء الإنسان غالباً يباشرها بحواسه وهو يعيش على الأرض، وبطبيعة الإنسان مشدودٌ إلى الحسيات، يستأنس بالمحسوسات، لذلك تُذكر هذه الأشياء وإلا هو حينما تقول الرواية لا سماء مبنية ينتهي الأمر لأن الأرض والشمس والقمر وسائر الأشياء إنما هي تحت إطار السماء، إنما هي في جو السماء، حينما أقول في جو السماء لا بمعنى الجو وإنما مقصودي أن هذه الأفلاك إنما هي واقعة تحت دائرة السماء الدائرة الأوسع لا بالمعنى الفلكي وإنما بالمعنى الوجودي – **فكانوا حين لا شيء فقال العباسُ:** – العباس عم النبي يسمع – **فكيف كان بدء خلقكم يا رسول الله؟** – كيف كانت البداية؟ – **فقال: يا عم لَمَّا أراد الله أن يخلقنا تكلم بكلمة** – هذه الكلمة التي أشرت إليها في البداية – **تكلم بكلمة خلق منها نوراً** – هذي الكلمة الأولى، الحقيقة الأولى، ولها مجالي، من مجالي هذه الكلمة النور الأول، وإلا الكلمة الأولى هي الحقيقة المُحَمَّدية في التجلي الأول لها، ولهذه الكلمة تجليات – **يا عم لما أراد الله أن يخلقنا تكلم بكلمة خلق منها نوراً ثم تكلم بكلمةٍ أخرى فخلق منها روحاً ثم مزج النور بالروح فخلقني وخلق عليَّاً وفاطمةَ والحسنَ والحسين فكنا نسبحه حين لا تسبيح ونقدسه حين لا تقديس** – طبعاً لا النور الحديث هنا عن النور كنور الأشياءِ من حولنا، ولا الروح هنا كروح الأشياءِ من حولنا، هذا هو الروح الأعلى الذي من تجلياته الروح النازل في ليلة القدر.

الروح النازل في ليلة القدر هو الذي جاء في الكتاب الكريم ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ الروح الذي هو من أمر ربي النازل في ليلة القدر هذا من تجليات ومن التجليات البعيدة عن الروح الأول الروح الأكبر الذي إليه الإشارة في هذه الرواية – **ثم تكلم بكلمةٍ أخرى فخلق منها روحاً** – فلا النور المذكور هنا هو النور الذي نعرفه ولا الروح الروح الذي نعرفه في اللغةِ أو في هذه العلوم التي نتحدثُ بها ونتكلم عنها وفيها وحولها، هذا كلامٌ خارج هذا الأفق الذي نحن فيه، هذه رموز وإشارات لا يعرفها إلا الله وهُم، وإلى هذه المنازل إلى هذه المقامات إشاراته – **يا علي لا يعرفك إلا الله وأنا، يا علي لا يعرفني إلا الله وأنت، يا علي لا يعرف الله إلا أنا وأنت** – إلى هذه المنازل وإلى هذه المقامات إشارات خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، نحن نحول من بعيد لعلَّنا نشمُّ عطراً من بعيد، إذا كان هناك مثلاً قصر من قصور الملوك وفيه احتفال كبير ولا يستطيع كل الناس أن يدخلوا فحينما تهب العطور من بعيد الناس تشمها،

تشمُّ روائح الطعام، تشمُّ روائح الفرح والأعراس من بعيد، نحن نشمُّ عطراً وهذا أيضاً لا يكونُ إلا بتوفيقٍ من إمامِ زماننا صلوات الله وسلامه عليه، الوصول إلى مثل هذه المعاني تحتاج رعاية من إمام زمان كل زمان، إمامُ كُلِّ شيعةٍ في كلِ عصر بتوفيقهِ يصلون إلى هذه المعارف، وإلا هذه المعاني وهذه المعارف تحتاجُ إلى توفيق، تحتاجُ إلى قلوب تتقبلها وتهش إليها مُفعمة بعطرِ مُحَمَّدٍ وآل محَمَّد، مشرقة بنور مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد.

إمامنا الباقر كما في رواية الكافي الشريف وهو يخاطب أبا خالدٍ الكابلي: **والله يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنورُ** – أضوءُ – **من هذه الشمس المضيئة وسط النهار** – أنورُ منها، هذه القلوب هي التي تستطيع أن تقترب نوعاً ما، شيئاً ما، كي تشمَّ عطراً ومن بعيد فهذه أسرارٌ في أسرار، هم قالوا: إن أمرنا سرٌ مستسر وسرٌ مقنعٌ بالسر وسرٌ لا يفيدُ إلا سر. هم هكذا قالوا، ولا عجب، ففي بعض كلماتهم الشريفة ويأتينا الحديث عنها: إن أمرنا إن حديثنا صَعبٌ مستصعب لا يحتمله لا نبيٌّ مرسل، قلتُ بأن الحديث الذي يذكره الكلاميون عن منازل الأنبياء لا علاقة له بهذا المعنى من النبوة، الحديث هنا يشير إلى هذه الحقيقة: إن أمرنا صعبٌ مستصعب لا يحتملهُ لا نبيٌّ مرسل ولا ملكٌ مقرب، من يحتمله يا بن رسول الله؟ قال: من شئنا. وهذا هو التوفيق الذي أشرت إليه، وهذا المطلب نأتي على بيانه إن شاء الله تعالى في قادم الأيام ونحن نشرح عبائر هذه الزيارة الشريفة.

استمر في قراءة الرواية – **ثم تكلم بكلمةٍ أخرى فخلق منها روحاً ثم مزج النور بالروح فخلقني وخلق عليَّاً وفاطمة والحسن والحسين فكنا نسبحه حين لا تسبيح** – لا تسبيح لا وجود لأنه ما من موجودٍ إلا وهو يسبح، خُلقوا قبل الوجود، قبل التسبيح وهم عَلموا الكائنات التسبيح هكذا في الروايات – **فكنا نسبحه حين لا تسبيح ونقدسه حين لا تقديس** – ما المراد من هذا التسبيح؟ ما المراد من هذا التقديس؟ شيءٌ لا أعلمه أنا ولا يعلمه غيري، ومن يتصور أنه يعرف هذه المعاني فهو جاهلٌ مئة في المئة، لأن هذه المعاني لا تستطيع العقول أن تصل إليها، ما عندنا من إمكانات للإدراك إمكانات محدودة، وإنما نحن نطوف علّنا نشمُّ عطراً من بعيد – **فكنا نسبحه حين لا تسبيح ونقدسه حين لا تقديس فلمّا أراد الله تعالى أن ينشيء خلقه فتق نوري** – النبي يقول: – **لمَّا أراد الله أن ينشيء خلقه فتق نوري** – كيف هو هذا الفتق؟ شيءٌ لا ندرك معناه – **فتق نوري فخلق منه العرش، فالعرش من نوري، ونوري من نور الله ونوري أفضل من العرش** – والعرش هو أوسع مخلوقٍ في عالم الخلق، أوسع مخلوقٍ في عالم الخلق بعد الكلمة الأولى لذلك اشتُقَ من أعلى رتبة من رتب الخلافة الإلهية الكلية المطلقة، اشتُق العرش من نورِ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله – **فلمَّا أراد الله تعالى أن ينشيء خلقه فتق نوري فخلق منه العرش فالعرش من نوري ونوري من نور الله ونوري أفضل من العرش، ثم فتق نور أخي علي فخلق منه الملائكة**

**فالملائكةُ من نور علي ونور عليٍّ من نور الله وعليٌّ أفضلُ من الملائكة، ثم فتق نور ابنتي** – فاطمة – **ثم فتق نور ابنتي فخلق منه السماوات والأرض فالسماوات والأرض من نور ابنتي فاطمة ونور ابنتي فاطمة من نور الله وابنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض، ثم فتق نور ولدي الحسن فخلق منه الشمس والقمر فالشمس والقمر من نور ولدي الحسن ونور الحسن من نور الله والحسن أفضل من الشمس والقمر، ثم فتق نور ولدي الحسين فخلق منه الجنة والحور العين فالجنة والحور العين من نور ولدي الحسين ونور ولدي الحسين من نور الله وولدي الحسين أفضل من الجنة والحور العين** –

طبعاً الرواية هنا ليس في مقام التفصيل وإنما الرواية في مقام الإجمال وتحدثت عن نماذج مما فُتِق من أنوارهم، الوجود بقضه وقضيضه كما هو مبيّنٌ في روايات كثيرة في أحاديث كثيرة عن النبي وعن الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين كلُ شيءٍ إنما هو مشتقٌ من أنوارهم.

الرواية هنا تتحدث عن نماذج مما فُتِقَ من أنوارهم ومما أشتُقَ من أنوارهم الشريفة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهم في تلكم المرتبة أيضاً لا يُصلى عليهم، هذه الصلوات نحن نذكرها تأدباً لأنها من آدابنا في هذا العالم الأرضي معهم صلوات الله عليهم، هم في تلكم المرتبة مرتبة منزهة حتى عن هذه المعاني عن معاني هذه القيود، وهذا مطلب عميق جداً أنا لا أريد الحديث عنه الآن ربما أتناوله في القادم من حلقات هذا البرنامج، مطالب كثيرة والموضوعات عميقة جداً ولا أستطيع أن أتناولها جميعاً إلا أنني أشير إلى بعضٍ منها إلى أطرافٍ منها لعل الصورة تكتمل، إذاً المراد من النبوة، النبوة بهذا المعنى حين نسلم على أئمتنا – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – هذا هو بيتهم وهذه هي نبوتهم التي ينتمون إليها، نبوة جدهم، هذه هي ولايتهم، هذه هي خلافتهم الإلهية، من هنا تتضح لنا ولو بشكلٍ إجمالي المعاني التي وردت في الزيارة الجامعة الكبيرة، السائل طلب من الإمام قولاً بليغاً كاملاً، القول البليغ الكامل لا يتناول جانباً من الجوانب لابد أن يتناول جميع الجوانب ولو بنحوٍ إجمالي وأنا هنا أبين المعاني بنحوٍ إجمالي، إذا أردتُ أن أبسط القول في كل هذه التفاصيل فإذاً سنقف عند النبوة ولا نستطيع أن نستمر في شرحِ عبارات الزيارة الجامعة الكبيرة وستبقى الحلقات متواصلة في بيان معنى النبوة لكثرة النصوص الواردة عن النبي والأئمة في بيان هذه المراتب وبيان هذه الحقائق.

فقط أُشير إلى رواية أخرى، الرواية عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، الرواية تتحدث في جهةٍ أخرى في تجَلٍ أخر من تجليات النبوة، نحن هنا نريد أن نفهم ما المراد من قولنا: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ؟** النبوة هي العلو الأعلى والعلو الأعلى هو في المرتبة وفي ذلك الأفق الذي كان قبل هذا الخلق وقبل هذا الوجود، الرواية عن إمامنا الصادق عن آبائه وأجداده الطاهرين عن سيد الأوصياء ماذا يقول سيد

الأوصياء؟

**إن الله تبارك وتعالى خَلَق نور مُحَمَّد صلى الله عليه وآله قبل أن خلق السماوات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار وقبل أن خلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداوود وسليمان عليهم السلام وكل من قال الله عز وجل في قوله:** ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ – إلى قوله – وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ – يعني جميع الأنبياء – **وقبل أن خلق الأنبياء كلهم بأربع مئة ألف سنة وأربعة وعشرين ألف سنة** – هذه الأرقام لا علاقة لها بالزمان الدنيوي، هذه مراتب في عالم الفعلية والانفعال، هذه في عالم الفعلية والانفعال من مراتب الوجود، هذه مراتب تتحدث عن التجليات، مراتب التجليات، وسيأتينا الكلام عن التجليات في هذا الخلق والتجليات في الخلق الأول لأجل أن تتضح الصورة وأن يكون الكلام متسلسلاً فلنجعل للخلق مرتبتين الخلق الأول هم الأنوار القادسة الأولى، والخلق الثاني كُلُّ الموجودات التي اشتُقت أنوارها من الأنوار القادسة الأولى.

فحين استعمل هذا الاصطلاح مرادي من الخلق الأول هم قبل الخلق، ومرادي من الخلق الثاني الوجود الذي اشتُق من أنوارهم الشريفة صلوات الله وسلامه عليهم، أعود إلى الرواية، الإمام هنا فَصّل لجهات أخرى، أنا قلت الروايات روايات المعارف كل رواية تتناول جهة من الجهات، لا يوجد تعارض بين هذه الروايات لذلك هناك عناوين تُذْكَر بنحو الإجمال في رواية، وفي رواية ثانية بنحو التفصيل، مَثَل هذه الرواية فيها شيء من التفصيل – **إن الله تبارك وتعالى خلق نور مُحَمَّد صلى الله عليه وآله قبل أن يخلق السماوات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار وقبل أن يخلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداوود وسليمان عليهم السلام وكل من قال الله عز وجل في قوله:** ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ – إلى قوله – وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ **وقبل أن يخلق الأنبياء كلهم بأربع مئة ألف سنة وأربعة وعشرين ألف سنة وخلق عز وجل معه** – مع مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، مع نوره الأعلى – **وخلق عزَّ وجل معه اثني عشر حجاباً** – هذه الحُجب التي تقدم الكلام عنها بعض الشيء في الحديث عن الحُجُب في معنى التكبير – **وخلق عزَّ وجل معه اثني عشر حجاباً: حجاب القدرة وحجاب العظمة وحجاب المِنّة وحجاب الرحمة وحجاب السعادة وحِجاب الكرامة وحِجاب المنزلة وحِجاب الهداية وحجاب النبوة وحجاب الرفعة وحجاب الهيبة وحجاب الشفاعة ثم حبس نور مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله في حجاب القدرة اثني عشر ألف سنة وهو يقول سبحان ربي الأعلى** – القول هنا ليس القول اللفظي والدلالات ليس هذه الدلالات اللغوية التي نعرفها، هذه كلها

إشارات إلى حقائق أعظم مما نتصور – **ثُم حبسَ نور مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله في حجاب القدرة اثني عشر ألف سنة وهو يقول سبحان ربي الأعلى وفي حجاب العظمة إحدى عشر ألف سنة وهو يقول سبحان عالم السر وفي حجاب المنة عشرة ألاف سنة وهو يقول سبحان من هو قائمٌ لا يلهو وفي حجاب الرحمة تسعة ألاف سنة وهو يقول سبحان الرفيع الأعلى وفي حجاب السعادة ثمانية ألاف سنة وهو يقول سبحان من هو دائمٌ لا يسهو وفي حجاب الكرامة سبعة ألاف سنة وهو يقول سبحان من هو غنيٌ لا يفتقر وفي حجاب المنزلة ستة ألاف سنة وهو يقول سبحان العليم الكريم وفي حجاب الهداية خمسة ألاف سنة وهو يقول سبحان ذي العرش العظيم وفي حجاب النبوة أربعة ألاف سنة وهو يقول سبحان رب العزة عما يصفون وفي حجاب الرفعة ثلاثة ألاف سنة وهو يقول سبحان ذي المُلك والملكوت وفي حجاب الهيبة ألفي سنة وهو يقول سبحان الله وبحمده وفي حجاب الشفاعة ألف سنة وهو يقول سبحان ربي العظيم وبحمده** – هذه الحُجُب التي مرَّ فيها صلى الله عليه وآله وسلم وهذه الحُجُب إنما هي التجليات الربانية، التجليات الأحدية في هذه الذات المقدسة، هذه التجليات الأحدية، هذه التجليات الواحدية في هذه الذات المقدسة، هذه تجليات الأسماء في هذه الحقيقة النورية الأولى.

وهذه الآلاف المؤلفة من السنين هذه مراتب التجليات وهذه معاني لا ندركها وإنما نطوف حولها من بعيد تُشعرنا بأن هناك حقائق عُظمى وأعظم من العُظمى وأعظم من أعظم من العُظمى نحن لا نستطيع أن نتصورها، إنما ندرك شيئاً بالجملةِ من الألفاظ والكلمات – **وفي حجاب الشفاعة ألف سنة وهو يقول سبحان ربي العظيم وبحمده ثم أظهر اسمه على اللوح فكان على اللوح مُنوَّراً أربعة ألاف سنة ثم أظهرهُ على العرش فكان على ساق العرش مُثبتاً سبعة ألاف سنة إلى أن وضعهُ الله عزَّ وجل في صُلب آدم** – الرواية هنا تتحدث عن التجليات النزولية للحقيقة المحَمَّدية في جانب منها، وهنا الرواية لم تذكر كل التجليات النزولية، هذه مجرد أمثلة ونماذج كما مرَّ في الروايات السابقة.

هذه روايات المعارف تتحدث عن جانب من الحقيقة، عن شيء يقرب لنا المعاني بعض الشيء، وقد يبعدهُ في بعض الأحيان لكثافة أذهاننا، هذه الأذهان الكثيفة التي لا تتمكن أن تُدرك المعاني الشفافة، المعاني النورية في تلكم العوالم، هناك كثافة في هذه العقول، هذه العقول حبيسة في هذا العالم الأرضي، هذا العالم الذي تحيط به الحُجُب والغواسق الظلمانية، وهذه العقول حبيسة في هذا العالم أنى لها أن تدرك هذه الحقائق، ولكن كما يقول سيد الأوصياء: **ما لا يُدرك كُلُهُ لا يُترك كله.**

**ثم أظهر اسمهُ على اللوح فكان على اللوح مُنوَّراً أربعة ألاف سنة ثم أظهرهُ على العرش فكان على**

**ساق العرش مثبتاً سبعة ألاف سنة إلى أن وضعهُ الله عزَّ وجل في صلب آدم ثم نقله من صلب آدم عليه السلام إلى صُلب نوحٍ عليه السلام ثم من صُلبٍ إلى صُلب** – والصلب هو الظهر – **حتى أخرجهُ الله عزَّ وجل من صُلب عبد الله بن عبد المطلب فأكرمه بست كرامات** – هناك كرامات ست أُكْرِمَ بها النبي صلى الله عليه وآله – **فأكرمهُ بست كرامات، ألبسهُ قميص الرضا** – هذا الحديث ليس في جانب مادي، الحديث عن الحقيقة النبوية المتجلية في العالم الأرضي، بدأ الكلام عن النبوة في أصلها، في المرتبة العليا، ثم تنزلت هذه النبوة في تجليات إلى أن تجلت في النبوة الأرضية – **فأكرمه بست كرامات ألبسهُ قميص الرضا ورداهُ برداء الهيبة وتوجه بتاج الهداية وألبسه سراويل المعرفة وجعل تكتهُ تكة المحبة** – التكة الحزام الذي تُشد به السراويل – **وجعل تكتهُ تكة المحبة يشد بها سراويله وجعل نعلهُ نعل الخوف وناوله عصا المنزلة ثم قال: يا مُحَمَّد اذهب للناس فقل لهم قولوا لا آله إلا الله مُحَمَّدٌ رسول الله** – أكرمهُ بست كرامات ماذا نفهم من هذه العبارات؟

يمكنني أن أشرح العبارات شرحاً لغوياً ويمكنني أن أتخيل وأتصور لهذه العبارات معانٍ وقد استنبط البعض منها من الروايات لكنها ليست هي الحقائق، هذه حقائق ذكرت بنحوٍ مجمل الغرض منها أن نستشعر الأسرار العظيمة التي هي في دائرة النبوة في كل مراتبها، النبوة في الدائرة العالية قبل الخلق، والنبوة في الدائرة الأرضية – **ألبسهُ قميص الرضا ورداهُ برداء الهيبة وتوجه بتاج الهداية وألبسه سراويل المعرفة وجعل تكتهُ تكة المحبة يشد بها سراويله وجعل نعلهُ نعل الخوف وناوله عصا المنزلة ثم قال: يا مُحَمَّد اذهب إلى الناس فقل لهم: قولوا لا آله إلا الله مُحَمَّدٌ رسول الله وكان أصل ذلك القميص من ستة أشياء** – القميص ألبسهُ قميص الرضا، قميص الرضا هذا القميص باعتبار المُغطي للسراويل وهو اللباس الأوسع والأكبر – **وكان أصل ذلك القميص من ستة أشياء قامتهُ من الياقوت** – قامتهُ يعني القماش الأكثر الذي صُنِعَ منه القميص، يعني مثلاً حينما يلبس الإنسان ثوباً الجانب الأمامي والجانب الخلفي هو هذا يقال له قامة الثوب قامة القميص والقميص ثوب – **قامتهُ من الياقوت وكُمّاهُ من اللؤلؤ** – الكم هي الردن كُمّاهُ هذا كُم – **وكُمّاهُ من اللؤلؤ ودخريصهُ من البلور الأصفر** – الدخريص دخريص القميص هو الإضافات الجانبية التي تُضاف على القماش القصات لأجل توسعة القميص، هذه الكلمة ليست عربية كلمة أعجمية وعُرِّبت بعض الشيء، فالمراد من الدخريص، الدُخريص هو القماش القصات الجانبية التي تُضاف لتوسعة القميص، وهنا الرواية تريد أن تذكر كل التفاصيل، يعني أن هذه الحقيقة النبوية في كل تفاصيلها في كل أجزاءها لها خصوصيات غير موجودة في هذا الخلق – **ودخريصهُ من البلور الأصفر وإبطاهُ من الزبرجد** – يعني جانب الإبطين من القميص – **وإبطاهُ من الزبرجد وجُرّبانهُ من المرجان**

**الأحمر** – الجربان هو القماش الذي يبطن به فتحة القميص أو يحاط به فتحة القميص، الجربان هو هذا القماش الذي يوضع على جوانب فتحة القميص وهي كلمة غير عربية كلمة فارسية، في الأصل هذه الكلمة هي كلمة في اللغة الفارسية القديمة كلمة گريبان – **وجربانهُ من المرجان الأحمر وجيبهُ من نور الرب جل جلالهُ** – الجيب يعني فتحة القميص، الجرّبان هو البطانة أو الزينة، القماش الذي يُضاف على الفتحة، الجيب هو فتحة القميص – **وجيبهُ من نور الرب جل جلالهُ** – هذا الحديث هنا ليس عن ثوبٍ أو عن قميص، الحديث هنا عن ذات النبي، هذه الأوصاف أوصاف على نحو الكناية عن ذات النبي، أن حقيقة النبي بكل تفاصيلها بكل مراتبها هي هذه الأوصاف الموجودة فيها، وأنا أتناولها هذه الرواية إن شاء الله في مقامٍ آخر بالشرح لأنني إذا دخلت الآن في شرحها أحتاج إلى وقت طويل، أتناولها إن شاء الله تعالى بالشرح.

لكن بالجملة هذه الرواية تريد أن تبين لنا أن الحقيقة النبوية في العالم الأرضي حقيقةٌ سر لا تُدرك وأبعادها أبعادٌ إلهية ربانية، لذلك وجيبهُ جيبُ هذا القميص، وجيبهُ الجيب هو الفتحة التي يلبس منها القميص، الفتحة التي يظهر منها الإنسان، رأس الإنسان وجه الإنسان من خلال الجيب، يعني أن الحقيقة المشرقة من حقيقة النبي من أين تأتي؟ وجيبهُ من نور الرب، أن ما يصدر من حقيقة النبي هو مشرقٌ من نور الرب – **وجيبهُ من نور الرب جل جلاله** – ثم يستمر الأمير يقول – **فَقَبِل الله عزَّ وجل توبة آدم عليه السلام بذلك القميص** – بذلك القميص حين توسل بتلكم الحقيقة التي عرفها آدم – **وردَّ خاتم سليمان عليه السلام به** – بذلك القميص يعني بتلكم العقيدة، القميص هنا ليس قميص من قماش – **وردَّ يوسف عليه السلام إلى يعقوب عليه السلام به** – بذلك القميص – **ونجى يونس عليه السلام من بطن الحوت به وكذلك سائر الأنبياء عليهم السلام أنجاهم من المحن به** – بذلك القميص بالحقيقة المُحَمَّدية العلوية – **ولم يكن ذلك القميص إلا قميصُ مُحَمَّد** – قميص مُحَمَّد المراد من القميص هنا الولاية النبوة، المراد منها مرتبة محَمَّد صلى الله عليه وآله – **ولم يكن ذلك القميص إلا قميصُ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم** – الرواية عميقة في محتواها والرواية مشحونة بالإشارات وبالرموز وأنا قلت، قلت في كلامي بأن حديث أهل البيت عليهم السلام كالقرآن، حديث أهل البيت أيضاً على أربعة أفاق على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، كما قال إمامنا الصادق وهو يتحدث عن القرآن فقال العبارة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء، وهذا حديثنا كلهُ هو في عالم العبارة، إننا لم نخرج إلى عالم الإشارة لأن الإشارة بالنسبة إلينا أيضاً بعيدة المنال، نحن يمكن أن نتمسك بشراشر عالم الإشارة، وأنا بينت معنى الشراشر، الشراشر هذي الخيوط التي تكون موجودة في آخر السجادة في آخر البساط ألا توجد هناك

خيوط، هذه الخيوط تُسمى شراشر، نحن نتمسك بأذيال عالم الإشارة، إذا أدركنا عميق المعاني بالنسبة لنا وإلا فعالم الإشارة بالنسبة لنا هو بعيد المنال أيضاً، نحن أبناء عالم العبارة وحديثنا كلهُ في طور عالم العبارة، نعم في هذه الروايات ثَمَّةُ إشارات لكننا لا نُدرك حقائقها، لو أردنا أن نتمسك بشيءٍ منها فإننا نتمسك بأطراف أذيالها، بأطراف شراشرها.

هذه هي النبوة التي تتحدث عنها الزيارة الجامعة بحسب ما نفهمه في أفق العبارة من الروايات، علماً أنني لو بقيت أقرأ على مسامعكم ما جاء من الروايات في بيان معنى النبوة فإننا نحتاج إلى حلقات كثيرة جداً، وهذا الكلام لا على سبيل المبالغة، واللهِ نحتاج إلى حلقات كثيرة جداً جداً جداً حتى نتناول هذه القضية، لِذا أنني سأكتفي بهذا وإن شاء الله في طوايا الحلقات الآتية وفي بيان مضامين ومعاني فقرات الزيارة الأخرى سأبين بقدر ما أتمكن وبقدر ما يسنح به الوقت من هذه المعاني، لكن ما هي الخلاصة التي نصل إليها بعد أن تلوت على مسامعكم هذه الروايات؟

هذه الروايات بالجملة هي تتحدث عن جانبٍ من معنى النبوة الكلية الخلافة الإلهية المطلقة قبل هذا الخلق، وإن كان هذي الرواية الثالثة تحدثت أيضاً عن بعضٍ من صفات وخصائص النبوة الأرضية، وهذه النبوة الأرضية أيضاً نحن لا ندرك معناها، هذه النبوة الأرضية لها تجليات في عالم صعودها في عالمها الأرضي وفي عالم صعودها لها تجليات لا نستطيع الإحاطة بها، لربما من أفضل النصوص التي يمكنني أن أوردها للحديث عن تجليات النبوة الأرضية والتي هي من مجالي النبوة الكلية، النبوة الكلية أوسع، النبوة الأرضية هي من تجليات النبوة الكلية المطلقة قبل الخلق، من صور قريبة وبعيدة في نفس الوقت نملكها ما جاء في الكتاب الكريم في سورة النجم المباركة وهي ترسم لنا صورةً عن نبينا صلى الله عليه وآله وهو يصعد في عالم صعودهِ ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى - إلى أن تقول الآيات - ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى *وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ هل يستطيع أحدٌ أن يشرح لنا هذه الآيات؟!

هذه الآيات لا تُشرح باللغة، يمكنني أن أشرحها باللغة، يمكنني أن أشرحها بقواعد البلاغة، يمكنني أن أشرحها وأشرحها بأكثر من طريقة، لكن هذه الآيات تتحدث عن معانٍ وعن منازل وعن مراتب خارجة عن هذه الأفاق خارجة عن أفاق اللغة خارجة عن أفاق البلاغة، هذه قضية أخرى ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾

ربما البعض لا يعرف معنى المِرَّة، المِرَّة هي الطبيعة ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ المِرَّة الطبيعة قد تكون الطبيعة المتوازنة ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ والآية تبين أن هذه المِرَّة مستوية متكاملة ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ ذو طبيعةٍ مستوية، ذو طبيعةٍ متكاملة ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ الأفق الأعلى الأفق الذي هو يخرج عن العوالم الشرقية والغربية ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ دنا فتدلى، التدلي له معاني، وهنا أنا لا أريد أن أتحدث عن تفسير هذه الآيات في وقتٍ آخر أتناول جانباً من معانيها التي أستطيع أن أبينها ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ إلى أن تقول الآية ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ أين؟ ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ سدرة المنتهى، جنة المأوى هذه ليست الجنان التي سيدخلها الناس بعد حساب يوم القيامة، هذه جنة أخرى، هذا عنوان معنىً آخر، جنة المأوى، المأوى الوطن وتحدثنا أن حب الوطن من الإيمان مرَّ الكلام في معنى هذا الحديث وهو من جملة معاني الزيارة، لكن هنا الحديث عن جنة المأوى جنة مأوى لمحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى، أي شيءٍ يغشى هذه السدرة؟

معانٍ لا نستطيع أن نتصورها، ما هي سدرة المنتهى؟ لماذا استعملت هذه العبارة؟ سدرة المنتهى، المنتهى واضح لا شيء وراءها، السدرة لماذا استعملت هنا؟ سدرة المنتهى، السدرة أُخِذت من معنى السَدر والسَدر تأتي بمعانٍ، السَدر في لغة العرب تأتي بمعنى الاختفاء، بمعنى التغطية، يقال أن المرأة سدرت شعرها يعني أي غطت بدنها بشعرها، يقال إن الرجل سدر نفسه بثوبه ستر نفسه بثوبه، ومن هنا يقال لهذا الغطاء الذي يلبس على الرأس يقال له السيدارة، السيدارة أُخِذت من هذا الأصل من السَدر، السَدر هو الستر التغطية، لذلك يقال القلنسوة التي ليست لها أطراف تسمى سيدارة، السيدارة في لغة العرب غطاء الرأس، وسَدَر الرجل بدنهُ بثوبهِ أي غطى بدنهُ بثوبهِ، السَدر إذاً معناه هو التغطية والسَدر في لغة العرب أيضاً تأتي بمعنى تحير البصر، يقال سدر بصرهُ تحيَّر بصرهُ، إذاً نحن في مرتبةٍ أيُّ مرتبة؟

مرتبة الخفاء والتحير، ولكن البصر ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ هذا البصر بصر مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، الحديث هنا عن معانٍ وعن حقائق وعن أوصاف لا يمكن أن تُتَصور ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى﴾ عند المقام الذي هو مقام خفاء الحقائق، لماذا تخفى الحقائق؟ لأن الأنوار تتجلى وإذا تجلت الأنوار طُمِست كل الحقائق، هذا النور الساطع حينما يتجلى حتى في النور الحسي حينما يكون النور شديداً جداً لا يستطيع

الإنسان أن يرى لأن النور حينئذٍ يحول، قوة النور تحول فيما بين الإنسان وبين الرؤية، كما أن الإنسان حينما ينظر إلى قرص الشمس لا يستطيع أن يدقق النظر إليها لا يستطيع أن يملأ عينيه من الشمس، حينما يكون النور الحسي شديداً تنتهي الرؤية، عند سدرة المنتهى يختفي كل شيء لذلك في الروايات النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما رأيت شيئاً من الخلق هناك وكأن الخلق ماتوا، عند سدرة المنتهى، لكن عند هذه السدرة، عند هذا النور الساطع حيثُ يتحير البصر هل تحير بصر مُحَمَّد؟! الآية تقول ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ ما انحرف البصر، لم ينحرف بصر مُحَمَّد، لله أنت يا مُحَمَّد، هل هناك منزلة كمنزلة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله؟ ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ هذه المنزلة ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ هنا حين تجلى النور، ماذا أقول؟ بأقصى ما يمكن! بأجلى ما يمكن! بأقوى ما يمكن! ما هي عبائري ومن أنا؟!!

تقف الكلمات تقف العبارات حينما سطع النور، لذلك في الروايات إن بين الله وبين الخلق سبعون ألف حجاب من نور وسبعون ألف حجاب من ظُلمة، لو رُفعت هذه الحجُب تنتهي الموجودات، لا يبقى لها وجود، سُبحات وجههِ تحرق هذه الموجودات إحراق يعني لا بمعنى الإحراق المادي، لأن هذه الموجودات ستفنى عشقاً ينتهي وجودها، ثبات وجودها بهذه الحجب، ستفنى عشقاً، ستندك لذلك كانت هذه الحُجُب بين الله وبين الخلق، وكلامي هذا كلامٌ قاصر لأنني لا أدري كيف أصوغ الكلام حقيقةً، الكلام قاصر، العبارات قاصرة ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ هناك جنة المأوى عند سدرة المنتهى، هو أنا ماذا عرفت من سدرة المنتهى حتى أعرف جنة المأوى؟

قُلْ لي بربك نحن ماذا عرفنا من سدرة المنتهى حتى نعرف جنة المأوى؟! جنة المأوى منزلةٌ مرتبةٌ عند سدرة المنتهى يأوي إليها، يأوي إليها تكتنفهُ تحتويه، يعني هذه الحقيقة النبوية الصاعدة من العالم الأرضي، هذا التجلي الصعودي لهذه الحقيقة النبوية أين تُكتنف؟ تُكتنف في جنة المأوى، حب الوطن من الإيمان، الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد، الله سبحانه وتعالى يخاطب النبي: الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد، طبعاً في التفسير معاد من أسماء مكة لكن القضية أعمق وأبعد، المعاد هو جنة المأوى هذه، لرادك إلى معاد، وهذا الرد ليس هو بالموت هذا الرد في كل آنٍ من آنات رسول الله هو عند جنة المأوى، هذه المعاني ليست محصورة في وقتٍ معين في معراج معين، النبي صلى الله عليه وآله في كل لحظةٍ هو في عروج، في كل آن، معراج النبي لا يقاس بالزمان، هذا المعراج الذي تمَّ الحديثُ عنه، هذا المعراج الذي أُخِذ بلحاظ الزمان وإلا عندنا في الروايات كان له مئة وعشرون معراج للنبي، مئة وعشرون معراج، في كل ليلة جمعة في الروايات يُعرج به، في الروايات في كل يوم يُعرج به، وهذه المعارج مأخوذة باللحاظ الدنيوي، أما هو متى لم يعرج

ومتى ابتعد عن جنة المأوى حتى يحتاج للعروج إليها؟! هو منها وإليها ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ هناك حيث تندَّكُ الأنوار كل الأنوار تحت النور الأعظم لكن بصر مُحَمَّد لا زاغ ولا طغى ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ في الروايات الآية هنا تشير إلى الحقيقة الفاطمية ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ وأنا لا أريد الحديث عن هذه التفاصيل فقط أشرتُ إليها للفائدة، أتمنى أن تحين لي فرصة أخرى وأتناول هذه الآيات بالشرح والبيان لكنني سأذهب إلى الروايات، سأذهبُ إلى الروايات لأُتِم الحديث من حيث انتهيت حتى تتجلى لنا صورة النبوة في مرتبتها في هذا العالم الأرضي.

عندنا رواية في تفسير علي بن إبراهيم القمي، الرواية عن إمامنا الصادق عليه السلام وهو يتحدث عن النبي أنهُ أقربُ الخلق إلى الله تعالى، النبي صلى الله عليه وآله أقرب الخلق إلى الله تعالى – و**كان بالمكان الذي قال له جبرئيل لمَّا أُسري بهِ إلى السماء تَقَدَّم يا مُحَمَّد فقد وطأت موطئاً لم يطأهُ مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبيٌ مرسل** – قبل قليل أنا قلت أن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله لا نبي مرسل ولا مَلَكٌ مُقَرَّب – **تَقَدَّم يا مُحَمَّد فقد وطأت موطئاً لم يطأهُ مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبيٌ مرسل** – والإمام يقول – **ولولا أن روحهُ** – أن روح النبي – **ونفسه كان من ذلك المكان** – من جنة المأوى أوى إليها، حب الوطن من الإيمان رجع إلى وطنهِ – **ولولا أن روحهُ ونفسهُ كان من ذلك المكان لما قدر أن يبلغهُ وكان من الله عزَّ وجل كما قال الله عزَّ وجل** ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ **أي بل أدنى أدنى من ذلك** – طبعاً الروايات أيضاً لا ننسى أنها حين تتحدث فهي تتحدث ضمن أفق المداراة، والله ما كَلم أهل البيت كما يقولون الناس إلا على قدر عقول الناس لا على قدر عقول أهل البيت أنفسهم، من منا يستطيع أن يفهم الكلام على قدر عقل عليّ بن أبي طالب؟!! مَن مِنا يستطيع أن يفهم الكلام على قدر جعفر بن مُحَمَّد!!

أبداً، إنما نحن نستطيع أن ندرك شيئاً من الكلام الذي يُقال لي أنا فلان بن فلان وابن فلانة، أنا هذا الذي أقف بين يدي الحسين عليه السلام وأنا أقول له: سيدي أبا عبد الله عبدك وابن عبد وابن أَمَتِك المقر بالرق، أئمتنا يحدثونا بهذا الأفق بأفق الذي أخاطب به الحسين – **عبدك وابن عبد وابن أَمَتِك المُقر بالرق** – الخطاب معنا بهذا الأفق، وإلا أينَ التراب وأين رب الأرباب كما يقول الحكماء، أينَ التراب وأين ربُّ الأرباب، القضية أوسع وأعمق من كل هذا، وأنا أعذر من يرفض هذه المعاني، إنما يرفض هذه المعاني لعلتين: لخسة ذوقٍ وطبع فيه ولقلة علم، وإلا هذه المعاني تنساب مع الفطرة تنساب مع الوجدان، الجهل وقلة الذوق وحينما أتحدث عن قلة الذوق عن قلة الذوق التألهي لا عن قلة الذوق في المطعم والمشرب

والملبس وإن كان هذا الذوق يتفرع عن ذلك الذوق، لكنني أتحدث عن الذوق التألهي، عن الذوق العقائدي، الذين يرفضون هذه المعاني هؤلاء مرضى يعانون من قلة علمٍ ومن قلة ذوق، كلمات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين على سبيل المثال:

الرواية هذا هو تفسير البرهان، وهذا هو الجزء السابع من تفسير البرهان – **الرواية عن إمامنا الكاظم صلوات الله وسلامه عليه** ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ – تستمر الرواية إلى أن يقول جبرائيل عليه السلام: **هذه سدرة المنتهى كان ينتهي الأنبياء قبلك إليها** – يتحدث مع النبي في إسراءِهِ ومعراجه المأخوذ باللحاظ الدنيوي – **هذه سدرة المنتهى كان ينتهي الأنبياء قبلك إليها** – وإلا النبي صلى الله عليه وآله معراجه المُحَمَّدي لا يحتاج فيه إلى جبرائيل ولا إلى غير جبرائيل، جبرائيل خادم – **إن لنا مع الله حالات لا يسعنا فيها لا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نبيٌ مُرسل** – هناك حالات لهم، هذه الحالات هي معراجهم – **إن لنا مع الله حالات لا يسعنا فيها لا نبيٌ مرسل ولا مَلَكٌ مُقَرَّب** – هذا هو معراجهم الحقيقي، أما هذا المعراج الذي مأخوذ بلحاظ الدنيا، هذا المعراج الذي كان من بوابة الدنيا، هذا المعراج الذي كان بواسطة البراق، أما معراجهم الحقيقي فمن دون واسطة، من دون وسيلة، وهذا معنى عميق جداً نأتي إلى بيانه في وقتهِ إن شاء الله تعالى، لكن كل هذه تجليات لكل مرتبة من مراتب الحقيقة تجلي من التجليات، وهذا المعراج المأخوذ بلحاظ الزمن الدنيوي والمأخوذ بلحاظ الوسيلة والآلة بواسطة البراق هو أيضاً تجلي من تجليات العروج النبوي، تجلي من تجليات العروج المُحَمَّدي جبرائيل قال – **هذه سدرة المنتهى كان ينتهي الأنبياء قبلك إليها ثم لا يتجاوزونها وأنت تجوزها** – الأنبياء لا يتجاوزونها، أينَ الأنبياء من مُحَمَّد؟! – **هذه سدرة المنتهى كان ينتهي الأنبياء قبلك إليها ثم لا يتجاوزونها وأنت تجوزها** – ولقد جازها وجازها وجازها أبو الزهراء صلى الله عليه وآله وسلم.

الرواية فيها تفاصيل فقط أشير إلى موطن الحاجة، إلى أن يقول صلى الله عليه وآله: **ووقع عَلَيَّ السرور والاستبشار وظننت أن جميع الخلائق قد ماتوا ولم أرى غيري أحداً من خلقه** – ولا أعتقد أن دلالة أعظم على منزلته صلى الله عليه وآله أكثر من هذه الإشارة – **وظننت أن جميع الخلائق قد ماتوا** – الموت هنا العدم أليس الموت، الموت بمعنى هذا الموت الذي يعني انفصال الأرواح عن الأبدان فهو لم يرى شيئاً يعني انعدمت الأشياء – **وظننت أن جميع الخلائق قد ماتوا ولم أرى غيري أحداً من خلقه** – لم أرى غيري ليس الموت هو الموت بخروج الأرواح من الأجساد فإن الأجساد تبقى موجودة والأرواح تبقى موجودة والنبي قادرٌ على رؤيتها، الحديث هنا عن عدم – **وظننت أن جميع الخلائق قد ماتوا ولم أرى غيري أحداً من خلقه فتركني ما شاء الله** – إلى أن يقول – **فناداني ربي فقال تبارك وتعالى: يا مُحَمَّد**

– متى ناداه؟ يقول: **وإنما كنتُ أُبْصِرُ مثل مخيط الإبرة** – تشبيه هذا، مخيط الإبرة يعني ثقب الإبرة – **نوراً بيني وبين ربي لا تطيقهُ الأبصار** – لكن بصر مُحَمَّد ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ – **وإنما كنتُ أُبْصِرُ مثل مخيط الإبرة نوراً بيني وبين ربي لا تطيقهُ الأبصار فناداني ربي فقال تبارك وتعالى: يا مُحَمَّد، قلت: لبيك ربي وسيدي وإلهي لبيك، قال: هل عرفت قدرك عندي؟** – أين تجلى قدرهُ؟ حين لم يرى غير نفسهِ معه، ولم أرى غيري أحداً من خلقه فتركني ما شاء الله – **هل عرفت قدرك عندي وموضعك ومنزلتك؟ قلت: نعم يا سيدي، قال: يا مُحَمَّد هل عرفت موقعك مني وموقع ذريتك؟ قلت: نعم يا سيدي** – موقعهُ وموقع ذريته، موقعه وموقع أوصيائهِ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

روايةٌ أخرى عن حمران بن أعين – **قال: سألت أبا جعفر إمامنا الباقر عن قول الله عزَّ وجل في كتابه ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ فقال: أدنى الله مُحَمَّداً منه فلم يكن بينهُ وبينه إلا قفص لؤلؤ** – قفص لؤلؤ يعني شُباك، إلا قفص لؤلؤ، يعني شباك مقفص – **إلا قفص لؤلؤ فيه فَراشٌ من ذهب يتلألأ** – هناك فراش من ذهب يتلألأ – **فأُري صورة، فقيل له: يا مُحَمَّد أتعرف هذه الصورة؟ فقال: نعم هذه صورة علي بن أبي طالب** – هذه الحقائق وهذه المعاني نحن لا نستطيع أن نتصورها بالتصور الحسي بحيث نتمكن أن نتخيل لها حدوداً، إنما نتصورها بمعناها العام بمعناها المجمل – **أدنى الله مُحَمَّداً منه فلم يكن بينهُ وبينه إلا قفص لؤلؤ فيه فراشٌ من ذهب يتلألأ فأُري صورة، فقيل له: يا مُحَمَّد أتعرف هذه الصورة؟ – هذه الصورة أين رآها؟ رآها هناك حينما دنا فتدلى – أتعرف هذه الصورة؟ فقال: نعم، هذه صورة علي بن أبي طالب، فأوحى الله تعالى إليه أن زَوّجهُ فاطمة واتخذهُ وصياً** – هذه الرواية فيها إشارات ودلالات عميقة جداً وإن شاء الله في طوايا الحلقات الآتية سأتناول مثل هذه المعاني بالتدريج شيئاً فشيئاً بالشرح والبيان وشيئاً فشيئاً تتضح الصورة.

رواية يرويها شيخنا الطوسي سيد هاشم البحراني ينقلها عن الشيخ الطوسي – **عن النبي صلى الله عليه وآله: لمَّا عُرج بي إلى السماء دنوت من ربي عزَّ وجل حتى كان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى فقال: يا مُحَمَّد من تُحِبُّ من الخلق؟ قلت: يا ربي عليَّاً** – في ذلك الموقف هناك حيث أشرقت الأنوار وانطمست كل الحقائق ألم يقل صلى الله عليه وآله بأنهُ لم يرى أحداً غيره، الله يخاطبه ويناجيه – **من تُحب؟ قال: علياً، قال: ألتفت يا مُحَمَّد، فالتفتُ عن يساري هناك فإذا علي بن أبي طالب، من تحب يا مُحَمَّد؟ قال: عليَّاً، قال: التفت يا مُحَمَّد، فالتفتُ عن يساري فإذا علي بن أبي طالب** – ومن هنا جاء التعبير في آية المباهلة بأنفسنا، مُحَمَّدٌ هو عليٌّ وعليٌّ هو مُحَمَّد، هذا شيءٌ ونزرٌ قليل من مئات

من النصوص تتحدث عن خصائص مرتبة النبوة، عن خصائص مرتبة الولاية الكلية التي هي ولايتهم، والنبوة هي أعلى رتبةٍ في الولاية الكلية، هذه الروايات اقتطفتها من هنا ومن هناك، بعض هذه الروايات تتحدث عن النبوة الكلية التي هي قبل الخلق عن الكلمة الأولى، وروايات تتحدث عن النبوة الأرضية التي تجلت في مُحَمَّد بن عبد الله الذي هو أتم المجالي للاسم الأعظم على وجه الأرض، وروايات تحدثت عن مظاهر الصعود لهذه الحقيقة في العوالم العلوية العالية ﴿الذي فرض عليك القرآن لرَادُّكَ إلى معاد﴾ الحديث عن جنة المأوى التي هي مأوى النبوة.

بعد هذا البيان يمكنني أن أقول بأنه قد اتضح لنا شيئاً من معنى النبوة حين نخاطب نبينا ونخاطب أئمتنا فنقول: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – أختم حديثي بالسلام على أهل بيت النبوة فأقول:

السَّلامُ عليكم يا أهل بيت النبوة، يا أهل بيت النبوة أعينوني وأعينوا من يُحب أن يعرف شيئاً عنكم ولو من بعيد، أعينوني، أعينوني أن أعرف شيئاً عنكم، أعينوني أن أتقرب إليكم يا أهل بيت النبوة إني فقيرٌ في فنائكم سادتي آل مُحَمَّد، أنا عبدكم وابن عبدكم وابن أَمَتِكم المُقرُّ بالرق التارك للخلاف عليكم صلوات الله عليكم صلوات الله عليكم صلوات الله عليكم، وأقول لإخواني وأخواتي وأبنائي وبناتي ممن يتابعني في هذا البرنامج وأنتم أيضاً السَّلامُ عليكم يا شيعة أهل بيت النبوة، السلام عليكم يا أحباب أهل بيت النبوة، السلام عليكم وأنتم تسعون إلى معرفة أهل بيت النبوة.

أسألكم الدعاء جميعاً وإلى لقاءٍ على محبة ومعرفة أهل بيت النبوة في الحلقة القادمة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة وفي أمان الله.

# الحلقة الخامسة

## معنى وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ

السَّلامُ على المُعَذَّبِ في قَعْرِ السجُون وظُلَمِ المطامير، ذو الساق المرضوض بحلق القيود، والجنازة المُنادى عليها بِذُل الاستخفاف، والوارد على جدّه المصطفى وأبيهِ المرتضى وأمهِ سيدة النساء بإرثٍ مغصوب وولاءٍ مسلوب ودمٍ مطلوب وسَمٍّ مشروب، السَّلام عليك سيدي ومولاي وإمامي باب الحوائج يا صاحب المقامات والمعارج ورحمة الله وبركاته.

أشياع موسى بن جعفر وأحباب باب الحوائج السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، عَظَّمَ الله أجورنا وأجوركم، وهذه الحلقة الخامسة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، في الحلقة الماضية تقدم الكلامُ في بيان معنى أهل بيت النبوة، نحن نقرأ الزيارة من كتاب مفاتيح الجنان لشيخنا المُحَدِّث القُمي رضوان الله تعالى عليه – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – هذا السلام نوجههُ لهم جميعاً ولإمامنا باب الحوائج بنحوٍ خاص، فهذا اليوم باسمه الشريف – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ** – اليوم أقفُ بعض الشيء على هذا العنوان الثاني من عناوين الزيارة الجامعة: **وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ.**

أيضاً كما مرَّ في الحلقة الماضية لا أشغلكم بما قال المُتكلمون وما فَرَّعوا وما أصّلوا وإنما ملاذنا الأول والأخير كلماتهم، نحن نبدأ من الكتاب والعترة ونعود إلى الكتاب والعترة، هذا لا يعني أننا نرفضُ ما يقولهُ علمائنا الكلاميون وإنما ما يتحدث عنه علمائنا الكلاميون يتحدثون في جهةٍ سطحيةٍ لا يعني أنها ليست صحيحة وليست صائبة أبداً، لكن الزيارة التي بين أيدينا الزيارة الجامعة الكبيرة تحتاج إلى شيءٍ من العُمق في فهم معانيها ومداليلها – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ** – تقدم الكلام في بيان معنى النبوة وسأشرعُ الآن في بيان معنى الرسالة، مُقدمة لغوية صغيرة ثم أشرعُ فيما جاء في بيانات الكتاب والعترة. كلمة الرسول وكلمة الرسالة، الرسول والرسالة في لغة العرب تأتي كل كلمةٍ من هاتين الكلمتين بمعنىً وفي بعض الأحيان تتحد كلمة الرسول مع كلمة الرسالة، الرسالة هي ما يحملها الرسول، كلمة الرسول في لغة العرب تأتي بمعنى الرسالة أيضاً، وتأتي بمعنى التأنيث وبمعنى التذكير وهو دلالة على أن هذه الكلمة جامعةٌ

شاملة، في لغة العرب حينما يُرسل مثلاً أحد الرجال امرأةً إلى شخصٍ مذكرٍ كان أو مؤنث فيقول هي رسولي إليه، فلانة هي رسولي إليه، فتستعمل كلمة الرسول في التأنيث وفي التذكير، أقول فلان رسولي إليك وأقول فلانةُ رسولي إليك، لفظة رسول تستعمل في التأنيث وفي التذكير، وأقول فلان رسولي إليك وأقول الأمر الكذائي رسولي إليك إي رسالتي إليك، الرسالة قد تكون إخباراً عن شيء، قد تكون وعداً بالخير، قد تكون وعيداً بالشر، قد تكون عنوان محبةٍ، قد تكون سلاماً وتحيةً، قد تكون طلباً، قد تكون شرحاً لمسألةٍ ما، وقد تكون وقد تكون، الرسالة لا تحديد لها في اللغة، الرسالة شيءٌ يحمل قد يكون مادياً وقد يكون معنوياً، والرسول هو حامل الرسالة ولكن في لغة العرب قد تُستعمل كلمة الرسول بمعنى الرسالة وفي ذلك إشارةٌ جميلة إلى أن الرسالة متحدةٌ بالرسول وأن الرسول متحدٌ بالرسالة، أما في أصل بناء هذه الكلمة من أين جاءت؟

في أصل بنائها جاءت من الاسترسال ومن الإرسال، الاسترسال هو التواصل، حينما يكون الشيء مسترسلاً يعني متواصلاً يعني متتابعاً، ويقال جاءت الإبل أرسالاً أو جاءت الخيول أرسالاً يعني أفواجاً بعد أفواج متواصلة، ونقول جاءت الجيوش أرسالاً أي جاءت متواصلة مسترسلة يتصل بعضها بالبعض، فيُقال الرسول لأي شيءٍ؟ لأن الأخبار تصل إليه متتابعة متواصلة، فالأخبار تصل إليه متتابعة من مُرسلهِ وهو يوصل الأخبار متتابعةً إلى من أُرسِلَ إليه، هناك تواصل، هناك تواصلٌ بين المرسل والرسول والمُرسَل إليه، والرسالة شيءٌ يحملهُ الرسول، فإذا كانت كلمة الرسول تعني الرسالة أيضاً في لغة العرب فكلما تعلق الرسول بالرسالة صار الرسول رسالةً وصارت الرسالة رسولاً حيثُ تفنى الرسالة في الرسول ويفنى الرسول في الرسالة، الرسول إذاً هو حامل رسالة، وإنما قيل له رسول لأن الرسائل لأن الأخبار لأن الحقائق تصل إليه من مُرسِله متتابعة أرسالاً وهو يوصلها إلى الذي أُرسلت إليه أيضاً يوصلها أرسالاً متتابعةً، والرسالة حقيقةٌ يحملها الرسول قد تكون ماديةً قد تكون معنويةً وقد تكون ماديةً ومعنوية في نفس الوقت، وقد تكون وقد تكون، هذا المعنى الإجمالي لكلمة الرسول ولكلمة الرسالة في لغة العرب، وهي تنطبق بشيءٍ وبوجهٍ من الوجوه بل بعدة وجوه على المعنى الذي بين أيدينا.

هناك مسألةٌ مهمة أريد أن أشير إليها، المسألة المهمة هل أننا نأخذ الحقائق من اللغة في فهمنا لمثل هذه المعاني لمثل معاني الزيارة الجامعة وأمثالها!! هل أننا نأخذ المعاني من اللغة فتكون اللغة مصدراً لنا، وهذه المشكلة وقع فيها كثيرون أن جعلوا اللغة مصدراً للعلم، اللغة ليست مصدراً للعلم، اللغة وسيلةٌ للعلم، فارقٌ بين أن نجعل اللغة مصدراً نستقي منها المعارف وبين أن نجعل اللغة وسيلةً، قد يقول قائلٌ بأن اللغة وسيلة لكننا حينما نأتي فنتعامل مع الواقع مثلاً حينما نذهبُ إلى كتب التفسير عند مخالفي أهل البيت أو غير كتب التفسير نجد بأنهم يجعلون من اللغة مصدراً للعلم وليست وسيلة، حتى وإن قالوا بالألسنة بأن اللغة

هي وسيلة لكن في الواقع العملي نجد أن اللغة تكون مصدراً للعلم، وهذه القضية أيضاً تأثر بها كثيرٌ من الشيعة من علمائنا من كُتابنا من مفكرينا أن جعلوا اللغة مصدراً للعلم وللفكر، مصدرنا العلمي ومصدرنا الفكري الكتاب والعترة واللغة تعيننا في ذلك وسيلة من الوسائل، لذلك نحن إذا أردنا أن نرجع إلى روايات أهل البيت التي فسرت القرآن أو فسرت الحديث حينما يفسر الحديثُ بعضهُ بعضاً فإن هذا التفسير وإن هذا البيان الذي تذكرهُ الروايات في بعض الأحيان يكون خارجاً على حدود اللغة، وهناك ضوابط في الروايات تخصُ هذا المطلب، وأنا لا أريد التوسع كثيراً في هذه القضية لأن هذه قضية قضية مبنائية وقضية أساسية، هل أننا نجعل اللغة مصدراً من مصادر العلم بحيث حينما نتعامل مع النص القرآني ومع النص المعصومي مع النص المعصوم بشكل عام، النص المعصوم ينقسم إلى نحوين:

إلى النص القرآني وإلى نص العترة، القرآن نصٌ معصوم ونص العترة نصٌ معصوم أيضاً، فنحن نتعامل مع النص المعصوم، مع النص القرآني أو مع نص العترة، حينما نتعامل مع النص المعصوم هل تكون اللغة مصدرنا في التوصل إلى المعارف والعلوم والحقائق؟! هذا شيءٌ يخالف منهج أهل البيت، صحيح نحن نؤمن بحجية الظهور العرفي ونؤمن بحجية المحاورات العرفية ونؤمن باللسانية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ نؤمن باللسانية بلسانية النبي المستندة إلى قواعد البيان وقواعد البلاغة والأساليب الأدبية التي يستعملها العرب في كلامهم، هذه المسائل واضحة ومن البديهيات لكنها ليست هي الحاكمة في جميع الأحوال، حينما يواجهنا هذا النص فيقول الإمام المعصوم: إني أتكلم الكلمة على سبعين وجه ولي من جميعها المخرج. وهذا هو ما يسمى بالمعاريض – وإنكم لا تكونوا فقهاء حتى تعرفوا معاريض كلامنا – فهذه قضيةٌ مهمة سترافقنا على طول الخط، نحن نستعين باللغة ونعتمد اللغة لكن على أساس أنها وسيلة لا على أساس أنها مصدر فتحددنا اللغة بحدود نطاق ألفاظها، الذي يحددنا الكتاب والعترة لا تحددنا اللغة، وحينما نريد أن نفهم الكتاب والعترة إنما نفهم الكتاب والعترة بالكتاب والعترة، قد تقول بأن الكتاب عربيٌ وبأن العترة عربية صحيح هذا، ولكن في الكتاب قواعد للفهم وعند العترة قواعد للفهم، نحن نستعين باللغة ولكن يبقى الحاكمُ والفيصلُ هو بيان القرآن وبيان العترة، أما أننا نجعل من اللغة مصدراً للعلم فهذا اشتباهٌ كبير وقع فيه المخالفون لأنهم لا يملكون العترة لا يرجعون إلى العترة، لأنهم قالوا كما قال كبيرهم حسبنا كتاب الله فاكتفوا بكتاب الله، حينما واجهوا الكتاب فكيف يفهمون الكتاب؟! فاضطروا إلى أن يجعلوا من اللغة مصدراً للعلم ومصدراً للفهم فقط، وحددوا الفهم والعلم بحدود اللغة، ومن هنا جاءت السطحيةُ في فهمهم للقرآن وجاءت السطحية في فهمهم لكثيرٍ من الحديث الذي يروونهُ.

أما نحن فقد سرنا في الطريق الذي خَطّهُ رسول الله، طريق الكتاب والعترة، وطريق الكتاب والعترة باب

المعرفة فيه مخزونةٌ في الكتاب والعترة، واللغة عامل مساعد وسيلة من الوسائل آلة من الآليات نستعين بها على الفهم وفي بعض الأحيان تقف اللغة عاجزة، بل في أحيان كثيرة حينما نخوض في دائرة المعارف الإلهية تقف اللغة عاجزة في كثيرٍ من الأحيان وكأنها قد قُيدت بقيود ورُبِّطت بأربطة وكأن الأغلال قد أحاطت بها من كل مكان فلا تستطيع أن تنفلت الألفاظ كي تسبح في بحر المعاني العميقة، تبقى هذه الألفاظ مقيدة بأغلالها، ومن هنا لابد أن نتوجه بأنظارنا إلى المصباح الذي ينير الحقائق، المصباح الذي ينير الحقائق هو مصباح العترة الطاهرة.

حينما يتكلم إمامنا الصادقُ صلوات الله عليه فيقول بأن القرآن على أربعة أشياء على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، أين تكون اللغة في عالم اللطائف والحقائق؟! ستندحر اللغة في هذا العالم، بل حتى في عالم الإشارة تقف اللغة عاجزة، اللغة تتحرك في دائرة عالم العبارة، وأنا قلت قبل قليل أنا لا أريد التوسع في هذا المطلب لأن هذا المطلب مطلبٌ مبنائي، لأن هذا المطلب مطلبٌ أصلي وقاعدي في الفهم وفي التعامل مع النصوص المعصومة، أعني بالنصوص المعصومة النصوص القرآنية ونصوص العترة صلوات الله وسلامه عليهم، لذلك حينما بينتُ قبل قليل معنى الرسالة ومعنى الرسول قلت فإنها تنطبقُ على ما بأيدينا من الكلام وموضع الرسالة في وجوهٍ من المعاني وإلا بقية المعاني وحقائق المعاني إنما نأخذها من الكتاب والعترة – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ** – الرسالة قد تكون هي النبوة ولكن بوجهٍ من الوجوه، الرسالة هي مظهرٌ من مظاهر النبوة الكلية، تحدثنا في الحلقة الماضية عن النبوة الأرضية وعن النبوة الكلية، النبوة الكلية وهي الولاية الكلية، الخلافة الكلية، والنبوة أعلى مراتبها، وأشرتُ وذكرت بعضاً من النصوص ومن الروايات التي عشنا في ظلالها الوارفة وعشنا في أجوائها كي نتنسم شيئاً من عبق النبوة من عبق معنى النبوة، الرسالة هي وجهٌ من وجوه النبوة، النبوة الكلية وجهٌ من وجوهها وتجلي من تجلياتها هي الرسالة، والرسالة قد يتبادر إلى الأذهان حينما أقول أرسلتُ إليك رسالة قد تكون هذه الرسالة مقداراً من المال، وقد تكون ثوباً، وقد تكون وروداً وأزاهير، وقد تكون وقد تكون، لكن المعنى المتبادر الأول للرسالة شيءٌ مكتوب، ولذلك القرآن يأخذ هذا المعنى، يأخذ هذه الحقيقة فيتحدث عنها، القرآن يخبرنا عن الرسالة، الرسالة بمعناها الكلي، الرسالة الكلية التي هي مجلى من مجالي النبوة الكلية، النبوة والرسالة هي مجالي من مجالي الولاية العظمى الولاية الكلية، النبوة المرتبة الأعلى والرسالة هي وجهٌ من وجوه النبوة الكلية.

وإلى هذا يتحدث القرآن فيُخبرنا عن هذه الحقيقة في سورة القلم وفي الآية الأولى بعد البسملة ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾ هذه هي الرسالة، هذه الرسالة بمعناها الكلي و (ن) في لغة العرب تعني الدوات، يعني هي مصدر المداد بالنسبة للقلم، فالقلم يأخذ مِدادهُ من الدوات ويبدأ بالكتابة، حينما أكتب كتاباً هذه

الكلمات المكتوبة أين كانت؟ في البدء كانت في ذهني في عقلي ثم تصورت بصورةٍ وأخرى فكانت موجودةً في المدادِ وفي القلم كل الكلمات التي كُتبت في الكتاب حبرها أين كان موجوداً؟ كان موجوداً في القلم وحبر القلم كان موجوداً في الدوات، فهناك ن والقلم وما يسطرون هذا وجهٌ من وجوه الرسالة، معنىً من معاني الولاية الكلية، تكلم بكلمة ثم خلق نوراً ثم خلق روحاً ومزج النور والروح ثم خلق الكائنات مرَّ علينا هذا في الحديث عن معاني النبوة الكلية، وإنما غاية ما في الأمر القضية قضية تجليات، حينما يكون الحديث عن نورٍ وعن روح فهذا نحو تجلي، وحينما يكون الكلام عن ن والقلم فهذا نحو تجلٍ آخر، ما المراد من التجلي؟ أنا قلت هذه المعاني لا أريد بيانها دفعةً واحدة وإنما من خلال حلقات هذا البرنامج أبيّن شيئاً فشيئاً بحسب ما يناسب المقام، ما المراد من التجليات؟! التجليات هي الظهورات، هي المظاهر، ولكن كيف نتصورها؟! هناك معنىً عميق، المعنى العميق كيف أقربهُ لكم؟!

يمكنني أن أقرب المعنى، الآن حينما نأخذ صورة فوتوغرافية بالكاميرا الفوتوغرافية، لنفترض أمامنا حديقة، هذه الحديقة مليئة بالورود والأزهار فنأخذ لهذه الحديقة صورةً فوتوغرافية، الكاميرا الفوتوغرافية تأخذ صورة واحدة جامدة صامتة وينقطع الخطاب، فقط تأخذ صورة واحدة منقطعة، لكن حينما تكون عندنا كاميرا فيديو ويكون البث كما هو الحال في برنامجنا هذا، يكون البث بثاً مباشراً، هناك تواصل، وصورتي هي صورتي في كل ثانيةٍ من الثواني أنت ترى لي صورة، لو كنا نبث بثاً مباشراً مثلاً لهذه الحديقة، يعني نجعل الكاميرات كاميرات التصوير موجهة للحديقة وهناك بث مباشر، ما يصلُ في أجهزة التلفاز عند المشاهدين هو صورة متواصلة متصلة يعني لو أردنا أن نقسم هذه الصورة بحسب الثواني ففي كل دقيقة هناك ستون صورة وهي لنفس الحالة، حديقة موجودة، الأوراد هي الأوراد، التجلي هو هذا، التجلي أن الوجود ليست له حالة ثابتة واحدة، الوجود في كل آنٍ من آناتهِ هو مظهر جديد، إذا أردنا أن ننظر إلى الأشياء بهذا المنظار فلا توجد صورة واحدة لنا مكررة، لذلك ماذا يقولون الحكماء والعرفاء؟ لا تكرار في التجلي، الآن الوجود بهذه المرتبة غير الوجود بعد ثانية، وحينما أقول ثانية لتقريب المعنى وإلا القضية أعمق من هذا، لأن الوجود لا يُقاس بالثواني ولا يُقاس بالأزمنة، الثواني والأزمنة عوارض لكن يمكن أن أقرب المثال، كيف أقرب المثال؟ الآن تُقسم الدقيقة، وهذا تقسيم قديم منذ أزمنة بعيدة، تُقسم الدقيقة إلى ستين ثانية والثانية تقسم إلى ستين ثالثة، ربما البعض لم يكن قد سمع بهذا، هذا تقسيم موجود ومنذ أزمنة قديمة، تقسم الثانية إلى ثالثة إلى ستين ثالثة، نقول الساعة تساوي ستون دقيقة، الدقيقة تساوي ستون ثانية، الثانية تساوي ستون ثالثة، الثالثة تساوي ستون رابعة، الرابعة تساوي ستون خامسة وهكذا إلى التاسعة تساوي ستون عاشرة وهو أصغر جزءٍ من أجزاء الثانية بحسب التقسيمات القديمة، كانوا يقسمون الوقت بهذه الطريقة وبقيت إلى وقتٍ قريب تقسيم الدقائق والثواني بهذه الطريقة، هذه سميت ثانية لماذا؟

باعتبار أن الساعة قُسِمت إلى ستين دقيقة الدقيقة هي الأولى يعني التقسيم الأول للساعة، لماذا سميت ثانية؟ الساعة قسمت إلى ستين دقيقة الدقيقة يعني هي الأولى يمكن أن تقول الدقيقة ويمكن أن تقول الأولى لكن اشتهر التعبير بالدقيقة، الدقيقة أو الأولى تقسم إلى ستين ثانية والثانية إلى ثالثة إلى رابعة وهكذا إلى العاشرة، العاشرة هي تمثل واحد من ستين جزء من التاسعة، والتاسعة تمثل واحد من ستين جزء من الثامنة وهكذا عوداً إلى الدقيقة فإلى الساعة، نحن حتى لو أردنا أن نقسم الوجود، يعني صورة الوجود بهذا التقسيم فلا يصح، أنت تتصور كم سيكون مقدار العاشرة؟! الثانية نقسمها إلى ستين ثالثة ورابعة وهكذا إلى العاشرة، بل حتى لو أردنا أن نقسمها بالتقسيم الليزري الآن الموجود، الآن حالياً هناك تقسيم للوقت يسمى بتقسيم الڤمتوثانية، الڤمتوثانية ما هو؟

الڤمتوثانية يعني تقسم الثانية إلى ألف تريليون وهذا هو أصغر جزء لحد الآن وصل إليه الإنسان، تقسم الثانية بسرعة وقوة الليزر أشعة الليزر تقسم إلى أن الڤمتوثانية يساوي ألف تريليون من أجزاء الثانية يعني حينما نريد أن نكتب ڤمتو ثانية يساوي $1^{-15}$ ، إذا أردنا أن نكتبها بالرموز الرياضية، يعني إذا أردنا أن نقول أن الڤمتوثانية كم تساوي من الثانية؟ الڤمتوثانية تساوي من الثانية $1^{-15}$ يعني عندنا رقم واحد أمامه 15 صفر، 15 صفر يعني ألف تريليون، لأن المليار أو البليون هو تسعة أصفار، بعد المليار أو بعد البليون يأتي تريليون، التريليون 12 صفر، والآن الرقم عندنا 15 صفر، الڤمتوثانية حتى لو قسمنا الثانية وهو هذا التقسيم لأجل الفائدة أقول استطراداً هذا التقسيم تقسيم الثانية إلى ألف تريليون قسم وكل قسم يسمى بالڤمتوثانية هذا التقسيم هو الذي توصل إليه العالم المصري أحمد زويل، وعلى هذا الأساس حاز جائزة نوبل، لأنه استطاع أن يوجد تقنية لتصوير التحولات الموجودة في الذرات داخل الجزئيات في هذه المسافة من الثانية في هذا المقطع من الثانية، على أي حال، وهذا هو يعني أدق تقسيم الآن وصلت إليه التكنولوجيا المعاصرة، حتى لو قسمنا الزمان إلى هذا التقسيم، لو قسمنا الثانية إلى الڤمتوثانية، يعني إلى أن الثانية تساوي ألف تريليون ڤمتوثانية، حتى لو أردنا أن نتصور هذا التصور فهذا التصور قاصر، الوجود له آنات وهذه الآنات لا تُقاسُ بالزمن لأن الزمن إنما هو عارض من عوارض بعض الموجودات، الزمن من أين يتأتى؟ من حركة الأفلاك، وهو عارض، وحركة الأفلاك حركة عارضة، الزمن يتأتى من حركة الأفلاك، والحركة في الأفلاك شيءٌ عارض، والأفلاك هذه الكواكب والنجوم الموجودة إنما هي زينةٌ للسماء الدنيا يعني هي دون العالم السمائي الأول، بحسب التعبير القرآني زُينت هذه السماء الدنيا بهذه الكواكب يعني هي دون العالم السمائي الأول، فهي متخلفة في مراتبها الوجودية، فما بالك بالمعنى الأوسع لمعنى الوجود، الحقيقة الأعم، الحقيقة الأعم التجلي الأعظم في الوجود هو هذا الذي لا تكرار في تجلياتهِ ففي كل آنٍ من آنات الوجود إنما يكون الوجود بفيضٍ جديد وهذا هو معنى أجود الأجودين فيضهُ لا انقطاع له ولا تكرار

فيه، هذه عظمة الفيض، ما المراد من عظمة الفيض الإلهي؟ وما المراد من معنى الجود الإلهي؟!
الفيض الإلهي والجود الإلهي يعني هذا المعنى: أن فيضهُ متواصلٌ لا تكرار فيه، لو كان هناك تكرار فإن ذلك يخل بعظمة الفيض، عظمة الفيض أنهُ لا تكرار في تجلياتهِ، الوجود في كل آنٍ من آناتهِ هو تجلٍ جديد، هذا الثبات المادي في الأشياء هو هذا أيضاً نحواً من أنحاء التجلي، التجلي الأول إذا أردنا أن نسميهُ التجلي الأول وإلا لا يصح أن نسميهُ هذه التسمية لأن التجلي الأول هو التجلي الذي لا أولية لأوليتهِ ولا آخرية لآخريتهِ وهو تجلي الذات الإلهية للذات الإلهية، وهذا هو التجلي الذي لا تصل إلى ساحتهِ العقول، هذا التجلي الذي تكون العقول في مقام التحير وأيُّ عقول؟!! أنا أتحدث عن العقول الأولى التي أشارت إليها الأحاديث أول ما خلق الله العقل، أنا أتحدث عن تلكم العقول لا أتحدث عن العقل الذي أحملهُ أنا ويحملهُ أمثالي في هذا العالم السفلي، أتحدث عن العقول الأولى عن العقول الكاملة، التجلي الذي لا أولية لأوليته ولا آخرية لآخريته، هو تجلي الذات للذات، وهو معرفة الله بكنههِ، معرفة الله بنفسهِ، يتجلى الله لله، هذا كلامٌ في الألفاظ والحقيقة غريبةٌ وأجنبيةٌ عن عقولنا.
هناك شعرٌ باللغة الفارسية جميلٌ جداً مضمونهُ مضمون هذا الشعر أنه:

أجمع شباكك أيها الصائد فإنك لن تصيد العنقاء

العنقاء طائرٌ خرافي لا وجود له، أجمع شباكك أيها الصائد أنت أيها الصياد الذي تريد أن تصيد العنقاء أجمع شباكك فإنك لن تصيد العنقاء، وأنت أيها الإنسان، أنت أيها الإنسان الفقير ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ﴾ أجمعوا شباككم، أجمعوا شباك عقولكم، كلما ازددتم تفكراً، هكذا قال لنا أئمتنا، كلما ازددتم تفكراً كلما ازددتم تحيراً، أنا لا أريد أن أذهب بعيداً في معاني التوحيد فحينما يصل الكلام إلى التوحيد في العبارات الخاصة بالتوحيد في الزيارة الجامعة الكبيرة سأسهب شيئاً ما في معاني التوحيد ولكن هذا التجلي الأول، فلنجمع شباك عقولنا فإن العنقاء لا وجود لها، لنجمع شباك العقول فإن هذه العقول لن تصطاد شيئاً، هذه المعرفة بالنسبة لنا لا وجود لها، أن نعرف التجلي الذي لا أول لأوليتهِ حين يتجلى الله لنفسهِ، حين يتجلى الله لذاتهِ، هذا التجلي والعبارات قاصرة وعقلي قاصرٌ وألفاظي قاصرة فما أصنع!!
المعاني عميقة جداً ولكنني أتيهُ في هذا العالم أتيهُ في هذه المضامين ولست أنا وحدي كل من يريد أن يبحر في هذه المعاني فإنه يتيه، فأين التراب وأين ربُّ الأرباب، وحتى هذه العبارات عبارات قاصرة لكن ماذا نصنع لابد أن نتكلم ولابد أن نتحدث ولابد أن نصيغ المعاني وهذه المعاني قاصرة أيضاً، نصيغ المعاني القاصرة من عقولنا القاصرة في قوالب قاصرة، بعد هذا التجلي الأول الذي لا أولية لأوليتهِ، ولكن لأجل أن تتضح المعاني أقول التجلي الأول، وإلا التجلي الأول هو التجلي الذي يكون بعد صدور الكلمة هذا

التجلي الأول، تجلي الذات للذات ذلك لا يقال له تجلي أول، فإنه لا أولية لأوليتهِ ولا آخرية لآخريتهِ ، وحتى حينما نقول الأول قبل كل شيء فهذه العبارات قاصرة أيضاً فهنا الكلام عن ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قد يجد المُراجِع في الروايات أن القلم هو من التجليات التي حدثت بعد العرش، هذا موجودٌ في الروايات، وهنا قضية لابد أن أشير إليها، هذه القضية أولاً نحن حين نتعامل مع الروايات لابد أن نضع في اعتبارنا هناك روايات وردت بلسان التقية، وهناك روايات وردت بلسان المُداراة، وهناك روايات وردت بلسان الإشارة والرمز، وهناك روايات وردت بلسان الحيثيات ولولا الحيثيات لبطلت الحكمة، الحيثيات موجودةٌ بكثرة في الماديات فما بالك في المعنويات والحقائق العالية لأن الحقائق العالية والحقائق القادسة هي مجالي الأسماء الحسنى والأسماء الحسنى لا نهاية لها، ومجالي الأسماء الحسنى لا نهاية لها، فالحيثيات لا نهاية لها ولذلك من يراجع الروايات يجد مثلاً أن هذا العنوان القلم يستعمل في أكثر من معنى فلا ذلك من التضارب بين الروايات ولا ذلك من الاشتباه أو من الخطأ في نقل الناقلين وإنما اللفظ واحد واستُعمل في أكثر من دلالةٍ وفي أكثر من مضمون وهذا نفسهُ ينتقل إلى كتب العرفاء، لذلك في كتب العرفاء حينما يكتبون تجد أن المصطلح الواحد يستعمل في أكثر من جهة وفي أكثر من معنى وهذا إنما أُخذ بسبب ما جاء في النصوص التي تتحدث في باب المعارف الإلهية، لا أريد الإطالة أكثر، لكن فقط أشرت إلى هذه القضية وأنا إن شاء الله في الحلقات القادمة أقف على هذه المسألة وربما أشرحها بشكلٍ أكثر توضيحاً، لكن أشرتُ إليها حتى لا يحدث الاشتباه عند البعض حينما يراجع الروايات أو يكون قد حفظ بعضاً من هذه الروايات فيتصور أن هناك تعارضاً بين هذه الروايات.

هذه الروايات كما قلت حينما نتعامل معها لابد أن نأخذ بنظر الاعتبار، في بعض الروايات نأخذ لسان التقية، في بعض الروايات لسان المداراة، وفي بعض الروايات لسان الإشارة والرمز، وفي بعض الروايات لسان الحيثيات، على أي حالٍ أعود إلى الآية التي هي عنوان معنى الرسالة ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ن من هو؟ والقلم من هو؟ الرواية جلية جداً وهي تخبرنا عن ن والقلم، هذا الكتاب الذي بين يدي هو تفسير البرهان للمحدث السيد هاشم البحراني رضوان الله تعالى عليه، الرواية عن مُحَمَّد بن الفُضيل عن ابي الحسن موسى ونحن في هذا اليوم نعيش يوم شهادتهِ صلوات الله وسلامه عليه – **عن أبي الحسن موسى قال: سألتهُ** – مُحَمَّد بن الفضيل يسأل إمامنا باب الحوائج – **قال: سألتهُ عن قول الله عزَّ وجل:** ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ – ماذا قال؟ – **قال إمامنا الكاظم: فالنون اسمٌ لرسول الله صلى الله عليه وآله، والقلم**

**اسمٌ لأمير المؤمنين عليه السلام** – ن هو عنوان الحقيقة المُحَمَّدية والقلم هو عنوان الحقيقة العلوية، خلق نوراً وخلق روحاً فمزج بين النور والروح ثم كانت الكلمات، كانت الكلمات الأتم، وكانت الكلمات التامة، وكانت الكلمات في مختلف تجلياتها ومراتبها، أفاض بها القلم والمدد من نون، ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾ ولا ينفك القلم عن نون، فمداد القلم من هذه النون، ونون عنوان الحقيقة المُحَمَّدية، حتى في الكتابة والإشارة فيها شيءٌ من اللطف، حتى في الكتابة فإن نون تُكتب وفي وسطها النقطة وهي النقطة التي قال عنها عليٌّ وأنا النقطة، النقطة التي هي تحت الباء ومنها بدأ القرآن والقرآن صورة عالم التكوين، القرآن عالم التدوين وهو صورة عالم التكوين، النقطة تحت الباء هي النقطة الموجودة في وسط النون، والنقطة هذه التي تسمى بالنقطة السيالة يعني النقطة المتحركة والتي تكونت منها الحروف، كل حرفٍ من الحروف إنما هو عبارة عن مجموعة من النقاط المتصلة، كانت في أصلها نقطة متحركة سيالة، حينما نكتب الألف فإنما نبدأ بنقطة سيالة متحركة فتتجلى هذه النقطة السيالة المتحركة بمجموعة نقاطٍ وتخرج ثم تنتقل إلى حرف الباء فنكتب الباء بنقطةٍ سيالة وتبقى النقطة أين؟

هذه النقطة تبقى موجودةً في القلم، النقطة السيالة ليست في الكلمات، الكلمات مجالي النقطة السيالة وتلك رموز إشارات إلى ﴿**ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾ النقطة تحت الباء هي التي تحركت، ابتدأ القرآن ببسم الله من هنا كانت البداية، فمن أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس كيف كُتبت الكلمات؟! كُتبت بالنقطة السيالة تحركت فكانت الحروف عبارة عن مجموعةٍ من النقاط المتصلة، ولذلك في نصٍ عن أمير المؤمنين يقول – **أنا النقطة أنا الخط أنا الخط أنا النقطة** – فإن الخط هو مجلى من مجالي النقطة، والخط عبارة عن مجموعة نقاط والحروف إنما تألفت من خطوط، الحروف والأرقام إنما هي خطوط تتشكل بأشكالٍ مختلفة، حين نكتب السين فالسين في أصلها خطٌ مستقيم يتعوج ويتعرج فيكتب سين، والباء خطٌ مستقيم فيُعقف جانباه، والحديث هنا بنحو الرمزية ليس الحديث عن الحروف بما هي حروف وإنما هذه الحروف فيها دلالات قلت قبل قليل هناك تطابقٌ بين عالم التكوين عالم الوجود وبين عالم التدوين وعالم التدوين إنما هو جزءٌ من الوجود ومظهرٌ من مظاهر الوجود لكن بصورةٍ تدوينية، الوجود بكله تصور في التدوين ولذلك كان القرآن تبياناً لكل شيء لماذا؟ لأن القرآن في خزائنهِ لا في خزائنهِ اللفظية وإنما في خزانتهِ الحقيقية، والخزانة الحقيقية هي هذه التي تكون مودعةً في قلب المعصوم ولذا لا يمكن الانفكاك بين القرآن والمعصوم، إذا انفك القرآن عن المعصوم صار شيئاً آخر، لأن روح القرآن في المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، وعلى أي حالٍ، فالرسالة هنا يسطرها من؟ ن والقلم – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ**

**الرِّسالَةِ** – هذه الرسالة في معناها الأسمى والتي نجدُ في الكافي الشريف ما يسعفنا هذا المعنى والرواية عن إمامنا الصادق وهذا هو الجزءُ الأول من كتاب الكافي الشريف، **الرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: إن الله كان إذ لا كان فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار وأجرى فيه من نورهِ الذي نورت منه الأنوار وهو النور الذي خلق منهُ مُحَمَّداً وعلياً فلم يزالا نورين أولين إذ لا شيء كُوِّن قبلهما فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب عليهما السلام** – الرواية هنا تتحدثُ عن هذه الرسالة ولكن بصورةٍ أخرى بتجلٍ آخر ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ فماذا سطر القلم بعد أن أخذ المدد من نون؟ سطر كل الكلمات، كل الكلمات سطرها القلم بمددٍ متصلٍ يأخذهُ من نون ولا يوجد هناك انفصال بين نون والقلم، فما سطرهُ القلم إنما سطرهُ نون سطرتهُ نون ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ الآية ما قالت ن وما يسطر القلم تلاحظون الدقة في التعبير ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ فإن نون لا تنفك عن القلم وإن القلم لا ينفك عن نون وإنهما في نفس الآنِ في نفس المرتبة يسطرون ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ فإن نون والقلم في آنٍ واحد يسطرون، خلق نوراً، خلق روحاً مازج بينهما ثم شق الأنوار من ذلك النور.

الرواية في الكافي – **إن الله كان إذ لا كان** – كان إذ لا كان وكان هنا إنما هو مصطلح عنوان – **إن الله كان إذ لا كان** – هنا كان تتحدث عن التجلي، التجلي الأول، مرادي بالتجلي الأول والذي سأستعمله دائماً هو تجلي الكلمة الأولى لأنني كما قلت قبل قليل قد يوجد في بعض الكتب حينما يقولون التجلي الأول فيعنون به تجلي الذات للذات فإن ذلك التجلي في الحقيقة لا يقال له الأول لأنهُ لا أولية قبل أوليته ولا أولية لأوليته ولا آخرية بعد آخريته ولا آخرية لآخريته، فالتجلي الأول هو تجلي الكلمة، تجلي الكلمة الأولى، تجلي النور الأول – **إن الله كان إذ لا كان** – وكان هنا عنوان للتجلي الأول لتجلي الكلمة الأولى كان ولم يكن معه شيء، حتى التجلي الأول لم يكن، فكل شيءٍ من دون الله إنما هو عدمٌ في عدم، وإنما هو ظِلالٌ في ظلال حتى بعد أن يوجد، الوجود الحقيقي له سبحانه وتعالى، وما في الدار إلاه ديار، وكل الوجودات وجودها إذا قيست بوجود الله فإنما هو وجودٌ ظلي، مهما علت مراتب الموجودات وإن كانت الكلمة الأولى – **إن الله كان إذ لا كان فخلق الكان والمكان** – الكان والمكان ليس الحديث هنا عن زمانٍ محسوبٍ بحساب الساعات والدقائق ولا المكان هنا الحديث عن هذا المكان الذي ننتقل فيه وننتقل منه وإليه، هذه مراتب للموجودات متأخرة جداً، وإنما هذا عنوان، عنوان للتجلي – **خلق الكان والمكان** – كما قال خلق النور والروح، هذه مصطلحات وعناوين وأنا قلت إن الروايات، تتحدث كل رواية أو كل

مجموعة من الروايات تتحدث عن تجلٍ من التجليات والتجليات لا انتهاء لها فالفيض دائم ولا تكرار في الفيض – **فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار** – هذا التجلي الذي صدر من الكان والمكان – **إن الله كان إذ لا كان فخلق الكان والمكان** – هناك تجلٍ وهو نور الأنوار، نور الأنوار هو تجلٍ عن الكان والمكان – **وخلق نور الأنوار الذي نورت منهُ الأنوار** – أنوار الموجودات ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ السماوات والأرض عنوان للموجودات والسماوات والأرض أيضاً تستعمل في أكثر من معنى، فإن الكرسي أوسع من السماوات والأرض، وإن العرش أوسع من الكرسي، سنأتي على هذا المطلب – **إن الله كان إذ لا كان فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار الذي نورت منهُ الأنوار** – ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا النور الذي نورت منه الأشياء – **وأجرى فيه** – يعني أجرى في نور الأنوار – **من نورهِ الذي نورت منهُ الأنوار وهو النور الذي خلق منه مُحَمَّداً وعلياً** – حين الحديث عن خلق محَمَّد وعلي الحديث عن العالم الأرضي، عن الصورة الأرضية لمحَمَّد وعلي، وإلا فإن الكان والمكان وهما الحقيقة المحَمَّدية والحقيقة العلوية، وما نور الأنوار الذي خُلقت منهُ الأنوار إلا هو تجلٍ من تجليات الحقيقة المحَمَّدية – **إن الله كان إذ لا كان فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار** – وهو هذا تجلٍ من تجليات الكان والمكان الذي نورت منهُ الأنوار – **وأجرى فيه من نورهِ الذي نورت منهُ الأنوار وهو النور الذي خلق منهُ مُحَمَّداً وعلياً فلم يزالا نورين أولين إذ لا شيء كُوِّن قبلهما** – هذا الحديث فيه إشارات إلى نوريتهما الأولى في الكان والمكان وفيه إشارات إلى نوريتهما المتجلية في كل طبقات الوجود.

ففي كل طبقةٍ من طبقات الوجود هناك تجلٍ لمحَمَّد وعليّ وستأتينا الروايات تبين هذا المعنى، هناك تجلٍ لمحَمَّد وعلي في كل طبقةٍ من طبقات الوجود، ومرَّ علينا في الروايات التي تحدثت عن النبوة وعن مثال عليٍّ في العوالم العلوية، والمثال في العوالم العلوية له من المرتبةٌ ما تتناسب مع تلكم العوالم – **فلم يزالا نورين أولين إذ لا شيء كُوِّن قبلهما فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب عليهما السلام** – في أطهر طاهرين تلاحظون التعبير عبد الله وأبو طالب هم أطهر طاهرين، أطهر طاهرين ما المراد من هذه الطهارة؟ أليس هي نفس الطهارة المذكورة في آية التطهير!! أليس نفس الطهارة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ آية التطهير تتحدث عن ثلاث مراتب من التطهير، يطهركم فعل مشدد عبارة عن يُطهركم ويُطهركم، وتطهيراً مفعول مطلق والمفعول المطلق حين يكون من نفس لفظ الفعل فإنما هو تأكيد لمعنى الفعل هكذا يقول علماء النحو، حينما يكون المفعول المطلق من نفس لفظ الفعل وهو يأتي بصيغة المصدر والمصدر ينوب مناب

الفعل يعني ويطهركم ويطهركم ويطهركم، المصدر هنا يعني إذا أخذنا تطهيراً مصدر فإن المصدر ينوب مناب الفعل، يعني يقوم مقام الفعل ولذلك المصدر أيضاً في كلام العرب يأخذ فاعل ويأخذ مفعول به كما يأخذ الفعل، وإذا كان بلحاظ المفعولية المطلقة ومن نفس لفظ الفعل فهو يؤكد معنى الفعل يعني يعيد الفعل مرة أخرى يكون ويُطهركم ويُطهركم ويطهركم ثلاث مراتب من التطهير، فكانوا أطهر الطاهرين وهذه المعاني تتجلى في هذا الحديث – **حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب عليهما السلام** – هذا كلام صادق العترة والحديثُ من الكافي الشريف والحديث عن أطهر طاهرين عن عبد الله والد رسول الله وعن أبي طالب والد عليٍّ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

تلاحظون الروايات تتحدث عن البُعد الأول للرسالة وهو المتجلي في معنى الولاية الكلية قبل الخلق وتتحدث عن البُعد الثاني عن الرسالة في العالم الأرضي، نفس الكلام الذي مرَّ في روايات النبوة، فالروايات هنا تتحدث عن معنى الرسالة بهذا المعنى العميق، هذا المعنى الذي كتبهُ ن والقلم ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ فماذا سطر القلم وماذا سطر نون؟ وهما معاً يسطرون، سطروا هذه الأنوار، هذه الأنوار التي تجلت في كل الوجود ومن أعظم مجالي هذه الأنوار مجالي نور مُحَمَّد وعليٍّ في العالم الأرضي، أما في العوالم العلوية فلكل منهما المجالي التي تجلى فيها إلى أن ينتهي الكلام عند الكلمة الأولى وهي الحقيقة الأتم هي الحقيقة المحَمَّدية والحقيقةُ العلوية الأكمل، وإلى هذه المضامين وإلى هذه المعاني تشير النصوص الكثيرة الواردة عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فكل ما في هذا الوجود إنما هو من مجالي أنوار الحقيقة الأولى ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ فماذا سطروا؟ الروايات تتحدث عن أن لنون والقلم للكلمة الأولى تجليات منها ما ذُكِر بالنحو الإجمالي لأننا لا نستطيع أن نتصورها، ومنها ما ذُكِر بعناوين فيها شيء من الوصف شيء من التفصيل، وهذا التفصيل الذي جاء لا يمكن أن ندركه بهذه المدارك المحدودة، وإنما النصوص المعصومة تُقَرِّب لنا المعاني، لأننا نجدُ في الروايات نجدُ عالم الستر، نجد عالم الحجاب، هذه عوالم الحجب وهذه العوالم سابقة ومتقدمة على عالم العرش، وعالم العرش متقدم وسابق على عالم الكرسي، وعالم الكرسي إنما كل السماوات السبع كل هذه العوالم تكون في جوف عالم الكرسي، لذلك حين نقرأ في آية الكرسي المباركة ماذا نقرأ في سورة البقرة ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ الكرسي وسع السماوات والأرض ولكن الكرسي لا يُعَدُّ بشيء إذا قيس بعالم العرش، ومرَّ علينا في الحلقة الماضية إن العرش إنما هو تجلٍ من نور مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، تجلٍ من التجليات، الرواية قالت ففتق نوري فخلق منه العرش فنوري أفضلُ من العرش، أنا أفضلُ من العرش، ونوري أفضلُ من العرش، لأن العرش من نورهِ، هو نور مُحَمَّد من نور الله

سبحانه وتعالى.

الروايات تحدثنا وهذا هو بحار الأنوار لشيخنا المجلسي رضوان الله تعالى عليه الرواية ينقلها الشيخ المجلسي عن كتاب الاحتجاج عن إمامنا الصادق، الرواية يرويها هشام بن الحكم، سؤال يوجه للإمام الصادق عن الكرسي أهو أعظم أم العرش!! هذا السؤال يوجه لإمامنا الصادق – **الكرسي أهو أعظم أم العرش؟ فقال عليه السلام: كل شيءٍ خلق الله في جوف الكرسي خلا عرشهُ** – يعني كل شيءٍ من دون عالم الكرسي وإلا فالعرش أوسع وهناك عالم الحجب وهو متقدم على عالم العرش – **كل شيءٍ خلق الله في جوف الكرسي** – عبارة في جوف تشير إلى أن هذه السماوات على عظمتها ما هي إلا شيء في داخل عالم الكرسي – **كل شيءٍ خلق الله في جوف الكرسي** – ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ – **كل شيءٍ خلق الله في جوف الكرسي خلا عرشهُ فإنهُ أعظم من أن يحيط به الكرسي** – العرش أعظم من أن يحيط به الكرسي.

عندنا رواية فيها دلالة أكثر وضوحاً، أيضاَ يرويها شيخنا الصدوق في كتاب الخصال وفي كتاب المعاني، معاني الأخبار، وينقلها العياشي رحمة الله عليه في تفسيرهِ في تفسير العياشي، الرواية عن النبي يرويها أبو ذر الغفاري قال النبي صلى الله عليه وآله: – **يا أبا ذر ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقةٍ ملقاة في أرض فلات** – حلقة يعني مثل الخاتم، مثل هذا الخاتم الذي نلبسه بأيدينا، شيء مدور، فلات يعني صحراء واسعة ممتدة على مد البصر، السماوات السبع في الكرسي كحلقة في فلات – **يا أبا ذر ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقةٍ ملقاة في أرض فلات** – علماً نحن نجد في الروايات إن السماء الدنيا، السماء الأولى إلى السماء الثانية كحلقةٍ في فلات والثانية إلى الثالثة وهكذا إلى السابعة – **والسماوات السبع في الكرسي إلا كحلقةٍ ملقاة في أرض فلات، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلات على تلك الحلقة** – وأيضاً عالم الكرسي هو كحلقةٍ في فلات بالنسبة إلى عالم العرش، وما بعد عالم العرش عوالم الحجب وكل ذلك من تجليات الحقيقة المُحَمَّدية، كل ذلك من تجليات ن والقلم الرسالة بهذا المعنى، الرسالة الإلهية بالمعنى الأعظم الرسالة الأعظم هي رسالة الوجود، أما رسالة الدين والتشريع فتلك رسالة الإنسان في الأرض وهي مجلى من مجالي تلكم الرسالة الأعظم، السماء الأولى إلى السماء الثانية كحلقةٍ في فلات وهكذا إلى السابعة، والسماوات السبع إلى الكرسي كحلقةٍ في فلات والكرسي إلى العرش كحلقةٍ في فلات وما بعد العرش عوالم الحجب.

هناك رواية يرويها شيخنا الصدوق عن إمامنا الصادق، **عن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الشمس جزءٌ من سبعين جزء من نور الكرسي** – والسبعين هنا عدد كثرة لا عدد تحديد –

**الشمس جزءٌ من سبعين جزء** – ونحن لا نستطيع أن نملأ أعيننا من الشمس، إنك لا تستطيع أن تملأ عينيك من الشمس – **الشمس جزءٌ من سبعين جزء من نور الكرسي، والكرسي جزءٌ من سبعين جزء من نور العرش، والعرش جزءٌ من سبعين جزء من نور الحجاب، والحجاب جزءٌ من سبعين جزء من نور الستر** – والروايات هنا حينما تتحدث عن هذه المعاني فإنها لا تتحدث باللغة الرياضية بالحسابات الرياضية وبالأرقام وبالتعداد وإنما كل رواية ناظرة إلى جهة من الجهات، قلت هذه الروايات محكومة بلسان الإشارة والرمز، محكومة بلسان الحيثيات التي يقول عنها الحكماء لولا الحيثيات لبطلت الحكمة – **الشمس جزءٌ من سبعين جزء من نور الكرسي، والكرسي جزءٌ من سبعين جزء من نور العرش، والعرش جزءٌ من سبعين جزء من نور الحجاب، والحجاب جزءٌ من سبعين جزء من نور الستر** – وهذه كلها من تجليات الحقيقة المُحَمَّدية.

الرواية أيضاً عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه أيضاً يرويها الشيخ الصدوق في التوحيد عن عبد الله بن سنان من أجلة فقهاء أصحاب الإمام الصادق، **عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجل: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ فقال: السماوات والأرض وما بينهما في الكرسي والعرش هو العلم الذي لا يقدر أحدٌ قدره** – يعني شيء خارج الحدود العقلية، العلم به شيءٌ يفوق الحدود العقلية، والعرش هو العلم هو الأوسع – **الذي لا يقدر أحدٌ قدره** – رواية ينقلها الشيخ المجلسي عن الشيخ الصدوق ورواها في كتاب الفقيه وهو من أصولنا المهمة وفي العلل وفي المجالس، الرواية عن الإمام الصادق أن السؤال وجه للإمام – **لِمَا سميت الكعبة كعبة؟! قال: لأنها مربعة ، فقيل له: ولما صارت مربعة؟ قال: لأنها بحذاء البيت المعمور وهو مربع، فقيل له: ولما صار البيت المعمور مربعاً؟ قال: لأنه بحذاء العرش وهو مربع** – بحذاء يعني باتجاه – **فقيل له: ولما صار العرش مربعاً؟ قال: لأن الكلمات التي بُني عليها الإسلام أربع سبحان الله والحمد لله ولا آله إلا الله والله أكبر** – وهذا الحديث عن التواصل بين الرسالة الأرضية وبين الرسالة في العالم الأول، من هنا حين تحدثت عن النبوة فتحدثت عن النبوة الكلية في عالم ما قبل الخلق وعن النبوة الأرضية، وهنا أيضاً نتحدث عن الرسالة ما قبل الخلق رسالة ن والقلم وما يسطرون والتي من مجاليها الرسالة الأرضية والحديث هنا يشير إلى هذا المعنى – **فقيل له: ولما صار العرش مربعاً؟** – يعني الكعبة هي من مجالي البيت المعمور والبيت المعمور كما في الروايات في السماء الرابعة، والبيت المعمور هو من مجالي العرش والعرش مربع والتربيع في العرش ليس تربيعاً مادياً – **ولمَا صار العرش مربعاً** – كالتربيع المادي الموجود في العالم الطبيعي، العرش أجلى وأسمى من أن يُقيِّد بهذه القيود المحدودة في هذا العالم الطبيعي المتأخر – **ولمَا صار العرش مربعاً؟ قال: لأن الكلمات**

**التي بُني عليها الإسلام أربع** – هذه أركان العرش – **سبحان الله والحمد لله ولا آله إلا الله والله أكبر** – وهذا هو التواصل بين معنى الرسالة بمعناها الكلي وبين معنى الرسالة في العالم الأرضي – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ** – فهم موضع الرسالة ن والقلم فيهما رسالة الله ومُحَمَّد وآل مُحَمَّد في الأرض فيهم رسالة الله – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ** – هذه تجليات ومجالي من معنى الرسالة كما أن الرسالة الأولى لكل الموجودات فنوّر منها جميع الأنوار كما مر علينا في رواية الكافي قبل قليل، كذلك الرسالة الأرضية هي لكل العوالم، الرسالة الأرضية لكل الكائنات، ليست لعالم دون عالم.

نحن حين نقرأ في الكتاب الكريم في سورة الأنبياء في الآية السابعة بعد المئة ماذا نقرأ؟ ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ الآية السابعة بعد المئة من سورة الأنبياء ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ أنا هنا لا أريد أن أناقش هؤلاء الذين يقصدون بالعالمين يعني الناس، فيقولون يعني المقصود من العالمين يعني عالم العرب عالم الفرس ومثل هذه المعاني، الكلمة واضحة هي نفس العالمين الموجودة في أول سورة الفاتحة ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ الربوبية هنا لكل العوالم لا لعالم دون عالم، هذه الرسالة رسالة لكل العالمين، تتجلى في كل الوجود، تتجلى في عوالم ما قبل الخلق، في رسالة ن والقلم وما يسطرون، وتتجلى في مُحَمَّد في كل طبقةٍ من طبقات الوجود، وتتجلى في مُحَمَّد على الأرض في مُحَمَّد بن عبد الله ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ ما هو المضمون العام لهذه الرسالة؟

المضمون العام تبينهُ لنا سورة الفتح المباركة، في الآية التاسعة، الآية الثامنة والآية التاسعة والمعنى يتجلى في الآية التاسعة، في الآية الثامنة ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**﴾ الآية التي قبل قليل قرأناها وهي الآية: 107 من سورة الأنبياء ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ الآية الثامنة والتاسعة من سورة الفتح ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**﴾ لأي شيءٍ أرسل شاهداً ومبشراً ونذيراً!! ﴿**لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ**

– تعزروه يعني تنصروه – **لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾ أحد مضامين الرسالة بل أهم مضامين الرسالة بل جوهر الرسالة هو التسبيح ﴿**لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ**﴾ التسبيح هو المرتبة الأخيرة، المراتب كلها تقودنا، تؤمنوا بالله ورسوله تعزروه توقروه نصل إلى المرتبة الأخيرة تسبحوه، مضمون الرسالة هو التسبيح، وحقيقة الرسالة هو التسبيح، والرسالة الكلية كانت من ن والقلم

لكل الكائنات وكل الكائنات تسبح، والتسبيح هو التنزيه، حتى في قصة الاستخلاف حينما نذهب إلى سورة البقرة في الآية الثلاثين من سورة البقرة ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يعني جعلوا أساس الخلافة هو التسبيح، قالوا أنت تريد أن تجعل خليفةً يسفك الدماء بينما نحن الأحق بهذا، نحن الذين نسبح ونقدس، فجعلوا التسبيح أساساً للخلافة لأنهُ هو جوهر الخلافة وجوهر الدين ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ وهذا المعنى أنا أوردتهُ لأجل أن أثبت أن الآية السابعة بعد المئة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ أن المراد من العالمين كل العوالم وليس عالم العرب وعالم الفرس وعالم الترك وإنما المراد كل العوالم لأن مضمون الرسالة هو التسبيح كما اتضح لنا من سورة الفتح المباركة، وأساس الخلافة هنا في آية الملائكة ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ جعلوا أساس الخلافة هو التسبيح.

لذلك نحن حينما نقرأ مثلاً في سورة الصافات على سبيل المثال في الآيات: 139 وما بعدها ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ الفلك السفينة ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ ساهم يعني القُرعة ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ يعني الأنبياء كلهم ديدنهم سيرتهم سُنتهم حقيقتهم التسبيح ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ يونس وكل الأنبياء هم مسبحون في جميع أحوالهم ليس فقط لأنه في بطن الحوت ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ التسبيح هو العنوان العام للأنبياء وللأولياء ولكل الموجودات، لذلك نقرأ في الآية الرابعة والأربعين من سورة الإسراء ﴿تُسَبِّحُ لَهُ - لله - السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ﴾ إن من شيءٍ، لا يوجد شيء، والشيء هو الموجود هكذا يقول الفلاسفة، الشيئية تساوق الوجود، حينما نقول شيء يعني موجود ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾

ومضمون الرسالة المُحَمَّدية التسبيح فهي رسالة لكل شيء لأن كل شيءٍ يسبح، والروايات تقول إنهم عَلّموا الملائكة التسبيح وعلموا كل شيءٍ التسبيح، كل الموجودات تعلمت التسبيح في الروايات من مُحَمَّد وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ والآيات القرآنية المُسبحات ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وما فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ متكررة في الكتاب الكريم، في سورة النور في الآية الحادية والأربعين ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ كل شيء ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ﴾ حتى عندنا في بعض الروايات وإن كان التسبيح أيضاً على درجات، في بعض الروايات عندنا هذه درجة من درجات التسبيح، هناك تسبيح الوجود، وهناك تسبيح العبادة، الكائنات تسبح لله تسبيح الوجود، وإلا من دون هذا التسبيح لن تبقى موجودة تُعدم، وهناك تسبيح العبادة والكائنات كلها تسبح، عندنا في الروايات إنما يقع السهم في الطير إنما يصطاد الصياد الطير في غفلةٍ منه حينما ينقطع عن التسبيح، وقطعاً هذا ليس هو التسبيح الوجودي لأن الطير لو انقطع عنه التسبيح الوجودي انعدم لا وجود له، وجوده قائم بالتسبيح الوجودي، لكن هذا تسبيح العبادة، فإنما يقع السهم في الطير حين تصيبهُ الغفلة عن التسبيح لَمَّا ينقطع عن التسبيح يقع سهم الصائد في الطير، أو حينما يقع الطير وهو طائر يقع فُجأةً إلى الأرض أيضاً لأنه انقطع عن التسبيح ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ﴾ وهذه أمثلة.

هنا أمثلة ونماذج وأنا لا أريد التفصيل كثيراً فيما جاء في روايات أهل البيت، المقام لا يسع لكل التفصيلات ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ الآيات القرآنية واضحة وصريحة وجلية في هذا المعنى، وهذا التسبيح يصاحبنا ويصاحب الخلق حتى الذين في جهنم يسبحون بالتسبيح الوجودي وإلا كيف يبقون، لا يمكن أن يبقى الموجود من دون التسبيح، لكنهم لا يسبحون التسبيح العبادي، الآية العاشرة من سورة يونس والتي قبلها التاسعة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ ماذا تقول الآية العاشرة ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا﴾ في جنات النعيم ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في جنانهم وهم يسبحون لا انقطاع عن التسبيح هذا مضمون الرسالة المُحَمَّدية، لذلك ما

أرسلناكَ إلا رحمة للعالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ هذا الإرسال لكل العوالم المُسبحة ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ أرسال لكل شيء رسالة مطلقة هذا المضمون يتجلى واضحاً أيضاً في الآية السابعة من سورة غافر ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ الذين يحملون العرش هؤلاء لهم منزلة أعلى من العرش بحيث أن العرش يحمل على حقائقهم، هؤلاء هم الذين يثبت العرش بهم ونتحدث عن هذا المضمون في وقت آخر ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى آخر الآية الشريفة الآية السابعة من سورة غافر ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يعني المراتب العالية التي يستند العرش إليها التي هي أعلى رتبة من العرش، الذين يحملون العرش هم الذين يعطون الثبات للعرش، هؤلاء يسبحون وتسبيحهم سر وجودهم وسر وجود العرش أيضاً، وآية أخرى في سورة الزمر الآية الخامسة والسبعون ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ إلى آخر الآية.

الملائكة أيضاً عالم الملائكة كل العوالم تسبح، وهذا هو مضمون الرسالة المحَمَّدية لكل العوالم، هذه الرسالة المطلقة، الرسالة المطلقة رسالة ن والقلم وما يسطرون في أعمق معانيها في المعنى الأوسع للولاية والخلافة الإلهية المطلقة والتي من أجلى مجاليها النبوة الكلية والرسالة الكلية، وتتجلى في كل عالم بحسبهِ لكنها تتجلى في العالم الأرضي بالرسالة المُحَمَّدية التي عنوانها الإسلام والتي مرت الإشارة إليها قبل قليل في رواية الإمام الصادق عليه السلام بأن العرش مربع لأن أركان العرش أربعة وهي أركان الإسلام سبحان الله والحمد لله ولا آله إلا الله والله أكبر وأول ركنٍ هو التسبيح سبحان الله، أول ركنٍ من أركان الإسلام هو التسبيح سبحان الله كما أشارت إلى ذلك الرواية، هذا المعنى يتجلى في الرسالة المُحَمَّدية المتكاملة والتي ستظهر صورتها واضحةً على يد إمام زماننا، لم تتجلى الرسالة الإسلامية على صورتها الأكمل ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ لم يظهر هذا الدين، لم يتجلى، لابد أن يأتي الزمن الذي يتجلى فيه هذا الدين وتتجلى هذه الرسالة في هذا العالم، فيعود هذا العالم هذا العالم الطبيعي متناسقاً مع عالم الغيب ويتواصل الإنسان بالقدرات الممنوحة إليه، القدرات العقلية والفكرية وبالبصيرة وبالقلب وبالحكمة التي سينالها الإنسان في ذلك العصر كي يتواصل مع عالم الغيب، يتواصل عالم الشهادة مع عالم الغيب، وتتواصل الرسالة الأرضية مع الرسالة الكلية وفي كل طبقات هذا الوجود، هذه المعاني مجرد إشارات حقائق هذه المعاني نحن لا نستطيع أن ندخل في أغوارها، لذلك الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم

أجمعين حدثونا وأخبرونا عن مراتب هذه الرسالة وعن حقائق هذه الرسالة، هذا جابر يحدِّثُنا عن الإمام الصادق، جابر الجعفي يحدثنا عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه وهذا الكتاب الذي بين يدي هو بصائر الدرجات لشيخنا أبي جعفر الصفار من أصحاب إمامنا الحسن الزاكي العسكري صلوات الله وسلامه عليه وهو من أجلة كتب العقائد والمعارف التي تتحدث عن منازل ومقامات أهل البيت، بصائر الدرجات أسمٌ على مسمى – **الرواية عن جابر عن أبي عبد الله** – ماذا قال إمامنا الصادق؟ – **إن أمرنا سرٌ في سر** – وإلى ذلك أشرت بأن القضية لا تُدرك أغوارها – **إن أمرنا سِرٌ في سر** – هذا أولاً – **وسرٌ مستسر** – يعني مبالغ في الإسرار به هذا ثانياً – **وسرٌ لا يفيد إلا سر** – هذا ثالثاً – **وسرٌ على سر** – هذا رابعاً – **وسرٌ مقنعٌ بسر** – فبالله عليك ماذا نُدركُ من أسرارهم؟! – **إن أمرنا سرٌ في سر وسرٌ مستسر وسرٌ لا يفيد إلا سر وسرٌ على سر وسرٌ مقنعٌ بسر.**

الرواية الثانية: **عن مرازم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن أمرنا هو الحقّ وحقُّ الحقّ وهو الظاهر وباطن الباطن وهو السرّ وسرُّ السرّ** – هذه النسخة التي بين يدي فيها نقص بحسب ما أحفظ الحديث، الحقيقة أنا هنا في ظرف استثنائي المصادر غير متوفرة عندي بكاملها وإنما توجد عندي بعض المصادر لكن على ما أتذكرهُ في الذاكرة أنهُ – **وهو السرّ وسرُّ السر وسرُّ المستسر** – وليس المستسر من دون سر هكذا أحفظ الرواية عن الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه – **إن أمرنا هو الحق وحقُّ الحق وهو الظاهر وباطن الباطن وهو السر وسر السر وسر المستسر وسرٌ مقنعٌ بالسر** – وتلاحظون كل رواية تشير إلى عدد من الجهات والحيثيات تختلف عن الرواية الثانية والسبب يعود كما قلت إلى أن هذه الروايات تنظر إلى حيثيات مختلفة، لكن بالجملة ماذا تريد هاتان الروايتان من مضمون أو من معنى يصل إلينا، إن أمرهم سر وإنما تستطيع العقول أن تصل إليه إنما هو كما قلت في حدود عالم العبارة لي ولأمثالي ربما هناك من وفقهم الله سبحانه وتعالى وفتح بصائرهم فتلمسوا شيئاً أبعد من عالم العبارة، أنا وأمثالي أنما نغوصُ ونغور في عالم العبارة ونقف عند هذا الحد، وكل ما نفهمهُ من هذه الروايات هو في أفق عالم العبارة – **أن أمرنا سرٌ في سرٌ وسرٌ مستسر وسرٌ لا يفيدُ إلا سر وسرٌ على سر وسرٌ مقنعٌ بسر، إن أمرنا هو الحق وحق الحق وهو الظاهر وباطن الباطن وهو السر وسر السر وسرٌ مستسر وسرٌ مقنعٌ بالسر** – هذه عناوين عامة عناوين مجملة للمضامين الحقيقية لرسالة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله.

هم موضع الرسالة، هم موضع الأسرار ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ لو أردنا أن نعيش في جو هذه الآية، الله سبحانه وتعالى يُقسم بأي شيءٍ؟ ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ن والقلم لماذا جاءت القلم هنا مجرورة،

جاءت القلم هنا مجرورة لأنها معطوفة بحرف الواو وحرف الواو عطف القلم على نون ونون جاءت قَسَم، يعني تقدير الجملة و (ن) والقلمِ مثل والعصر، تقدير الجملة و (ن) والقلمِ وما يسطرون، الجملة لم تأتي تقول ن والقلمُ، ن والقلمِ وما يسطرون الله يُقسم بنون وبالقلم وبما يسطرون، ماذا يسطر ن والقلم؟ يسطر شيئاً الله سبحانه وتعالى يُقسم بهِ، هذه الروايات تتحدث عن تلكم الأسرار التي يسطرها نون والقلم إن كان في العوالم العلوية وإن كان من تجلياتها في الحقائق والمعارف المُحَمَّدية في قرآن مُحَمَّد أو في قلب مُحَمَّد، القرآن هو قرآن مُحَمَّد التدويني وقلب مُحَمَّد هو قلب مُحَمَّد التكويني هو قرآن مُحَمَّد التكويني، القرآن صورة قلب مُحَمَّد وقلب محَمَّد هو حقيقة القرآن، قلب مُحَمَّد هو القرآن بعينه، قلب مُحَمَّد هو الحقيقة الجامعة، هو موضع الرسالة – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ** – أين هو موضع الرسالة الحقيقي؟

موضع الرسالة الحقيقي قلب مُحَمَّد وقلب مُحَمَّد هو قلب عليٍّ هو قلب فاطمة هو قلب حسينٍ قلب حسنٍ وحسين هو قلب إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، هو قلب باب الحوائج، قلب موسى بن جعفر صلوات الله وسلامه عليه، فهم موضع الرسالة، هم موضع أسرار الله، وما يتجلى منهم إنما هو سرٌّ في سر وسرٌّ على سر، ما يتجلى منهم هو هذا المعنى، هذه المعاني تتجلى من حقائقهم، هذا السر الذي هو في سر والسر المستسر والسر الذي لا يفيد إلا سر والسر على سر والسر المقنع بالسر، هذه من مجالي ما يظهر من حقائق رسالتهم، فهم موضع الرسالة، هم حقيقة الرسالة، إلى هذه المضامين أئمتنا يحدثونا فيقولون:

**الرواية عن أبي ربيع الشامي عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: كنت معه جالساً** – أبو ربيع جالس مع الإمام الباقر – **فرأيت أن أبا جعفرٍ قد قام فرفع رأسه وهو يقول: يا أبا الربيع حديثٌ تمضغه الشيعة بألسنتها لا تدري ما كنهه** – يعني لقلقة مثلي وأمثالي نلقلق بهذه الأحاديث، مضغ مجرد ألفاظ نرددها كما نمضغ الطعام – **يا أبا الربيع حديثٌ تمضغه الشيعة بألسنتها** – وحتى عبارة تمضغه فيها إشارة جميلة جداً، يعني حتى أولئك الذي يراعون قواعد النحو أو مخارج الحروف مثلي وأمثالي من الذين يحاولون أن يتأنقوا في الكلام يحاولون أن يحافظوا على مخارج الحروف بقدر ما يمكن، يحاولون أن يتكلموا بنحوٍ جميل بأسلوب جذاب حتى هؤلاء، نحن نمضغ الكلام، يعني حينما نخرج الحروف من مخارجها ونعطي الكلمات حقها فإننا نمضغ الكلام، يعني حتى نحن الذين قد يتصور البعض أننا على قدرٍ من المعرفة إمامنا هكذا يقول عنّا:

**يا أبا الربيع حديثٌ تمضغه الشيعة بألسنتها لا تدري ما كُنهه** – ما حقيقته – **قلت: ما هو جعلني الله فداك؟ قال: قول علي بن أبي طالب صلوات الله عليه: إن أمرنا صعب مستصعب** – هذا كلام نحن نردده لطالما أنا شخصياً رددته على المنابر، أنا وغيري نردده – **إمامنا يقول: حديثٌ تمضغه الشيعة بألسنتها لا تدري ما كُنهه، قلت: ما هو جعلني الله فداك؟ قال: قول علي بن أبي طالب صلوات الله**

**عليه: إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا مَلَكٌ مُقرّب أو نبيٌّ مرسل أو عبدٌ مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان** – عبدٌ مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان بهذا الشرط، فهل أُمتحنت قلوبنا للإيمان؟ – **أو عبدٌ مؤمن** – إن شاء الله في وقت أخر نتحدث عن معنى عبدٌ مؤمن امتُحِن قلبه للإيمان – **أو عبدٌ مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، يا أبا الربيع ألا ترى أنه يكون ملك ولا يكون مُقرّباً؟ ولا يحتمله إلا مقرب** – الملائكة لا يحتملون أمرهم – **يا أبا الربيع ألا ترى أنه يكون ملك ولا يكون مُقرّباً؟** – لأن الملائكة المقربون أعلى درجة من بقية الملائكة، وهناك ما هو أعلى من الملائكة المقربين أيضاً – **يا أبا الربيع ألا ترى أنه يكون مَلَك ولا يكون مَقرّباً؟ ولا يحتمله إلا مُقرّب وقد يكون نبي وليس بمرسل ولا يحتمله إلا مرسل** – يعني الأنبياء غير المرسلين لا يحتملون أمرهم – **وقد يكون مؤمن وليس بممتحن ولا يحتمله إلا مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان** – هذا حديثٌ تمضغه الشيعة كما يقول أبو جعفر صلوات الله عليه باقر العترة – **تمضغه الشيعة بألسنتها لا تدري ما كنُهه** – لطالما رددنا مثل هذه الكلمات.

روايةٌ أخرى أيضاً من الروايات التي نمضغها بألسنتنا ولا ندري ما كنهها، ولكن ماذا نصنع، فما لا يُدركُ كله لا يترك كله، نزيّنُ ألسنتنا بحديثهم، نعطر أفواهنا، نعطر مجالسنا، نزيّنُ شاشة تلفازنا بحديثهم – **الرواية أيضاً عن جابر الجعفي حامل أسرار أهل البيت قال: قال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن حديث آل مُحَمَّد صَعِبٌ مُستصعب** – هذا كلام النبي – **إن حديثَ آل مُحَمَّد صَعِب مستصعب لا يؤمن به إلا ملكٌ مقرب أو نبيٌّ مرسل أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان فما ورد عليكم من حديث آل مُحَمَّد فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه** – وتلك نعمة عظيمة، تلك نعمة عظيمة فاحمدوا الله عليها وترحموا على أمهاتكم، نبينا يقول – **إن حديث آل مُحَمَّد صعب مستصعب لا يؤمن به إلا مَلَكٌ مقرب أو نبيٌّ مرسل أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان فما ورد عليكم من حديث آل مُحَمَّد فلانت له قلوبكم وعرفتموه** – عرفتموه أي اعتقدتم به – **فاقبلوه وما اشمأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالِم من آل مُحَمَّد** – العالم يعني الإمام المعصوم – **وإلى العالم من آل مُحَمَّد** – يعني نعود إلى حديثهم، في زماننا أين هو العالم من آل مُحَمَّد، إمام زماننا لا نستطيع الوصول إليه فإلى أين نعود؟ نعود إلى حديثهم – **وإلى العالِم من آل مُحَمَّد** – يعني إلى القواعد والقوانين التي بينوها لنا في قبول الحديث في رده – **وإنما الهالك يا شيعة أهل البيت أن يحدَّثَ أحدكم بشيءٍ منه** – يعني من حديث آل مُحَمَّد – **لا يحتمله فيقول والله ما كان هذا، والله ما كان هذا، والله ما كان هذا** – الهالك هو هذا – **وإنما الهالك أن يحدَّثَ أحدكم بشيءٍ منه** – يعني من حديث آل مُحَمَّد – **لا يحتمله فيقول** – معلقاً – **والله ما كان هذا، والله ما كان هذا، والله ما كان هذا**

– أن يقول راداً لحديثهم وإنما ما عرفتموه فاقبلوه وما جهلتم مضامينه فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالِم من آل مُحَمَّد.

الرواية هنا عن عمر بن شمر، عن أبي جعفر، واعتقد أن السند قد سقط منه جابر بن يزيد الجعفي، لأن عمر بن شمر إنما يروي عن جابر بن يزيد الجعفي – **عن عمر بن شمر عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: إن حديثنا صعبٌ مستصعب أجرد** – أجرد الإمام هنا كأنه يستعير هذا الوصف من الجبل الأملس الذي لا يوجد فيه مجال لصعوده، يعني جبل مستقيم هكذا ليس منحني ليس فيه سفح مستقيم ولا يوجد فيه مكان الإنسان يضع رجله أو يده حتى يستطيع الصعود، الصخور ملساء يصعب الصعود عليها – **إن حديثنا صعبٌ مستصعب أجرد ذكوان وعر** – المراد من الذكوان الذي لا يستطيع الإنسان مهما بلغ ذكائه أن يتعامل معه مهما بلغ ذكائه – **إن حديثنا صعبٌ مستصعب أجرد ذكوان وعرٌ شريفٌ كريم فإذا سمعتم منه شيئاً ولانت له قلوبكم فاحتملوه واحمدوا الله** – احتملوه يعني احملوه اعتقدوا به يعني، ليس من الإحتمال الذي هو من درجات الشك، فاحتملوه يعني فاعتقدوا به، لا يحتمله من هذا المعنى – **فاحتملوه واحمدوا الله عليه وإن لم تحتملوه ولم تطيقوه فردوه إلى الإمام العالِم من آل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم فإنما الشقي الهالك الذي يقول والله ما كان هذا، ثم قال يا جابر إن الإنكار** – إنكار هذه الأحاديث – **هو الكفر بالله العظيم** – فإنما الشقي الهالك الذي يقول والله ما كان هذا، ثم قال يا جابر إن الإنكار هو الكفر بالله العظيم – **إن حديثنا صَعِبٌ مُستصعب** – صعب التشبيه هنا بالفرس الذي لا يمكن صعوده، فرس لا يمكن صعوده، هناك من الخيول التي لا يمكن ترويضها لا يستطيع الإنسان أن يصعد عليها.

ويقال أيضاً للجبل العالي جداً الذي لا توجد فيه منافذ لصعوده جبلٌ صعب – **إن حديثنا صَعِب مُستصعب** – أكثر – **إن حديثنا صَعِبٌ مُستصعب أجرد ذكوان وعر شريفٌ كريم** – والشريف والكريم أيضاً الذي لا يمكن الوصول إليه صاحب المرتبة العالية لا يستطيع الإنسان أن يمس كرامته والكريم كذلك، الكريم أيضاً ولذلك احذروا صولة الكريم متى يصول الكريم؟ حينما يُهان، هذه كلها تعبيرات على نحو الكناية لتصوير الأمر لتقريبه – **إن حديثنا صعبٌ مستصعب أجرد ذكوان وعر شريفٌ كريم فإذا سمعتم منه شيئاً ولانت له قلوبكم فاحتملوه واحمدوا الله عليه وإن لم تحتملوه ولم تطيقوه فردوه إلى الإمام العالِم من آل مُحَمَّد فإنما الشقي الهالك الذي يقول والله ما كان هذا ثم قال: يا جابر** – وهذا دليل على أن جابر قد أُسقط من السند، الإمام هنا يخاطب جابر كما قلت في أول كلامي بأن عمر بن شمر إنما يروي عن جابر الجعفي – **ثم قال: يا جابر إن الإنكار هو الكفر بالله العظيم** – هذه أحاديث أهل

البيت وأحاديث أهل البيت إنما تبين لنا أيضاً مراتب أصحاب العقائد وأصحاب المعارف.

مثلاً هذه الرواية ومرَّ مثلها – **الرواية عن أبي الجارود، عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: سمعته يقول: إن حديث آل مُحَمَّد صَعِبٌ مُستصعب ثقيل مقنع أجرد ذكوان** – هذه أوصاف لحديثهم لأسرارهم – **إن حديث آل مُحَمَّد صَعِبٌ مُستصعب ثقيل مقنع أجرد ذكوان لا يحتمله إلا ملكٌ مقرب أو نبيٌّ مرسل أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان أو مدينةٌ حصينة** – المدينة الحصينة يعني القلوب التي تشع بالحقائق ويحصِّنها الإيمان ويحصِّنها الكتمان، مدينة حصينة، قلب محصّن، القلب المحصّن القلب الذي لا يعرف الناس ماذا يجري فيه ويعرف ماذا يجري على الناس، يعرف ما في قلوب الناس وهم لا يعرفون ما في قلبه – **أو نبيٌّ مرسل أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان أو مدينةٌ حصينة فإذا قام قائمنا نطق وصدقه القرآن** – يعني أن حقائق القرآن وحقائق العترة ستتضح ستتجلى فالقرآن يصدق الإمام والإمام يصدق القرآن – **فإذا قام قائمنا نطق وصدقه القرآن** – هذي مرتبة من مراتب المعارف ومن مراتب الأسرار ومن مراتب الرسالة، قطعاً ليس المقصود من هذه المرتبة مثلاً الأحكام الشرعية، هذه ليست من الأسرار، ولا المقصود يعني القرآن بظاهره اللفظي الموجود بين أظهرنا والذي كُتِبت عنه التفاسير والتفاسير، ولا المقصود نصوص الأدعية والزيارات التي نقرأها ونلهج بها، ولا المقصود الأحاديث التي تتلى في الكتب وتقرأ على المنابر، وإنما ما وراء القرآن، ما وراء الأحاديث هي هذه الحقائق التي تتكلم عنها مثل هذه الروايات – **إن حديث آل مُحَمَّد صعب مستصعب ثقيل مقنع أجرد ذكوان لا يحتمله إلا مَلَكٌ مُقرّب أو نبيٌّ مرسل أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان أو مدينةٌ حصينة** – هذي مرتبة من مراتب أهل الإيمان – **فإذا قام قائمنا** – هذي المدينة الحصينة جاء ذكرها مع العبارة التي بعدها وكأن فيها إشارة أن هذه المدينة الحصينة تلكم القلوب التي تزهر كالقناديل، قلوب أصحاب الإمام صلوات الله وسلامه عليه، تلكم المدائن المحصَّنة، تلكم القلوب التي كما في الروايات تزهر كالقناديل، قلوب أصحاب الإمام – **أو مدينة حصينة فإذا قام قائمنا نطق وصدقه القرآن** – هذي طبقة من المعرفة – **لا يحتملها إلا ملك مقرب أو نبيٌّ مرسل** – فإن من الملائكة من ليس بمقرب وإن من الأنبياء من ليس بمرسل – **أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان** – فإن من المؤمنين من لم يكونوا قد امتحن الله قلوبهم للإيمان – **أو مدينة محصّنة** – فإن من قلوب المؤمنين أيضاً من ليس هو في هذه الدرجة في درجة المدينة الحصينة.

هناك مرتبة ثانية من المعارف – **عن أبي الصامت قال أبو عبد الله عليه السلام: إن حديثنا صعبٌ مستصعب شريف كريم ذكوان ذكي وعر لا يحتمله ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل** – الرواية السابقة: لا يحتمله إلا مَلَكٌ مقرب أو نبيٌّ مرسل، هذه الرواية لها لسان أخر، لا يحتمله ملكٌ مقرب – **إن حديثنا**

**صعبٌ مستصعب** – يقول صادق العترة – **شريف كريم ذكوان ذكيٌّ وعر لا يحتمله ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل ولا مؤمنٌ ممتحن قلت: فمن يحتمله جعلت فداك؟ قال: من شئنا يا أبا الصامت** – هذي مرتبة ثانية إذا كانت تلكم المرتبة لا تتعلق بظاهر القرآن، البنية اللفظية للقرآن، ولا بالأحكام، ولا بنصوص الأدعية والزيارات، وإنما بما وراءها، فهذه المرتبة في أي شيءٍ تتعلق؟ تتعلق بما وراء ما وراء تلكم المرتبة – **لا يحتمله ملكٌ مقرب** – هذه الرواية تحتاج إلى وقفة طويلة، المؤمنون بحاجة أن يقفوا يتبصروا في هذه الرواية، يتبصروا من جهتين: من جهة عظمة أئمتنا ومن جهة قصورنا وتقصيرنا، كم عندنا من القصور والتقصير؟ وكم هي عظمة أئمتنا؟ وكم هي أيضاً مظلومية أئمتنا صلوات الله عليهم؟

يعني هذا الوصف هذا ينطبق على كل أئمتنا وعلى إمامنا الكاظم الذي جرت عليه من الويلات والويلات والويلات – **إن حديثنا صَعِبٌ مُستصعب شريفٌ كريم** – أنا أكرر هذه الروايات لأجل أن تترسخ في أذهان السامعين، هذه الروايات ربما كثير من الناس لم يكن قد سمع بها، وربما قد لا ينال الفرصة أن يسمعها، وربما كثير من الناس ماتوا من شيعة أهل البيت وما سمعوا هذه الأحاديث لأنه لا يوجد أحد ينشر هذه الأحاديث بين الناس، القليل القليل الذين ينشرون هذه الأحاديث، هذي أحاديث تبقى في الكتب – **إن حديثنا صعبٌ مستصعب** – حقيقة حسرة كبيرة أن الإنسان يموت وهو من شيعة أهل البيت وما سمع بمثل هذه الأحاديث، وما عرف هذه المعاني، حسرة هذي تكون، بعد ذلك هذه الحسرة تتجلى للإنسان حينما يموت وتنكشف الكثير من الحقائق ستصيبه الحسرة، نحن عندنا في الروايات في يوم القيامة حينما تُنصب المراقي ويقال للرجل من شيعة أهل البيت إقرأ وارقى كلما قرأت شيئاً من القرآن فاصعد، الذي لا يحفظ شيئاً من القرآن وقطعاً ليس المراد الحفظ الحفظ اللفظي، قطعاً الحفظ اللفظي مهم، المراد حينما تأتي الروايات تتحدث عن حَمَلة القرآن حَمَلة القرآن العارفون بعلوم القرآن العارفون بمعاني القرآن وهذه هي معاني القرآن، معاني القرآن من أين نأخذها؟ من أين نأخذ معاني القرآن؟ يعني نأخذها مثلاً من الكشاف للزمخشري؟ أو من التفسير الكبير للرازي؟

معارف القرآن نأخذها من أهل القرآن، من الذين نزل القرآن عليهم وفي أبياتهم وحل القرآن في قلوبهم، نأخذ هذه المعاني من قلوب مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، هذه المعاني التي سطروها لنا في هذه الأحاديث الشريفة، إقرأ وارقى بقدر ما عندك من معرفة القرآن فإنك ترقى في مراقي العلو والدرجات في العالم الآخر، أما حينما لا يحمل الإنسان علماً من علوم القرآن في قلبه ستصيبه الحسرة، واقعاً حسرة كبيرة حسرة على أن الإنسان يعيش ويموت وما اطلع على مثل هذه المضامين من حديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين صادق العترة يقول: – **إن حديثنا صعبٌ مستصعب شريفٌ كريم ذكوان ذكيٌّ وعر لا يحتمله ملكٌ**

**مقرب ولا نبيٌّ مرسل ولا مؤمنٌ ممتحن، قلت: فمن يحتمله جُعلت فداك قال: من شئنا يا أبا الصامت إليهم نمدُ أيدينا** – هذه الرواية واضحة تأمرنا بالرجوع إليهم، التمسوا منهم، اطلبوا منهم، توسلوا بهم، هم مصدر العلم، هم مصدر المعرفة، هم مصدر الدين، هم مصدر الحقيقة، هم القرآن، هم القرآن بكل حقيقته وبكل تجلياته – **قلت: فمن يحتمله جُعلت فداك قال: من شئنا** – إذا لم يشاؤوا صلوات الله عليهم لا يمكن أن يرتقي الإنسان إلى هذه المرتبة إلا بمشيئتهم إلا من شئنا.

هناك مرتبة أخرى أعجب وأعجب، إذا كان هذه المرتبة عجيبة فهناك مرتبة أعجب وأعجب، قطعاً هناك من الناس من يتعجب فيقول: إن أمرنا صعبٌ مستصعب لا يحتمله إلا ملكٌ مقرب فإن من الملائكة من ليس بمقرب فيقول: ملائكة يعني لا يحتملون، إلا نبيٌّ مرسل فإن من الأنبياء من ليس بمرسل، إلا مؤمنٌ امتحن الله قلبه للإيمان فإن من المؤمنين من لم يمتحنه الله، قد يتعجب من هذا ولكن هذا أعجب – **لا يحتمله لا ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل ولا عبدٌ مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، فمن يحتمله؟ من شئنا** – إذاً من أنتم يا آل مُحَمَّد؟ الرواية الثالثة أيضاً عن أبي الصامت – **قال: سمعت أبا عبد الله يقول: إن حديثنا ما لا يحتمله ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل ولا عبدٌ مؤمن قلت: فمن يحتمله؟ قال: نحن نحتمله** – وهذا أعجب العجب، هذا شيءٌ تقف عنده العقول كما قال أمير المؤمنين في حديث الحقيقة لكميل – **يا كميل أطفئ السراج لقد طلع الصبح** – اطفئ السراج يعني اطفئ سراج عقلك، اطفئ سراج مداركك، هنا نحن نطفئ كل المصابيح، هنا نطفئ كل الأسرجة، هنا نطفئ كل الأضوية، هنا تعجز الحواس، تعجز البصائر وهي أرقى مراتب الإدراك، البصائر أرقى مراتب الإدراك لأنها تستشف الغيب، هنا تنتهي البصائر، هنا الحيرة في الحيرة – **إلى متى أحار فيك يا مولاي وإلى متى** – هنا الحيرة في الحيرة، ألا نخاطب الإمام الحجة عليه السلام في دعاء الندبة – **إلى متى أحار فيك يا مولاي وإلى متى وأي خطابٍ اصف فيك وأي نجوى** – المصداق الواضح لهذا الكلام هو في هذه الرواية – **فمن يحتمله؟** – إذا كان أمركم لا تحتمله الملائكة المقربون ولا الأنبياء المرسلون ولا المؤمنون – **من يحتمله يا ابن رسول الله؟ قال: نحن نحتمله** – هذه مضامين الرسالة وهذا هو معنى – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا مَوْضِعَ الرِّسالَةِ** – موضع الرسالة هذا في أفق من أفاقه لا يحتمله إلا هم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الرواية **عن مسعدة بن صدقة عن جعفرٍ عن أبيه قال: ذُكرت التقية يوماً** – مسعدة بن صدقة يروي عن إمامنا الصادق عليه السلام – **عن مسعدة بن صدقة عن جعفرٍ عن أبيه** – عن الباقر، الإمام الباقر يقول – **ذُكرت التقية يوماً** – مجموعة من الشيعة ذكروا التقية عند الإمام السجاد – ذُكرت **التقية يوماً عند علي بن الحسين عليه السلام فقال:** – إمامنا السجاد – **والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله**

– طبعاً شُرَّاح الحديث قالوا لقتله يعني أن علم سلمان قتل أبا ذر، واحتمال أخر أن أبا ذر يقتل سلمان لأنه سيراه على ضلال، لا يحتمل علمه، سلمان نسلم عليه في زيارته – **السلام عليك يا صاحب العاشرة** – يعني الدرجة العاشرة، وأبو ذر كما في الروايات هو صاحب الثامنة صاحب الدرجة الثامنة، لذلك الإمام يأتي بهذا المثال لأن أبا ذر في الروايات هو صاحب الثامنة وسلمان صاحب العاشرة – **والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله،** عندنا روايات: **لكفَّره،** روايات: **لقتله،** روايات: **لترحم على قاتله** – بالنتيجة يعني لا يحتمل ما في قلب سلمان – **والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما فما ظنكم بسائر الخلق؟** – الإمام هنا يريد أن يشير إلى أن الذي يعرفُ شيئاً فلا يرى في نفسه أنه أفضل من الآخرين الذين لا يعرفون هذا الشيء، فإذا كان سلمان بتلكم الدرجة من المعرفة والعلم واليقين التي لو علم بها أبو ذر لقتله ومع ذلك آخى رسول الله بينهما، فما بالنا بسائر الناس مثلي ومثل الآخرين، إذا كان أحد منا يعلم شيئاً بسيطاً هذا لا يعني أن الناس الآخرين لا قيمة لهم – **والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما فما ظنكم بسائر الخلق؟ إن علم العالِم** – العالم هنا الإمام المعصوم – **إن علم العالم صعبٌ مستصعب لا يحتمله إلا نبيٌّ مرسل أو ملكٌ مقرب أو عبدٌ مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان** – ثم بين الإمام – **وإنما صار سلمان من العلماء لأنه امرئٌ منا أهل البيت فلذلك نَسبه إلينا أو نسبته إلينا** – سلمان من أهل البيت، فكان علمه من أي علم؟

من الدرجة التي مرت علينا – **من شئنا** – من شئنا هذه درجة علم سلمان أما – **نحن نحتمله** – فهذه الدرجة أعلى من سلمان ومن غير سلمان – **من شئنا** – هو سلمان، الأمر الذي لا يحتمله لا نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا من شئنا فسلمان هو الذي ينطبق عليه هذا المعنى، رواية أخرى يرويها المفضل بن عمر أيضاً كان بدرجة سلمان، كان سلمان ،إمامنا الصادق هكذا الروايات تقول، المفضل كان في زمان الإمام الصادق وفي زمان الإمام الكاظم في زمان الإمام الرضا كان بمثابة سلمان لهم، المفضل صَاحب أربعة من المعصومين صاحب الإمام الباقر والصادق والإمام الكاظم وكان من خواص أصحاب الإمام الكاظم ومن وكلائه المعتمدين وصاحب الإمام الرضا لَمَّا ورد خبر وفاته رضوان الله تعالى عليه إلى الإمام الرضا قال: **أما إنه قد استراح من هم الدنيا وغمها** – لأنه قد أوذي كثيراً المفضل، لأنه كان من حملة أسرار أهل البيت من حملة المعارف الخاصة وحتى أصحاب الأئمة كانوا يؤذونه، الإمام الرضا يشير إلى هذه القضية – **أما إنه قد استراح من هم الدنيا وغمها** – وأفضل وأهم روايات الفضائل والمعارف مروية عن المفضل، لذلك البعض يضعفه، يضعف رواية المفضل وهذه الطامة هذي المصيبة نحن أبتُلينا بها على طول الخط، تجد دائماً

رواة أهل البيت الذين يروون روايات المعارف وروايات الفضائل والمقامات الغيبية يُضَعَّفون بينما الرواة الذين يروون لنا أحكام الطهارة والنجاسة يُوثَّقون، وهذا سؤال كبير، الرواة الذين ينقلون لنا المعارف المهمة يُضَعَّفون، وإن كنت أنا وغيري ممن يعرفون هذه المسائل لا يعبئون بهذه التضعيفات، القضية وراء الأكمة ما وراءها، نحن الآن لسنا بصدد هذه الأمور، على أي حال الإمام الرضا لمَّا وصل إليه خبر المفضل فقال: **رحمه الله أما أنه قد استراح من هم الدنيا وغمها لقد كان الوالد بعد الوالد** – هكذا قال عنه إمامنا الرضا، على أي حال، المفضل يروي عن الإمام الباقر، المفضل يقول:

**قال: أبو جعفر عليه السلام: إن حديثنا صعبٌ مستصعب ذكوان أجرد لا يحتمله ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل ولا عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان، أما الصعب فهو الذي لم يركب بعد وأما المستصعب فهو الذي يُهربُ منه** – الإمام يشرح هذه المعاني – **إن حديثنا صعبٌ مستصعب ذكوان أجرد لا يحتمله ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل ولا عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان، قال: أما الصعب فهو الذي لم يركب** – فلا تركبه الملائكة المقربون ولا الأنبياء المرسلون ولا العباد الذين امتحن الله قلوبهم – **أما الصعب فهو الذي لم يركب بعد وأما المستصعب فهو الذي يُهربُ منه** – وإليه الإشارة في حديث سلمان لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتل سلمان – **وأما المستصعب فهو الذي يُهربُ منه** – أبو ذر هنا يهرب من سلمان – **وأما المستصعب فهو الذي يُهربُ منه إذا رؤي وأما الذكوان فهو ذكاء المؤمنين** – ذكاء المؤمنين يعني أن ذكاء المؤمنين يقف عنده، والمؤمنون ذكاؤهم الإشارة هنا إلى بصيرتهم البصيرة التي تتجاوز الذكاء الإعتيادي، البصيرة التي تتلمس الغيب – **وأما الأجرد فهو الذي لا يتعلق به شيء** – لا يمكن أن يصل إليه شيء – **من بين يديه ولا من خلفه وهو قول الله:** ﴿نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ **فأحسن الحديث حديثنا لا يحتمله أحدٌ من الخلائق أمره بكماله** – لا يوجد أحد يحتمل أمر أهل البيت بكماله – **حتى يحدَّهُ** – لأن إذا نظر إلى الأمور بما عنده من القدرات سيحد هذا الأمر، سيدركه بحدود مداركه، بحدود الحواس، بحدود القلب، بحدود العقل، بحدود البصيرة، بحدود كل قدرات الإدراك – **فأحسن الحديث حديثنا لا يحتمله أحدٌ من الخلائق أمره بكماله حتى يحده** – ثم الإمام يقول – **لأنه من حدَّ شيئاً فهو أكبر منه** – حينما تحدد شيئاً فهذا الشيء يكون أكبر منك – **والحمد لله على التوفيق** – التوفيق لإدراك هذه المعاني – **والإنكار هو الكفر** – هذه كلمة باقر العترة، حديث عميق جداً.

والحقيقة أنا أرى الوقت قد مرَّ منه الشيءُ الكثير ولا استطيع أن أقف عند كل رواية فاشرحها، هذي كل رواية بحاجة إلى حلقة، ولكن من أين نأتي بالوقت والوقت كالسيف، لكن هذه الرواية أمرُّ عليها مرة ثانية تحتاج إلى تبصر تحتاج إلى تأمل – **الإمام يقول: إن حديثنا صعبٌ مستصعب ذكوان أجرد لا يحتمله**

**ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل ولا عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان، أما الصعب فهو الذي لم يُركب بعد** – ما ركبته لا الملائكة المقربون ولا الأنبياء المرسلون – **وأما المستصعب فهو الذي يُهربُ منه أو يَهربُ منه** – يُهربُ منه إذا رؤي، كما فعل أبو ذر، والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، لترحم على قاتله، لَكَفّره – **وأما الذكوان فهو ذكاء المؤمنين وأما الأجرد فهو الذي لا يتعلق به شيءٌ من بين يديه ولا من خلفه وهو قول الله:** ﴿نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ﴾ **فأحسن الحديث حديثنا لا يحتمله أحدٌ من الخلائق أمره بكماله حتى يحدهُ** – لماذا يحدهُ؟ لأن المدارك العقلية والقلبية والوجدانية ومدارك الحواس محدودة فلابد أن يحده، الإمام يقول: – **لأنه من حدَّ شيئاً فهو أكبر منه** – حديث أهل البيت أكبر منا، ثم يقول – **والحمد لله على التوفيق والإنكار هو الكفر** – الإنكار هو الكفر والحمد لله على التوفيق.

حديث ثاني أيضاً ينقله صاحب البصائر رضوان الله تعالى عليه، حديثنا في معنى هذا الحديث، معنى حديثنا صعبٌ مستصعب معنى هذا الحديث – **حديثنا صعبٌ مستصعب لا يحتمله ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل فهو ما رويتم إن الله تبارك وتعالى لا يُوصف ورسوله لا يُوصف والمؤمن لا يُوصف** – المؤمن هنا المقصود الإمام المعصوم، لأن هذه التسمية هي خاصةٌ بعليٍّ فقط، هكذا في الروايات، الله سبحانه وتعالى سمى علياً هذه التسمية الخاصة المؤمن فهي تسميةٌ على وجه الحقيقة لعليٍّ ومن كان في درجة عليٍّ أبنائه المعصومين، أما إطلاقها علينا فعلى نحو المجاز، على نحو التجوز، المؤمن عليٌّ وقلب المؤمن كعرش الرحمن ذلك قلب عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه، وعرش الرحمن هو مجلى من مجالي مُحَمَّد وعلي كما مرّ ولكن هذه المجالي تظهر في كل عالم بحسبه وفي كل أفقٍ بحدوده – **معنى هذا الحديث فهو ما رويتم** – يعني هذا الحديث: **إن حديث آل مُحَمَّد صعب مستصعب لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل، هو مارويتم إن الله تبارك وتعالى لا يُوصف ورسوله لا يُوصف والمؤمن لا يُوصف فمن احتمل حديثهم فقد حدَّهم** – من تصور بأنه يعرف حقائق الحديث ووضع حدوداً له، وما أكثر جهلنا ويأتيك إنسان لا يعرف البُرَّ من البِر ويريد أن يشخص لنا منازل أهل البيت، وهناك أشخاص عاشوا وماتوا وجُل طعامهم الصحف والمجلات والكتب السياسية وهم لا يعرفون شيئاً من أمر أهل البيت ويأتون يفصلون لنا منازل ومراتب أهل البيت. الإمام هكذا يقول، والأحاديث هذه موجودة عندنا: إن الله لا يُوصف وإن رسوله لا يُوصف وإن المؤمن يعني الإمام المعصوم لا يُوصف – **فمن احتمل حديثهم** – يعني من تصور أنه هو يفهم حديثهم – **فمن احتمل حديثهم فقد حدَّهم** – يعني إذا تصور أن هذه الأحاديث الموجودة عندنا هي تمثل حقيقة الأئمة – **فقد حدَّهم** – بينما الأئمة قالوا لنا إننا نكلمكم على قدر عقولكم، وهذه الأحاديث على قدر عقولنا – **فمن احتمل حديثهم فقد حدَّهم** – وضع لهم حدود – **ومن حدَّهم فقد وصفهم ومن وصفهم**

**بكمالهم فقد أحاط بهم وهو أعلم منهم** – إذا أحاط بهم كان أعلم – **وهو أعلم منهم** – كان أعلم منهم، الذي يحيط بهم سوى الله، لذلك لا يعرف الله إلا هم، ولا يعرفهم إلا الله، يا علي لا يعرفك إلا الله وأنا، هو نفس هذا الكلام – **فمن احتمل حديثهم** – من تصور بأنه يعرف معاني حديثهم – **فقد حدَّهم** – لذلك دائماً نقول بأن كل كلامٍ أقوله أنا وأمثالي إنما هو بحدود فهمنا القاصر بحدود عالم العبارة ولو خرجنا بعض شيءٍ بمعونة الرواية فإننا نتمسك بشراشر عالم الإشارة لا بعالم الإشارة، بشراشر عالم الإشارة، والشراشر كما قلت هذي الخيوط التي تتدلى من نهاية الشراشف، من نهاية بعض الملابس، من نهاية السجاد والبسط هذي الشراشر، نحن نتمسك بشراشر عالم الإشارة في بعض الأحيان – **فمن احتمل حديثهم فقد حدَّهم ومن حدَّهم فقد وصفهم ومن وصفهم بكمالهم فقد أحاط بهم وهو أعلم منهم، وقال: يقطع الحديث عمن دونه فيكتفى به، لأنه قال: صعب فقد صعب على كل أحد حيث قال صعب فالصعب لا يركب ولا يحمل عليه لأنه إذا ركب وحمل عليه فليس بصعب** – أن العقول لا تستطيع أن تصل إليه القضية محدودة، أنا أرى أن الوقت قد سار بنا كثيراً والحقيقة بقيت عندي نصوص عديدة أخرى كان بودي أن أقرأها على مسامعكم وأن أتحدث عنها لكن وقت البرنامج قد تجاوز كثيراً، أكتفي بهذا القدر وإن شاء الله إذا اتسع مجال آخر سوف أتحدث عن بقية معنى الرسالة.

لكن إلى الآن تجلت لنا معاني الرسالة الكلية في عالم الخلق الأول ومعاني الرسالة الأرضية بهذه الأحاديث التي قالت بأن رسالتهم في بُعدها الحقيقي لا يحتملها لا نبيٌّ مرسل ولا مَلَكٌ مُقرَّب ولا عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان فمن يحتملها يا بن رسول الله؟ قال: نحن نحتملها، هم يحتملون أمرهم لا غيرهم، هؤلاء أئمتنا وهذا هو موسى بن جعفر باب الحوائج وصاحب المقامات والمعارج صلوات الله وسلامه عليه.

أسألكم الدعاء ولقاءنا يتجدد إن شاء الله تعالى في برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة على ولاءٍ لمُحَمَّد وآل مُحَمَّد وعلى سعيٍ مني ومنكم لمعرفة مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، وهذا شهر رجب واليوم يوم باب الحوائج، اللَّهُمَّ إنا نقسم عليك ببهاء موسى بن جعفر ونقسم عليك بمظلومية موسى بن جعفر، اللَّهُمَّ إني أقسم عليك بصاحب الأحزان الطويلة مألف البلوى والهموم صاحب الضراعات الكثيرة المُعذب في قعر السجون وظُلَم المطامير المنادى على جنازته الشريفة بنداء الاستخفاف أُقسِم عليك به وبجواد الأئمة أن توفقنا لمعرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وأن تميتنا على معرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، أن تنور قلوبنا في حياتنا وفي مماتنا وفي قبورنا وعند الصراط عند الميزان بمعرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، أن تجعل معرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد هي أماننا في الدنيا والآخرة، وأن تجعل معرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد هي غاية همّنا وهمتنا في هذه الحياة بمُحَمَّد وآل محَمَّد، أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

# الحلقة السادسة

## معنى ومُختَلَفَ الملائكةِ

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، أسعد الله أيامكم وملأها حُبّاً وولاءً لِمُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد صلوات الله عليهم، وها نحن نعيش أيام أفراحهم، في يوم غد عيدُ مولد سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه رزقنا الله تعالى وإياكم زيارتهُ من قريبٍ ومن بعيد وخدمتهُ وشفاعتهُ في الدنيا والآخرة بمُحَمَّد وعترتهِ الطاهرة، الحلقة السادسة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، ولا زلت أقرأها من كتاب مفاتيح الجنان لشيخنا المُحَدِّث القمي رضوان الله تعالى عليه.

**اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ** – تَقَدَّمَ الكلامُ في هذه العبائر الشريفة من الزيارة الجامعة الكبيرة، اليوم وصل الحديث إلى قول الزيارة – **وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ** – ما المراد من مختلف الملائكة؟ مخْتَلف الملائكة كلمة المُخْتَلف في لغة العرب تعني المكان الذي يتردد إليه دائماً جيئةً وذهاباً، ومن هنا جاء الحديثُ عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم اختلاف أُمَّتي رحمة، لا كما يفسرها المخالفون، ولا كما يفسرها بعض الشيعة تقليداً وإتباعاً للمخالفين!! كيف يُعْقَلُ أن اختلاف الأُمَّة رحمة؟!! هذا الاختلاف هل أُمِرنا به أم نُهينا عنه!! إذا قال القائل بأننا أُمِرنا بهذا الاختلاف فكيف ينهانا الباري سبحانه وتعالى عن هذا الاختلاف وينهانا النبي؟ وإذا نُهينا عنه فكيف يكون رحمةً؟! هذا محضُ كذبٍ وافتراء على رسول الله صلى الله عليه وآله، إنما قال اختلاف أُمَّتي رحمة يعني مجيء الأُمَّة إليه وإلى أهل بيتهِ، ترددهم الدائم كيف يعرفوا حقائق الدين من رسول الله، هذا المراد اختلاف أُمَّتي رحمة أي أنهم يترددون عليه جيئةً وذهاباً، المُخْتَلف هو المكان الذي يُترددُ عليه، حين أقول اختلفت إليه يعني اتردد عليه دائماً، حينما أقول اختلفت معه فهذا معنى الاختلاف والتنافر، المُختَلف هو المكان الذي يُتردد إليه دائماً جيئةً وذهاباً، الزيارة تخاطبهم بأنهم مختلف الملائكة يعني أن الملائكة ذاهبةً جائيةً، غاديةً رائحةً، تطوف حول فنائهم الشريف صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ** – أما الحديثُ عن الملائكة فهذا حديثٌ طويل وربما هناك الكثير من المشاهدين ممن لا يملكون صورةً صحيحةً

عن الملائكة، في الغالب يملك الناس صورة مُبهمة والسبب في ذلك هو الابتعاد عن حديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لذا نتجول اليوم في رياض كلمات أهل بيت العصمة كي نستجلي شيئاً من حديثٍ أو من معرفةٍ عن الملائكة وعن اختلاف الملائكة لأهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم.

الملائكة أكثر خلقٍ خلقهُ الله سبحانه وتعالى، والملائكة أصنافهم ومراتبهم كثيرة جداً، والملائكة قدراتهم وقابلياتهم عظيمة ومتباينةٌ فيما بين هذه المراتب، الملائكة ينامون إذ ما من مخلوقٍ إلا وهو ينام، الله سبحانه وتعالى هو وحدهُ الذي لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم، الملائكة لا يتزاوجون ولا يتكاثرون كتكاثر الإنسان والحيوان، الملائكة لا يأكلون ولا يشربون إنما طعامهم التنزيه والتسبيح، يتنسمون نسيم العرش فهذا هو طعامهم وسر حياتهم، وهم على مراتب، سنتجول في روايات أهل بيت العصمة لنستجلي بعضاً من المعاني وبعضاً من المعرفة عن الملائكة وعن اختلافهم إلى أهل البيت، في أدعية أهل البيت هناك حديث عن الملائكة، تارةً بشكلٍ مجمل وتارةً بشكلٍ مفصل، على سبيل المثال مثلاً ما جاء في دعاء أم داود، وهو الدعاء المروي عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه، وقصتهُ معروفة ولا أريد الحديث عن دعاء أم داود بقدر ما أريد أن أتناول سطوراً، هذا الدعاء يُقرأ في شهر رجب وله تفصيل مذكور وها أني أقرأهُ من مفاتيح الجنان لشيخنا القمي رضوان الله تعالى عليه، جاء في هذا الدعاء: **اللَّهُمَّ صلي على جبرئيل أمينك على وحيك والقوي على أمرك** – الحديث هنا عن أصناف من الملائكة وعن بعضٍ من شؤوناتهم – **اللَّهُمَّ صلي على جبرئيل أمينك على وحيك والقوي على أمرك والمُطاعِ في سماواتك ومحالِ كراماتك المُتحمل لكلماتك الناصر لأنبيائك المُدمر لأعدائك، اللَّهُمَّ صلي على ميكائيل مَلك رحمتك والمخلوق لرأفتك والمستغفر المُعين لأهل طاعتك، اللَّهُمَّ صلي على إسرافيلَ حامل عرشك وصاحب الصور المنتظر لأمرك الوجل المشفق من خيفتك، اللَّهُمَّ صلي على حَمَلة العرش الطاهرين وعلى السفرة الكرام البررة الطيبين وعلى ملائكتك الكرام الكاتبين وعلى ملائكة الجنان وخَزَنة النيران ومَلك الموت والأعوان** – الأعوان أعوان ملك الموت – **يا ذا الجلال والإكرام** – الدعاء هنا تحدَّثَ عن أصناف وعن مراتب من الملائكة مشيراً ومتحدثاً عن بعضٍ من وظائفهم وعن بعضٍ من قدراتهم.

فحين ذكر جبرئيل قال: **اللَّهُمَّ صلي على جبرئيل أمينك على وحيك والقوي على أمرك والمُطاعِ في سماواتك ومحالِ كراماتك المُتحمل لكلماتك الناصر لأنبيائك المُدمر لأعدائك** – كل عبارة من هذه العبارات كل وصف من هذه الأوصاف بحاجة إلى شرحٍ وإلى بيان ولكن المقام لا يسمح بذلك لِذا أكتفي فقط بإيراد النصوص وأبين ما يحتاج إلى بيان، وحين وصل الحديث عن ميكائيل – **اللَّهُمَّ صلي على**

**ميكائيل ملك رحمتك والمخلوق لرأفتك والمستغفر المُعين لأهل طاعتك** – يعني أن المدد المعنوي النازل إلى أهل طاعة الله إنما هو يُشرِقُ من جهة ميكائيل – **اللَّهُمَّ صلي على ميكائيل ملك رحمتك والمخلوق لرأفتك والمستغفر المعين لأهل طاعتك، اللَّهُمَّ صلي على إسرافيلَ حامل عرشك** – من جملة حَمَلة العرش – **وصاحب الصور** – الصور هو في أصلهِ في الأصل في لغة العرب، الصور هو قرن الثور الكبير الذي يُنفخ فيه وهو البوق، البوق في شكله القديم كانوا يصنعونه من قرون الثيران الكبيرة، والكلام هنا على سبيل الكناية والتشبيه – **وصاحب الصور المنتظر لأمرك الوجل المشفق من خيفتك، اللَّهُمَّ صلي على حَمَلة العرش الطاهرين** – هذا صنف من أصناف الملائكة – **وعلى السفرة الكرام** – هذا صنفٌ آخر – **البررة الطيبين وعلى ملائكتك الكرام الكاتبين** – هذا صنفٌ آخر، وهؤلاء الملائكة الكرام الكاتبون منهم من هو في الأرض الذين يرافقون الإنسان ملائكة الحسنات والسيئات، ومنهم من هم في السماء يكتبون شؤون السماء – **وعلى ملائكة الجنان وخَزَنة النيران ومَلك الموت والأعوان** – ولملك الموت جيوش من الملائكة هم أعوانه في خطف الأرواح وقبضها، ولا يقف الكلام عند هذه الأصناف من الملائكة، إنما هذا الدعاء دعاء أم داود تحدث عن بعض أصناف من الملائكة.

هناك صنفٌ آخر جاء ذكرهُ في الدعاء المروي عن الناحية المقدسة، الدعاء الذي يرويه المُحَدِّث القمي عن الشيخ الطوسي والشيخ الطوسي روى هذا الدعاء في مصباح المتهجد وهو من أصول كتب الأدعية رواهُ عن النائب الثاني عن الشيخ الكبير أبي جعفر مُحَمَّد بن عثمان العمري رضوان الله تعالى عليه، جاء في هذا الدعاء الذي أولهُ: **اللَّهُمَّ إني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك** – إلى أن يقول الدعاء – **ياديموم يا قيوم وعالم كل معلوم صلي على مُحَمَّد وآله وعلى عبادك المنتجبين وبشرك المحتجبين وملائكتك المقربين والبُهم الصافين الحافين** – وهذه من أعلى درجات الملائكة – **وملائكتك المقربين** – وهناك ملائكة أعلى من الملائكة المقربين وهم – **البُهم الصافين الحافين** – البُهم يعني الذوات المُبهمة، الذوات التي إذا ما قيست بالملائكة المقربين بالنسبة لعالم الملائكة وإلا حتى بالنسبة إلينا، حتى بالنسبة لنا فإن الملائكة المقربين هي أيضاً ذوات مبهمة بالنسبة لنا ولكن هذه مرتبة من أعلى مراتب الملائكة في العوالم العلوية تكون مبهمةً حتى بالنسبة لعالم الملائكة – **وملائكتك المقربين والبُهم الصافين الحافين** – أنا قلت لا أستطيع أن أشرح كل الكلمات بالتفصيل لأن ذلك يحتاج إلى وقتٍ طويل، أنا أريد أن أبين الخطوط العامة المجملة التي وردت في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عَلَّني أستطيع أن أوصل إلى المشاهدين والمشاهدات شيئاً مما قاله أهل البيت في هذه المعاني وفي هذه المضامين – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ** – في الصحيفة السجادية

المباركة، في صحيفة إمامنا السجاد هناك دعاء في أوائل الصحيفة، الدعاء المعنون في الصلاة على حَمَلة العرش وكُلِّ مَلَكٍ مُقرَّب من الأدعية الجميلة المبسوطة التي ذَكر فيها أصنافاً كثيرة من أصناف ومن مراتب الملائكة وما هم أعلى رتبةً من الملائكة، ماذا قال إمامنا السجاد عليه السلام؟ وفي اليوم الخامس من هذا الشهر الشريف من شهر شعبان سيكون عيد مولدهِ صلوات الله وسلامه عليه، إمامنا السجاد يقول:

**اللَّهُمَّ وحَمَلة عرشك الذين لا يفترون من تسبيحك ولا يسأمون** – المراد يفترون يعني تصيبهم الفترة والفترة هو الانقطاع – **اللَّهُمَّ وحَمَلة عرشك الذين لا يفترون** – يعني لا يصيبهم الكسل، لا يصيبهم الانقطاع، لا يصيبهم الملل – **اللَّهُمَّ وحَمَلة عرشك الذين لا يفترون من تسبيحك ولا يسأمون** – لا يصيبهم الملل والتعب – **من تقديسك ولا يستحسرون** – يستحسرون يعني يكلّون والكلل هو التعب، وكل هذه المعاني يفترون، يسأمون، يستحسرون إنما هي مراتب من التعب والكلل والملل – **اللَّهُمَّ وحَمَلة عرشك الذين لا يفترون** – وهذه مرتبة من مراتب الملائكة هم حَمَلة العرش – **اللَّهُمَّ وحَمَلة عرشك الذين لا يفترون من تسبيحك ولا يسأمون من تقديسك ولا يستحسرون من عبادتك ولا يؤثرون التقصير على الجد في أمرك ولا يغفلون عن الوله إليك** – لا تصيبهم الغفلة عن الوله إليك، فهم والِهون إليك، فهم في حالة الحيرة وفي حالة العشق إليك – **ولا يغفلون عن الوله إليك** – ما قال الدعاء ولا يغفلون عن الوله فيك، وهناك فارقٌ بين الوله في الشيء وبين الوله إليه، إنما قد يصيب الإنسان الوله في الشيء إذا كان عارفاً لذلك الشيء، أما إذا لم يكن عارفاً فإنه يصيبهُ الوله إليه، الملائكة هل يمكنها أن تعرف الله؟ لذلك يصيبها الوله إليه سبحانه وتعالى – **ولا يغفلون عن الوله إليك وإسرافيل صاحب الصور الشاخص الذي ينتظر منك الإذن وحلول الأمر فيُنبِّهُ بالنفخة صرعى رهائن القبور، وميكائيلُ ذو الجاه عندك والمكان الرفيع من طاعتك، وجبرئيل الأمين على وحيك المُطاع في أهل سماواتك المكين لديك المُقَرَّبُ عندك، والروح الذي هو على ملائكة الحُجُب** – هذا أعلى من الملائكة – **والروح الذي هو على ملائكة الحُجُب** – جبرئيل ميكائيل إسرافيل إنما هم دون العرش.

وقلنا العرش هو العالم المحيط بالكرسي، والكرسي هو العالم المحيط بالسماوات وبما دون السماوات كالعالم الأرضي والعوالم الأخرى، أما الحجُب فهي فوق عالم العرش وللُحُجب ملائكة وهي من أعلى درجات الملائكة ولكن فوق ملائكة الحجُب هناك الروح – **والروح الذي هو على ملائكة الحجُب والروح الذي هو من أمرك** – وهذا أعلى من الروح الذي هو على ملائكة الحُجُب، هذا هو الروح الذي يتنزَّلُ في ليلة القدر ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ – **والروح الذي هو من أمرك** – من أمر الله، وهذا هو أعظم الكائنات في العوالم العلوية، من تجليات مراتب الحقائق القادسة الأولى – **والروح الذي هو أمرك** –

وقد مرَّت الإشارة إلى ذلك بأنهُ يُفهم من الروايات أن هذا الروح إنما هو من تجليات الحقيقة الفاطمية – **وجبرئيل الأمين على وحيك المُطاع في أهل سماواتك المكين لديك المُقَرَّبُ عندك والروح الذي هو على ملائكة الحُجُب** – وهو خلقٌ أعظم من الملائكة – **والروح الذي هو من أمرك** – وهذا أعظم ممن سبقهُ – **اللَّهُمَّ فصلي عليهم وعلى الملائكة الذين من دونهم من سُكان سماواتك وأهل الأمانة على رسالاتك** – الذين يُرسلون إلى الأنبياء – **والذين لا تدخلهم سأمةٌ من دؤوب ولا إعياءٌ من لغوب** – اللغوب التعب، والدؤوب هو الاستمرار في العمل – **والذين لا تدخلهم سأمةٌ من دؤوب** – السأمة الملل من استمرار العمل من استمرار الطاعة – **ولا إعياءٌ من لغوب** – لو أصاب الملائكة ذلك لحدث فسادٌ في الكون، لأن الكون بكل ذراتهِ إنما هو تنظمهُ الملائكة هكذا بينت لنا روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – **والذين لا تدخلهم سأمةٌ من دؤوب ولا إعياءٌ من لغوب ولا فتور ولا تشغلهم عن تسبيحك الشهوات ولا يقطعهم عن تعظيمك سهو الغفلات الخشَّعُ الأبصار فلا يرومون النظر إليك النواكس الأذقان الخشَّعُ الأبصار** – هؤلاء لا يرون لذواتهم من منزلةٍ ومن درجةٍ أن يرفعوا أبصارهم إلى الأعلى – **الخشَّعُ الأبصار فلا يرومون النظر إليك** – لا يرومون لا يطمحون في ذلك وإنما يرون حقائقهم وذواتهم دون ذلك – **الخشَّعُ الأبصار فلا يرومون النظر إليك النواكس الأذقان** – كيف يُنكِّسُ المرء ذقنه إذا ما أنزل وجهه وأنزل رأسه – **النواكس الأذقان الذين قد طالت رغبتهم فيما لديك المستهترون بذكر آلائك** – مستهترون يعني مولعين، المولعون الذين لا يجدون شيئاً في قلوبهم في ذواتهم إلا ذكر آلائهِ ذكر نعمهِ وذكر آياتهِ – **المستهترون بذكر آلائك والمتواضعون دون عظمتك وجلال كبريائك والذين يقولون إذا نظروا إلى جهنم تزفر على أهل معصيتك سبحانك ما عبدناك حق عبادتك** – هؤلاء الملائكة بهذه الأوصاف هكذا يخاطبون الباري سبحانه وتعالى – **سبحانك ما عبدناك حق عبادتك فصلي عليهم وعلى الروحانيين من ملائكتك** – وهذه طبقة أخرى، هذه شعوب وأمم أخرى من الملائكة – **فصلي عليهم وعلى الروحانيين من ملائكتك وأهل الزلفة عندك وحُمَّال الغيب** – وأهل الزلفة طبقة أخرى من الملائكة – **وحُمَّال الغيب إلى رُسُلك والمؤتمنين على وحيك وقبائل الملائكة الذين اختصصتهم لنفسك وأغنيتهم عن الطعام والشراب** – بأي شيءٍ؟ – **بتقديسك** – طعامهم التقديس والتسبيح – **وأسكنتهم بطون أطباق سماواتك والذين على أرجائها** – على أرجاء الوجود، على أرجاءها الأرجاء الجهات والنواحي – **والذين على أرجائها إذا نزل الأمر بتمام وعدك** – متى ينزل الأمر بتمام وعدهِ؟

الوعد الأول عند ظهور إمام زماننا، والوعد الثاني في يوم القيامة – **وخُزَّان المطر** – الملائكة الذين

وظيفتهم خُزَّانُ المطر – **وخُزَّان المطر وزواجر السحاب والذي بصوت زجرهِ يُسمع زجر الرعود وإذا سبحت به حفيفة السحاب ألتمعت صواعق البروق ومُشيّعي الثلج والبَرَد والهابطين مع قطر المطر** – البَرَد هو الحالوب ما يسمى بالحالوب – **والهابطين مع قطر المطر إذا نزل** – الروايات تقول بأنهُ ما من قطرة مطرٍ إلا وينزل معها مَلَكٌ موكل بها يوصلها إلى المكان الذي يجب أن تصل إليه تلكم القطرة، وهذا مع كل شيءٍ إنما هذا مثال – **والهابطين مع قطر المطر إذا نزل، والقوام على خزائن الرياح، والموكلين بالجبال فلا تزول، والذين عرَّفتهم مثاقيل المياه** – مثاقيل يعني أوزان – **وكيل ما تحويه لواعج الأمطار وعوالجها، ورُسُلك من الملائكة إلى أهل الأرض بمكروه ما ينزل من البلاء ومحبوب الرخاء والسَفَرة الكِرام البررة والحَفَظة الكرام الكاتبين وَمَلَك الموت وأعوانه ومُنكرٍ ونكير ورومان فتان القبور والطائفين بالبيت المعمور ومالكٍ والخزَنة ورضوان وسَدَنة الجنان** – ومالكٍ والخزَنة يعني خَزَنة النيران – **ورضوان وسَدَنة الجنان والذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** – هذا صنفٌ من الملائكة – **والذين يقولون سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار** – هذا صنفٌ آخر – **والزبانية الذين إذا قيل لهم خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ابتدروه سِراعاً ولم يُنظروه، ومن أوهمنا ذكره ولم نعلم مكانه منك وبأي أمرٍ وكلتهُ وسُكان الهواء والأرض والماء ومن منهم على الخلق فصلي عليهم يوم تأتي كل نفسٍ معها سائقٌ وشهيد** – والسائق والشهيد أيضاً من أصناف الملائكة – **وصلي عليهم صلاةً تزيدهم كرامةً على كرامتهم وطهارةً على طهارتهم** – إلى آخر الدعاء الشريف.

هذا الدعاء ذكر لنا أصنافاً وقبائل ومجموعات ومراتب وأنواع من الملائكة، سيد الأوصياء في نهج البلاغة الشريف أيضاً تحدث كثيراً عن الملائكة، أشير إلى بعضٍ من كلماتهِ صلوات الله وسلامه عليه في الخطبة الأولى من خطب نهج البلاغة الشريف وهو يتحدث عن خلق الملائكة.

**يقول سيد الأوصياء: ثم فتق ما بين السماوات العلى** – وهو يتحدث عن خلق الله سبحانه وتعالى لهذا الوجود – **ثم فتق ما بين السماوات العلى فملأهنَّ أطواراً من ملائكته منهم سجودٌ لا يركعون** – الحديث هنا عن بعض أحوال الملائكة – **منهم سجودٌ لا يركعون وركوعٌ لا ينتصبون** – هذا صنفٌ آخر – **وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يسأمون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول** – هنا تشبيهاً بالإنسان وإلا فإن للملائكة نوعاً من أنواع النوم الذي يناسبهُم – **لا يغشاهم نوم العيون** – يعني لا يصيبهم النوم كالنوم البشري وإنما لهم نومهم الخاص كما أن لهم طعامهم الخاص، كما أن طعامهم التسبيح فلهم نحوٌ من أنحاء النوم – **لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الأبدان** – لأنهم أساساً لا يملكون أبداناً كأبداننا ولا يملكون عيوناً كعيوننا – **ثم فتق ما بين السماوات العلى فملأهنَّ أطواراً من**

**ملائكته منهم سجودٌ لا يركعون وركوعٌ لا ينتصبون** – والحديث هنا سجودٌ لا يركعون عن مرتبة هؤلاء الملائكة فهم في مرتبة السجود – **وركوعٌ لا ينتصبون** – هم في مرتبة الركوع ومرتبة السجود أعلى وأقرب، السجود هو أقرب إلى الله، أقرب ما يكون العبد فيه إلى الله في حال تواضعهِ وخشوعهِ وذلته، وأظهر مظاهر الخشوع والتواضع والذلة لله سبحانه وتعالى هو في سجود العبد على التراب – **منهم سجودٌ لا يركعون وركوعٌ لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون** – والذين هم في مقام الركوع أعلى رتبةً من أولئك الصافين – **وصافون لا يتزايلون** – صافون كالذي يُقال قام فصفَّ قدميه – **ومسبحون لا يسأمون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الأبدان ولا غفلة النسيان ومنهم أمناء على وحيه وألسنةٌ إلى رُسله ومختلفون بقضائه وأمره** – مختلفون يعني ذاهبون وصاعدون ونازلون، إلى من يختلفون؟

يختلفون إلى أولي الأمر في الأرض ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ هذا التنزل ليس فقط في ليلة القدر، هذا التنزل متصل دائماً فهم مختلفون إلى أولي الأمر – **ومختلفون بقضائه وأمره** – لمن؟ إلى أولي القضاء وأولي الأمر، ومن هم أولوا القضاء وأولي الأمر؟ – **ومختلفون بقضائه وأمره ومنهم الحفَظَة لعباده والسَدَنَةُ لأبواب جنانه ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم والمارقة** – يعني الخارجة – **من السماء العليا أعناقهم والخارجة من الأقطار أركانهم والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم** – أيُّ أكتافٍ هذه التي تحمل العرش الذي يكون فيه عالم الكرسي كحلقةٍ إلى فلات، والذي تكون فيه السماوات والأرض في عالم الكرسي كحلقةٍ إلى فلات، كحلقةٍ ألقيت في فلاتٍ واسعة – **والخارجة من الأقطار أركانهم** – من أقطار السماوات والأرض يعني – **والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم، ناكسةٌ دونه أبصارهم، متلفعون تحته بأجنحتهم، مضروبةٌ بينهم وبين من دونهم حُجُب العزّة** – مضروبة بينهم وبين من دونهم من هم أقل رتبةً منهم – **حُجُب العزّة وأستار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير، ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالأماكن ولا يشيرون إليه بالنظائر** – الأمير هنا يتحدث عن أصناف من الملائكة وعن مراتب عالية، فهناك حُجُب العزة التي تحول فيما بين حَمَلة العرش وبين سائر الملائكة، وكذلك هناك ملائكة الحُجُب وهناك الروح الذي فوق ملائكة الحُجُب كما مرَّ علينا، وهناك الروح الذي هو من أمر الله سبحانه وتعالى، عالم نحن لا نعرف عن حقائقه إلا هذا الشيء المجمل الذي جاء عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

هناك وصفٌ جميلٌ جداً في الخطبة الثانية والثمانين بعد المئة من نهج البلاغة الشريف فماذا يقول سيد الأوصياء؟ يقول: **إن كنت صادقاً أيها المُتكلف لوصف ربك** – خطاب للذي يتصور بأنه يستطيع أن يصف ربه – **إن كنت صادقاً أيها المُتَكَلِّفُ لوصف ربك فَصِف جبريل وميكائيل وجنود الملائكة**

**المُقربين** – إذا كنت قادراً أن تصف الله فَصِف لنا على الأقل جبريل وميكائيل – **وجنود الملائكة المقربين في حجرات القُدس** – حجرات القدس المنازل العالية لهؤلاء الملائكة – **فَصِف جبريل وميكائيل وجنود الملائكة المقربين في حجرات القدس** – هذه الحجرات التي يتواصلون فيها في العوالم القادسة العليا هكذا يصفهم سيد الأوصياء – **في حجرات القدس مُرْجَحنّينّ متولهةً عقولهم أن يحدوا أحسن الخالقين** – وصف في غاية الدقة – **مُرْجَحنّينّ** – مرجحنين يعني كالذي يصعد في الأرجوحة يميل يميناً وشمالاً، هؤلاء من تولههم ومن حيرتهم في حجرات القدس، هؤلاء الملائكة في هذه الرُتَب العالية، هذا جبرئيل القوي الأمين، هذا جبرئيل المطاع في عالم السماوات وفي العوالم العليا هكذا يصفهُ سيد الأوصياء يقول – **فَصِف جبريل وميكائيل وجنود الملائكة المقربين في حجرات القدس مُرْجَحنّينّ متولهةً عقولهم** – مُرْجَحنّين يعني كأنهم يتأرجحون يميناً وشمالاً من ثقل المعرفة ومن ثقل الوله إلى الله سبحانه وتعالى، كلماتٌ أرددها دون أن أفهم حقائق معانيها، لكن هكذا قالها سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه.

وحين أقول إني لا أفهم معانيها ليس مرادي المعاني اللغوية، المعاني اللغوية واضحة، ولا مرادي أيضاً المعاني التي يمكن أن تشرحها رواياتٌ أخرى، ستأتينا روايات توضح هذه المعاني، وإنما أقصد حقيقة معاني هذه الكلمات، المعنى الدقيق لهذه الكلمات، ما المراد من أن هؤلاء الملائكة المقربين مُرْجَحنّينّ متولهةً عقولهم؟! أيضاً سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه يحدِّثُنا عن أعظم مَلَكٍ من الملائكة، هناك مَلَكٌ هو أعظم الملائكة غير جبرئيل غير ميكائيل غير إسرافيل غير هؤلاء الملائكة الذين تمَّ الحديث عنهم، أعظم الملائكة هو مَلَكٌ ما هي وظيفتهُ؟ هو خادم رسول الله صلى الله عليه وآله سلم، سيد الأوصياء في خطبتهِ الثانية والتسعين بعد المئة صلوات الله وسلامه عليه، الخطبة المعروفة بالخطبة القاصعة، ماذا يقول سيد الأوصياء وهو يتحدث عن رسول الله؟

**ولقد قرَن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً** – يعني منذُ طفولتهِ – **ولقد قرَن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً** – هذا في عالم الدنيا، أهل البيت مختلف الملائكة في عالم الدنيا، في عالم الآخرة، في العوالم العلوية، في عالم العرش وما دون العرش، في عوالم ما فوق عالم العرش الملائكة تختلف لأهل البيت، فأهل البيت لهم وجودٌ في كل عالم من هذه العوالم يتناسب مع ذلك العالم، وأهل البيت في كل عالم من هذه العوالم هم مختلف الملائكة، حينما نقول بأن أهل البيت هم مختلف الملائكة ليس في العالم الأرضي فحسب وإنما في كل طبقةٍ من طبقات هذا الوجود هم مختلف الملائكة – **ولقد قرَن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم مَلَكٍ من ملائكته يسلك به طريق**

**المكارم** – كان في خدمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجبرئيل كان في خدمتهِ وكل الملائكة في خدمته، بل في الروايات إن الملائكة خُدّامنا وخُدام شيعتنا، هذا المعنى واضحٌ في كلمات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذا الملك هكذا يصفهُ أمير المؤمنين أعظم مَلَكٍ من ملائكته، أعظم الملائكة هو خادمٌ للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله منذُ أن كان رسول الله فطيماً – **ولقد قرَن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم مَلَكٍ من ملائكته يسلك به طريق المكارم** – إلى آخر كلام سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه.

قلت في أول حديثي من أن أصناف الملائكة كثيرة جداً والروايات الشريفة التي بأيدينا لم تذكر لنا كل أصناف الملائكة وإنما ذكرت لنا أصناف وقبائل وجموع واختصاصات ووظائف للملائكة، فكان الحديث فيها بالنحو المجمل لا بالنحو التفصيلي، هناك روايةٌ تُحدِّثُنا عن الملائكة وتبين لنا جوانب من أوصاف الملائكة، سأتلو على مسامعكم مجموعة من الأحاديث مجموعة من الروايات التي اقتطفتها من أحاديث أهل البيت التي تُقرِّب لنا شيئاً ما صورة عالم الملائكة، هذه روايةٌ منقولةٌ عن صادق العترة صلوات الله وسلامه عليه، ماذا يقول إمامنا الصادق؟ أقرأ سطوراً منها، الرواية طويلة، موطن الحاجة – **خلق الله الملائكة مختلفة وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل** – رآهُ في صورتهِ لا التي ينزل بها إلى الأرض فإن الأرض لا تكفي جبرئيل، جبرئيل أعظم من الأرض، جبرئيل كان ينزل على النبي في صورة دحيا الكلبي وهو شابٌ جميلٌ وسيمٌ حَسَنٌ من أهل المدينة كان يعمل في التجارة وغالباً ما كان يغيب في التجارة، فكان ينزل جبرئيل بصورة دحيا الكلبي وقد ينزل بصورةٍ أخرى، فحينما كان ينزل وكان الكثير من المسلمين يرونه يتصورون بأن هذا هو دحيا الكلبي – **خلق الله الملائكة مختلفة وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل وله ستمئة جناح** – له ستمئة جناح، الآية القرآنية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ الآية هنا لا تُحدد أصناف الملائكة بهذا العدد أن لها مثنى من الأجنحة وثُلاث ورُباع، إنما تريد أن تشير إلى أن الملائكة عدد أجنحتها مختلف باختلاف مراتبها، كلما ارتقت درجات الملائكة كلما زاد عدد أجنحتها، زيادة عدد الأجنحة يشير إلى زيادة المراتب التي تصل إليها وترتقي إليها هذه الملائكة، ومن هنا الإمام يحدثنا عن جبرئيل يقول – **وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل وله ستمئة جناح على ساقهِ** – على ساقهِ، الساق وهو الرجل – **على ساقهِ الدرُ مثلُ القطر على البقل** – البقل يعني هذه الخضروات حينما يأتي الفلاح عند الصباح يريد أن يجتني البقل ماذا يجد؟ يجد قطرات من قطر الندى، ما يسمى بقطر الندى، من الندى يجد قطرات من الندى على أوراقها، فالإمام هنا يصف جبرئيل أن الدر وأيُّ الدر، هذا الدر، الدُر السماوي، الدُر الذي هو من عالم الملكوت، والدُر

فيه إشارة إلى الصفاء وإلى النقاء وإلى الإحاطة – **على ساقهِ الدرُ مثلُ القطر على البقل قد ملأ ما بين السماء والأرض** – النبي رآه هكذا، ورؤية النبي للسماء والأرض تختلف عن رؤيتي ورؤيتك للسماء والأرض، فبصرُ محَمَّد صلى الله عليه وآله في حدتهِ وفي اتساعهِ لا يشابههُ بصر، الإمام يقول – **لقد رأى جبرئيل وله ستمئة جناح، على ساقه الدُر مثل القَطر على البقل قد ملأ ما بين السماء والأرض** – إلى أن يقول الإمام – **إن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون** – لا يوجد هناك تزاوج تناسل توالد بين الملائكة – **وإنما يعيشون بنسيم العرش** – هذه طبقة من طبقات الملائكة، يتنسمون نسيم العرش، وما هو نسيم العرش؟

شيءٌ لا نُدرك معناه، العبارات هنا كلها تقريبية وتمثيلية – **إن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون وإنما يعيشون بنسيم العرش وإن لله ملائكةً رُكّعاً إلى يوم القيامة** – مرَّ هذا في كلام سيد الأوصياء – **وإن لله ملائكةً سُجداً إلى يوم القيامة** – ثم قال إمامنا الصادق صلوات الله عليه – **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من شيءٍ خلقهُ الله أكثر من الملائكة وإنه ليهبط في كل يومٍ وفي كل ليلة سبعون ألف مَلك فيأتون البيت الحرام** – يعني في مكة – **فيطوفون به ثم يأتون رسول الله صلى الله عليه وآله** – يعني في المدينة – **ثم يأتون أمير المؤمنين عليه السلام** – النجف – **فيُسلمون عليه ثم يأتون الحسين في كربلاء فيقيمون عنده** – أكثر إقامتهم عند الحسين – **فيقيمون عنده فإذا كان السَحَر وُضِع لهم معراجٌ إلى السماء ثم لا يعودون أبداً** – هؤلاء يحجون ويقيمون عند الحسين ثم لا يعودون أبداً، وهذا في كل يومٍ وليلة وهذا مظهر، جهة من جهات حركة الملائكة، اختلاف الملائكة إلى أهل البيت لا يمكن أن أحصرهُ في مظهرٍ واحد، هذا مظهر من مظاهر اختلاف الملائكة، اختلافهم إلى النبي، إلى النجف، إلى حُسينٍ ثم يأتون الحسين فيقيمون عنده – **فإذا كان السَحَر وُضِع لهم معراجٌ إلى السماء ثم لا يعودون أبداً** – تأتي أفواجٌ وأفواجٌ ولا انقطاع لأفواجهم، والملائكة يختلفون إلى أهل البيت في مظاهر ومراتب لا حصر لها ولا عَدّ لها، أنا قلت أقتطف من الروايات ما يبين لنا شيئاً من المعاني التي تُقرِّب لنا صورة عالم الملائكة.

روايةٌ أخرى ينقلها شيخنا الصدوق رضوان الله تعالى عليه هذه الرواية يرويها أبو مخنف لوط بن يحيى وهو من الرواة الذين نعتمد أحاديثهم لا كما تُنسب إليهم الأكاذيب الكثيرة ولا كما يُقال ويُقال عنهم، من مؤرخي الشيعة الموثوقين لوط بن يحيى – **عن أبي مخنف لوط بن يحيى عن أبي منصور عن زيد بن وهب قال: سُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قدرة الله جلت عظمته فقام خطيباً فَحَمَد الله وأثنى عليه ثم قال: إن لله تبارك وتعالى ملائكة لو أن مَلَكاً منهم هبط إلى الأرض ما وسعتهُ لعظم خلقه**

**وكثرة أجنحته، ومنهم من لو كُلِّفت الجن والإنس أن يصفوه ما وصفوه لبُعد ما بين مفاصله وحُسن تركيب صورتهِ** – المفاصل المرفق الركبة مفاصل البدن، هناك من سأل أمير المؤمنين أن يحدثه عن قدرة الله جلت عظمتهُ، الأمير صلوات الله وسلامه عليه بدأ الحديث عن الملائكة، هذه مخلوقات الأنسان لا يستطيع أن يُدرك عظمتها – **إن لله تبارك وتعالى ملائكة لو أن مَلَكاً منهم هبط إلى الأرض ما وسعتهُ لعظم خلقه وكثرة أجنحته ومنهم من لو كُلِّفت الجن والإنس أن يصفوه ما وصفوه** – الحديث عن الجن والإنس يعني جميع الإنس منذُ بداية الخلق إلى نهاية خلقِهم، والجن كذلك والجن طبعاً أعدادهم أضعاف أضعاف مضاعفة أكثر من الإنس، الروايات هكذا حدثتنا – **ومنهم من لو كُلِّفت الجن والإنس أن يصفوه ما وصفوه لِبُعد ما بين مفاصله وحُسن تركيب صورته** – يعني جماله – **وكيف يُوصف** – يعني كيف يوصف الله – **من ملائكتهُ من سبعمئة عام ما بين منكبيه وشحمة أذنه** – المنكب هو هذا يعني ما بين المنكب وشحمة الأذن مسافة سبعمئة عام – **وكيف يُوصف من ملائكتهُ من سبعمئة عام ما بين منكبيه وشحمة أذنه، ومنهم من يسد الأفق بجناحٍ من أجنحتهِ دون عِظم يديه، ومنهم من في السماوات إلى حُجزته** – إلى حُجزة الله، والحجزة الإلهية هذا من الأماكن العالية السامقة، ربما يأتينا الحديث عن حُجزة الله عن الحجة عن الحجزة الإلهية – **ومنهم من في السماوات إلى حُجزته، ومنهم من قدمه على غير قرارٍ في جو الهواء الأسفل والأرضون إلى ركبتيه، ومنهم من لو ألقي في نُقرة إبهامه جميع المياه لوسعتها** – نُقرة الإبهام أين هي؟ نُقرة الإبهام يعني إما المراد من نُقرة الإبهام هي هذه، هذه الموجودة بين القطعتين بين السلاميتين من الأصابع، المراد من النُقرة هي هذه، وإما المراد من النُقرة هو هذه الخطوط الموجودة التجعيدات الموجودة في أعلى الإبهام – **ومنهم من لو ألقي في نُقرة إبهامه جميع المياه لوسعتها، ومنهم من لو ألقيت السفن في دموع عينيه لجرت دهر الداهرين فتبارك الله أحسن الخالقين** – هذه الرواية أيضاً حدثتنا عن جانب من شؤونات الملائكة ومن أوصاف الملائكة.

روايةٌ أخرى هذه الرواية عن جميل بن دُرَّاج – **قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام هل في السماء بحار؟ قال: نعم أخبرني أبي عن ابيه عن جده عليهم السلام** – إمامنا الصادق يقول: أخبرني أبي الباقر عن أبيه السجاد عن جده عليهم السلام يعني عن سيد الأوصياء – **قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن في السماوات السبع لبحاراً** – في العوالم العلوية – **لِبحاراً عُمق أحدها مسيرة خمسمئة عام** – بحار تتناسب مع العوالم العلوية – **فيها ملائكةٌ قيام منذُ خلقهم الله عزَّ وجل والماء إلى رُكبهم** – يعني هذه البحار عمقها مسيرة خمسمئة عام، ومسيرة خمسمئة عام هذا الماء كله بهذا العمق الهائل يصل إلى ركب هؤلاء الملائكة – **إن في السماوات السبع لبحاراً عُمق أحدها مسيرة خمسمئة عام فيها ملائكةٌ**

**قيام منذُ خلقهم الله عزَّ وجل والماء إلى رُكبهم وليس منهم مَلَك إلا وله ألف وأربعمئة جناح في كل جناح أربعة وجوه في كل وجه أربعة ألسن ليس فيها جناح ولا وجه ولا لسان ولا فم إلا وهو يسبح الله تعالى بتسبيحٍ لا يشبهُ نوعٌ منه صاحبه** – يعني كل لسان له تسبيح له شأن والحديث هنا ليس عن صورة بشرية، الحديث هنا عن هذه الملائكة التي هي من تجليات الحضرات القادسة الأولى، والحديث هنا عن هذه الأجنحة وهذه الوجوه وهذه الألسنة عن القدرات والطاقات والقابليات التي أودعها الله سبحانه وتعالى في هؤلاء الملائكة.

روايةٌ أخرى يرويها صاحب البصائر عن إمامنا الصادق عليه السلام – **إن الكروبيين** – وهؤلاء صنفٌ أعلى من أصناف الملائكة المقربين – **إن الكروبيين قومٌ من شيعتنا** – وكرّوبي، الملَك الكرّوبي هذه الكلمة ليست عربية هذه الكلمة ورثناها من التراث السيرياني – **إن الكروبيين قومٌ من شيعتنا من الخلق الأول** – من الخلق الأول يعني من المراتب الأولى من الملائكة الذين اشتُقوا من أنوار أهل البيت، مر علينا في الحلقات السابقة رواية منقولة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، الرواية التي تحدثت أن العرش اشتقّ من نور النبي صلى الله عليه وآله وأن الملائكة اشتقّوا من نور عليٍ صلوات الله وسلامه عليه، فهؤلاء الملائكة الكروبيون هم المراتب الأولى التي اشتقّت وتجلت من نور عليٍ صلوات الله وسلامه عليه، لا يحدث اشتباه في الخلط بين ما ذكرتهُ في الحلقات الماضية من أنني سأستعمل اصطلاح الخلقُ الأول وأعني به الحقائق القادسة الأولى التي اشتقّ الله منها جميع الكائنات، والخلق الثاني هو جميع الكائنات التي اشتقّها الله من الخلق الأول، أما هنا الكلام عن الخلق الأول المراد المراتب الأولى من الملائكة التي تجلت من نور أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في مراتبه القادسة العالية – **إن الكروبيين قومٌ من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش** – هؤلاء أرقى من الملائكة المقربين، الملائكة المقربون هم الذين يحفون بالعرش وهم الذين يحملون العرش – **جعلهم الله خلف العرش لو قُسِّم نور واحدٍ منهم على أهل الأرض لكفاهم** – يعني لَمَا احتاجوا إلى الشمس وإلى أي ضوءٍ أخر – **لو قُسِّمَ نور واحدٍ منهم على أهل الأرض لكفاهم ثم قال** – إمامنا يقول – **إن موسى عليه السلام لَمَّا أن سأل ربه ما سأل أَمَرَ واحداً من الكروبيين فتجلى للجبل فجعلهُ دكَّاً** – أمَرَ واحداً من الكروبيين فتجلى للجبل فجعلهُ دكَّاً – في بعض الروايات أن النور الذي أشرق على جبل موسى كان بمقدارِ فتحة الخاتم، بمقدار فتحة الخاتم يعني هذا المراد من الخاتم هو هذا، أن هذا النور أشرق من ذلك الملك الكروبي وهذا الملك الكروبي إنما هم من شيعة مُحَمَّد وآل مُحَمَّد هكذا قال إمامنا الصادق – **إن الكروبيين قومٌ من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش لو قُسِّم نور واحدٍ منهم على أهل الأرض لكفاهم، ثم قال: إن موسى عليه السلام لَمَّا أن سأل ربه ما**

**سأل أَمَر واحداً من الكروبيين فتجلى للجبل فجعلهُ دكَّاً** – والروايات تقول بأن جبل موسى تحول إلى ذر، هذا الذر الذي نراهُ يتحرك في أشعة الشمس الداخلة من النوافذ والشبابيك، الروايات تقول هذه بقايا جبل موسى الذي دُكَّ دَكَّاً بنورٍ من ملكٍ كروبي هو من شيعة عليٍ وآل علي، ربما البعض يستصعب هذه المعاني ولا يقبل هذه المعاني أو ربما يسخرُ منها ويعتبرها مجرد خيالات ومجرد أوهام لا شأن لنا بما يقولون، الكلامُ كلامُ أهل البيت والمنازلُ منازلهم والمقاماتُ مقاماتهم ومن منَّا يعرفُ قدر أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، المحظوظ منَّا من استطاع أن يستمع وأن يقرأ وأن يحفظ أكبر قدرٍ من مثل هذه الأحاديث، المحظوظ منَّا من وفق لأن يطلع على مثل هذه الأحاديث، هذا حظٌ عظيم، هذا كلامُ أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ووالله إني ليصيبني الأسف الشديد على أن هناك الكثير من محبي أهل البيت ومن المخلصين لأهل البيت لا تصل إلى مسامعهم مثلُ هذه الكلمات، ومن هنا نعرف الفارق الكبير بين الخلق الأول والخلق الثاني فإن الأنبياء والأوصياء والملائكة كلهم من مرتبة الخلق الثاني – **إن موسى عليه السلام لَمَّا أن سأل ربه ما سأل** – لَمَّا أراد أن ينظر، لَمَّا سأل وطلب أنه أراد أن ينظر إلى الله سبحانه وتعالى تجلى له نور هذا الكروبي من شيعة عليٍ وآل علي فصار الجبلُ دكَّاً.

روايةٌ أخرى يرويها شيخنا الصدوق في كتابه الإكمال – **عن داود بن فرقد قال: قال لي بعض أصحابنا أخبرني عن الملائكة أينامون؟ قلتُ: لا أدري، فقال: يقول الله عز وجل:** ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ – يعني لا تصيبهم الفترة، الفترة هو النعاس هو الكلل الملل، ثم قال – **لا أطرفك عن أبي عبد الله** – أطرفك يعني أنقلُ إليك شيئاً طريفاً، لا أهديك يعني – **لا أطرفك عن أبي عبد الله عليه السلام بشيء؟ فقلتُ: بلى، فقال: سئل عن ذلك فقال: ما من حيٍ إلا وهو ينام خلا الله وحدهُ عز وجل والملائكةُ ينامون فقلتُ: يقول الله عز وجل** ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ **فقال: أنفاسهم تسبيح** – أنفاسهم التي تتناسب معهم وتسبيحهم الذي يتناسب معهم، الرواياتُ كثيرةٌ عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وهذه روايةٌ ينقلها أبو ذرٍ الغفاري رضوان الله تعالى عليه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أبو ذر يقول – **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني أرى ما لا ترون** – قبل قليل قلت بأن بصر مُحَمَّد صلى الله عليه وآله لا كبصرنا لا في شدته ولا في قوته ولا في ديمومته ولا في سطوعه ولا في اتساعه – **إني أرى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون** – فماذا يقول رسول الله؟ – **أطَّت السماء وحق لها أن تأطَّ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملكٌ واضعٌ جبهتهُ لله ساجداً** – أطَّت السماء وكادت أن تأطّ، أطَّت أطيطاً،

الأطيط ما هو؟ الأطيط في لغة العرب يقولون هو صوت الأقتاب إذا ما جلست عليها، أشبه الكلام مثلاً لو كان هناك منضدة أو لو كان هناك مثلاً مكان يُقعد عليه أريكة مصنوعة من الخشب، والشيء الطبيعي أن يجلس على هذه الأريكة مثلاً ثلاثة أنفار فجلس عليها خمسة أو ستة أو سبعة يحدث هناك صوت لأنها تكاد أن تتكسر، هذا الصوت الذي يحدث من خلال الثقل الواقع على الخشب يقال له أطيط، يقال أطيطُ الأقتاب، القتب هو هذا الذي يوضع على الجمل ويصنع من الخشب، فإذا ما صار عليه الثقل أكثر يصدرُ صوتاً يقال له أطيطُ القتب، فالنبي هنا في الرواية التي يرويها أبو ذرٍ الغفاري رضوان الله تعالى عليه يقول كادت السماء أن تأط أطَّيطاً لكثرة الملائكة، كادت يعني أنها ما أطَّت، كادت من أفعال المقاربة النبي صلى الله عليه وآله يريد أن يقول أن الملائكة عددهم كثير جداً وأن السماوات مزدحمةٌ بالملائكة، وهذي الأعداد الهائلة من الملائكة التي لا نعلم كم هي، هذه ذاهبةٌ جائيه، غاديةٌ رائحة، لمن؟ إلى مختلف الملائكة، من هم مختلف الملائكة؟ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فبدايتهم من أين اشتقوا؟ اشتقوا من نور عليٍ هكذا حدثنا النبي صلى الله عليه وآله بأن الملائكة اشتقوا من نور عليٍ وكانوا على مراتب وهذه المراتب ما وصل إلينا منها إلا القليل في حديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهم حدثونا بما يناسبُ الفهم الذي نحمله.

روايةٌ يرويها الشيخ المجلسي في بحار الأنوار وهذا هو الجزء السادس والعشرون، الرواية طويلة أقتطف منها موطن الحاجة، الرواية منقولة عن إمامنا الرضا صلوات الله وسلامه عليه، ينقلها عن آبائه الطاهرين عن سيد الأوصياء عن رسول الله، الكلام كلام رسول الله أخذ موطن الحاجة وإلا الرواية طويلة وفيها تفصيل كثير – **يا عليّ لولا نحنُ ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه** – الحديث هنا عن مقاماتٍ من مقامات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – **فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه لأن أول ما خلق الله عز وجل خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتحميده ثم خلق الملائكة فلمَّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا** – استعظموا أمرنا لأنهم أساساً اشتقوا من أنوارهم، فاستعظموا الأمر تصوروا بأنه لا شيء فوقهم – **ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا** – ونوراً واحداً إشارة فيها إلى بسيط حقيقتهم في العوالم القادسة العليا – **استعظموا أمرنا فسبحنا لتعلم الملائكة أنَّا خلقٌ مخلوقون وأنه مُنزهٌ عن صفاتنا** – أنه سبحانه وتعالى – **فسبحت الملائكةُ بتسبيحنا** – لأن الملائكة استعظموا هذا النور فظنوا أن هذا النور هو النور الذي لا فوقه نور – **ثم خلق الملائكة فلمَّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا فسبحنا**

**لتعلم الملائكة أنَّا خلقٌ مخلوقون وأنه سبحانه وتعالى منزهٌ عن صفاتنا فسبحت الملائكةُ بتسبيحنا ونزهتهُ عن صفاتنا فلمَّا شاهدوا عِظَمَ شأننا هللنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله وأنَّا عبيد ولسنا بآلهة** – لأن الملائكة ظنوا أنهم آلهة – **فلما شاهدوا عظم شأننا** – هذي تجليات، هذا تجلٍ أخر – **فلما شاهدوا عظم شأننا هللنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلا الله وأنَّا عبيد ولسنا بآلهة يجب أن نعبد معه أو دونه فقالوا لا إله إلا الله، فلمَّا شاهدوا كِبَر محلنا كبرنا لتعلم الملائكة أن الله أكبر من أن يُنال عِظَم المحل إلا به، فلمَّا شاهدوا ما جعلهُ لنا من العز والقوة قلنا لا حول ولا قوة إلا بالله لتعلم الملائكة أن لا حول لنا ولا قوة إلا بالله، فلمَّا شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا الحمد لله لتعلم الملائكة ما يحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه فقالت الملائكة الحمد لله، فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده، ثم إن الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه** – هذا تجلي أخر، في كل مرحلةٍ من مراحل الوجود هناك تجلي لأهل البيت، والرواية هنا تتحدث عن تجليات لأهل البيت في عالم التوحيد، في عالم التسبيح، في عالم التهليل، وفي عالم التحميد، وفي عالم التمجيد.

حينما تقول الرواية هنا – **استعظموا أمرنا فسبحنا** – هذه مرتبة من المراتب وهنا تجلي لأهل البيت في مرتبة التسبيح، حينما تقول الرواية – **فلمَّا شاهدوا عِظم شأننا** – هذا تجلٍ أخر – **هللنا** – حينما تقول الرواية – **فلمَّا شاهدوا كِبَر محلنا** – هذا تجلي أخر مرتبة أخرى – **كبرنا** – حينما تقول الرواية – **فلمَّا شاهدوا ما جعلهُ لنا من العز والقوة قلنا لا حول ولا قوة إلا بالله** – هذي مرتبة أخرى وهكذا، التوحيد، التسبيح، التهليل، التحميد، التمجيد، إلى أن يكون هناك تجلٍ أخر – **ثم إن الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صُلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً** – السجود كان تعظيماً لتلكم الأنوار التي أشرقت في آدم – **وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله عز وجل عبودية ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون** – الرواية طويلة فيها تفاصيل كثيرة لكنني أكتفي بالقدر الذي اقتطفته من هذه الرواية الشريفة والتي تتحدث عن مرتبة من مراتب اختلاف الملائكة لأهل البيت، هذي مرتبة من مراتب اختلاف الملائكة، فهم قد اختلفوا إليهم فتعلموا التسبيح والتنزيه والتقديس والتحميد والتكبير والتمجيد الذي مر في هذه الرواية، الملائكةُ يختلفون إلى أهل البيت لأي شيءٍ؟ يختلفون إلى أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يختلفون إليهم عبادةً طاعةً، ويختلفون إليهم عبوديةً إذعاناً لأوامرهم، الملائكة هم المسئولون عن تنظيم هذا الكون والمشرف على تنظيمه الذي تتنزل عليه الملائكة من كل أمر في ليلة القدر، هناك

إشرافٌ، هناك سيطرةٌ، هناك قدرةٌ إلهية تتجلى في أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والملائكة خدامهم في ذلك، الروايات كثيرةٌ في هذا الشأن والحديثُ قد يطول ويطول بنا كثيراً لكنني مع ذلك أقتنصُ بعضاً من هذه الروايات.

روايةٌ يذكرها الشيخ الصدوق في علل الشرائع وهذا هو عللُ الشرائع في الجزء الأول الرواية عن مُحَمَّد بن أبي عمير رضوان الله تعالى عليه من أجلة أصحاب إمامنا الصادق، من أجلة أصحاب إمامنا الكاظم – **عن مُحَمَّد بن أبي عمير عن عمر بن جميع عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان جبرئيل إذا أتى النبي صلى الله عليه وآله قعد بين يديه قعدة العبد وكان لا يدخل حتى يستأذنه** – مر علينا قبل قليل في رواية نهج البلاغة في حديث نهج البلاغة – **إن الله سبحانه وتعالى جعل أعظم ملكٍ من ملائكته خادماً لسيد المرسلين** – الرواية هنا تتحدث عن الطريقة التي كان يتعامل بها جبرئيل مع النبي صلى الله عليه وآله – **كان جبرئيل إذا أتى النبي صلى الله عليه وآله قعد بين يديه قعدة العبد** – كما قلتُ قبل قليل إن الملائكة إنما يألفون أهل البيت وإنما يختلفون إليهم عبادةً وعبوديةً، عبادةً فهم منهم تعلموا التحميد والتهليل والتسبيح والتكبير، تعلموا عبادتهم من أهل البيت، فهم يقدمون إلى أهل البيت يختلفون إلى أهل البيت في كل مرتبة من مراتب هذا الوجود للاستفاضة منهم وللاستفادة منهم وفي نفس الوقت يقدمون عبوديةً، خضوعاً كما سجدوا لآدم السجود لآدم إنما كان للأنوار التي كانت في آدم، فهناك عبادة وهناك عبودية، وهذه العبادة والعبودية إنما هي حقيقةُ العبادة والعبودية لله سبحانه وتعالى، العبادةُ والعبوديةُ هي مختصةٌ بالله سبحانه وتعالى لكن لهذه العبادة ولهذه العبودية مظاهر، كما أمر الله سبحانه وتعالى أن يسجدوا لآدم، السجود لآدم كان مظهر العبادة لله، وهذه العبادة عبادةٌ لله، إنما سجدوا لآدم طاعةً لله والطاعة هي العبادة، الملائكةُ سجدوا لآدم إذعاناً والتزاماً بأمر الله، إذعانهم والتزامهم بأمر الله هو هذا عبادة الله، لكن هذه العبادة لها مظهر، ما هو مظهرات؟ مظهرها السجود لآدم العبوديةُ لآدم، السجود لآدم هو مظهر من مظاهر العبودية، مظهر من مظاهر الطاعة والانقياد، ولذلك عندنا في الروايات أن النبي صلى الله عليه وآله في المعراج في بعض الحالات يقول لجبرئيل تقدم يقول إني لا أتقدم عليك إنا معشر الملائكة لا نتقدم على الآدميين منذ أن سجدنا لآدم، في هذا إشارة عميقة جداً، فإني لا أتقدمُ عليك لأننا لا نتقدم على الآدميين معشر الملائكة منذ أن سجدنا لآدم، فهذا الاختلاف فيه معنى العبادة فيه معنى العبودية وهما في حقيقتهما عبادةٌ لله وعبودية لله سبحانه وتعالى.

روايةٌ يذكرها الشيخ الكليني رضوان الله تعالى عليه في الكافي الشريف وهذا هو الجزء الأول باب أن الأئمة تدخل الملائكة بيوتهم وتطأُ بسطهم وتأتيهم بالأخبار الرواية الرابعة – **عن علي بن أبي حمزة عن أبي**

**الحسن** – يعني عن إمامنا الكاظم صلوات الله وسلامه عليه – **قال: سمعته يقول: ما من ملكٍ يُهبطه الله في أمرٍ ما يُهبطه إلا بدأ بالإمام فعرض ذلك عليه وإن مختلف الملائكة من عند الله تبارك وتعالى إلى صاحب هذا الأمر** – إلى الإمام المعصوم، يعني إلى إمام زماننا، إلى الحجة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه، رواية جداً مهمة هذه، عن الإمام الكاظم ماذا يقول؟ – **ما من ملكٍ يهبطه الله في أمرٍ ما يهبطه إلا بدأ بالإمام فعرض ذلك عليه وإن مختلف الملائكة من عند الله تبارك وتعالى إلى صاحب هذا الأمر** – في نصوصٍ أخرى الروايات صريحة: **ما من ملكٍ يخطوا قدماً عن قدم إلا بأمرٍ من الإمام المعصوم** – في كل خطوة في كل حركة في كل أمرٍ لابد من الرجوع إلى صاحب هذا الأمر، ومر علينا قبل قليل بأن أعظم الملائكة من هو؟

هو الروح الذي من أمر ربي، مر علينا في دعاء الصحيفة السجادية ونحن نقرأُ صلوات الإمام السجاد بعد أن ذكر إسرافيل ميكائيل جبرئيل وذكر – **والروح الذي هو على ملائكة الحُجُب، قال: والروح الذي هو من أمرك** – هذا الذي جاء مذكوراً في سورة القدر المباركة ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ على من تتنزل؟ تتنزلُ على الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، فهذا الروح الذي هو من أمر ربي هذا هو صاحب السلطة التنظيمية المطلقة حتى فوق عالم الحجب هذا هو الذي يتنزلُ على الإمام المعصوم، أما كيفية التنزل فذلك شيءٌ لا شأن لنا به، لأننا لا نستطيع أن نتصوره أو أن نتخيله، هذا أمرٌ خارج عن حدود مداركنا، إنما تحدثنا الروايات بنحوٍ من الإشارة من بعيد، بنحوٍ من الكنايات، بنحوٍ من الأمثلة التي قد تقرب لنا المعاني من جهة، ولو ذهبنا معها من جهة أخرى لبعدت عنا المعاني، فإن الأمثلة تقرب من وجه وتبعد من وجهٍ أخر، وكلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كثيرةٌ في هذه المعاني وكثيرةٌ في هذه المضامين.

أنا أعتقد الآن أصبحت لدينا صورة مجملة عن أصناف الملائكة عن مراتب الملائكة عن شيء من شؤونات الملائكة وعن علاقة الملائكة بالنبي وآل النبي ولو بشكلٍ مجمل بشكلٍ مختصر، لذلك حين نقرأُ في الزيارة – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ** – المُراد طبعاً أعمق من هذه المعاني التي أشرتُ إليها، هناك أشياء أخرى سأتناولها وهي تتحدثُ عن علاقة الملائكة بأهل بيت العصمة، هناك معانٍ ذكرتها الروايات تتحدث عن علاقة الملائكة في العالم العلوي وعن علاقة الملائكة في عالمنا الأرضي، مثلاً هناك رواية مفصلة يذكرها الشيخ الصدوق وهي في أول الجزء الثاني من كتاب علل الشرائع، الرواية التي جاءت في بابِ علل الوضوء والأذان والصلاة، الرواية في الحقيقة هي بحاجة إلى شرح لكنني لا أجد وقتاً لشرحها أورد الرواية، فقط المواطن الغامضة جداً أشير إلى معانيها، الرواية – **عن الصباح المزني**

**أو المزَني وسدير الصيرفي ومُحَمَّد بن النعمان الأحول** – وهذا الذي يسمى بمؤمن الطاق – **عن الصباح المزني وسدير الصيرفي ومُحَمَّد بن النعمان الأحول وعمر بن أذينه** – هؤلاء كلهم يروون عن إمامنا الصادق عن أبي عبد الله عليه السلام – **أنهم حضروه** – كانوا حُضّاراً عنده – **فقال: يا عمر بن أذينه** – وهو يحدث ابن أذينه عن دعوى المخالفين في قضية تشريع الأذان، ولا نريد أن نقف عند هذه النقطة إنما ندخل في ما قاله الإمام صلوات الله وسلامه عليه، ماذا قال؟

**قال: إن الله العزيز الجبار عرج بنبيه صلى الله عليه وآله إلى سمائه سبعاً** – يعني سبع مرات، طبعاً لَمَّا تأتي هنا مثل هذه الرواية وتتحدث عن أن المعراج كان سبعاً فهذا نوع من أنواع المعراج وإلا عندنا روايات تقول أنه عُرج به مئة وعشرين مرة، وعندنا روايات تقول بأنه يعرج به في كل ليلة جمعة، هذي المعاني موجودة عندنا، هذي مراتب من المعراج – **إن الله العزيز الجبار عرج بنبيه إلى سمائه سبعاً أما أولهن** – هذا المعراج الأول وسيتحدث، أما بقية المعارج لم يتحدث عنها الإمام في هذه الرواية – **أما أولهن فبارك عليه والثانية علمهُ فيها فرضه** – يعني المعراج الأول أن الله باركه – **أما أولهن فبارك عليه والثانية** – المعراج الثاني – **عَلّمهُ فيها** – بقية المعارج لم يكن الإمام قد ذكرها – **والثانية عَلَّمهُ فيها فرضه فأنزل الله العزيز الجبار عليه محملاً من نور فيه أربعون ذراعاً من أنواع النور كانت محدقة حول عرشه تبارك وتعالى تغشي أبصار الناظرين** – يعني الله سبحانه وتعالى أنزل لنبيه محملاً من نور فيه أربعون نوع من أنواع النور، هذه الأنوار كانت محدقة بعرش الله أنزلها إلى الأرض في هذا المحمل الذي حِمل فيه النبي الخاتم – **أما واحدٌ منها** – من هذه الأنوار – **فأصفر فمن أجل ذلك أصفرت الصفرة، وواحدٌ منها أحمر فمن أجل ذلك أحمرت الحمرة، وواحدٌ منها أبيض فمن أجل ذلك أبْيَّضَ البياض، والباقي على عدد سائر ما خُلق من الأنوار والألوان في ذلك المحمل حلقٌ وسلاسل من فضة فجلس عليه** – طبعاً هذه كلها فيها إشارات ورموز، هذه الألوان لَمَّا يقول – **أما واحدُ منها فأصفّر فمن أجل ذلك أصفرت الصفرة، وواحدٌ منها أحمَّر فمن أجل ذلك أحمرت الحمرة، وواحدٌ منها أبيض فمن أجل ذلك أبْيَّضَ البياض** – الحمرة هنا إشارة إلى العوالم الطبيعية، والبياض إشارة إلى العوالم العالية، والصفرة إشارة إلى عالم الملأ الأعلى، العوالم التي فيما بين العوالم العالية جداً وفيما بين العوالم السافلة، لأن البياض من خصائصه كما يقال عنه بأنه مفرقُ البصر، عوالم الحيرة ومر علينا في الروايات أنهُ عند سدرة المنتهى هناك يحيرُ البصر، لماذا سميت بسدرة المنتهى؟

سميت بسدرة المنتهى لأن البصر يصيبه السَدر هناك والسَدر هو الحيرة والتشتت، العوالم العلوية أعلى العوالم العلوية ما بعد العرش ما بعد عوالم الحُجُب هي العوالم البيضاء التي يتشتتُ فيها العقل يتفرقُ فيها نورُ

البصر ونور العقل، وهذي كنايات وإشارات، أما العوالم التي هي عالم الطبيعة وهي عالم الحرارة أشير إليها باللون الأحمر، اللون الأحمر هو لون الحرارة ولونُ الحرارة لون الطاقة لون الحرارة ولون الطاقة الحرارية هو هذا إشارة فيه إلى هذا العالم عالم الطبيعة، أبرز ما في عالم الطبيعة الحياة الحيوانية، هناك عندنا رواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه المفضل يسألُ الإمام عن النيران وعن أنواع النيران إمامنا الصادق يقول – **النيرانُ أربعة: نارٌ تأكلُ وتشرب، ونارٌ تأكلُ ولا تشرب، ونارٌ تشربُ ولا تأكل، ونارٌ لا تأكلُ ولا تشرب** – أنا أشير إليها هنا لتنويع الحديث ولتنويع الكلام حتى لا يحدث ملل من التركيز على موضوعٍ واحد أو مسألةٍ واحدة، الإمام يبين بعد ذلك قال – **النارُ التي تأكلُ وتشرب هي نارُ الإنسانِ وجميع الحيوان** – يعني الحرارة الغريزية الموجودة عند الإنسان، يعني الآن مثلاً كيف تعمل الأحشاء الداخلية، مثلاً الجهاز الهضمي كيف يعمل؟ الآن المعدة كيف تعمل؟ الأمعاء، الكبد، الأحشاء الدخلية لجسم الإنسان ما هي الطاقة الموجودة فيها التي تحركها؟ صحيح هناك طاقة كهربائية في داخل البدن الإنساني نوع من أنواع الطاقة الكهربائية لكن منشأ هذه الطاقة الكهربائية من أين يأتي؟

يأتي من الحرارة الغريزية الموجودة في داخل الجسم البشري، يعني لو افترضنا أن أحداً يستطيع أن يفصل الحرارة الداخلية عن بدن الإنسان تتوقف الأحشاء عن الحركة، فلذلك مقصود الإمام أن هناك نارُ تأكل وتشرب الطاقة يعني الحرارة الغريزية المودعة في باطن الجسم البشري، أما قال عن – **النار التي تأكل ولا تشرب يشير إلى نيران المواقد التي تأكل الحطب، والنار التي تشرب ولا تأكل قال هي نارُ الشجر** – نارُ الشجر يعني الطاقة الموجودة في الشجر، الطاقة الموجودة في الشجر والتي تشربُ الماء وتشربُ ما يأتي من المكونات الموجودة في التراب، يعني طاقة الحياة الموجودة في الشجرة، قال – **ونارُ لا تأكل ولا تشرب قال هي نارُ القداحة والحباحب** – القداحة يعني كانت تصنع من الحجر، القداحة هي التي ما تستعمل لقدح النار قال هذه نار لا تأكل ولا تشرب، ونار الحباحب، الحباحب في لغة العرب هو اسمٌ لنوع من أنواع الذباب أو نوع من أنواع الحشرات التي تتطاير في الليل فتخرج منها أنوار فسفورية، لمعات نارية أثناء طيرانها، تسمى يعني هذي الأنواع من الحشرات في لغة العرب بأبو الحباحب أو أم الحباحب، ويقال عن الحباحب في أصلها في أصل هذه الكلمة رجل كان يسمى حباحب وكان بخيلاً جداً فكان في الليل حينما يريد أن يسرج ناراً يسرج نار قليلة جداً حتى لا يراها الضيوف فيأتون على نار داره، فانتقلت هذه التسمية للنيران الصغيرة، فيقال مثلاً لهذه الحشرات الطائرة التي تصدر منها أنوار فسفورية في الليل وكأنها يعني شرار ناري يقال لها أم الحباحب أو أبو الحباحب عن هذه الحشرات، ويقال كذلك للشرارات التي تأتي من قدحة حوافر الخيول بالصخور تسمى بالحباحب أيضاً، على أي حال لا أريد الخروج عن هذا الموضوع، الرواية هنا

أشارت عن النار الطاقة المودعة في الإنسان، وقلت بأن اللون الأحمر وهو لون الحرارة لون النار لأن النار في حالتها الأصلية لونها أحمر، نعم إذا أصابها النقاء تتحول إلى اللون الأزرق، ربما يخالط النار السواد حينما تكون النار قد ابتعدت عن حالة صفائها ونقائها فبسبب التلوث الموجود فيها يسودُ لون النار، فتحمر، إذا ازدادت صفاءاً تزرق، إذا ازدادت صفاءاً تخضر، إذا ازدادت صفاءاً يغيبُ لونها ولذلك في بعض الروايات التي تتحدث عن بعض مواطن جهنم أنه لا لون لها، جهنم على طبقات ومراتب، بعض مراتب نار جهنم لا لون لها، وهذي النار يمكن حتى تكون في الدنيا، النار الدنيوية إذا ما أصابها النقاء إلى أبعد الحدود فلا يكون لها لون، قد تسألني كيف؟

أقول لك كما يمكن أن نرى الهواء متأيناً إذا مثلاً هناك قمنا بتجربة أو بعملية تأيين الهواء، تأيين الهواء في المختبر، تأين الهواء هو أشبه بالنار البيضاء النار التي لا لون لها، ربما أأتي بمثال يقرب المعنى مثلاً حينما ننظر إلى خطوط الضغط العالي وعادةً تكون خارج المدن في الأيام الحارة ترون شيئاً مثل السراب حول هذه الأسلاك المكشوفة، أسلاك الضغط العالي، تحدث هنا بسبب الضغط العالي للطاقة الكهربائية عملية تأين في الهواء، ولذلك تلاحظون هناك نوع من أنواع الكرة، الكرات المعدنية توضع فيما بين هذه الأسلاك لأجل تشتيت هذا التأين، تشتيت الأيونات، على أي حال هذا ليس موضوعنا لكن مقصودي من أن النار يمكن أن تصل إلى أن ينعدم لونها كما في وصف بعض الروايات لبعض مراتب جهنم، لكن اللون الأصلي للنار في العالم الطبيعي هو اللون الأحمر على اختلاف مراتبه، قد تكون النار أيضاً في درجةٍ من درجاتها باللون الأصفر يعني هي في البداية تحمَّر ثم تزرق ثم تخضر يمكن أن تصفر بعد اخضرارها وبعد الإصفرار ممكن أن تتحول إلى لون وكأنه لا لون لها كلون الهواء مثلاً، على أي حالٍ، فاللون الأحمر هو إشارة إلى لون العالم الطبيعي أما اللون الأصفر فهو إشارة إلى العوالم التي تكون فيما بين اللون الأحمر، يعني كأن اللون الأصفر جاء مزيجاً من حمرةٍ وبياض، كأن اللون الأصفر جاء مزيجاً يعني هو عالم برزخي، طبعاً هناك دلالات أخرى لهذه الألوان وأنا هنا لا أريد أن أقف في كل هذه التفاصيل على هذه الرواية، لكنني قلت بعض المعاني المُبهمة أحاول أن أبينها – **ثم عرج إلى السماء الدنيا** – يعني خرج من العالم الأرضي فعرج النبي بهذا المحمل النوري إلى السماء الدنيا – **فنفرت الملائكة إلى أطراف السماء** – الملائكة نفرت لَمَّا وصل المحمل إلى السماء الدنيا – **فنفرت الملائكة إلى أطراف السماء** – لماذا نفرت؟

لأنها قد رأت نوراً، هذا النور جعلها تنفر، المقصود هنا تنفر كما مرَّ علينا قبل قليل من وصف الملائكة الذين يتأرجحون يميناً وشمالاً وَلَهاً كما وصفهم أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه – **فنفرت الملائكة إلى أطراف السماء ثم خرت سُجداً فقالت: سبوحٌ قدوس ربنا ورب الملائكة والروح، ما أشبه هذا**

**النور بنور ربنا** – هذا نور مُحَمَّدٍ، في هذا المحمل النوري تجلى للملائكة، هذا نفس الكلام الذي مرَّ علينا قبل قليل في الرواية التي تحدثت عن أنهم هم الذين علّموا الملائكة التسبيح والتهليل وإنما علموهم التسبيح والتهليل، سبحوا فسبحت الملائكة لأنهم استعظموا النور، هذي مرتبة من المراتب، هذي مرتبة من مراتب الصعود النوري في حالة معراج النبي صلى الله عليه وآله – **ثم خرَّت الملائكة سُجداً** – كما خرت لآدم لذلك النور خرت لهذا النور أيضاً – **ثم خرت سُجداً فقالت: سبوحٌ قدوس ربنا ورب الملائكة والروح ما أشبه هذا النور بنور ربنا، فقال جبرئيل عليه السلام: الله أكبر، الله أكبر، فسكتت الملائكة وفُتِحت أبواب السماء** – هذا تشريع الأذان، الحظوا هذه الرواية، الحظوا ذكر عليٍّ في الأذان، الحظوا هذه الرواية التي، وإن كان هذه مسألة خارجة عن موطن البحث لكن للفائدة انتبهوا للرواية، الحظوا ذكر عليٍّ في رواية تشريع الأذان – **فقال جبرئيل: الله أكبر الله أكبر، فسكتت الملائكة وفُتِحت أبواب السماء واجتمعت الملائكة** – بعد أن نفرت نفرت لماذا؟

من شدة حيرتها نفرت لعظمة هذا النور المُتجلي – **وخروا سجداً وهم يقولون: سبوحٌ قدوس ربنا ورب الملائكة والروح ما أشبه هذا النور بنور ربنا، جبرئيل قال: الله أكبر الله أكبر فاجتمعت الملائكة ثم جاءت فسلمت على النبي صلى الله عليه وآله** – هم يختلفون إليه في الدنيا في الآخرة في الأرض في السماء في العوالم السفلية في العوالم العلوية.

**اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ – ثم جاءت فسلمت على النبي أفواجاً ثم قالت: يا مُحَمَّد كيف أخوك؟** – الآن في موضع تشريع التكبير كبر جبرئيل وهنا شُرِّع التكبير في الأذان فسألوه عن عليٍّ فعليٌّ حاضرٌ في كل فصلٍ من فصول الأذان في كل فصلٍ من فصول الوجود – **ثم قالت: يا مُحَمَّد كيف أخوك؟ قال: بخير، قالت: فإن أدركته فاقرأه منا السلام** – أشهد أن علياً وليُّ الله – **فقال النبي صلى الله عليه وآله: أتعرفونه؟ فقالوا: كيف لم نعرفه وقد أخذ الله عز وجل ميثاقك وميثاقه منا وإنا لنصلي عليك وعليه ثم زاده أربعين نوعاً من أنواع النور** – زاد محمل النبي كي يرتقي إلى السماء الثانية – **ثم زاده أربعين نوعاً** – الأربعون نوع من أنواع النور ضجت لأجلها ملائكة السماء الدنيا، الآن زاده الله سبحانه وتعالى أربعين نوعاً من أنواع النور – **لا يشبه شيءٌ منه ذلك النور الأول وزاده في محمله حلقاً وسلاسل** – حلق وسلاسل إشارة إلى زيادة الجمال، لأن الحلق والسلاسل حينما تكون في المحمل تزيد من جماله وحُسنه – **ثم عرج به إلى السماء الثانية فلمَّا قَرُب من باب السماء تنافرت الملائكة** – لشدة النور – **إلى أطراف السماء وخرت سجداً** – ما استطاعوا ما تحملوا هذا النور الساطع فتنافروا مبتعدين عنه وخروا سجداً – **وقالت: سبوحٌ قدوس رب الملائكة**

**والروح ما أشبه هذا النور بنور ربنا** – هؤلاء ملائكة السماء الثانية أرقى درجةً من ملائكة السماء الأولى – **ما أشبه هذا النور بنور ربنا فقال جبرئيل عليه السلام: أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله فاجتمعت الملائكة وفُتِحت أبواب السماء وقالت: يا جبرئيل من هذا الذي معك؟ فقال: هذا مُحَمَّد قالوا: وقد بُعِث؟ قال: نعم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فخرجوا إليَّ شبه المعانيق** – المعانيق الخيول الجميلة التي تكون أعناقها طويلة – **فخرجوا إليَّ شبه المعانيق فسلموا عليّ وقالوا: اقرأ أخاك السلام** – ذكر عليٍّ عند أشهد أن لا إله إلا الله، عند التكبير ذُكِرَ عليٌّ وعند الشهادة الأولى أشهد أن لا إله إلا الله ذُكِرَ عليٌّ – **فخرجوا إليَّ شبه المعانيق فسلموا عليّ وقالوا: اقرأ أخاك السلام، فقلت: هل تعرفونه؟ قالوا: نعم وكيف لا نعرفه وقد أخذ الله ميثاقك وميثاقه وميثاق شيعته إلى يوم القيامة علينا** – لاحظوا هؤلاء أكثر معرفةً وعمقاً في كلامهم من الملائكة في السماء الدنيا، هؤلاء الذين كانوا في السماء الدنيا سألوه: كيف أخوك؟ يسألون عن أخباره.

وهذي كلها قرائن وإشارات وهذه قضايا تقريبية، يعني ليس الذي جرى بهذه الصورة وبهذا النحو هذي معاني تقريبية تقرب لنا ماذا جرى هناك، في السماء الثانية ما سألوا كيف أخوك؟ مباشرةً قالوا: اقرأ أخاك السلام ، والميثاق أيضاً ميثاق شيعته أُضيف على ميثاق النبي وميثاق سيد الأوصياء – **قالوا: نعم وكيف لا نعرفه وقد أخذ الله ميثاقك وميثاقه وميثاق شيعته إلى يوم القيامة علينا وإنّا لنتصفح وجوه شيعته في كل يومٍ خمساً** – يعنون في كل وقت صلاة – **قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ثم زادني ربي تعالى أربعين نوعاً من أنواع النور لا تشبه الأنوار الأُوَل وزادني حلقاً وسلاسل** – زاده يعني أن النور بدأ يتجلى أكثر، إلى السماء الثالثة بدأت أنوار مُحَمَّد تتجلى بما يتناسب السماء الثالثة – **ثم عرج بي إلى السماء الثالثة فنفرت الملائكة** – الملائكة نفروا إلى أطراف السماء لماذا؟ لأنهم ما استطاعوا مواجهة هذا النور – **ثم خرت سُجداً وقالت: سبوحٌ قدوس رب الملائكة والروح ما هذا النور الذي يشبه نور ربنا؟ فقال جبرئيل عليه السلام: أشهد أن مُحَمَّداً رسول الله، أشهد أن مُحَمَّداً رسول الله، فاجتمعت الملائكة وفُتحت أبواب السماء وقالت: مرحباً بالأول ومرحباً بالأخر ومرحباً بالحاشر** – هؤلاء أكثر معرفة، هذه السماء الثالثة الملائكة هنا أرقى – **فقالوا: مرحباً بالأول ومرحباً بالأخر ومرحباً بالحاشر ومرحباً بالناشر مُحَمَّد خاتم النبيين وعليٌّ خير الوصيين** – ذكر عليٍّ هنا أيضاً وبشكلٍ أوضح عند الشهادة الثانية – **مرحباً بالأول ومرحباً بالأخر ومرحباً بالحاشر ومرحباً بالناشر مُحَمَّد خاتم النبيين وعليٌّ خير الوصيين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: سَلّموا عليّ وسألوني عن عليٍّ أخي فقال: هو في الأرض خليفتي أوتعرفونه؟ قالوا: نعم وكيف لا نعرفه وقد نحج البيت المعمور في كل سنة مرة**

– البيت المعمور هو بيت الله في السماء الرابعة – **وقد نحج البيت المعمور** – وما الكعبة الحرام المسجد الحرام إلا صورة للبيت المعمور في العالم الأرضي، كما قلت مراراً وتكراراً بأنه هناك وجودٌ لهذه الكائنات، لهذه الموجودات في كل طبقة من طبقات هذا العالم – **وقد نحج البيت المعمور في كل سنة مرة وعليه رَقٌ أبيض فيه اسم مُحَمَّد** – رق يعني كتاب – **وعليه رَقٌ أبيض فيه اسم مُحَمَّد وعلي والحسن والحسين والأئمة وشيعتهم إلى يوم القيامة وإنا لنبارك على رؤوسهم بأيدينا، ثم زادني ربي تعالى أربعين نوعاً من أنواع النور لا تشبه شيئاً من تلك الأنوار الأول وزادني حلقاً وسلاسل** – تجليات، تجليات النور والجمال في نبينا صلى الله عليه وآله – **ثم عرج بي إلى السماء الرابعة فلم تقل الملائكة شيئاً وسمعت دوياً كأنه في الصدور واجتمعت الملائكة ففُتحت أبواب السماء وخرجت إليَّ معانيق فقال جبرئيل عليه السلام: حيَّ على الصلاة، حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح، حيَّ على الفلاح، فقالت الملائكة صوتين مقرونين: بمُحَمَّد تقوم الصلاة وبعليٍّ الفلاح** – وذكر عليٍّ هنا أيضاً.

الفلاح عليٌّ والصلاة عليٌّ، أنا صلاة المؤمنين هكذا قال سيد الأوصياء – **فقالت الملائكة صوتين مقرونين: بمُحَمَّد تقوم الصلاة** – مقرونين معاً، ذكر مُحَمَّد مع ذكر عليٍّ يقرن دائماً، إذا قلتم لا إله إلا الله مُحَمَّد رسول الله فقولوا عليٌّ وليُّ الله – **فقالت الملائكة صوتين مقرونين: بمُحَمَّد تقوم الصلاة وبعليٍّ الفلاح فقال جبرئيل: قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، فقالت الملائكة: هي لشيعته** – تلاحظون الرواية ما أشارت إلى حيَّ على خير العمل وفيها إشارة إلى أنه أشهد أن علياً ولي الله موجودة في تشريع الأذان مثل ما الإمام ما ذكر حيَّ على خير العمل للتقية ما ذكر أشهد أن علياً ولي الله، الإشارة واضحة في هذه الرواية، وهذه الرواية من جليل روايات الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح وما ذكر حيَّ على خير العمل وهي جزءٌ واجب، وهنا يريد الإمام أن يشير إلى أن الشهادة الثالثة أيضاً جزء من أجزاء الأذان، وهذا واضح لمن أراد أن يتبصر في مثل هذه الرواية وفي عشرات من الروايات، ولا أريد أن أُطيل الموقف كثيراً في هذه المسألة – **فقال جبرئيل: قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، فقالت الملائكة: هي لشيعته أقاموها إلى يوم القيامة ثم اجتمعت الملائكة فقالوا للنبي: أين تركت أخاك؟ وكيف هو؟** – ذكر عليٍّ في كل مكان – **فقال لهم: أتعرفونه؟ فقالوا: نعم نعرفه وشيعته وهو نورٌ حول عرش الله وإن في البيت المعمور لرقاً من نور فيه كتابٌ من نور فيه اسم مُحَمَّد وعلي** – رق يعني جلد – **لرقاً من نور فيه كتاباً من نور فيه اسم مُحَمَّد وعليّ** – يعني فيه كتاب فيه كتابة يعني – **رقٌ من نور فيه كتاب** – يعني الرق هو كتاب فيه كتاب يعني فيه كتابه – **من نور فيه اسم مُحَمَّد وعلي والحسن والحسين والأئمة وشيعتهم لا يزيد فيهم رجل ولا ينقص منهم رجل، إنه**

**لميثاقنا الذي أُخذ علينا، وإنه ليُقرأ علينا في كل يوم جمعة، فسجدت لله شكراً، فقال: يا مُحَمَّد** – الله يخاطبه – **ارفع رأسك، فرفعت رأسي، فإذا أطناب السماء قد خُرِقت والحجب قد رُفِعت** – ما بقى بينه وبين الله حجاب – **فإذا أطناب السماء قد خُرِقت والحُجُب قد رُفِعت، ثم قال لي: طأطأ رأسك وانظر ماذا ترى؟ فطأطأت رأسي فنظرت إلى بيتكم هذا وحرمكم هذا** – إلى بيتكم هذا يعني إلى المسجد الحرام – **وحرمكم هذا فإذا هو مثل حرم ذلك البيت** – يعني البيت المعمور – **يتقابل لو ألقيت شيئاً من يدي لم يقع إلا عليه** – الروايات تقول: إن الكعبة هي في مقابل البيت المعمور في السماء الرابعة – **لو ألقيت شيئاً من يدي لم يقع إلا عليه، فقال لي: يا مُحَمَّد هذا الحرم وأنت الحرام** – أنت الوجود المقدس الحرم المقدس – **هذا الحرم وأنت الحرام، لكل مثلٍ مثال، ثم قال لي ربي تعالى** – وهذي الكلمة إن شاء الله في وقتٍ أخر أشرح معناها.

هذا الحرم وأنت الحرام، هذي كلمة عميقة جداً وهذه أعلى رتبةٍ للنبي صلى الله عليه وآله في معراجه، هو الحرام، يعني الذات التي لا تصل إليها ذات، الحرام هو المكان الذي لا يُوصل إليه، فاطمة حقيقة مُحَمَّد التي فُطِمت العقول عن معرفتها ومُحَمَّد الذات التي حُرِمت العقول، نورٌ واحد قبل قليل الملائكة رأتهم نوراً واحداً إشارة إلى مرتبة البساطة في تلكم العوالم، البساطة التي تتناسب مع ذلك العالم لا بمعنى تعدد القدماء أو تعدد البسيط لا بهذا المعنى وإنما بحسب ما تُشير إليه إشارات ورموز كلمات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – **فقال لي: يا مُحَمَّد هذا الحرم وأنت الحرام، لكل مثلٍ مثال، ثم قال لي ربي تعالى: يا مُحَمَّد مُدَّ يدك فيتلقاك ماءاً يسيل من ساق العرش الأيمن** – أيُّ ماءٍ هذا؟ – **فنزل الماء فتلقيته باليمين فمن أجل ذلك صار أول الوضوء اليمنى، ثم قال: يا مُحَمَّد خذ ذلك الماء فاغسل به وجهك فإنك تريد أن تنظر إلى عظمتي** – هذه جملة من أسرار الوضوء – **فإنك تريد أن تنظر إلى عظمتي وأنت طاهر ثم اغسل ذراعيك اليمين واليسار فإنك تريد أن تتلقى بيديك كلامي، وامسح بفضل ما في يديك من الماء رأسك ورجليك إلى كعبيك وقال: إني أريد أن أمسح رأسك وأبارك عليك، فأما المسح على رجليك فإني أريد أن أُوطئك موطئاً لم يطأه أحداً من قبلك ولا يطأه أحدٌ غيرك** – فهذه علة الوضوء والأذان إذاً كل ما عندنا هو لِمُحَمَّد، صلاتنا لِمُحَمَّد وضوئنا لِمُحَمَّد، هذه رموزٌ لأشياء كانت لِمُحَمَّد، كلنا لِمُحَمَّد صلى الله عليه وآله – **ثم قال: يا مُحَمَّد استقبل الحجر الأسود** – الرواية طويلة والكلام طال بنا، الوقت طال بنا كثيراً، الرواية لازالت طويلة تحتاج إلى شرح وبيان، هناك مطالب أخرى لابد من شرحها إذا ما قرأتُ بقية الرواية، إن شاء الله في مناسبة أخرى أتمم قراءة الرواية لكن من مجمل الرواية تتضح لنا علاقة الملائكة بمُحَمَّد وآل مُحَمَّد.

ما ذُكِرَ من معانٍ عن النبي صلى الله عليه وآله، هذه المعاني هي نفسها ثابتةٌ لآله الأطهار، كل هذه المعاني وكل هذه الحقائق التي تحدثنا عنها، الرواية طويلة هذه في الحقيقة من أجمل الروايات وبحاجة إلى شرح وبقي قسمٌ كبير منها، لكن مضى جزء كبير من الوقت وهناك بقية لابد أن أُتم الكلام بخصوصها حتى نصل إلى خلاصة، فهذه الرواية التي ذكرتها وهي منقولة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تتحدث عن جانبٍ من علاقة الملائكة بالنبي وآل النبي، فكلمَّا رأوه خروا سجداً وقالوا: ما أشبه هذا النور بنور ربنا، هؤلاء هم الملائكة في كل مراتبهم، وهؤلاء هم الملائكة الذين يقعدون بين يديه وهو في العالم الأرضي، فما بالك في العوالم العليا حين تتجلى حقيقة مُحَمَّد هناك.

في العالم الأرضي يجلسون ويقعدون بين يديه قعدةَ العبد، ولذلك هناك معنى هذا المعنى الذي أشارت إليه رواية علل الشرائع تحدثت عن رابطة الملائكة واختلاف الملائكة لِمُحَمَّد وآل مُحَمَّد في عالم صعوده المعراجي، هناك معراجٌ سماوي وهناك معراجٌ أرضي، مُحَمَّد هو صاحب المقامات والمعارج التي لا حدود ولا انتهاء لها، الرواية هذه في تفسير البرهان وقرأتها على مسامعكم فيما مرَّ من الحلقات الماضية، أعيدها لأنها تتعلق بهذا البحث الرواية ينقلها السيد هاشم البحراني وهذا هو الجزء الثامن من تفسير البرهان، عن الشيخ الطوسي رحمة الله عليه **عن رجاله عن عبد الله بن عجلان السكوني قال:** – عن رجاله يعني عن سنده – **عن عبد الله بن عجلان السكوني قال: سمعت أبا جعفرٍ يقول: بيت عليٍّ وفاطمة حجرة رسول الله وسقف بيتهم عرش رب العالمين وفي قعر بيوتهم فرجةٌ مكشوطةٌ إلى العرش** – الحديث هنا لا عن البيوت الطينية الحديث عن قلب رسول الله عن قلب عليٍّ وفاطمة عن حقائق مُحَمَّد وعليٍّ وفاطمة وحسنٍ وحسين – **بيت عليٍّ وفاطمة حجرة رسول الله وسقف بيتهم عرش رب العالمين وفي قعر بيوتهم فرجةٌ مكشوطةٌ إلى العرش معراج الوحي والملائكة** – الملائكة تعرج إليهم، النبي عرج إليهم وهم يعرجون إليه وهو في عالمه الأرضي – **معراج الوحي والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساء** – هذا ليس وحي النبوة، وحي النبوة مرتبة من مراتب الوحي، هل كان ينزل الوحي على الأئمة؟ نعم، لكن ليس هو وحي النبوة إن شاء الله في الحلقة الآتية نحن سنقرأ ومهبط الوحي – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْي** – هم مهبط الوحي ولكن الوحي على مراتب، حين نصل إلى هذه الفقرة في الحلقة القادمة نشرح معنى الوحي هناك – **تنَزّل عليهم بالوحي صباحاً ومساء وكل ساعة وطرفة عين** – يعني المعارج إليهم نازلة يعني هم القبلة العليا فتعرج إليهم كل الملائكة وكل طرفة عين، الرواية عميقة جداً، هذا هو معنى اختلاف الملائكة، حينما نقول – **وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ** – هو هذا المعنى – **وفي قعر بيوتهم فرجةٌ مكشوطةٌ إلى العرش معراج الوحي والملائكة** – لكن أي معراج؟

معراجٌ يعرجون إلى مُحَمَّد، يعرجون إلى عليّ – **تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساء وكل ساعة وطرفة عين والملائكة لا ينقطع فوجهم فوجٌ ينزل وفوجٌ يصعد** – ومختلف الملائكة – **وإن الله تبارك وتعالى كشف لإبراهيم** – هذا مثال للتقريب وإلا مُحَمَّد إنما هو في مرتبةٍ لا تقاس بها مرتبة إبراهيم عليه السلام، إبراهيم أبو الأنبياء لكن مرتبته لا تقاس بمرتبة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله – **وإن الله تبارك وتعالى كشف لإبراهيم عليه السلام عن السماوات حتى أبصر العرش وزاد الله في قوة ناظره، وإن الله زاد في قوة ناظر مُحَمَّد** – قلت بأن ناظر مُحَمَّد لا كنواظرنا – **وإن الله زاد في قوة ناظر مُحَمَّد وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين وكانوا يبصرون العرش ولا يجدون لبيوتهم سُقُفاً غير العرش، فبيوتهم مسقفة بعرش الرحمن ومعارج الملائكة والروح** – الروح الذي هو من أمر ربي – **فوجٌ بعد فوج لا انقطاع لهم وما من بيتٍ من بيوت الأئمة منا إلا وفيه معراج الملائكة، لقول الله عز وجل:** ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَامٌ﴾ **قال: قلت: من كل أمر؟! قال: بكل أمر فقلت: هذا التنزيل؟ قال: نعم** – هذا هو اختلاف الملائكة لِمُحَمَّد وآل مُحَمَّد.

وهذه الرواية بحاجة إلى شرحٍ وإلى بيان لكنني اكتفي بما ذكرت فقد طال الوقت بنا كثيراً وبودي لو يستمر الوقت لكنني أخاف من أن أُتعب المستمعين أُتعب المشاهدين فقد تكلمت طويلاً في هذه الحلقة أو في الحلقات الماضية ولكنني أحاول أن أعرض بين أيديكم ما أتمكن من عرضه من حديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، علني أتمكن أن أُوصل شيئاً من حديثهم إلى مسامعكم الكريمة، بهذا يتضح لنا معنى قول الزيارة الكريمة – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ** – هذه الأيام أيام أهل البيت من هذا المكان البعيد أُوجه سلامي إلى سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه فأقول:

السلام عليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة، السلام على الحسين الوجيه وعلى جده وأبيه وأمه وأخيه والتسعة المعصومين من ذريته وبنيه ورحمة الله وبركاته، السلام على الحسين وعلى حامل لواء الحسين أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، السلام على أصحاب الحسين، السلام على عيال الحسين، السلام على الحوراء شقيقة الحسين، السلام على زوار الحسين، السلام على ملائكة الله المُحدقين بحرم الحسين، السلام على الحسين وعلى آل الحسين ما بقيت وبقي الليل والنهار ورحمة الله وبركاته. أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

# الحلقة السابعة

## معنى وَمَهْبِطَ الوَحَيِ

حلقةٌ جديدةٌ من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، أسعد الله أوقاتكم وتَقَبَّل صالح أعمالكم واستجاب صادق دعواتكم في مثل هذه الأيام الشريفة من شهر شعبان المُعَظَّم.

كلامنا متواصلٌ في بيان مضامين الزيارة الجامعة الكبيرة، وأنا أقرأها من مفاتيح الجنان لشيخنا المُحدِّث القمي رضوان الله تعالى عليه، حيثُ مرَّ علينا في الحلقات السالِفة قول الإمام عليه السلام – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ** – العنوان الجديد الذي نتناولهُ في هذه الحلقة: **وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ**.

**اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ** – المَهبِط هو مَفعِل أسمُ مكان في لغة العرب وهو مكان الهبوط، المكان الذي يُهبط فيه أو يُهبط إليه يقال له مهبط، الوحي في لغة العرب تأتي على معانٍ كثيرة، الوحي في لغة العرب تعني الإشارة، حينما استعمل الإشارة بيدي أو بعيني أو بأي عضوٍ من أعضاء البدن أشير بها كي أُفهِمَ شخصاً ما شيئاً ما معنىً ما، فذلك وحيٌ من الوحي، ولذلك يقول الشاعر:

فأوحت إلينا والأنامل رُسلها

فأوحت إلينا يعني أشارت إلينا، والأنامل رسلها الأنامل الأصابع أو هي أطراف الأصابع، كأنها أشارت إلينا بأطراف أصابعها تريد أن تُفهمنا شيئاً، وأوحت إلينا والأنامل رسلها، وحتى ما قاله الشاعر في لغة العيون فإنها معنىً من معاني الوحي:

وتعطلت لغة الكلام فخاطبت  عيناي في لغة الهوى عيناكِ

الخطاب هنا خطاب الوحي، الوحي يكون بمعنى الإشارة، والوحي أيضاً الكتابة، والوحي الكلام باللسان، والوحي إرسال الرسول، والوحي، والوحي، والمعاني كثيرةٌ في لغة العرب للوحي، الشيء الذي نخلص إليه ولا أريد التطويل كثيراً في البحث اللغوي، الشيء الذي نخلص إليه أن الوحي إنما هو عنوان لكل ما يكون في طريق التواصل وفي طريق التلقي، التواصل بين طرفين، طرف يكون هو الذي يصدر منه ما يصدر، وطرف

آخر يتلقى ذلك الذي يصل إليه أو يوصل إليه، الوحي عنوانٌ عام في لغة العرب لكل المصاديق لكل الأساليب لكل الحالات التي يكون فيها إيصال معنىً من المعاني، إيصال حقيقةٍ من الحقائق، قد تكون بالإشارة، قد تكون بالكتابة، وقد تكون باللغة، وباللغة الخفية بالهمس، وقد تكون باللغة العلنية، وقد تكون وقد تكون، فكل أسلوب وكل طريقةٍ وكل نحوٍ من أنحاء التعبير يمكننا أن نوصل به المراد فذلك هو معنىً من معاني الوحي ودرجة من درجات الوحي، هذا المعنى اللغوي.

الزيارة نخاطب فيها الأئمة صلوات الله عليهم، علمني يا ابن رسول الله قولاً بليغاً كاملا أقوله إذا زرت واحداً منكم، فهذا هو القول البليغ الذي نخاطب به الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فهم مهبط الوحي أي أنهم المكان، وهنا التعبير باسم المكان إنما هو تعبير على نحو التجوز، هم الجهة وهم المكان وهم المرتبة الوجودية التي تكون مهبطاً للوحي، الوحي يهبط في دارهم، الوحي يهبط على حقائقهم، في حقائقهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الزيارة مثل ما خاطبتهم بأنهم أهل بيت النبوة، أن الأئمة هم أهل بيت النبوة، وتحدثنا عن معنى النبوة، وهم تبعٌ لتلكم الحقيقة النبوية الكاملة فهم موضع الرسالة، الرسالة أين تكون؟ في حقائقهم، وهم مختلف الملائكة والملائكة إنما يردون عليهم لأي شيءٍ؟ إنما يردون عليهم إما برسم العبودية والطاعة فما من مَلَكٍ يخطو قدماً عن قدم إلا بأمر الإمام المعصوم، وإما أن يكون بنحو العبادة والاستفادة والاستفاضة ومرَّ الكلام في الروايات التي تتحدث عن هذه المضامين في الحلقة الماضية، فكما أنهم مختلف الملائكة فهم مبهط الوحي، الوحي يهبط في حقائقهم وعلى حقائقهم.

قبل أن أدخل في التفاصيل هناك مشكلة أشرت إليها فيما مضى وهو أن المخالفين لأهل البيت يعتمدون اللغة والمعاني اللغوية مصدراً من مصادر العلم، وإن قد يرفضون هذا الكلام، لكننا في الواقع حينما ندقق فيما كتبوا وفيما اعتقدوا فإنهم يجعلون اللغة مصدراً من مصادر المعرفة وليس وسيلةً، وهذا قد تأثر به جمعٌ من علمائنا أيضاً، فجعلوا اللغة مصدراً من مصادر العلم والمعرفة هذه قضية، القضية الثانية مثلاً يُشاعُ فهمٌ للوحي ونظرة معينة للوحي وكأن هذه النظرة، تصبح هذه النظرة المُستندة إلى بعضٍ من الأحاديث والآتية أيضاً من جهة المخالفين من التأثر بفكر المخالفين فتصبح قانوناً ولا يمكن لأحدٍ أن يتجاوز على هذا القانون مع وجود العشرات بل المئات من الروايات والآيات التي تشير بشكلٍ واضح وبشكلٍ صريح إلى أن معاني الوحي وأن درجات الوحي وأن مراتب الوحي بخلاف الذي قد تعورف عليه، هذا المطلب مطلب واسع، أنا سأتناول الآيات، أتناول الروايات التي تتحدث عن هذا الموضوع، في البداية سأبدأُ من الكتاب الكريم ثم أُعَرِّجُ على الكلمات المعصومية النورية.

لنقوم بجولة سريعة في آيات الكتاب الكريم نتفحص معنى الوحي ونبحث عن معنى الوحي، مثلاً في سورة فصلت، الآية الحادية بعد العاشرة والثانية بعد العاشرة:

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ الحديث هنا عن خلقة السماوات ومن جملتها السماء الدنيا التي زينها الباري سبحانه وتعالى بالكواكب والنجوم ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ فهذا وحيٌ لِمَا يُقال له وحيٌ للجمادات، لأنه من جملة السماوات السماء الدنيا ومن جملة شؤون السماء الدنيا هذه الكواكب والأجرام وهي أجمد الجمادات، فهذا الوحي لكل السماوات بما فيها السماء الدنيا، هذا وحيٌ للجماد ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾ .

هناك مصداقٌ آخر من مصاديق الوحي للجماد وهو ما جاء في سورة الزلزلة: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ هذا وحيٌ أيضاً للأرض وهو كالوحي الذي تقدم ذكرهُ في سورة فصلت، كما أوحى سبحانه وتعالى للسماوات بما فيها السماء الدنيا المزينة بالكواكب وبالنجوم ومن جملتها الأرض هناك وحيٌ يكون للأرض متى؟ حينما تبدأ علائم يوم القيامة، متى تُزلزل الأرض؟ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ فهذه درجةٌ ومرتبةٌ من مراتب الوحي التي تحدث عنها القرآن وهو وحي الجمادات.

هناك وحيٌ آخر والذي جاء ذكرهُ في سورة النحل المباركة يحدثنا القرآن عن الوحي إلى الحيوانات، في الآية الثامنة والستين: ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ فليقل ما يقل المفسرون بأن هذا الوحي هو أمرٌ غريزي، هو أمرٌ تكويني وكذلك الوحي للسماء وكذلك الوحي للأرض، الوحي للجمادات، الوحي للحيوانات، للحشرات ومنها النحل ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ فليقل ما يريد المفسرون أن يقولوا بالنتيجة هو وحي ومرتبة من مراتب الوحي، فالوحي على مراتب والوحي على أنحاء، وحيٌ للسماوات وهناك وحيٌ للأرض وهناك وحيٌ للحيوانات وهو صريحٌ ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ إلى هذه الحشرة.

هناك وحيٌ قد يكون من البشر أنفسهم ولكن من الأنبياء كما في سورة مريم في قصة زكريا عليه السلام:

﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ حتى لو قلنا بأن هذا الوحي هو الإشارة كما يبدو من ظاهر الآيات باعتبار أنه أُمِر بأن لا يكلم الناس ثلاث ليالٍ سويا ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ هذه أيضاً مرتبة من مراتب الوحي وهي مرتبة الوحي البشري ولكن من الأنبياء.

هناك عندنا في سورة الأنعام في الآية الثانية بعد العاشرة بعد المئة ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ هناك وحيٌ بين شياطين الجن والإنس، فقد يوحي شياطين الإنس إلى الجن، وقد يوحي شياطين الجن إلى الإنس الآية واضحة، الآية تشير إلى أن الوحي يكون من الطرفين يمكن لشياطين الإنس أن يوحوا لشياطين الجن وكذلك يمكن لشياطين الجن أن يوحوا لشياطين الإنس ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ هذه أيضاً مرتبة من مراتب الوحي لكنها من مراتب الوحي الباطلة، ماذا نستفيد من هذا؟ نستفيد أن الوحي مراتبهُ كثيرة ولسعة مراتب الوحي كان هناك من الوحي ما هو الباطل كما في هذه الآية الصريحة، وكذلك في الآية الحادية والعشرين من سورة الأنعام أيضاً ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ الشياطين هنا بحسب ما يبدو من الآية شياطين الجن وإن كنا يمكن أن نجمع بين هذه الآية والتي قبلها فيكون الكلام عن شياطين الجن والإنس، فشياطين الإنس يوحون لشياطين الجن وشياطين الجن يوحون لشياطين الإنس وهكذا، ولكن الآيتان الآية الثانية بعد العاشرة بعد المئة والآية الحادية والعشرون بعد المئة من سورة الأنعام تتحدثان عن مرتبةٍ وعن مراتب من مراتب الوحي ولكن من الوحي الباطل من الوحي الشيطاني، فمراتب الوحي كثيرة، ومراتب الوحي عديدة، والوحي فيه جانبان: جانب الخير وجانب الشر.

ويستمر القرآن الكريم في الحديث عن الوحي، إذا نذهب إلى سورة الشورى المباركة الآية الحادية والخمسون ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ يعني هناك وحيٌ من الله يكون للبشر ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ الآية ما قالت وما كان لنبيٍ، الحديث عن البشر بشكلٍ عام، فتشمل الأنبياء وغير الأنبياء، وإن فسرها المفسرون بالأنبياء لكن الآية واضحة وصريحة تتحدث عن البشر بنحوٍ عام ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾

يعني ما هو أسلوب التواصل بين الله وبين البشر؟ ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ من وراء حجاب المراد كما أن الله سبحانه وتعالى خلق الكلام في الشجرة وفي الهواء وفي النار حين كلم موسى، لأن الله لا يملك جارحةً ليست عنده جارحة للكلام، حينما يريد أن يتكلم فإنما يخلق الكلام في أي شيءٍ من مخلوقاته ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ هذا نحوٌ من أنحاء الكلام الإلهي من طريق الوحي ﴿أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا - يعني مَلَكاً من الملائكة - أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ إما أن يكون هذا الرسول من الملائكة كالملائكة الذين يُرسلون إلى الأنبياء وإلى الأوصياء، أو قد المراد من الرسول هنا هو الرسول البشري، البشر الذي يبعثهُ الله نبياً، يبعثهُ رسولاً، وبالنتيجة أنا هنا لستُ بصددِ تفسير الآية، الآية فيها كلام طويل وعريض، لكن الآية بالجملة تتحدث عن الوحي بين الله وبين البشر.

نحن تحدثنا عن الوحي الإلهي للجمادات كالوحي للسماوات، الوحي للأرض، الوحي للحيوانات كالوحي للنحل، وتحدثنا كذلك عن الوحي البشري وهو وحي زكريا لقومهِ، والوحي الشيطاني فيما بين شياطين الجن والإنس، الآية هنا تتحدث عن الوحي للبشر عموماً، ما هو قانون الوحي للبشر؟ سواء كانوا أنبياء أو غير أنبياء، ما هو هذا القانون؟ حتى لو كانت الآية مختصة بالأنبياء فقط الحديث هنا عن القانون العام للوحي للتواصل بين الله وبين البشر ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ لبشرٍ هنا نكرة منونة بشكل عام ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ .

هناك الوحي الذي أشارت إليه سورة طه وهو مصداق من الوحي إلى البشر، في الآية السابعةِ والثلاثين وما بعدها ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ الخطاب لموسى عليه السلام، الله يخاطبهُ ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ إلى آخر الآيات الشريفة ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى﴾ هذه الآية الثامنة والثلاثون من سورة طه تتحدث عن الوحي البشري مرَّ علينا قبل قليل في الآية الحادية والخمسين ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ هذا الحديث هنا عن عموم البشر، من مصاديق الوحي لعموم البشر الآية الثامنة والثلاثون ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ

مَا يُوحَى﴾ نفس المعنى يتكرر في سورة القصص في الآية السابعة في سورة القصص ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ يعني هناك وحي متكرر، الوحي الأول ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾ هذا القذف في التابوت في بداية القصة وقذفتهُ وأخذهُ اليَم إلى قصر فرعون وبعد ذلك جاءت قضية الإرضاع، جاء وحيٌ آخر إلى أم موسى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ الحديث هنا أيضاً في الآية عن إرضاع أم موسى ولكن قبل أن تُلقيهُ في اليم ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ وهنا الحديث ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ الحديث هنا عن الوحي البشري، عن الوحي الإلهي لأم موسى، طبعاً في الروايات الشريفة أن معنى الوحي تكرر لأم موسى ولغير أم موسى من الأولياء من عامة البشر فما كانت أم موسى نبيةً.

نفس الكلام نجدهُ يتكرر في سورة آل عمران في قصة مريم عليها السلام، في الآية الثانية والأربعين وفي الآية الثالثة والأربعين ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ الحديث هنا عن وحي الملائكة، عن الوحي الإلهي من طريق الملائكة إلى مريم ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ * يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ هذا أيضاً وحيٌ من الله سبحانه وتعالى لبشرٍ ممن خلق، مرت علينا الآية الحادية والخمسون في سورة الشورى تتحدث عن الوحي لعامة البشر من هذه المصاديق ما مرَّ علينا في سورة طه وفي سورة القصص إذ أوحى الله إلى أم موسى ما أوحى، وهنا في سورة آل عمران في الآية الثانية والأربعين وفي الآية الثالثة والأربعين الحديثُ عن الوحي إلى مريم، الملائكة تخاطبها وتوحي إليها.

في سورة المائدة، في الآية الحادية بعد العاشرة بعد المئة ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ هذا وحيٌ آخر للبشرِ من غير الأنبياء ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾.

هناك وحيٌ آخر في سورة الأنفال في الآية الثانية بعد العاشرة في قصة واقعة بدر ونزول الملائكة ﴿إِذْ يُوحِي

رَبُّكَ إِلَى الْمَلَآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ هذه رتبة أخرى من مراتب الوحي وهو الوحي الإلهي إلى الملائكة.

هذه مصاديق وعناوين كثيرة، في سورة النساء، الآية الثالثة والستون بعد المئة وما بعدها، الحديث عن الوحي للأنبياء: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ النبي صلى الله عليه وآله بالنسبة له هو النبي الجامع وكتابهُ هو الكتاب الجامع ورسالتهُ الرسالة الجامعة، جميع مراتب الوحي التي كانت للأنبياء أيضاً كانت لنبينا صلى الله عليه وآله ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ نوح والنبيون من بعده يختلفون في مراتب الوحي، جميع هذه المراتب أوحي بها إلى النبي لماذا؟ لأنهُ الحقيقة الجامعة وإلا الوحيُ المُحَمَّدي يختلفُ عن الوحي الذي كان للأنبياء، لأن الوحي يتناسب بحسب روحانية النبي ونورانيته، كل نبي له مرتبة من الروحانية والنورانية، الوحي النازل إليه يتناسب مع نورانيتهِ وروحانيته، لكن النبي صلى الله عليه وآله هو صاحب النبوة المهيمنة، صاحب الحقيقة المهيمنة.

نحن حينما نقرأ مثلاً في سورة المائدة، في الآية الثامنة والأربعين ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ الكتابُ هو شأنٌ من شؤونات نبوة نبينا، نبوة نبينا واسعة ومرَّ الحديثُ عنها، وشؤوناتها لا تنتهي، لا تُعَدُّ ولا تحصى، من جملة شؤونات نبوة نبينا هو الكتاب الذي أُنزِل عليه، هذا الكتاب هكذا يصفهُ الله ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ مهيمناً على كل الكتب، والهيمنة ماذا تعني؟ الهيمنة تعني الإحاطة وتعني الولاية أيضاً، تعني الإحاطة وتعني الولاية، المهيمن هو المحيط والمحيط يكون هو العالم بالشيء والذي له القدرة على التصرف فيه، ومن مصاديق هيمنة الكتاب أن هذا الكتاب ينسخ الكتب السابقة، هذا في الأفق التدويني، وإلا نبوة النبي أيضاً في الأفق الأرضي تنسخ النبوات كلها، والحديث فيه تفصيل أنا لا أريد أن أدخل فيه، ربما لو تطرقنا لتفسير هذه الآية معنى ومهيمناً عليه نتحدث في هذا الموضوع بشيءٍ من الإسهاب، لكن ونحن في هذه الجولة السريعة في آيات الكتاب الكريم نتحدث عن معنى الوحي وعن مراتب الوحي.

الآية هنا في سورة النساء الثالثة والستون بعد المئة ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ ونوح والنبيون من بعده كل واحد له مرتبة من مراتب الوحي ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ﴾ هؤلاء يختلفون في مراتبهم، يختلفون في

علمهم، يختلفون في نورانيتهم، فالوحي يختلف بحسب اختلاف مراتبهم ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ﴾ هؤلاء أيضاً ما نزل عليهم من الوحي ومن مراتب الوحي أيضاً داخلٌ في مراتب الوحي المُحَمَّدية ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا * رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ فكل مراتب الوحي هذه التي ذكرها القرآن والتي لم يذكرها، كل مراتب وحي الأنبياء هي داخلة في مراتب الوحي النبوي بجهةٍ من الجهات، وإلا الوحي المُحَمَّدي يختلف عن كل هذه المراتب، الآية بجملتها تتحدث عن الوحي النبوي، عن وحي الله للأنبياء، ووحي الله للأنبياء مراتبه كثيرة جداً، ربما سنشير إلى بعضٍ من هذه المراتب في طوايا ذكري للروايات والأحاديث الشريفة التي سأتلوها على مسامعكم.

حينما نقرأ مثلاً في سورة الشورى، الآية السابعة ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ هذه مرتبة من مراتب الوحي النبوي وهي وحي القرآن، الوحي لم يكن مقتصراً على القرآن فقط، هذه مرتبة من مراتب الوحي ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ هذه مرتبة الوحي القرآني المهيمن على كل الكتب، هذه مرحلة الوحي المهيمن، هناك مرتبةٌ أخرى نجد هذه المرتبة في سورة الإسراء المباركة في الآية التاسعة والثلاثين ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ – إلى آخر الآية – هذه مرتبة من مراتب الوحي، الآية التي مرت علينا كانت تتحدث في سورة الشورى، تتحدث عن الوحي القرآني، هذا وحي الحكمة، وإن فسرَّ المفسرون الحكمة هنا أيضاً بالقرآن، لكننا إذا دققنا النظر في هذا العنوان عنوان الحكمة على طول الكتاب الكريم الحكمة شيءٌ آخر ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ هذه مرتبةٌ أخرى من مراتب الوحي النبوي، أوحى الله إليه كما أوحى إلى الأنبياء كما مر علينا في الآية الثالثة والستين من سورة النساء، مرَّ علينا قبل قليل، في الآية الثالثة والستين بعد المئة إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى كل الأنبياء، والوحي القرآني كما في سورة الشورى، وفي سورة الإسراء هو وحي الحكمة ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ في سورة الشورى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ في سورة الشورى أيضاً في آخر آيةٍ منها، في الآية الثانية والخمسين يعني قبل الآية الأخيرة، الآية الأخيرة هي الثالثة والخمسون، في الآية الثانية والخمسين ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ هذه مرتبة أخرى من مراتب

الوحي ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ هذه غير المرتبة القرآنية وغير مرتبة الحكمة ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هذه حيثية أخرى، لأننا إذا أردنا أن نتتبع في الكتاب الكريم الروح والروح من أمرنا من أمر ربي تتجلى معانٍ أخرى، هذه مرتبة أخرى.

وهناك مرتبةٌ من مراتب الوحي المُحَمَّدي ما جاء مذكوراً في سورة النجم، وتحدثنا عن جانب من معاني هذه الآيات حين كان الكلام عن معنى النبوة ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ هذا وحي بمرتبة أخرى ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ هذا الوحيُ في العالم الدنيوي في العالم الأرضي وتحدثنا عن النبوة في العالم الأرضي، هذا الوحي الأرضي ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ خطاب مع الذي كانوا على الأرض ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ يعني يا أيها الأرضيون أنتم تسمعون كلاماً ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ انتقلنا إلى الأفق الأعلى ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ هذا وحيٌ في الأفق الأعلى ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ هذا وحيٌ آخر هذا هو الوحي المُحَمَّدي ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى﴾ السدرة المكان الذي يكون فيه التحير والحيرة، ولكن كما قالت الروايات ولكن مُحَمَّداً لم يتحير هناك وما تحيَّر بصرهُ ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ هذا هو الوحي المُحَمَّدي والذي لا نملك تفسيراً له، السورة هنا سورة النجم تتحدث عن مرتبتين من مراتب الوحي، وتحدثت عن مراتب أخرى آيات القرآن، تحدثت أن جميع مراتب وحي الأنبياء كانت موجودة في دائرة

الوحي النبوي لأن الأنبياء تختلف مراتبهم.

على سبيل المثال لنقرأ بعضاً من الروايات أو بعضاً من الأحاديث هذا هو كتاب الكافي الشريف وهذا هو الجزء الأول، على سبيل المثال: **الرواية عن زرارة قال: سألتُ أبا جعفرٍ عليه السلام عن قول الله عزَّ وجل: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ ما الرسول وما النبي؟ قال: النبي الذي يرى في منامهِ ويسمع الصوت ولا يُعاين المَلَك** – هذه درجة ليس كل الأنبياء هكذا، هذه درجة من درجات الأنبياء – **قال: النبي الذي يرى في منامهِ ويسمع الصوت ولا يُعاين المَلَك، والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويُعاين المَلَك** – وهذه أيضاً مرتبة من مراتب الرسل – **قلتُ: الإمام ما منزلتهُ؟ قال: يسمع الصوت ولا يرى ولا يُعاين المَلَك** – هذه أيضاً مرتبة من المراتب، لا يعني أن مراتب أئمتنا هكذا، ستأتي الروايات تبين هذا الكلام.

لا أبتعد كثيراً فقط أشير إلى ما جاء في نهج البلاغة الشريف، هذه هي الخطبة القاصعة من أشهر خُطب سيد الأوصياء، ماذا يقول سيد الأوصياء؟ وهو يتحدث عن رسول الله – **ولقد كان يجاور في كل سنةٍ بحراء فآراهُ ولا يراهُ غيري** – كان يجاور في المكان المعروف بحراء، قد تسأل لماذا يذهب رسول الله إلى حِراء؟! هذا المكان مكانٌ تَعَبَّدَ فيه الأنبياء من قبلهِ، هذا المكان مكان مُقَدَّس تعبَّد فيه الأنبياء السابقون والأوصياء السابقون وممن جاء ذكرهم في الروايات ممن تعبَّدوا في غار حِراء عبد المطلب جد النبي وكذلك ممن تعبد فيه أبو طالب، والروايات تقول بأن عبد المطلب وبأن أبا طالب من أوصياء إبراهيم وأوصياء إبراهيم كلهم أنبياء كما قالت الروايات في ذلك، فهذا المكان له قدسية خاصة، على أي حالٍ – **ولقد كان يُجاورُ في كل سنةٍ بحراء فآراهُ** – الأمير يراه – **ولا يراهُ غيري ولم يجمع بيتٌ واحدٌ يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرسالة وأشمُّ ريح النبوة** – أي أنهُ كان يرى ويشم – **ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله، فقلتُ: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنَّك يا علي** – الكلام مع عليٍّ – **إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي** – فهذا عليٌّ يسمع الوحي ويرى، يسمع ما يسمع صلى الله عليه وآله، ويرى ما يرى صلى الله عليه وآله، هذا كلامُ عليٍّ في الخطبة القاصعة واضحٌ صريحٌ جلي.

إذاً هذه الأحاديث التي يقف عندها الكثير من علمائنا ويجعلون أوصاف الأنبياء وأوصاف الرسل وأوصاف أئمتنا عند هذا الحد فذلك ظلم لمراتب أهل البيت، مراتب أهل البيت أعلى وأعظم وأكبر وسيأتي الكلام بعد ذلك – **ما الرسول وما النبي؟ قال: النبي الذي يرى في منامهِ ويسمع الصوت ولا يُعاين الملَك** –

يعني أن الأنبياء منهم من لا يرى الملائكة – **والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويُعاين الملَك، قلتُ: الإمام ما منزلتهُ؟ قال: يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين المَلَك** – والروايات البقية على هذا النحو، مثلاً رواية أخرى – **عن الأحول قال: سألتُ أبا جعفرٍ عن الرسول والنبي والمُحدَّث** – المحَدَّث هو إما المراد الإمام المعصوم وإما الأولياء الذين بلغوا هذه الرتبة، وظاهراً المراد هنا هو الإمام المعصوم – **قال الرسول: الذي يأتيهِ جبرئيلُ قُبُلاً فيراه ويكلمهُ فهذا الرسول، وأما النبي فهو الذي يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام ونحو ما كان رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من أسباب النبوة قبل الوحي حين أتاه جبرئيل عليه السلام من عند الله بالرسالة** – إلى أن يقول – **وأما المُحَدَّث فهو الذي يُحَدَّث فيسمع ولا يعاين ولا يرى في منامه** – هذه مراتب موجودة لأنبياء الله ولأولياء الله ولأوصياء الرسل هذه المراتب، لكن هذه المراتب لا يعني أن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقفوا عند هذه المرتبة، وقفوا عند هذه المنزلة، مرَّ علينا قبل قليل كلام سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه في نهج البلاغة الشريف وهو يقول إن النبي هكذا قال له: – **إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى** – وهو قال – **أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة** – فهو يرى ويشم، الملائكة إذا نزلوا لهم عطرٌ خاص، الروايات تقول بأن رائحة الملائكة رائحة الورد، بأن رائحة الملائكة رائحة المسك، وتختلف عطورهم وروائحهم باختلاف مراتبهم، فهو يَشَم وللوحي رائحة غير رائحة الملائكة – **أرى نور الوحي والرسالة وأشم ريح النبوة – إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست بنبي** – أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانت لهم هذه المراتب، كانت لهم هذه الدرجات من درجات الوحي وإلا كيف نخاطبهم في الزيارة: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا مَهْبِطَ الْوَحْي**.

الرواية في بصائر الدرجات أنقلها وموجودة في الكافي أيضاً، موجودة هذه الرواية في الجزء الأول من الكافي الشريف، لكنني أقرأها من بصائر الدرجات لأنني أريد أن أقرأ روايةً ثانية من نفس الكتاب – **الرواية عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إن جبرئيل أتى رسول الله صلى الله عليه وآله برمانتين** – وهذه رموز – **فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله إحداهما وكسر الأخرى بنصفين فأكل نصفها وأطعم رسول الله علياً نصفها، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أخي هل تدري ما هاتين الرمانتين؟ قال: لا، قال: أما الأولى التي أكلها لوحده فالنبوة ليس لك فيها شيء، وأما الأخرى فالعلم أنت شريكي فيه** – فكل ما عند رسول الله هو عند عليٍّ – **فقلت: أصلحك الله كيف يكون شريكهُ فيه؟! قال: لا يُعلم الله مُحَمَّداً عِلماً إلا وأمرهُ أن يُعلم عليَّاً** – أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها – إلى نفس هذا الكلام تشير هذه الرواية – **أنا مدينة الحكمة وعليٌّ بابها** – الرواية الثانية التي أردت أن أتلوها

على مسامعكم – **عن جابرٍ الجعفي عن أبي جعفرٍ عليه السلام قولهُ تبارك وتعالى:** ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ﴾ **فهو مُحَمَّد صلى الله عليه وآله** ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ **وهو العلم** ﴿المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ **فزعم أن الزجاجة ما هي؟ الزجاجة أمير المؤمنين وعلم نبي الله عنده** – الرواية هكذا تبين المعنى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ﴾ **هو مُحَمَّد** – هذا النور في مصباح، المصباح هو العلم، والمصباح في زجاجة، الزجاجة هي التي تحوي المصباح، الزجاجة عليٌّ، وهذا وجه من وجوه الآية الشريفة.

لذلك نحن لا نستغرب أبداً هذا هو الجزء الخامس والثلاثون من بحار الأنوار، والرواية فيه عن الحسن بن محبوب عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه وهو يتحدث عن ولادة جدهِ سيد الأوصياء فماذا يقول؟ – **أنفتح البيت من ظهره** – الكعبة – **أنفتح البيت من ظهره ودخلت فاطمة فيه** – فاطمة بنت أسد – **ثم عادت الفتحة وألتصقت وبقيت فيه ثلاثة أيام فأكلت من ثمار الجنة فلمَّا خرجت قال عليٌّ عليه السلام** – لَمَّا خرجت بعليٍّ هكذا قال، ماذا قال؟ مخاطباً أباه أبا طالب – **السَّلامُ عليكَ يا أبا ورحمة الله وبركاته، ثم تنحنح وقال:** بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ – فقرأ الآيات من سورة المؤمنون هذا الكلام متى؟!

القصة في ميلاد سيد الأوصياء، هذا الحديثُ قبل البعثةِ بعشر سنوات، نحن لا نأبه بمن يريد أن يسخر من مثل هذا الكلام، هذا كلام أهل البيت والقضية ليس رواية واحدة أو روايتين أو ثلاثة، هذه بحار من الروايات، ونصوص قرآنية ونصوص حديثية يشد بعضها البعض، القضية ليست متوقفة عند رواية واحدة أو عند سطرٍ واحد – **ثم تنحنح وقال:** بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ – قرأ سورة المؤمنون – **فقال رسول الله** – رسول الله موجود، هذه قرأها في وجه رسول الله فماذا قال؟ – **قد أفلحوا بك أنت والله أميرهم، تميرهم من علمك فيمتارون وأنت والله دليلهم وبك والله يهتدون، ووضع رسول الله صلى الله عليه وآله لسانهُ في فيه فانفجرت اثنتا عشرة عينا** – هذه رموز، رسول الله يضع لسانهُ في فيه فانفجرت اثنتا عشرة عيناً، هذه العيون الاثنا عشر هؤلاء هم الأئمة الاثنا عشر، عليٌّ ومن بعده، هذه رموز ولا أستطيع أن أقف عند كل كلمة أتناولها بالشرح بالتالي سيذهب الوقت ولم أكن قد أكملت حديثي ولو على نحو الإجمال، لأن هذه الروايات كل رواية بحاجة إلى شرحٍ أو إلى بيان، ولذلك هذه الروايات الرواية التي مرت علينا قبل قليل رواية الرمانتين فقسم الرمانة الثانية وهي رمانة العلم بالشراكة فعليٌّ شريك رسول الله، العلم هو المصباح، النور رسول الله، المصباح هو العلم، وعليٌّ الزجاجة المحيطة بذلك المصباح المحيطة

بذلك النور – **يا علي** –كما جاء في نهج البلاغة – **إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى ولكنك لست بنبي** – هو كان يقول أرى نور النبوة والرسالة، نور الوحي والرسالة، وأشم رائحة النبوة، وما كان لعليٍّ كان لإمام زماننا، فما كان لأولهم كان لآخرهم، وما كان لآخرهم كان لأولهم، إذاً هذه الروايات الموجودة في الكافي أو في غير الكافي والتي دائماً تتحنط كتب علم الكلام وكتب العقائد بأن الأنبياء والأئمة والرسل هذه مراتبهم لأجل إبعاد هذه المراتب عن أئمتنا، وإلا هذه كلمات أهل البيت، وهذه أحاديث أهل البيت، وهذا عليٌّ ينطق بالقرآن وهو في المهد، وهذا ما هو بغريب لأن القرآن كان في قلب مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله منذُ أن كان، وما كان في قلب مُحَمَّدٍ فهو في قلب عليٍّ.

نحن حين نأتي فنقرأ مثلاً في سورة طه في الآية الرابعة بعد العاشرة بعد المئة ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ ما المراد من هذا؟ وهذا الكلام نجدهُ أيضاً في سورة القيامة الآية السادسة بعد العاشرة ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ ما معنى هذه الآيات؟ أكما يقول المخالفون ومن تبعهم من علمائنا، على سبيل المثال شيءٌ غريب أن يقول السيد الطباطبائي في الميزان مثل هذا الكلام، هذا هو الجزء العشرون من تفسير الميزان، حينما يتحدث في بيان معنى هذه الآية {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} يقول: – **هذا الكلام يتضمن أدباً إلهياً** – ما هو هذا الأدب؟ – **أن الله كَلَّف النبي أن يتأدب به حينما يتلقى ما يوحى إليه من القرآن الكريم** – إلى أن يبين ما المراد من ذلك، يقول – **فالكلام في هذه الآيات يجري مجرى قول المتكلم منا أثناء حديثهِ لمخاطبهِ إذا بادر إلى تتميم بعض كلام المتكلم باللفظة واللفظتين قبل أن يلفظ بها المتكلم وذلك يُشغلهُ عن التجرد للإنصات فيقطع المتكلم حديثهُ ويعترض ويقول لا تعجل بكلامي وأنصت لتفقه ما أقول ثم يمضي في حديثهِ** – يعني السيد الطباطبائي يأتي بهذا المثال أن شخص يتكلم وشخص آخر يستمع إليه، هذا الشخص المستمع لا يترك المتكلم يتكلم وإنما يسابقهُ يسبقهُ بلفظة أو لفظتين، فالمتكلم يقول له أنصت يا هذا واستمع للكلام!!

هل كان رسول الله صلى الله عليه هكذا؟! أدبني ربي فأحسن تأديبي ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ما معنى هذه الآية؟ هذه الآية لا أحد يعرف معناها، ما المراد من الخُلُق العظيم؟ ما هو هذا الخلق الذي يقول عنهُ الله خُلُقٌ عظيم؟! ما المراد؟ هل نقول بأنهُ كان جواداً كريماً كان حسن الأخلاق حلو المعشر، هذه المعاني يمكن أن يتحلى بها أي شخص من الأشخاص، لكن هذا الخلق العظيم لا نستطيع أن ندركهُ، مثل هذا الكلام هذا الكلام هو تأثر بكتب المخالفين قطعاً، وإلا نحنُ إذا أردنا أن نقف عند هذه الآية:

﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ هذا يدلُ على أن القرآن موجودٌ في قلبهِ، القرآن مجموعٌ في قلبهِ، وإنما الآية هنا تريد أن تشير إلى أنهُ أيها الناس أعلموا أن مُحَمَّد القرآن في قلبهِ، ولذلك الآية تقول له ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ هذه العجلة ما المراد منها؟ عجلة النبي، هذه العجلة هي عجلة الشوق ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ هذه عجلة الشوق، والآية هنا لا تريد أن تنهى النبي عن شيءٍ هو لم يكن سليماً أو صحيحاً، وإنما تريد أن تخاطبنا، فالقرآن نزل بإياكِ أعني واسمعي يا جارة وهذه لها أكثر من مرتبة، في بعض الأحيان يكون الخطاب لشخص ونحن الذين نُراد بذلك، وفي بعض الأحيان يكون الخطاب لشخص ونحن نُنبهُ وفقاً لذلك الخطاب بخصوص أحوال وشؤون ذلك الشخص ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ الآية تريد أن تُشعرنا بأن القرآن بمجموعهِ في قلبهِ صلى الله عليه وآله، ونفس الشيء الموجود في سورة القيامة ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ ولذلك نحن حينما نريد أن نقرأ ما جاء في تفسير علي بن إبراهيم ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ وتفسير علي بن إبراهيم بجملتهِ هو منقول عن الأئمة، وبنحوٍ خاص عن إمامنا الصادق عليه السلام، ماذا يقول علي بن إبراهيم؟

**كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه القرآن بادر بقراءتهِ قبل نزول تمام الآية والمعنى** – يعني أن الآية والمعنى موجودٌ في قلبهِ، قبل نزول تمام الآية، الآية يعني اللفظ والمعنى يعني معنى الآية، الجانب المعنوي منها – **كان رسول الله إذا نزل عليه القرآن بادر بقراءتهِ قبل نزول تمام الآية والمعنى فأنزل الله** ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ – أن يُفرغ من قراءتهِ من قِبَل جبرئيل، أو إذا كان الوحي من الله سبحانه وتعالى، لأن الوحي الذي كان ينزل على النبي تارةً من طريق الملائكة وتارةً من طريق الله سبحانه وتعالى، وهذا المعنى واضحٌ في الروايات، لا كما يتصور البعض من المخالفين أن الله لم يُكلم النبي صلى الله عليه وآله وأن التكليم حالةٌ خاصة بموسى، هناك منهم من يقول هذا الكلام، مع أنهم حين يتحدثون عن عمر بن الخطاب ماذا يقولون عنه؟

هذا هو صحيح البخاري، بحسب الطبعة التي بين يدي وهي طبعة دار صادر بيروت، الحديث المرقم: 3469 – **عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال** – النبي يقول – **إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدَّثون** – يعني يحدثهم الله، تحدثهم الملائكة – **وإنه إن كان في أمتي هذه منهم** – إذا كان في هذه الأُمَّة – **فإنه عمر بن الخطاب** – وحددت به – **فإنه عُمر بن الخطاب** – وفي باب مناقبه

وفضائله، الحديث: 3689 – **عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدَّثون فإن يكُ في أمتي أحدٌ فإنه عُمر** – الرواية التي بعدها – **عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجالٌ يُكَلّمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكُ من أمتي منهم أحدٌ فعُمر** – الأئمة لا، لا يصح أن يكلمون، عمر يمكن أن يُكَلّم، يكلمه الله، تكلمه الملائكة – **لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل** – هذا صحيح البخاري ورواياته صحيحة بحسب القوم – **لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل** – هذا في باب فضائل أصحاب النبي، في كتاب فضائل أصحاب النبي وفي باب فضائل عمر، باب مناقب عمر بن الخطاب، من كتاب فضائل أصحاب النبي – **لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجالٌ يكَلّمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن من أمتي منهم أحدٌ فعمر** – لكن حينما يكون الحديث عن عليٍّ وعن آل عليٍّ يكون الكلام حينئذٍ باطلاً وبدعةً، يعني إذا كان عمر بهذه المرتبة فلما لا يكون أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بهذه المرتبة؟! هل نال هذه المرتبة بفضل جدته باطحلي؟ وأولاد رسول الله لم ينالوا هذه المرتبة بفضل أمهم فاطمة صلوات الله عليها؟

باطحلي هذه جدةٌ عمر بن الخطاب نأتي على ذكرها إن شاء الله في الوقت المناسب، باطحلي هذا هو الاسم الثاني لجدته صهاك، وصهاك معروفة يعني سمعتها سيئة، معروفة في التأريخ، فأقول أن عمر نال ذلك بفضل جدته باطحلي وأولاد مُحَمَّد لم ينالوا ذلك بفضل أمهم فاطمة؟! فعمر يُكَلم يكلمه الله تكلمه الملائكة الرواية مطلقة، أما عليٌّ وآل عليٍّ والغريب أن هذا الكلام موجودٌ في كتبنا نحن أيضاً، دائماً نجد الغض وغض الطرف وغض النظر عن هذه المعاني العميقة في روايات أهل البيت في بيان منازل أهل البيت، ما معنى أن نخاطب الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: السلامٌ عليكم يا مهبط الوحي. ما المراد أنهم مهبط الوحي؟ أليس هذه المعاني التي أشارت إليها بعض الروايات؟! ﴿**وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾ يعني أن مُحَمَّداً كان القرآن بكامله عنده وهذا تصدقه هذه الرواية التي تلوتها على مسامعكم من الجزء الخامس والثلاثين من بحار الأنوار في ولادة سيد الأوصياء وهو يقرأ ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ فقال له صلى الله عليه وآله: **قد أفلح المؤمنون بك وبولايتك يا علي.**

ولو أردت أن أبحث عن مثل هذه المصاديق في كتب الحديث وفي كتب الروايات المروية عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين لاحتجنا إلى الكثير من الوقت، نحن في رواياتنا أئمتنا يشترطون في الفقهاء، الفقيه أئمتنا يشترطون فيه، هذا رجال الكشي والرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه

عليه، ثاني رواية في الكتاب، الرواية الأولى: **أعرفوا منازل الرجال منَّا على قدر رواياتهم عنَّا**. الرواية الثانية: **أعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنَّا فإنَّا لا نعد الفقيه منهم فقيهاً حتى يكون محدّثاً، فقيل له أو يكون المؤمن محدّثاً؟ قال: يكونُ مُفهماً والمُفَهّمُ مُحدّث** – وهذي أيضاً درجة من درجات الوحي – **قال: يكونُ مفهماً** – يعني لا هو الذي يبحث عن الفهم، هناك فارقٌ بين من يطلب الفهم ويبحث عن الفهم، وهناك فارقٌ بين الذي يكون مُفَهّماً – **إنَّا لا نعد الفقيه منهم فقيهاً حتى يكون محدّثاً، أو يكون المؤمن محدّثاً؟ قال: نعم، يكون مفهَّماً والمُفَهّمُ محدّث.**

فهذه الآية الكريمة والآية التي في سورة القيامة ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ الآية التي مرت علينا ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ وهي الآية السادسة بعد العاشرة وهذه الآية الرابعة بعد العاشرة بعد المئة ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ وتقول الآية ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ تشير إلى هذه الحقيقة، إلى حقيقة أن القرآن بتمامه بألفاظه وبمعانيه هو في قلب مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، ووحيُ مُحَمَّدٍ نحن لا نحيط به، وقد مرت الإشارة إلى ذلك في سورة النجم، هناك مراتب من الوحي في العالم الأرضي، وهناك مراتب في الأفق الأعلى، ما عندنا من الأحاديث أو من الروايات التي تحدّثت عن مراتب أو عن مصاديق من الوحي، أتي بنماذج منها، مثلاً على سبيل المثال:

ما قاله المخالفون: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ **قال البيضاوي: أي بالقرآن قبل أن يتم وحيه** ﴿لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ **لتأخذه على عجلةٍ مخافة أن ينفلت منك** – القرآن ينفلت من مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، هذا ما قاله البيضاوي في تفسيره مثلاً، وأيضاً مثلاً في مجمع البيان للطبرسي – **قال: لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبرئيل من إبلاغه** – وذكر معاني أخرى أنه – **لا تقرئ به أصحابك ولا تُملِه حتى يتبين لك معانيه** – يعني وكأنه لم يكن على علم بمعانيه ينتظر حتى تتبين له المعاني، هذا كلام الطبرسي رحمة الله عليه من مفسرينا في مجمع البيان، مجمع البيان ليس سراً أن الأزهر أعتمده وجعله من التفاسير المعتمدة في الأزهر، لو كان هذا التفسير يعتمد على حديث أهل البيت بشكل حقيقي وبشكل واسع ما أعتمده الأزهر، لكن يعلمون في الأزهر أن هذا التفسير مشحون بآراء المخالفين، لكن الغريب أن منابرنا وأن خطبائنا لا ينقلون إلا عن هذا التفسير، مع أن تفاسير أهل البيت موجودة وروايات أهل البيت موجودة، وإلا لما أعتمد الأزهر حبّاً بالشيعة أو حبّاً بأهل البيت هذا الكتاب!!

أليس لأنه مشحون والكتاب ورائه قضية وتفاصيل في هذا المطلب ربما أتناولها في وقتٍ آخر، أقرأُ سطوراً مما قاله الشيخ الصدوق في كتابه العقائد المعروف بعقائد الشيخ الصدوق قال – **الاعتقاد في نزول الوحي من**

**عند الله عز وجل بالأمر والنهي اعتقادنا في ذلك إن بين عيني إسرافيل لوحاً** – طبعاً هذه المعاني يأخذها من الروايات – **فإذا أراد الله عز وجل أن يتكلم بالوحي ضرب اللوح جبين إسرافيل** – ضرب اللوح يعني أشرق شَعّ فيه – **فينظر فيه فيقرأُ ما فيه** – إسرافيل ينظر فيه – **فيلقيه إلى ميكائيل** – يعني القرآن يأتي من اللوح – **إن بين عيني إسرافيل لوحاً فإذا أراد الله عز وجل أن يتكلم بالوحي ضرب اللوح جبين إسرافيل** – يعني جاء الكلام إلى اللوح وإسرافيل يقرأ في لوحه – **فينظر فيه فيقرأُ ما فيه فيلقيه إلى ميكائيل ويلقيه ميكائيل إلى جبرئيل ويلقيه جبرئيل إلى الأنبياء، وأما الغشيةُ التي كانت تأخذ النبي حين يثقل ويعرق فإن ذلك كان يكون منه عند مخاطبة الله عز وجل إياه، فأمّا جبرئيل فإنه كان لا يدخل على النبي صلى الله عليه وآله حتى يستأذنه إكراماً له وكان يقعد بين يديه قعدة العبد** – جبرئيل كان يأمر الأنبياء السابقين، أما حينما يأتي إلى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فهو يقعد بين يديه قعدة العبد، جبرئيل إنما سجد والملائكة كلهم سجدوا لآدم لأي شيءٍ؟

لنورٍ من مُحَمَّدٍ شع في آدم، فكيف لا يقعد بين يدي مُحَمَّدٍ قعدة العبد صلى الله عليه وآله، أفيعقل أن يكون جبرئيل مُعَلِّماً للنبي صلى الله عليه وآله!! **الرواية هنا عن عبيد بن زرارة عن أبيه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك الغشية التي كانت تصيب رسول الله صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه الوحي؟ قال: فقال ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد** – يعني لم يكن الرسول هو جبرئيل – **ذاك إذا تجلى الله له قال: ثم قال: تلك النبوة يا زرارة وأقبل يتخشع** – تلك النبوة هذه مرتبة النبوة، ليس النبوة في نزول جبرئيل، الإمام هنا يشير إلى هذه الحقيقة التي تحدثنا عنها سابقاً حين الحديث: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة. النبوة هي هذه وليس الحديث عن جبرئيل، النبوة حين يتجلى الله له – **فقال ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد، ذاك إذا تجلى الله له ثم قال: تلك النبوة يا زرارة وأقبل يتخشع** – النبوة هي هذه ليس النبوة بنزول جبرئيل، هذا لعامة الأنبياء، لمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله النبوة هي هذه والوحي هو هذا، الوحي الذي أشارت إليه آيات سورة النجم كما مر علينا قبل قليل.

هذه الرواية في تفسير علي بن إبراهيم – **عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال جبرئيل لرسول الله صلى الله عليه وآله في وصف إسرافيل هذا حاجب الرب** – إسرافيل – **وأقرب خلق الله منه واللوح بين عينيه من ياقوتةٍ حمراء** – الكلام الذي أشار إليه الشيخ الصدوق قبل قليل – **فإذا تكلم الرب تبارك وتعالى بالوحي** – والله سبحانه وتعالى لا يتكلم باللفظ كما يقول أمير المؤمنين فإنه يقول ولا يلفظ – **فإذا تكلم الرب تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللوح جبينه فنظر فيه ثم ألقى إلينا** – يعني إلى جبرئيل وإلى ملائكة الوحي ملائكة العلم النازل على الأنبياء – **ثم ألقى إلينا نسعى به في السماوات**

**والأرض إنه لأدنى خلق الرحمن منه وبينه وبينه تسعون حجاباً من نور يقطع دونها الأبصار ما يعد ولا يوصف وإني لأقرب الخلق منه** – في حال تلقي الوحي – **وبيني وبينه مسيرة ألف عام، في قوله تعالى:** ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ* فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ – الرواية ينقلها علي بن إبراهيم – **اللوح المحفوظ له طرفان طرفٌ على العرش وطرفٌ على جبهة إسرافيل فإذا تكلم الرب جل ذكره بالوحي ضرب اللوح جبين إسرافيل فنظر في اللوح فيوحي بما في اللوح إلى جبرئيل عليه السلام** – هذي نماذج من الروايات التي تحدّثت عن الوحي وتحدثت عن ملائكة الوحي وبينت لنا صوراً في كيفية نزول الوحي على الأنبياء، وأنا قلت بأن كل مراتب الوحي التي كانت للأنبياء هي مجموعةٌ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، لكن الوحي المُحَمَّدي ولكن الوحي النبوي الخاص بمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله يختلفُ اختلافاً كاملاً.

أعظم سورة في القرآن الكريم تحدثت عن حقيقة الوحي هي سورة التوحيد، سورة التوحيد تحدثت عن معنى الوحي: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ هذه السورة التي هي من مغالق القرآن، هذه السورة التي لا تتمكن العقول من الإحاطة بمعرفتها، هذه السورة ربما يتراءا لأي شخصٍ ينظر إلى هذه السورة فيظن أنه يعرف معناها، هذه السورة عميقة الدلالة، عميقة المعنى، بعيدة الغور عن عقولنا، طريفة أذكرها لأجل إشارةٍ فيها لا لأجل طرافتها، يقولون في أحد المدن العراقية كان هناك إمام مسجد في أحد المساجد يأتي يصلي الجماعة ويخرج من دون أن يحدِّث الناس بحديث، في يوم من الأيام المصلون في المسجد قالوا: شيخنا أنت تأتي تصلي وما تحدِّثنا، عَلِّمنا شيء، اليوم يوم الجمعة حدثنا بشيء، قال: ما تريدون؟ قالوا: مثلاً سورة التوحيد نحن لا نعرف معناها، نقرأها في الصلاة دائماً ولا نعرف معناها، فَسّر لنا معناها، صعد على المنبر والرجل قليل البضاعة، لو كان عنده شيء لتكلم، كما يقال لو كان لبان، فالرجل قليل البضاعة فصعد أضطر بسبب إلحاح المصلين، فبدأ يفسر سورة التوحيد قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هاي تعرفوها بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قُلْ: قول، هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ: هو الله أحد، الله واحد، اللَّهُ الصَّمَدُ الله الصمد ، لم يَلِدْ وَلم يُولَدْ: مبينه ، وَلم يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ: ولم يكن له كفواً أحد.

فأنا أقول هو لا كما يقولون أنه فسر الماء بعد الجهد بالماء، هو أصلاً لم يفسر الماء بعد الجهد بالماء، هو هذه الحادثة ربما فيها شيء من الطرافة لكن هذي حقيقة، والرجل قليل البضاعة لكن حتى الذين يملكون البضاعة الوفيرة والكثيرة في علم اللغة في علم البلاغة في أراء المفسرين هذه السورة سورة مغلقة مستحكمة يصعب الولوج إليها، يصعب الدخول إليها، لذلك الرواية في الكافي الشريف في الجزء الأول – **عن إمامنا زين العباد صلوات الله وسلامه عليه، يقول: عن عاصم بن حميد قال: قال: سئل علي بن الحسين**

**عليهما السلام عن التوحيد فقال: إن الله عز وجل علم أنه يكون في آخر الزمان أقوامٌ متعمقون** – في آخر الزمان – **فأنزل الله تعالى:** ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ **والآيات من سورة الحديد إلى قوله:** ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ – يعني الآيات الأولى من سورة الحديد – **فمن رام وراء ذلك فقد هلك** – الإشارة الدقيقة هنا – **إن الله سبحانه وتعالى عَلِم أنه يكون في آخر الزمان أقوامٌ متعمقون فأنزل الله تعالى:** ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ – أُنزلت هذه السورة للمتعمقين في آخر الزمان كي تكون حجةً وبرهاناً ودليلاً على عظمة هذا القرآن وعلى عظمة هذا الوحي وعلى أسراره وألغازه التي لا يصل إليها إلا مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد.

أنا فقط أشير إلى إشارة إلى أن هذه السورة وبالذات في الآية الأولى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الإشارة هنا إلى مرتبة الوحي المُحَمَّدي الأعظم، المرتبة الأعظم، ومرتبة الوحي الأعظم هذه هي التي كانت قبل الخلق، كان الله ولم يكن معه شيء ثم تكلم بكلمة هذه الكلمة كانت نوراً وكانت روحاً ثم مزج بين النور والروح ومن ذلك النور اشتقت أنوار الموجودات، هذا الكلام قُل الخطاب لتلكم الحقيقة، وهذا الخطاب ليس خطاباً لفظياً كما مر علينا في قوله تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ إنه يقول فلا يلفظ كما يقول سيد الأوصياء، ما هو بنداءٍ مقروع ولا بصوتٍ مسموع، لا بنداءٍ يقرع ولا بصوتٍ يسمع وإنما إذا أراد كان، هذه قُل وكُن بنفس المعنى بنفس المضمون، مر علينا فيما تقدم من الحلقات السابقة شيئاً من هذا المعنى.

هذي سطور من حديث طارق بن شهاب الذي يرويه عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه، وهذا هو الجزء الخامس والعشرون من بحار الأنوار، يقول سيد الأوصياء وهو يتحدثُ عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، يتحدث عن الأئمة عن عليٍّ وولد عليّ: **فهم سر الله المخزون وأوليائه المقربون وأمره بين الكاف والنون لا بل هم الكاف والنون** – هذا تجلي أول، وهذا تجلي ثاني، أمره بين الكاف والنون مرتبة من مراتب التجليات، لا بل هم الكاف والنون هذا تجلٍ آخر – **إلى الله يدعون وعنهُ يقولون وبأمرهِ يعملون عِلمُ الأنبياء في علمهم وسرُ الأوصياء في سرهم وعزُ الأولياء في عزهم كالقطرة في البحر والذرة في القفر والسماوات والأرض عند الإمام كيده من راحته** – السماوات والأرض وهذا هو حقيقة الوحي – **والسماوات والأرض عند الإمام كيده من راحته يعرف ظاهرها من باطنها ويعلم برها من فاجرها ورطبها ويابسها لأن الله عَلّم نبيه عِلم ما كان وما يكون وورث ذلك السر المصون الأوصياء المنتجبون** – يا عليّ إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى – **وورث ذلك السر المصون الأوصياء المنتجبون ومن أنكر ذلك فهو شقيٌ ملعون يلعنه الله ويلعنه اللاعنون وكيف يفرض الله على عباده**

**طاعة من يحجب عنه ملكوت السماوات والأرض** – هل هذا شيء منطقي – **وكيف يفرض الله على عباده طاعة من يحجب عنه ملكوت السماوات والأرض، وإن الكلمة من آل مُحَمَّد تنصرف إلى سبعين وجهاً، وكل ما في الذكر الحكيم والكتاب الكريم والكلام القديم من آيةٍ تذكر فيها العين والوجه واليد والجنب فالمراد منها الولي لأنه جنب الله ووجه الله يعني حق الله وعلم الله وعين الله ويد الله، فهم الجنب العلي والوجه الرضي والمنهل الروي والصراط السوي والوسيلة إلى الله والوصلةُ إلى عفوه ورضاه** – هؤلاء هم آل مُحَمَّد – **سرُ الواحد والأحد فلا يقاس بهم من الخلق أحد فهم خاصة الله وخالصته وسر الديان وكلمته وبابُ الإيمان وكعبته وحجة الله ومحجته وأعلام الهدى ورايته وفضل الله ورحمته وعينُ اليقين وحقيقته وصراط الحق وعصمته ومبدأ الوجود وغايته وقدرة الرب ومشيته وأم الكتاب وخاتمته وفصل الخطاب ودلالته وخزنة الوحي وحفظته وآية الذكر وتراجمته ومعدن التنزيل ونهايته فهم الكواكب العَلوية والأنوار العُلويّة** – فهم الكواكب العَلوية والأنوار العُلويّة أو قد تكون فهم الكواكب العُلوية – **فهم الكواكب العَلوية والأنوار العِلويّة المُشرقة من شمس العصمة الفاطمية في سماء العظمة المُحَمَّديه والأغصان النبوية النابتةُ في دوحة الأحمدية والأسرار الإلهية المودعةُ في الهياكل البشرية والذرية الزكية والعترة الهاشمية الهادية المهدية أولئك هم خير البرية** – مُحَمَّدٌ وآل محَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أعودُ إلى سورة التوحيد التي أنزلت للمتعمقين في آخر الزمان ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هذا ككلمة كُن التي هي المرتبة الأولى، الله سبحانه وتعالى لَمَّا تجلى في النور الأول، ما هو هذا التجلي؟ هو هذا التجلي ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تجلى فيه الله سبحانه وتعالى فكان مُحَمَّدٌ كانت الحقيقة المُحَمَّديه هي المرآة التي تجلت فيها الأسماء الحسنى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي كن مرآةً في وجودك، وهذه المرآة تتجلى منها الأسماء الحسنى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي أيتها الحقيقة المُحَمَّدية قولي أنطقي، ما هو هذا النطق؟ هذا نطق التجلي وليس نطق الألفاظ، ومن هنا كانت هذه السورة أنزلت للمتعمقين، هذي إشارة من بعيد، وإلا لست أنا من المتعمقين، ولا أدرك دلالات هذه السورة، نعم إذا أردت أن أتحدث عنها لغوياً أو ما قاله المفسرون والفلاسفة والمُتكلمون فإني قادرٌ على بيان هذه المعاني لكن ليس هؤلاء هم المتعمقين، المتعمقون أناسٌ لهم أوصاف وحالات أخرى تحدثت الروايات والأدعية الشريفة عن أوصافهم، وهذه الأوصاف لا تنطبق عَلَيّ ولا على أمثالي، لكن هناك إشارة واضحة من خلالا الروايات ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ الكلام هنا عن النور الأول،

والنور الأول حيث تجلى الله في ذلك النور، والعرشُ من نوري ونوري أفضلُ من العرش، لماذا؟ لأن العرش من نوري ونوري من نور الله، الله سبحانه وتعالى تجلى في الحقيقة الأولى في النورية الأولى، قبل قليل مرت علينا الرواية ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ﴾ قال: مثل نوره، نوره مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم نوره الأول الذي أشرقت منه الأنوار ومنه تحقق الوجود هو نور الحقيقة المُحَمَّدية الله سبحانه وتعالى تجلى في هذه الحقيقة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي أيتها الحقيقة المُحَمَّدية تَجَلّي، تَجَلّي بأي شيءٍ؟

بأسماء الله الحسنى، تَجَلّي بهذه الصورة، ولذلك في هذا الحديث الذي ورد – **إن الله خلق آدم على صورته** – والآدم هنا إشارة إلى الآدم الأول، والآدم الأول هو الحقيقة المُحَمَّدية – **إن الله خلق آدم على صورته** – المراد خلقه على صورته أي أن الله تجلى فيه، الله سبحانه وتعالى كيف تجلى فيه؟ تجلت أنوار أسمائه الحسنى، ومن أنوار أسمائه الحسنى كانت الموجودات، تجلت أنواره في الحقيقة المُحَمَّدية والحقيقة المُحَمَّدية بمثابة المرآة فهذه المرآة عكست أنوار الأسماء الحسنى فلمَّا عكستها كان الوجود وكانت مراتب الوجود، بحسب انتمائها ورجوعها إلى الأسماء الحسنى التي أشرقت من مرآة الحقيقة المُحَمَّدية وهذا هو الوحي في مرتبته العليا، وهذا هو الوحي في درجته الأولى، وما كان من وحيٍ في العالم الأرضي إنما هو مظاهر ومراتب للوحي تتناسب مع هذا العالم، لأجل هداية الناس، فتتجلى بكتابٍ وبأحكام وبآياتٍ وبعلم وبفكرٍ وغير ذلك ما يسمى بالوحي، فذلك هو الوحي في العالم الأرضي، وحتى الوحي في العالم الأرضي في مقامه السري غير هذا الوحي المكتوب، مرت علينا هذه الرواية وأظن أني قرأتها مرتين لأنها تتناسب مع المعاني التي مرت، وتتناسب مع هذا المعنى الذي بين أيدينا الآن، الرواية التي ينقلها شيخنا الطوسي عن الإمام الباقر صلوات الله وسلامه عليه – **عن عبد الله بن عجلان السكوني قال: سمعت أبا جعفرٍ عليه السلام يقول: بيتُ عليٍّ وفاطمة حجرة رسول الله وسقف بيتهم عرشُ ربِ العالمين وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوطة إلى العرش معراج الوحي والملائكة** – معراج الوحي والملائكة هم هؤلاء مهبط الوحي، السلام عليكم يا مهبط الوحي، هو هذا الوحي الذي تشير إليه هذه الرواية – **وفي قعر بيوتهم** – بيوت عليٍّ وآل عليّ – **فرجة مكشوطة إلى العرش معراج الوحي والملائكة تنزّل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً وكل ساعة وطرفة عين** – طبعاً لكل مقام من المقامات وحيٌ خاص، الوحيُ المُحَمَّدي خاصٌ بمُحَمَّد ولكن هناك الوحيُ العلوي الوحيُ الفاطمي ولذلك هؤلاء الذين يستغربون ما جاء مثلاً في بعض الروايات وهذي مرتبة متدنية من مراتب الوحي، أن جبرئيل عليه السلام كان يأتي يؤنس فاطمة بعد شهادة رسول الله ورحيله عن هذا العالم فما كان يأتي به جبرئيل من علم كان يُكتب في كتابٍ سمي بعد ذلك بمصحف فاطمة، هذي مرتبة من مراتب الوحي وليس أعلى مراتب الوحي الفاطمي.

الوحي للنحل والوحي لأم موسى والوحي لمريم بنت عمران والوحي للحواريين هذا مقبول، لكن لَمَّا يكون الوحي لعليٍّ، الوحي لعمر يُكَلم وليس بنبي هذا مقبول، لكن لَمَّا يكون الوحي لعليٍّ وفاطمة ليس مقبولاً، قطعاً هناك وحيٌ خاص بالنبي وهو الوحيُ النبوي، لكل واحد مرتبة، ما كان خاصاً بالنبي لا يكون لغيره، كما مر في رواية الرمانتين أنه جاءه جبرئيل برمانتين أكل الأولى وقال هذه خاصةٌ لي والثانية شطرها لكنه قال – **يا علي إنك تسمعُ ما أسمع وترى ما أرى** – كما مر في نهج البلاغة الشريف قبل قليل – **وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوطة إلى العرش معراج الوحي والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً** – الوحي ينزل عليهم صباحاً ومساء وكل ساعة، هؤلاء هم مهبط الوحي هكذا نسلم عليهم:

**اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْي** – هؤلاء قيل لهم مهبط الوحي هكذا لا كما يقولون بعض الشراح بأنهم مهبط الوحي لأن النبي جدهم والوحي يهبط على النبي فقيل لهم يا مهبط الوحي، ما نصنع بهذه النصوص الكثيرة من الروايات التي تتحدث عن هذه الدرجات من الوحي النازل إليهم – **وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوطة إلى العرش معراج الوحي والملائكة تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً وكل ساعة وطرفة عين** – الرواية تريد أن تشير بأن الوحي ليس منقطعاً عنهم، أصلاً روحهم هي الوحي، روحهم هي الوحي فيما بينهم وبين الله، حياتهم هي هذه الصلة – **إن لنا مع الله حالات لا يسعنا فيها لا ملكٌ مقرب ولا نبيٌ مرسل** – والرواية هنا على سبيل التقريب، هم في كل حالاتهم، ومر علينا إن أمرهم حديثهم لا يحتمله لا الملائكة المقربون ولا الأنبياء المرسلون فكيف بحالاتهم هُم، هذي الروايات تأتي بلسان الإشارة لا بلسان التفصيل، بلسان الإجمال وبلسان الإشارة – **تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً وكل ساعة وطرفة عين والملائكة لا ينقطع فوجهم فوجٌ ينزل وفوجٌ يصعد** – الملائكة تنزل إليهم تستفيض منهم – **وإن الله تبارك وتعالى كشف لإبراهيم عليه السلام عن السماوات حتى أبصر العرش وزاد الله في قوة ناظره وإن الله زاد في قوة ناظر مُحَمَّدٍ وعليٍّ وفاطمة** – الإتيان بمثال إبراهيم لتقريب المعنى وإلا الفارق بين منزلة إبراهيم وبين منازلهم لا يُعدُّ ولا يحصى – **وإن الله زاد في قوة ناظر مُحَمَّدٍ وعليّ** – الروايات تقول بأن إبراهيم آخر لحظة من لحظات حياته لَمَّا جاء ملك الموت كي يقبض روحه ماذا طلب من ملك الموت؟

أن يمهله كي يسجد سجدة الشكر تَشبُّهاً بشيعة علي، الروايات هكذا تقول عندنا فإبراهيم في آخر لحظة من لحظات حياته، ملك الموت قبضه وهو يتشبَّه بشيعة عليٍ ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ الروايات تقول: وإن من شيعة عليٍّ لإبراهيم، وفي تفسير هذه الآية وردت هذه الرواية التي تقول بأن إبراهيم آخر لحظة من

لحظات حياته سجد متشبَّهاً بشيعة علي ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ هذي أعلى مرتبة بلغ إليها إبراهيم، ولكن المرتبة التي من حيث هو، هو، من حيث هو أبو التوحيد، لا من حيث نحن الذين ندّعي حبهم وندّعي متابعتهم هكذا من اللسان فحسب وشيءٌ يمازج القلوب من عاطفةٍ أو حب من دون معرفةٍ أو من دون يقين، وما نملكه إلا هو بحدود المعرفة الأطفالية، حينما أقول المعرفة الأطفالية يقصد منها أن هذا الطفل الذي ترضعه أمه لا يعرف ما معنى الأم ولا يعرف منزلة الأم ولكن شيئاً فشيئاً يتعلم أن لفظة ماما لفظة أم تدل على هذا الكائن الذي يرضعه الحليب، فكلمَّا سمع هذه الكلمة عرف بأن هذا الكائن الذي يطعمه ويحرص عليه ويحنو عليه هو هذا الكائن اسمه أم، نحن هكذا معرفتنا، هذا الحد من معرفتنا، كل هذا الذي أقوله ويقوله غيري إنما هو في درجة المعرفة الأطفالية.

معرفة اليقين ومعرفة الحقائق تلك خاصةٌ بالأنبياء، كما قال صادق العترة: **العبارة للعوام** – ونحن نسبح في بحر العبارة – **والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء** – فأين نحن من الحقائق وأين نحن من اللطائف وأين نحن حتى من الإشارة، نحن نسبح في بحر العبارة ونغطس فيها فتلك هي المعرفة الأطفالية التي أشير إليها، كمعرفة هذا الطفل من خلال هذا اللفظ بهذا الكائن الذي يطعمه ويسقيه – **وإن الله زاد في قوة ناظر مُحَمَّدٍ وعليٍّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم وكانوا يبصرون العرش ولا يجدون لبيوتهم سقفاً غير العرش فبيوتهم مسقفةٌ بعرش الرحمن ومعارج الملائكة والروح** – الروح الذي هو أعظم من الملائكة – **فوجٌ بعد فوج لا انقطاع لهم وما من بيتٍ من بيوت الأئمة منا إلا وفيه معراج الملائكة، لقول الله عز وجل:** ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ﴾ **قال: قلت مِّن كُلِّ أَمْرٍ، قال: بكل أمر، فقلت: هذا التنزيل، قال: نعم** – فالوحيُ نازلٌ عليهم صباح مساء وفي كل ساعة وفي كل طرفة عين، فروحهم هي الوحي، اتصالهم بالله هو هذا الوحي، وتلكم هي أعلى مراتب الوحي.

إلى هذا كانت الإشارة في دعاء ليلة المبعث ونحن نقرأ: **اللهم إني أسألك بالتجلي الأعظم في هذه الليلة من الشهر المُعظم**. التجلي الأعظم هو هذا المعنى الذي مرت الإشارة إليه، هذا التجلي الأعظم هو التجلي الأول، لكنه تجلى في ليلة البعثة، تجلى بحسب ما يتناسب مع العالم الأرضي بحدود العالم الأرضي بحدود النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في العالم الأرضي، وإلا التجلي الأعظم هو التجلي الأول، حين تجلى الله سبحانه وتعالى إلى الحقيقة المُحَمَّدية فسطعت أنواره الحسنى أنوار أسمائه الحسنى في تلكم الحقيقة ومنها انعكست إلى الوجود، فكانت كل الموجودات من أنوار الحقيقة المُحَمَّدية التي هي مرآةٌ لتلكم الحقيقة، ولكن لهذه الحقيقة هناك تجلي أعظم هذا التجلي الذي يتناسب مع العالم الأرضي في مُحَمَّدٍ

الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وإلى هذا أيضاً الإشارة فيما جاء في الدعاء المروي عن إمامنا الحُجة صلوات الله وسلامه عليه:

**اللَّهُمَّ إني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك المأمونون على سرك المستبشرون بأمرك الواصفون لقدرتك المعلنون لعظمتك أسألك بما نطق فيهم من مشيتك فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك.** لا فرق بينك وبينها – **إن لنا مع الله حالات لا يسعنا فيها لا نبي مُرسل ولا مَلَكٌ مُقَرَّب** – لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هذه الحقيقة المُحَمَّدية تجلّى فيها الله سبحانه وتعالى فكانت لا فرق بينها وبينه لأي شيءٍ؟ لأن الله سبحانه وتعالى تجلى فيها، كانت هي المرآة، إن الله خلق آدم، خلق آدم الأول، الحقيقة المُحَمَّدية الأولى على صورتهِ، تجلت الأسماء الحسنى فيها، إلا أنهم عبادك وخلقك، لكن الحقيقة المحَمَّدية هي في مقام العبودية الأسمى، ولا يوجد هناك عبدٌ حقيقي كَمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، العبودية العليا هي في الحقيقة المُحَمَّدية، والعبودية التي تجلت في الأرض في أعلى مراتبها هي في مُحَمَّدٍ عبد الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أيتها الحقيقة المُحَمَّدية أنطقي كيف تنطق؟

تنطق بالتجلي، لا تنطق باللفظ، لأن الله تجلى فيها، حينما نقول عن الإمام المعصوم بأنهُ وجه الله، بأنه يد الله، بأنهُ عين الله، بأنهُ جنب الله، هذا جانبٌ، جهةٌ من التجلي الذي يتناسب مع العالم الأرضي مع هذا العالم المحدود، أما الحقيقة المُحَمَّدية التي هي فوق هذه العوالم المحدودة فإن التجلي فيها يكون بحسبها، بحسب سعتها، وستأتينا بعض الروايات في العناوين الأخرى من عناوين الزيارة الجامعة تتحدث عن مثل هذه المضامين وعن غير هذه المضامين، المطلب بحاجة إلى بيانٍ وتفصيلٍ أكثر لكن الوقت يجري سريعاً وقد مرَّ قسطٌ كبير من الوقت، يعني تجاوزت الوقت المعهود للبرنامج وبقيت هناك بقية الحقيقة هناك روايات أخرى آيات أخرى أيضاً وهذه السورة سورة التوحيد تحتاج إلى وقفة طويلة بحسب ما نعرف لا بحسب حقيقتها التي أُنزلت للمُتعمقين في آخر الزمان.

الخلاصة التي نصل إليها: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْي** – أنهم مهبط الوحي لكن لا بهذه المعاني الساذجة التي تُحَدَّد فيها مراتب النبوة وتحَدَّد فيها مراتب الإمامة وتُحَدَّد فيها مقامات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، مقامات أهل البيت مقامات لا حدود لها ومقامات النبوة مقامات لا حدود لها أيضاً، ولربما رواية الرمانتين هي أفضل إشارة رمزية رمانة النبوة خاصةٌ بمُحَمَّد ورمانة العلم فهم شركاء مع محَمَّد صلى الله عليه وآله في رمانة العلم، وفي

الحقيقة المُحَمَّدية كان النور الأول من هو؟ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله ثم امتزج بالروح ومن هناك اشتُقت الأنوار الأخرى من نورهِ صلى الله عليه وآله، له السابقية، له الأولوية، له الكمال، له التمام وهم يتفرعون عنه، فهم أهل بيت النبوة، وهم موضع الرسالة، وهم مختلف الملائكة، وهم مهبط الوحي – **يا عليّ إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى** – وأظن إن هذه الجملة كافية لبيان المقصود، وهذه تصدق في كل مرتبة من مراتب الوجود، في كل طبقة من طبقات الوجود في العالم الأرضي وفي الأفق الأعلى أيضاً، ومرت علينا الروايات إن عليَّاً كان في الأفق الأعلى، ولقد رأى مُحَمَّدٌ عليَّاً في الأفق الأعلى مرت علينا الروايات، فعليٌّ يسمع حيثُ يسمعُ مُحَمَّد ويرى حيثُ يرى مُحَمَّد وهذا لكلهم من أولهم إلى آخرهم إلى إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، فالحجة بن الحسن يرى ما يرى مُحَمَّد ويسمعُ ما يسمع مُحَمَّد ويَشَمُّ ما يشم مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم.

فكما كان مُحَمَّدٌ مهبط الوحي كانوا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أيضاً وكان إمام زماننا مهبط الوحي ولا زال إمام زماننا مهبط الوحي، إمام زماننا هو مختلف الملائكة وهو كذلك مهبط الوحي صلوات الله وسلامه عليه، ولكن ما لِمُحَمَّدٍ لِمُحَمَّد وما لعليٍّ لعليّ، لابد حين نتناول المطالب المعرفية العميقة أن نلتزم بقاعدةٍ نورية مهمة جداً وقاعدة ذهبية ما تسمى بقاعدة حفظ المقامات وبقاعدة تعدد الحيثيات، لَمَّا نتحدث فإننا نتحدث في كل جهةٍ عن حيثيةٍ معينة مع حفظ المقامات، لكل مقامٍ خصوصياته وشؤوناته، وإلا إذا لم نراعي تعدد الحيثيات وحفظ المقامات فإننا سنقعُ في خلطٍ وخبط وسيكون الكلام حينئذٍ كلام أهوج لا معنى له، حينئذٍ ستتكسر الحدود وتتقطع الأوصال، لكننا دائماً سنبقى نتحدث في ضمن إطارين في إطار التوحيد والولاية، حديثنا في هذين الإطارين: التوحيد إطار والولاية إطار، وما كان للتوحيد فهو للتوحيد وما كان للولاية فهو للولاية، وما تحدثنا عن قول الدعاء: **لا فرق بينك وبينها**. فهذا من حيثيةٍ ومع حفظ المقامات كما قال الدعاء: **إلا أنهم عبادك وخلقك**.

فهناك تعدد الحيثيات، الجهة التي يُنظر إليها ويُنظر من خلالها إلى المفهوم وإلى المعنى، وهناك كذلك حفظ المقامات فلكل مرتبةٍ مقامها، كما يقال في الكلام لكل مقامٍ مقال، أليس لكل مقام، مقام الفرح له مقال ومقام الحزن له مقال، ولكل مقامٍ مقال، في عالم الحقائق لكل مقامٍ شؤوناتهُ وخصائصهُ، لكل مقامٍ وصفٌ يتعلق به ولا يمكن أن يتسرب إلى المقام الآخر إذا تسرب إلى المقام الآخر أختلطت المقامات فصار الخبط والخلط، وهذا ما يوقعنا في الضلالةِ ويوقعنا في الحماقةِ ويوقعنا في كل الشرور، دائماً نبقى نلتزم بهاتين القاعدتين: تعدد الحيثيات وحفظ المقامات، فلكل مقامٍ شأنهُ الخاصُ بهِ، التوحيد مقام، والولاية مقام، والولاية على مقامين النبوة مقام والإمامة مقام.

نحن عندنا مقامان رئيسان: التوحيد الولاية، الولاية.

تتفرعُ إلى مقامين: النبوة والإمامة.

كل مقامٍ من هذه المقامات له خصوصياتهُ، وحينما نتحدث عن تلاقٍ بين هذه المقامات فهو من حيثيةٍ ما مع حفظ كل خصوصياتِ مقامٍ لعينهِ ولذاتهِ من دون أن تتسرب مواصفات المقام الأول إلى المقام الثاني، فهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين نخاطبهم:

**اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ.**

والسلام عليكم أنتم يا شيعتهم ويا أحبابهم ويا زوارهم ورحمة الله وبركاته

أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

# الحلقة الثامنة

## معنى وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ

السلام عليكم جميعا يا مُحبي مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد ورحمة الله وبركاته، أسعد الله أيامكم وأعاد الله عليكم هذه الأيام وعلى عوائلكم الكريمة باليُمن والبركة والخير والسعادة، هذه الحلقة الثامنة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة حديث مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حديث المحبة، حديث الطهارة والنقاء، حديث الحق، حديث النجاة في الدنيا والآخرة، تعالوا بنا لنركب في هذه السفينة في سفينة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، برنامجنا يتواصل معكم وإن شاء الله في شهر رمضان المبارك ونحن على أبوابه، هذا الشهر الذي ينتظره المؤمنون من السنة إلى السنة، شهر رمضان شهر مُحَمَّد وآل مُحَمَّد صلوات الله عليهم، نحن إن شاء الله سنتواصل معكم أنا وإخوتي عبر قناة المودة الفضائية وبالنسبة لبرنامج الزيارة الجامعة الكبيرة سيكون بين ليلة وليلة، سنقسم ليالي شهر رمضان في ليلة يكون البرنامج هو برنامج قرآننا وفي الليلة الأخرى يكون البرنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، نبقى نتفيأ في ليالي وأيام شهر رمضان، نتفيأ في ظلال الكتاب والعترة، فيوم للقرآن ويوم للعترة، يوم يُطل عليكم برنامج قرآننا ويوم يُطلُ عليكم برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، وهناك برامج أخرى سيتم الإعلان عنها إن شاء الله في وقتها، ولكن بالنسبة لبرنامج الزيارة الجامعة الكبيرة سيكون بين ليلة وليلة حتى نتمكن أن نتناول أكثر قدرٍ من المعاني ومن المضامين التي حوتها هذه الزيارة الشريفة.

أما حلقتنا لهذا اليوم فقد وصلنا إلى قوله عليه السلام وهذا هو مفاتيح الجنان لشيخنا المُحدِّث القمي رضوان الله تعالى عليه، وصلنا في الزيارة الشريفة: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْي** – آخر حديث كان عند هذا العنوان – **وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ** – حديثنا اليوم عند هذا العنوان: **مَعْدِنَ الرَّحْمَةِ.**

**اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْي، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ** – معدن الرحمة أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامة عليهم أجمعين، المعدن في لغة العرب تعني مكان الإقامة والمُكوث، تعني مكان الإستقرار، ومعدن قد يكون اسم مكان وربما كان

مصدراً أيضاً ولا أريد الدخول في التفاصيل، عَدَنَ في لغة العرب يعني أقامَ طويلاً، ولذلك جاء التعبير القرآني عن جنات الخلود بأنها جنات عدن، جنات عدن يعني المكان الذي يكون الخلود فيه صفة ثابتة، جنات عدن يعني جنات البقاء يعني جنات الخلود، عَدَنَ في المكان يعني أقام فيه وبقي فيه ولبث في المكان، فيقال معدن يقال معدن الذهب مثلاً، أو يقال معدن الفضة، يعني المكان أو الحجر أو المركز أو المقر الذي يتواجد فيه الذهب بكثرة، يقال هذا معدن الذهب، هذه الأرض معدن الذهب، يعني في هذه الأرض توجد كميات كبيرة من الذهب، والذهب قد استقر في هذه الأرض، نقطع قسماً من أحجار الأرض ومن صخورها فنقول في هذه الأحجار في هذه الصخور يوجد ذهب كثير، يوجد حديد كثير، يُعبَّر عن ذلك بأن هذه الأحجار هذه الصخور معدن الذهب معدن الحديد وهكذا، المعدن المكان الذي يتواجد فيه الشيء سواء كان هذا الشيء إنساناً، حيواناً، جماداً، أي شيء.

معدن الرحمة، معدن الرحمة أي أنهم المكان أو الجهة أو المقام أو الرُتبة أو الكائنات التي حلت فيها الرحمة حلولاً ثابتاً حلولاً دائماً، الرحمة ما المراد من الرحمة؟ الرحمة بالنسبة للإنسان هو شعور والشعور الإنساني هو إنفعال، بالنسبة لله سبحانه وتعالى وبالنسبة للعقول القادسة الأولى لا يوجد في تلكم العوالم انفعال لا يوجد في الذات الآلهية انفعال ولا حتى في العوالم العقلية القادسة الأولى لا يوجد هنالك انفعال، لأن العوالم القادسة عوالم العقول الأولى، عالم الحقيقة المُحَمَّدية ، عالم الاسم الأعظم، عالم الفيض الأقدس سمي ما شئت من العبارات من المصطلحات، عالم النور الأول، عالم الماء الأول، كل هذه عناوين للحقيقة التي كانت مرآةً تجلى الله فيها، في علوم الميكانيك هكذا يقولون، يقولون بأن أعظم اختراع في تاريخ البشرية هو اختراع العجلة، يقولون هكذا بأن أعظم اختراع هو اختراع العجلة لماذا؟ لأن اختراع العجلة هو بداية الحركة على الأرض، بداية الحركة الصناعية شيء صنعه الإنسان وهو يتحرك، هذه الحركة الصناعية هي كانت أساساً وكانت أُمَّاً ومنشئاً لسائر الصناعات الأخرى وكانت منشئاً وأساساً لكل هذه التقنيات الهائلة التي وصل اليها الإنسان، فيقال بأن أعظم اختراع هو العجلة أصحاب المعارف الإلهية وأصحاب العلوم العميقة يقولون بأن أعظم اختراع أخترعه الإنسان وصل إليه الإنسان هو المرآة لماذا؟ لأنهم من خلال المرآة وبواسطة المرآة يستطيعون أن يجعلوا منها مثالاً لكثيرٍ من الحقائق وخصوصاً لأعظم حقيقة في هذا الوجود، أعظم حقيقة في هذا الوجود ترتبط بنا نحن الموجودات حقيقة تجلي الله سبحانه وتعالى في النور الأول، أفضل مثال يمكن أن يقرب لنا المعنى هو المرآة، المرآة حينما يقف الإنسان أمامها تتجلى صورته في هذه المرآة، لكن لا يعني أن هذه الصورة هي نفس الإنسان، هذه صورة الإنسان.

الحقيقة المُحَمَّدية هي المرآة التي تجلى الله فيها، الحقيقة المُحَمَّدية ليست هي الله وإنما هي مرآة تجلى الله فيها، أنا حينما أقف أمام المرآة وأنت حينما تقف أمام المرآة هناك صورة موجودة في هذه المرآة، هذه

الصورة تماثل الحقيقة لكن ليست هي الحقيقة، كذلك الحقيقة المُحَمَّدية، النور الأول إنه مرآة، الحقيقة المُحَمَّدية هي مرآةٌ، نفس المرآة هي نفس التجلي، الأمثلة طبعا تقرب من وجه وتُبعد من وجه، الأمثلة الحسية إذا أردنا أن نأتي بها لتوضيح المعاني العميقة، المعاني الغائرة في العمق في البعد المعرفي بعيداً عن الحواس، تكون الأمثلة الحسية مقربة من وجه ومبعدة من وجه آخر، الفلسفة وهي في عُمقها دون علوم المعارف الإلهية العميقة، الدارسون للفلسفة في بداية الأمر الأساتذة حين يدرسون الفلسفة يقربون المعاني بأمثلة حسية، ولكن بعد ذلك حين يتمرن ذهن الطالب على الدراسة الفلسفية لا يؤتى له بالأمثلة، لأن التفكير وفقاً للأمثلة المادية يسيء إلى أصل الفكرة، فالأمثلة تُقرب من وجه وتبعد من وجه آخر، إنما يؤتى بالأمثلة لغير المختصين، وإلا الذين تعودت أذهانهم على التفكير الفلسفي وعلى إحضار الصور المُجردة في الذهن البشري لتتبع المعلومات ولتصور المعلومات فهم لا يحتاجون إلى الأمثلة بل يجدون أن الأمثلة تُبعد المعاني عن مركزها الصحيح وتخرج الحقائق عن مقاماتها وعن مراتبها، لكننا نحتاج إلى بعض الأمثلة لتقريب المعاني وهي في نفس الوقت تبعد المعاني.

لَمَّا جئت بمثال المرآة أنا حين أقف أمام المرآة أمامي مرآة وصورة، لكن حين أتحدث عن الحقيقة المحَمَّدية فالحقيقة المُحَمَّدية هي المرآة وهي الصورة في نفس الوقت، أنا حين أقف أمام المرآة الحسية في حياتي اليومية هناك مرآة وصورة ولكنني حينما أطيل النظر إلى صورتي في المرآة أغفل عن المرآة حتى يمكن أن يقال بأن المرآة فنت في الصورة، فكأن الذي أمامي صورة وليس مرآة فيها صورة، لأن عقلي وحواسي تغفل عن المرآة يبقى نظري منشداً إلى الصورة، هذا في العالم الحسي، أما في العوالم الأولى المُجردة عن مثل هذه المعاني الناقصة والمعاني المقيدة فالحقيقة المُحَمَّدية هي المرآة وهي الصورة التي تجلت في المرآة، ومن هنا قال الحكماء، العرفاء قالوا بأنه من أعظم الاختراعات التي اخترعها الإنسان المرآة لأنها تعين الإنسان على فهم الحقيقة العظمى في هذا الوجود وهي حقيقة التجلي، التجلي الإلهي في النور الاول، فهم معدن الرحمة، هم معدن الرحمة يعني هم الجهة والمقام والمجلى والمرآة التي شعت فيها الرحمة وتجلت فيها الرحمة، هم معدن الرحمة، هم المكان الذي والجهة التي والمرآة التي سطعت فيها حقيقة الرحمن، كما قلت قبل قليل بأن الرحمة بالنسبة لعامة الخلق هو شعور وهذا الشعور عبارة عن انفعال، انفعال القلب البشري بأي شيءٍ؟ انفعال القلب البشري لنقص يراه في غيره فيحاول الإنسان مندفعاً لإكمال ذلك النقص، حينما يرى الإنسان محتاجاً وحاجته بشكل مؤثر في القلب فإن القلب بسبب استشعاره للنقص في هذا المحتاج سَيَلم به شعور الإنكسار الذي يدفع الإنسان لإتمام نقص هذا المحتاج لقضاء حاجته وهذا هو الرحمة، قد يكون هذا المحتاج ابناً، طفلاً، زوجةً، أباً، صديقاً، جاراً أو غريباً أصلاً، وقد تكون الرحمة باتجاه حيوان أو باتجاه نبات أو باتجاه أي شيء آخر، الرحمة بالنسبة للإنسان شعور وحقيقة هذا الشعور هو انفعالٌ قلبي ينبعث في

القلب بسبب استشعار الإنسان لنقص في من يريد أن يرحمه، فهو يحاول بذلك أن يتم النقص الموجود في ذلك الإنسان الذي عطف عليه أو أراد أن يصب رحمته عليه، بالنسبة لله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يكون هذا المعنى فهو منزه عن الانفعال، منزه عن المشاعر، لماذا هو منزه عن المشاعر؟ لأن المشاعر انفعال والذات الإلهية منزهة عن الانفعال، الذات الإلهية ذات فاعلة لا يوجد فيها انفعال، والحقائق القادسة الأولى أيضاً هي منزهة عن الانفعال – **لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك** – جهة الانفعال فيها فقط أنهم عبيد لله، الحقائق القادسة الأولى هي من وجهتها باتجاه الخلق هي فاعلة، هي مؤثرة فقط، ومن وجهتها باتجاه الله سبحانه وتعالى فهي منفعلة لأنها في مقام العبودية الكاملة – **لا فرق بينك وبينها** – هذه الجهة من جهة الخلق – **إلا أنهم عبادك** – هذه الجهة من جهة الله سبحانه وتعالى، هذا الكلام في عالم الحقائق القادسة الأولى، في النور الأول الذي أشرق منه كل شيء، النصوص واضحة في أن كل شيءٍ أشرق من أنوارهم والحديث في تلكم المرحلة.

هم معدن الرحمة، أهل البيت معدن الرحمة في الحقائق القادسة الأولى وفي ما بعد ذلك من العوالم، في عالم الحجب، في عالم العرش، في عالم الكرسي، في السماوات السبع وفي الأرضين، في كل طبقة من طبقات هذا الوجود هم معدن الرحمة، هذا هو المعنى الإجمالي لمعدن الرحمة، هذا هو المعنى الذي جمعت فيه بين جناحين، بين الجناح اللغوي، المعنى اللغوي وبين الجناح المعرفي المستند إلى المعاني المستقاة من حديث الكتاب ومن حديث العترة، هذا الشيء المُجمل وسندخل في التفاصيل، فهم معدن الرحمة، الرحمة هي التي تجلّت فيهم ثم تجلت منهم فكانت الخلائق، فأنا موجود بالرحمة، وأنت موجود بالرحمة، وهكذا كل موجود إنما هو موجود بالرحمة، ولذلك رحمتي سبقت غضبي، مر الكلام فيما سلف من أن الكتاب التدويني وهو القرآن الكريم إنما هو صورة رمزية للكتاب التكويني وهو الوجود، أول آية في الكتاب الكريم، أول آية حين نفتح قرآننا أيَّةُ آية تواجهنا؟ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هذه أول آية في كتاب الله العزيز، في أول سورة اسمها الفاتحة، يعني من هنا نفتتح الكتاب التدويني، الفاتحة منها نفتتح الكتاب التدويني وأول شيء في هذه الفاتحة هي الآية الكريمة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هذه الآية المشتملة على هذين الوصفين: **الرَّحْمَنِ** ، **الرَّحِيمِ**. ونحن نتحدث عن معدن الرحمة والرحمة لها مقامان:

مقام الرحمانية ومقام الرحيمية، وهم معدن الرحمة، معدن المرتبة التي تستقر فيها الرحمة بكاملها بكل مراتبها بكل مجاليها، مجالي هذه الرحمة الآية تشير إليها هناك رحمة رحمانية وهناك رحمة رحيمية وهي أول آية من آيات الكتاب الكريم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ كلمة نرددها على ألسنتنا لكننا لانعرف حقيقتها وأقول

هذه الكلمة ليس من قبيل التعبير الأدبي لأجل تعظيم القرآن، لأن هذا الكلام يمكن أن يقوله كل أحد لتعظيم أي شخصٍ، شخص يموت أي واحد يقوم لتأبينه يقول بأنني عاجز عن ذكر مناقبه وفضائله وهذا كلام أدبي لا قيمة له، لأن أي شخصٍ مهما بلغ إذا أردنا ان نعد مساوئه فإن مساوئه ستكون أكثر من محاسنه، مادام هذا الإنسان ليس معصوماً فإن مساويء غير المعصوم أكثر من محاسنه أيّاً كان هذا الإنسان، وهذا هو لسان الأدعية، حينما نقرأ أدعية أهل البيت، هذه الأدعية إما أن تكون تتكلم عن واقع وعن حقيقة وإما هي مجرد كلام ولقلقة لسانية، حينما نقرأ الأدعية نجد أن هذه الأدعية تخبرنا بأن المساويء الموجودة عندنا هي أكثر من المحاسن.

في دعاء أبي حمزة الثمالي رضوان الله تعالى عليه المروي عن إمامنا السجاد عبارة واحدة قصيرة – **خيرك إلينا نازل وشرنا إليك صاعد ولم يزل ولا يزال ملك كريم يأتيك عنا بعمل قبيح** – هذه الحالة حالة مستمرة ليل نهار في اليقضة وفي المنام، لأن العمل القبيح ليس فقط هو الذي يقع في دائرة المحرم أو في دائرة المكروه، العمل القبيح حتى العمل الصالح إذا لم يأتي على الشرائط الكاملة سيكون قبيحاً، يعني الآن الإنسان حينما مثلاً يقوم ببناء بيت إذا لم يبني هذا البيت على أصوله سيكون هذا البناء قبيحاً وسيكون هذا البناء فيه من العيوب وفيه من المشاكل التي سيعاني منها الساكن الذي سيسكن في هذا البناء، وهكذا في كل شيء، الخياط الذي يخيط ثوباً إذا لم يحسن الخياطة ويأتي بها على أصولها فسيكون هذا الثوب قبيحاً، لم تكن نيته أن يأتي بعمل قبيح وكل نيته أن يأتي بعمل حسن ولكنه ما أحسن العمل – **ولم يزل ولا يزال ملك كريم يأتيك عنا بعمل قبيح** – ولم يزل ولا يزال، على أي حال ليس الكلام هنا في هذه التفاصيل، لكنني حين أقول بأننا نعجز عن فهم هذه الآية فذلك ليس من قبيل الإنشاء وإنما من قبيل الحقيقة الناصعة الواضحة، في سورة الحجر المباركة وفي الآية السابعة والثمانين القرآن يخاطب رسول الله وكل الخطابات الموجودة في القرآن لرسول الله هي مُوجّهة لكل من يرتبط بهذا القرآن، ولكن بدرجةٍ من الدرجات، بنحوٍ من الأنحاء، ماذا تقول الآية السابعة والثمانون من سورة الحجر ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾ الآية هنا ذكرت شيئين نزلا على رسول الله سبعاً من المثاني هذا في كفة وهذا أولاً جاء مذكوراً، والقرآن العظيم في كفة ثانية كأنه هناك مساواة بل إن السبع المثاني قُدمت على القرآن ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي**﴾ السبع من المثاني واضح في العديد من كلمات أهل البيت هي الفاتحة، أنا هنا لا أريد أن أفسر هذه الآية، في وجه من وجوه الآية سبعاً يعني الآيات السبعة والمثاني لأنها تكرر في كل صلاة مرتين، أو لأنها نزلت مرتين فإن الفاتحة نزلت في مكة ونزلت في المدينة، وهناك من يقول بأنها نزلت

قبل البعثة وبعد البعثة لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يصلي ولا صلاة إلا بفاتحة الكتاب هذا قانون لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب فكيف كان يصلي، لابد أن يصلي بفاتحة الكتاب وإن كان مقام رسول الله صلى الله عليه وآله أوسع وأعمق من هذا ومرّ الكلام فيما سلف من أحاديثي السابقة في القرآن الكريم ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ وأشرت إلى أن القرآن بجملته وبتفاصيله في قلب مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، على أي حال، أعود إلى الجهة التي أريد الكلام عنها ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ يعني أن الفاتحة جُعلت في كفة والقرآن بكله جُعِل في كفة، السبع المثاني هي الفاتحة الآية صريحة في سورة الحجر ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ وتاج هذه السبع المثاني هي البسملة وأول آية في هذه السبع المثاني هي البسملة. فقط اقتطف بعضاً من الأحاديث ومن الروايات التي تحدثت عن جوانب من البسملة. الرواية منقولة عن الشيخ الطوسي عن كتابه التهذيب وهو أحد الأصول الأربعة المعروفة – **عن مُحَمَّد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام إمامنا الصادق عن السبع المثاني والقرآن العظيم** – عن الآية التي مر ذكرها قبل قليل – **أهي الفاتحة؟ قال: نعم، قلتُ: بسم الله الرحمن الرحيم من السبع؟ قال: نعم هي أفضلهن** – هي أفضل السبع المثاني.

رواية ثانية عن عبد الله بن يحيى الكاهلي – **عن ابي عبد الله عليه السلام قال: بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها** – وطبعاً هنا أنا لا أريد الحديث عن معنى الاسم الأعظم يأتينا إن شاء الله في الحلقات القادمة ونتحدث عن معنى الاسم الأعظم، وربما نشير إلى هذه الرواية أيضاً، موطن الحاجة هنا أولاً من خلال هذه الروايات تتبين لنا أهمية البسملة، وإنما تظهر أهمية المسألة لأي شيءٍ؟ لمحتواها، أي مسألة تظهر أهميتها لعظمة محتواها، حينما يتحدث القرآن عن السبع المثاني ويجعلها عِدلاً للقرآن ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ وحينما يقول الإمام بأن البسملة هي أفضل السبع المثاني إلى أي شيءٍ يشير ذلك؟ يشير ذلك إلى أهمية مضمونها، إلى أهمية محتواها، إلى أهمية دلالتها، ولذلك الرواية تقول: أقرب، البسملة، إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها، كم هي المسافة، ناظر العين يعني السواد، ناظر العين هو سواد العين، وعندنا روايات أخرى تصرح أن البسملة أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها، فناظر العين المراد هو سواد العين، هل هناك مسافة موجودة بين السواد والبياض؟ سواد العين وبياض العين هو في أفقٍ واحد، لا توجد هناك مسافة وبُعد بين السواد والبياض، فهذه البسملة قريبة إلى اسم الله الأعظم أكثر من قرب سواد العين إلى بياضها، أقرب إلى اسم الله الأعظم من ناظر العين إلى بياضها، أقرب من ذلك، هذا يعني أنها هي الاسم الأعظم ولكن بوجه من

الوجوه، أنا قلت في المعارف الإلهية لابد أن نحافظ على الحيثيات وأن نحافظ على المقامات، قاعدة حفظ المقامات في المعارف الإلهية في المطالب الحكمية هي القاعدة الذهبية الأولى وإلا من دونها يكون هناك خلط وخبط، ومن هنا جاء التأكيد في روايات أهل البيت على البسملة وجعلت الروايات الإجهار والجهر بالبسملة شعاراً من شعارات محبي أهل البيت وعلامة من علائم محبيهم، القضية ليست سياسيةً والقضية ليست إجتماعية وليست عناداً أو خلافاً على أحد، وإنما الحقيقة كذلك، أولئك المخالفون هم أرادوا أن يطمسوا هذه الحقيقة، رواية جميلة للفائدة أذكرها، الرواية عن إمامنا الصادق مروية في تفسير العياشي الإمام يقول: **إذا أَمَّ الرجل القوم** – يعني في صلاة الجماعة – **إذا أَمَّ الرجل القوم جاء شيطان إلى الشيطان الذي هو قريب إلى الإمام** – لأنه مذكور في الروايات بأن الإنسان دائماً هناك من وكلاء إبليس من شياطين الجن من هو قريب منه، هذا المعنى موجود – **إذا أَمَّ الرجل القوم جاء شيطان إلى الشيطان الذي هو قريب إلى الإمام فيقول:** – هذا الشيطان الآتي يسأل الشيطان الذي كان موجوداً قبل أن يأتي هو – **يسأله: هل ذكر الله** – هو في صلاة مالمراد هل ذكر الله؟ الإمام يقول – **يعني هل قرأ بسم الله الرحمن الرحيم** – لأن القوم لا يقرأون بسم الله الرحمن الرحيم، مباشرة يبدءون الحمد لله رب العالمين بعد تكبيرة الإحرام، فهذا الشيطان الآتي يسأل الشيطان الأول – **هل ذكر الله؟ الإمام يقول: يعني هل قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، الإمام صلوات الله عليه يقول: فإن قال نعم هرب منه** – هذا الشيطان الآتي الجديد يعني جاء بمهمة عنده مهمة ستتضح المهمة – **فيسأل الشيطان السابق هل ذكر الله؟ هل قرأ بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال: نعم، إذا قال نعم يرجع** – فأنه لن يجد مجالاً لتنفيذ مهمته – **وإن قال لا** – لم يذكر بسم الله الرحمن الرحيم الإمام يقول – **ركب عنق الإمام ودَلى رجليه في صدره فلم يزل الشيطان إمام القوم حتى يفرغوا من صلاتهم.**

رواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم – **إذا مرّ المؤمن على الصراط** – هذا في يوم القيامة – **إذا مر المؤمن على الصراط فيقول: بسم الله الرحمن الرحيم** – وطبعاً لا يستطيع كل أحد أن يقولها والقضية ليست لفظية، الحديث عن عالم الآخرة ليس الحديث حديث ألفاظ لأنه في عالم الآخرة القضية تختلف ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ هذا البصر في المستوى الحسي، في المستوى العقلي، في المستوى القلبي والوجداني، في المستوى البصيرتي في جميع المستويات بصرك اليوم حديد، القضية تتجاوز الألفاظ والطقوس – **إذا مر المؤمن على الصراط فيقول بسم الله الرحمن الرحيم أُطفئ لهب النار** – هذه البسملة تطفئ لهب النار حتى يستطيع أن يجوز على الصراط لأن الصراط جسر ممدود في جهنم هكذا وصفت الروايات الصراط – **أُطفئ لهب النار وتقول** – جهنم تقول – **جُز يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ**

**لهبي** – الرواية دقيقة جداً، البسملة هنا ما أطفأت نار جهنم وإنما أطفأت اللهب الذي يحيط بالصراط، لأن الصراط جسر ممدود على جهنم ولهب النار يحيط به فمن يجوز على هذا الصراط يأخذه اللهب يسقط في جهنم – **فإذا قال بسم الله الرحمن الرحيم أطفئ لهب النار وتقول: جُز يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ لهبي** – هذه الروايات وغيرها من كلمات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تحدثنا وتنبئنا عن عظمة المحتوى الذي تشتمل عليه هذه البسملة، كما قلت بأن الكتاب الكريم الكتاب التدويني إنما هو صورة، هو عبارة عن خريطة عن مجلى لكل الوجود، فيه تبيان كل شيء ولكن بُين فيه كل شيء بطريقة الرمز وهذا الرمز لا يعرفه إلا من خوطب به، القرآن ليس مجرد كتاب فيه جمل وعبارات وألفاظ لبيان مجموعة من الأحكام الشرعية وبعض المطالب العقائدية هذا وجه من وجوه القرآن، القرآن هو مجمع أسرار الوجود، وأسرار الوجود وضعت بشكل رموز في هذا القرآن وهذه الرموز لا يستطيع فكها إلا الأئمة ولذلك هذه الحروف المقطعة في أوائل السور الم، المص، المر، وهكذا، هذه الحروف هي نفس الحروف التي تألف منها القرآن لكن الله جعلها في تأليفٍ خاص بهذا الشكل فكانت خزانة للأسرار، ونفس هذه الحروف التي تألفت منها الآيات التي تشتمل على جمل وكلمات لها معاني هذا تأليفٌ آخر للرموز القرآنية فيها أسرار أكثر من الأسرار الموجودة في الحروف المقطعة، الحروف المقطعة هي عناوين وهي أمثلة تشير إلى مفاتيح لأبواب هذه الأبواب توصلنا إلى خزانة الأسرار التي لا أصل إليها أنا وأنت، هذه مفاتيح عند الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه.

ربما إذا جئت بمثال للذين يعرفون العمل على الكمبيوتر، هذه لوحة المفاتيح الكيبورد من خلال الرموز الموجودة ومن خلال المفاتيح الموجودة يستطيع المُتعامل مع جهاز الكمبيوتر أن يسبر أغوار الكمبيوتر، القرآن بمثابة مفاتيح بمثابة رموز تكشف عن الحقائق، أما هذا الوجه وجه العبارة هذا لي ولأمثالي لعامة الناس، الحقائق مودعة في باطن هذا القرآن والقرآن أعمق غوراً كما يقول سيد الأوصياء – **ظاهرة أنيق وباطنه عميق** – شيء يصفه عليٌّ صلوات الله عليه بأنه عميق ما هو هذا الشيء؟ ما هو هذا العمق؟ عليٌّ الذي يقول – **ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه** – عليٌّ الذي يملك هذه الرؤية هو يقول عن القرآن بأنه عميق، عليٌّ الذي رؤيته العادية بهذا العمق – **ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله** – ما رأيت شيئا، يعني أيّ شيء يواجهه في الحياة يراه بهذه الرؤية، رؤية عليٍّ العادية بالنسبة له هي هذه – **ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعه وفيه** – أي رؤية هذه، هذا الكلام ليس إنشائياً، هذا كلام علوي والكلام العلوي علوي الكلام علوي المعنى، هذا المعنى لا نستطيع أن نتصوره – **ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده معه وفيه** – أنا يمكن أن أشرح هذه العبارة كما يشرحها الشُرّاح ولكن هذه شروح

سطحية لا معنى لها، يمكن أن أأتي بعدة شروح لهذه العبارة وهذه الشروح موجودة في الكتب ذكرها العلماء ولكنها شروح سطحية لا تتناسب مع المتكلم ومع كلامه الذي هو بعمق مقامه وبعمق رتبته، فعليٌّ الذي هو في رؤيتهِ العادية هكذا يتكلم يقول عن القرآن بأنه عميق، أي عمق إذاً في هذا الكتاب؟! الحديث ليس عن عبارات والحديث ليس عن ما يسمى بأسرار البلاغة في القرآن يدور حول تشخيص المُسند والمُسند إليه، ويدور حول تشخيص الحقيقة والمجاز والكناية والإستعارات وأمثال ذلك القضية أعمق وأعمق وأعمق من كل هذه الاتجاهات، لذلك هذه الروايات التي أشرت إلى بعض منها هي تحدثنا عن حقائق أعمق، تجلى النور الأول، لَمَّا تجلى النور الأول كان الوجود، الله تجلى لذاته بذاته وتجلى بذاته في تلكم المرآة، تجلى لذاته بذاته وتجلى في المرآة الأولى في الماء الأول في النور الأول، وبعد ذلك النور الأول تجلى فكانت التجليات في الحُجُب وفي العرش وفي الكرسي وفي السماوات وفي كل طبقات هذا الوجود هذا التجلي ما هي مادته؟

مادته الرحمة، لذلك هم معدن الرحمة، الحقيقة المحَمَّدية هي معدن الرحمة، الرحمة من هناك أتت، وما هذا التعبير القرآني ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ هذا مجلى من مجالي الرحمة في العالم الأرضي، هذه صورة الرحمة الأكبر، الرحمة الأعظم، معدن الرحمة، مصدر الرحمة، من أين تأتي بالذهب؟ تأتي بالذهب من معدن الذهب، من أين تأتينا الرحمة؟ تأتينا الرحمة من معدن الرحمة فتجلت الرحمة الرحمانية، الرحمة الرحمانية هي التي تجلت، ولذلك في سورة طه إذا أردنا أن نذهب إلى سورة طه فنقرأ في الآية السادسة وفي الآية الخامسة ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ هذه الرحمة الرحمانية ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ ومر علينا في الحلقات الماضية بأن الله فتق من نور مُحَمَّد العرش، خلق العرش من نور مُحَمَّد ولقد قال صلى الله عليه وآله – **وإن نوري أفضل من العرش** – لأن العرش خُلق من نوري ونوري من نور الله سبحانه وتعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ العرش محيطٌ بعالم الكرسي وسعة العرش بالنسبة للكرسي تقدم الحديث عنها، الكرسي كحلقة في فلات بالنسبة للعرش، والسماوات السبع كحلقة في فلات بالنسبة إلى الكرسي.

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ العرش هو الوعاء الوجودي لكل ما يصل إليه العقل البشري من تفكير في طبقات هذا الوجود، وهذا العرش من نوره من النور الأول أشتق من النور الأول، ولم يكن يتحقق وجود العرش إلا بانبساط وباستواء الرحمانية عليه، العرش مادته الرحمانية، والكرسي مادته الرحمانية، وكل الوجود

مادته الرحمانية، ورحمتي سبقت غضبي، الرحمة فيها إشارة إلى صفات الجمال الإلهي، والغضب فيه إشارة إلى صفات الجلال الإلهي ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ فهناك الرحمانية المستوية على العرش، استوت، وكيف تستوي هذه الرحمانية؟ ذلك معنى لا نستطيع أن نتصوره بوجه الحقيقة ولكننا يمكن أن نستقرب المعاني من خلال الروايات أن استوائية الرحمة هو نفوذ الرحمة في كل جزء من أجزاء وجود العرش والكرسي وما دون الكرسي، كما قلت قبل قليل بأن مادة وجود العرش، مادة وجود الكرسي هي الرحمة، الرحمة المشرقة والساطعة من أين؟

من معدن الرحمة، لأن الرحمة من أين تأتي؟ تأتي من المعدن من المكان الذي أستقرت فيه، فمن هناك جاءت الرحمة، كان الإشراق الأول هو إشراق الرحمة الرحمانية. في سورة الفرقان ربما يأتي نفس الكلام في الآية التاسعة والخمسين، ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ أين تجلت الرحمة الرحمانية؟ هي في الإستواء على العرش ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ وهذه هي الرحمة الرحمانية التي انبسطت على كل الوجود، في سورة الأعراف الآية الرابعة والخمسون ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الآية تتحدث عن استوائية العرش على كل شيء، وتتحدث عن استوائية الرحمة على العرش، إذا أردنا أن نجمع هذه الآية مع الآيات المتقدمة ومع آيات أخرى جاءت مذكورة في الكتاب الكريم ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ هذه من شؤونات الخلق ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ كل هذا مادته الرحمة لأن الاستوائية على العرش هي استوائية الرحمانية، ما قالت الآيات الله استوى على العرش، قالت الرحمن استوى على العرش، الله الاسم الجامع، أما الرحمن فهي صفة من صفاته وتجلٍ من تجلياته واسم من اسمائه، الآيات ما قالت إن الله استوى على العرش قالت الرحمن استوى على العرش، رحمانيته هي التي استوت على العرش ورحمانيته إنما تجلت في المرآة الأولى، الله تجلى في المرآة الأولى والمرآة الأولى عكست هذا التجلي، أين عكست هذا التجلي؟

في العرش وما دون العرش وجميع شؤونات ما دون العرش ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ جميع هذه الشؤونات هذه أمثلة، هذا أمثلة على شؤونات الموجودات، جميع هذه الشؤونات هي سارية في دائرة الرحمة، ومادة سريانها الرحمة، الرحمة الرحمانية، كل الوجود متحقق بالرحمة الرحمانية ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ هناك الخلق وهناك الأمر ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ كل ذلك متفرع عن أي شيء؟ عن استوائية الرحمانية على العرش، في سورة هود في الآية السابعة ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماء﴾ الآيات المتقدمة تحدثت عن أن العرش محيط بكل شأن، وأن الرحمانية هي المستوية على العرش، أن الله استوى على العرش برحمانيته، لكن هذا العرش في حقيقته أين ثباته؟ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماء﴾ هذه إشارة أوضح من الإشارات السابقة، كان عرشه على الماء، الحديث هنا ليس عن عرش يبنى على الماء، هذه رموز وإشارات، لا يعني أنه كان هناك بحر من ماء وموجود عليه كرسي يقال له العرش أو بناء يقال له العرش، هذه قضية عميقة جداً.

الماء هنا هو الماء الأول، هو الاسم الأول، هو النور الأول، هذا الماء الذي استند وثبت بسببه العرش، كان عرشه على الماء، يعني هل يمكن أن يكون العرش من دون قاعدة، كيف يتحقق؟ يعني إن أساس العرش إن ثبات العرش هو بسبب الماء ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماء﴾ هذا الماء هو الذي إليه الإشارة في الآية الثلاثين من سورة الأنبياء ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الماء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ الآيات القرآنية لها وجوه، قد يقول البعض الآية فيها إشارة إلى الوجودات الطبيعية المتكونة في العالم الأرضي هذا وجه من الوجوه، لكن الحديث إذا كان بهذا العُمق الآية يكون لها وجه آخر ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الماء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ والحي هنا ليس المراد منه الحيوان وإنما وجعلنا من الماء كل شيء موجود فما من شيء إلا وهو يسبح بحمد الله وتلك هي الحياة الحقيقية، هل يوجد شيء إلا وهو يسبح؟ التسبيح دليل الحياة، لكن ما نسميه نحن بالحياة في العالم الأرضي هي صورة من صور الحياة اسمها الحياة الحيوانية، أما الحياة فغير منحصرة فقط بالحياة الحيوانية، حتى الجمادات لها حياة لأنه ما من شيء إلا وهو يسبح بحمد الله، التسبيح فيه دلالة على الحياة، فيه دلالة على الإدراك، فيه دلالة على اللغات، يعني حتى الجمادات عندها لغات، حتى الجمادات عندها شيء من الإدراك يناسبها بما هي هي، وهذه اللغات وهذه الإدراكات الإمام المعصوم محيط بها يعلم بها لأن الإمام المعصوم صلوات الله وسلامه عليه محيط بكل شيء، ويأتينا إن شاء الله في الحلقة القادمة لأنه العنوان القادم في الحلقة القادمة: **وَخُزّانَ الْعِلم – وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلم** – حين يكون الحديث عن خزان العلم تتضح هذه الحقائق.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماء﴾ في الآية السابعة من سورة هود ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الماء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ في الآية الثلاثين من سورة الأنبياء، كل شيء جُعلَ من أي شيء؟ من معدن الرحمة، الماء هو عنوان آخر من عناوين رحمة الباري سبحانه وتعالى، فهم معدن الرحمة والآية الأولى من الكتاب الكريم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ تشير بنحو مجمل إلى كل هذه الحقائق التي مرت الإشارة إليها، والرواية معروفة التي ينقلها ابن عباس عن سيد الأوصياء بأن القرآن كله في الفاتحة وبأن الفاتحة كلها في البسملة وبأن البسملة كل البسملة في الباء وكل ما في الباء في النقطة، ثم قال عليٌ عليه السلام: وأنا النقطة.

وهذه النقطة هي التي منها حين تحركت كُتبت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ . ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أليست هي عبارة عن مجموعة نقاط تشكلت تجلت بهذه الصورة، هذه النقطة هي معدن الكتابة، فماذا كتبت؟ كتبت باللفظ وبالرسم وبالصورة عنوان الرحمة، هذه النقطة هي رمز لتلكم الرحمة، للرحمة الرحمانية، وللرحمة الرحيمية بسم الله الرحمن الرحيم أولاً الرحمن ثانياً الرحيم، الرحمة الرحمانية هي مادة الوجود، أما الرحمة الرحيمية هي مادة الولاية، مرادي من الولاية معنى أكبر من قضية العاطفة ومن قضية المحبة ومن قضية الإمامة التي هي في العالم الأرضي، الولاية هي الرابط الخاص الذي يربط أشرف الموجودات بالله سبحانه وتعالى، لذلك الرحمة الرحيمية رحمة خاصة وليست عامة، الرحمة الرحمانية رحمة عامة، ومن هنا ورد في بعض الروايات بأن الرحمن رحمن بالمؤمن وبالكافر، وبأن الرحيم رحيم بالمؤمنين، هذه إشارة لمعنى أوسع لأن الرحمة الرحمانية والرحمة الرحيمية أوسع من أن تكون محصورة بالبشر وبنوعين من البشر بالمؤمن والكافر، إنما هذه مصاديق أمثلة ونماذج، الرحمة الرحمانية هي مادة الوجود والرحمة الرحيمية هي مادة الولاية، الولاية هي العلاقة فيما بين الله سبحانه وتعالى وفيما بين أشرف الموجودات، فهناك الرحمة الرحمانية وهناك الرحمة الرحيمية، وأشرف الموجودات يمكن أن يكون في عالم الملائكة، هناك ما هو الأشرف في عالم الملائكة، هناك ما هو الأشرف في عالم الحُجُب، أليس أن الروح خلق أعظم من الملائكة؟!

هناك مخلوقات أعظم من الملائكة، وإذا قيل عنهم ملائكة الحُجُب فذلك تعبيرٌ مجازي لأن الملائكة بعنوانٍ عام هم سكان العوالم العلوية، وإلا فسكان الحُجُب هم مخلوقات تختلف عن الملائكة الذين هم سكان السماوات، في العالم الأرضي، في عالم الجمادات، في عالم الحيوانات، في كل عالم هناك موجودات أشرف لها الشرافة فهي قريبة، هي قريبة من دائرة الله سبحانه وتعالى، هذه العلاقة، هذه الموجودات، هذا الرباط هو هذا الذي يعبر عنه بالولاية، الولاية أعم من معنى المحبة والعاطفة، وإنما هو الرباط الوجودي للمخلوقات الأشرف، وما يوم القيامة إلا يوم التمييز بين المخلوقات الأشرف والمخلوقات التي هي معارضة مناقضة

مضادة للمخلوقات الأشرف وهذا ليس فقط للإنسان، يوم القيامة الروايات تتحدث إنما هو يومٌ لكل المخلوقات، لكن التركيز على الإنسان لأن الخطاب القرآني في بنيته العبائرية في بنية العبارة هو خطابٌ للإنسان من هنا كان التركيز على الإنسان ولأهمية الإنسان، وإلا عندنا في الروايات هناك توضيحات عن هذا الأمر، الملائكة أيضاً لهم قيامتهم ولهم مرتبتهم التي تتعلق بهم في يوم القيامة لهم شأنهم، وحتى الحيوانات لها شأنها، وحتى الجمادات لها شأنها، وهذا الموضوع لست بصدد الدخول في تفاصيله لكن هذا يتجلى من خلال تصفح الروايات المنقولة عن أهل البيت ومن خلال التبصر في آيات الكتاب الكريم.

رواية منقولة عن صفوان بن يحيى عمن حدثه، **عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سُئل عن:**

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ **فقال: الباءُ بهاء الله، والسينُ سناء الله، والميمُ ملك الله** – هذه رواية تتحدث بلسانٍ آخر بغير اللسان اللغوي – **الباءُ بهاء الله، والسينُ سناء الله، والميمُ ملك الله، قال: قلت: الله ما معناها؟** – السائل يسأل عن بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بدأ الإمام أخذ كلمة بِسْمِ – **فقال: الباءُ بهاء الله، والسينُ سناء الله، والميمُ ملك الله، قال: قلت: الله؟ قال: الألفُ ألآء الله على خلقه من النعيم بولايتنا** – هذا كلام إمامنا الصادق في معنى لفظة الله – **قال: قلت: الله؟ قال: الألفُ ألآء الله على خلقه** – هذا هو الجزء الأول من تفسير البرهان لسيدنا هاشم البحراني رضوان الله تعالى عليه، وهذه الرواية ينقلها السيد هاشم البحراني عن كتاب معاني الأخبار للشيخ الصدوق وهو من كتب الحديث المعروفة والمعتبرة – **قال: قلت: الله؟ قال: الألفُ ألآء الله على خلقه من النعيم بولايتنا، واللامُ إلزام الله خلقه ولايتنا، قلتُ: فالهاءُ؟ قال: هوانٌ لمن خالف مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد صلوات الله عليهم أجمعين قلتُ: الرحمنُ؟ قال: بجميع العالم، قلت: الرحيمُ؟ قال: بالمؤمنين خاصة** – أنا هنا لا أريد أن أشرح هذه الرواية لأنني إذا دخلتُ فيها فسأترك أصل المطلب لكنني أردت أن أبين بأن البسملة التي هي عنوان الرحمة، الرحمة الرحمانية والرحمة الرحيمية، هذه البسملة التي قال عنها عليٌّ بأنها في النقطة وهو النقطة فإنها بحرٌ عميقٌ غائرٌ في الإشارة إلى تلكم الحقيقة العظمى، أي حقيقة؟

حقيقةُ معدن الرحمة ومعدن الرحمة كما قلت قبل قليل الحقيقةُ المُحَمَّدية، النور الأول، كل هذه الروايات وكل هذا الكلام يشيرُ إلى تلكم الحقيقة، أنا لا أريد أن أخوض هنا فيما قاله المفسرون في أن بِسْمِ اللّهِ بأي شيءٍ متعلقة؟ هل أبتدئُ، أستعينُ، أذكرُ، يظهرُ، وإلى غير ذلك على اختلاف مشاربهم وأذواقهم، هناك رواية منقولة أيضاً عن الشيخ الصدوق:

**عن عليّ بن الحسن بن فضَّال عن أبيه، عن الحسن بن فضَّال قال: سألت الرضا عليَّ بن موسى عليه السلام عن** ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ **فقال: معنى قول القائل** ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ **أي أسمي على**

**نفسي سمةً من سمات الله عز وجل وهي العبادة ، قال: فقلت له وما السِمة؟ قال: العلامة** – يعني أضعُ على نفسي علامة من علائم الله – **قال: وهي العبادة** – العبادة لا بمعنى الصلاة، الحديث هنا ليس عن الصلاة، قال – **إنما أسمي على نفسي سمة** – السمة العلامة، العبادة هذا العنوان الذي يتحدث عن جوهر وجود الأشياء وجوهر وجود الأشياء هو الرحمة، ربما تحدثت شيئاً ما في احتفال حسينية الإمام المهدي عليه السلام في عيد مولد إمام زماننا وأشرت إلى هذا الآية، الآية التي جاءت في سورة الزخرف وهي الآية الحادية والثمانون ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ أول العابدين بينت المراد، فأنا أول الموجودين، أنا أول الموجودات، وإنما وصف نفسه بهذا الوصف لأن العبادة هي جوهر الوجود، ولذلك في سورة الذاريات في الآية السادسة والخمسين ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ علة الخلق العبادة والآية السابقة ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ تشير إلى أن التجلي الذي ظهر في أول الوجود هو العبادة.

والعبادةُ هي العبوديةُ وهي جوهر التحقق، وجوهر التحقق كما قلت قبل قليل مادة التحقق الرحمة، الرحمة الرحمانية المنبسطة والرحمة الرحيمية التي هي الولاية، هناك الوجود المنبسط المُتجلي من الحقيقة المُحَمَّدية في الرحمة الرحمانية، وهناك أيضاً الوجود المتجلي المنبسط من الرحمة الرحيمية لأشرف الموجودات لأشرف الكائنات، الكائنات الشريفة التي ترتبط برباط الولاية، الولاية في معناها الواسع في معناها العميق لا في المعنى العاطفي، إمامنا الرضا هنا يشير إلى هذه القضية قال – **أسمي على نفسي سمةً من سمات الله عزَّ وجلَّ وهي العبادة، فقلت له: وما السِمة؟ قال: العلامة** – أن أجعل على نفسي علامة، كيف يجعل على نفسه علامة؟ يجعل على نفسه علامة يعني أن يفنى في علامةٍ من علامات الله، أن يكون هو علامة، يجعل على نفسه علامة وشيئاً فشيئاً يفنى في هذه العلامة، هذه العلامة إليها الإشارة في دعاء شهر رجب المنقول عن الإمام الحُجة عليه السلام والذي يستحب قراءته في كل يومٍ من أيام شهر رجب، بل يمكن قراءته في أي يوم لأنه من الأدعية العامة، فيه مضامين عامة، الدعاء الذي أوله: **اللَّهُمَّ إني أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك** – إلى أن يقول الدعاء – **لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك فتقها ورتقها بيدك بدؤها منك وعودها إليك أعضادٌ وأشهاد ومُناةٌ وأذواد وحَفَظَةٌ ورواد فبهم ملأت سمائك وأرضك** – هذه تجلياتهم، كيف بهم ملأ السماء والأرض؟ هذه تجلياتهم هذه الرحمة المستوية والرحمة المستوية لها ظهورات، في عالم العرش استوت الرحمة على العرش، في عالم الكرسي استوت الرحمةُ على الكرسي، وفي كل سماءٍ استوت الرحمة، في كل طبقةٍ من طبقات هذا الوجود – **فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت** – حتى ظهر أن لا إله إلا أنت لأن الله تجلى في معدن الرحمة

ومعدن الرحمة حين تجلى ماذا عكس؟ عكس معاني الإلوهية، ماذا تجلى من معدن الرحمة؟ تجلت الأسماء الحسنى وإلى هذا يشير إمامنا الصادق – **نحن الأسماء الحسنى** – إلى ذلكم المقام إلى تلكم المراتب العالية، فمن تجلياتها ما جاء في هذا الدعاء – **فبهم ملأت سمائك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت فبذلك أسألك وبمواقع العز من رحمتك وبمقاماتك وعلاماتك** – هذي هي العلامات التي أشار إليها إمامنا الرضا قال – **أسمي على نفسي سِمةً، ما السِمة؟ قال: العلامة** – هناك علامة هذه العلامة هي علامة الولاية، هذه علامة الرحمة الرحيمية، لأن الذي يقولُ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لا بالمعنى اللفظي إنما هو يرتبط بذلك الرباط الخاص رباط الموجودات الأشرف وهو رباط الولاية من مجالي هذه الولاية في العالم الأرضي ولاية أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولذلك – **مَنْ والاكُمْ فَقَدْ والَى اللهَ** – الموالاة هنا في العالم الأرضي لأهل البيت إنما هي موالاةٌ لله لأن الرحمة الرحيمية هي رباط الولاية بين الله وبين أشرف الموجودات – **يا أحمد خلقتك لي** – هذا رباط الولاية بين الله وبين الحقيقة المُحَمَّدية – **ثم شق أنوار الوجود من نور مُحَمَّد صلى الله عليه وآله** – وهذا هو مجلى الولاية الإلهية في سائر الموجودات، كان الإشراق بالمعنى الرحماني وتلك ولاية الوجود، وكان الإشراق بالمعنى الرحيمي وتلك ولاية القُرب، لذلك مر علينا في الرواية – **الرحمنُ بجميع العالم والرحيمُ بالمؤمنين خاصة** – لإشارة هنا إلى المؤمنين خاصة على طريقة المثال على طريقة المصداق، الحديث هنا عن كل الموجودات الشريفة من المؤمنين ومن غيرهم.

ولا غرابة في ذلك حتى في الجنان عندنا في الروايات هناك بعض الحيوانات الأرضية سيدخلها الله إلى الجنة، هل هناك في الحيوانات الأرضية أكثر نجاسة من الكلب؟! أليس في الروايات إن كلب أهل الكهف سيكون في الجنان؟! وغير ذلك، أنا هنا لا أريد الحديث عن الجنان وعن قوانين الجنان التي وردت في الروايات، لكنني أشرت إلى هذا المثال لتوضيح المطلب ولا أريد أن أشط بعيداً عن أصل العنوان الذي أنا أتحدث عنه – **فبذلك أسألك وبمواقع العز من رحمتك وبمقاماتك وعلاماتك** – هذه العلامات أي علامات؟ هذه علامات الرباط برباط الولاية، الولاية الإلهية والتي من مجاليها في العالم الأرضي ولاية أهل البيت، من والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله، وهم الأبواب التي من خلالها نصل إلى الله، وهم العروة الوثقى الذين إذا تمسكنا بهم تمسكنا بالله سبحانه وتعالى، المعاني في الروايات وفي الأدعية وفي الآيات مترابطة وبعضها يشد البعض الآخر، وأعتقد أن المضامين التي أشرت إليها الآن والتي سأشير إليها في الحلقات القادمة من هذا البرنامج كلها تصب في جهةٍ واحدة تصب في نهرٍ واحد، لكن الكلام مأخوذ مع كل عنوان من هذه العناوين من جهةٍ من الجهات، أنا قلت بأن المعارف الإلهية يشترط فيها أن نراعي فيها القاعدة الذهبية الأولى وهي قاعدةُ حفظ المقامات وقاعدة تعدد الحيثيات، لربما لو نظر المشاهدون بعين

الدقة لوجدوا أن نفس المعاني التي ذكرتها في أهل بيت النبوة في موضع الرسالة في مختلف الملائكة في مهبط الوحي في معدن الرحمة وفيما سيأتينا من عناوين أخرى، هناك إلتقاء بين هذه المعاني من جهة من حيثيةٍ ما، وهناك إفتراق من حيثيةٍ أخرى، لأنني راعيت في هذه المضامين هاتين القاعدتين: قاعدة حفظ المقامات، وقاعدة تعدد الحيثيات.

معدن الرحمة هم معدن الرحمة في كل أفقٍ من الأفاق، على سبيل المثال لا على سبيل الاستقصاء، هذا هو الجزء الخامس عشر من بحار الأنوار في الصفحة الثامنة، الرواية عن أبي ذر الغفاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يحدثه عن جوانب من معراجه إلى أن يقول صلى الله عليه وآله – **قلتُ: يا ملائكة ربي هل تعرفونا حق معرفتنا؟!** – النبي هنا يسأل الملائكة – **هل تعرفونا حق معرفتنا؟!** – الملائكة لا تعرف أهل البيت حق المعرفة، مر علينا – **إن أمرنا صعبٌ مستصعب لا يحتمله لا نبيٌ مرسل ولا ملكٌ مقرب، فمن يحتمله؟ قال: من شئنا** – وفي رواية ثانية قال – **نحن نحتمله** – مر الكلام في هذه المطالب – **قلتُ: يا ملائكة ربي هل تعرفونا حق معرفتنا؟!** – الآن نحن إذا أردنا أن نقرأ الرواية ونقارن ما ذكرته الملائكة من معرفتهم بهم صلوات الله عليهم نجد بأنهم لا يعرفونهم حق المعرفة لأننا إذا قارنا بين الإشارات الموجودة في كلام الملائكة وبين إشاراتٍ أخرى ذكرها أهل البيت نجد أن هناك فارق بين معرفة الملائكة وبين ما يحدثنا به أهل البيت عن مقاماتهم السامقة، وعلى أي حالٍ أنا هنا لست بصدد المقارنة بين ما قالته الملائكة وبين ما جاء في رواياتٍ أخرى، وإنما أردت أن أورد نماذج من روايات تتحدث عن مظاهر الرحمة الرحمانية والرحمة الرحيمية، إن كان ذلك في العوالم العليا، إن كان ذلك في عالم الدنيا، في الحياة أو بعد الموت في عوالم الآخرة، أقرأ الرواية، النبيُ يسأل الملائكة – **يا ملائكة ربي هل تعرفونا حق معرفتنا؟! فقالوا: يا نبي الله وكيف لا نعرفكم** – ما قالوا بأنهم يعرفونهم حق المعرفة، قالوا بأننا نعرفكم – **يا نبي الله وكيف لا نعرفكم وأنتم أول ما خلق الله، خلقكم أشباح نورٍ من نوره، في نورٍ من سناء عزه ، ومن سناء ملكه، ومن نور وجهه الكريم، وجعل لكم مقاعد في ملكوت سلطانه، وعرشه على الماء قبل أن تكون السماء مبنيه والأرض مدحيه، ثم خلق السماوات والأرض في ستة أيام** – الرواية تتحدث عن جهات، عن مراتب، عن صور في عوالم الخلق الأولى أقف عند هذه العبارة:

**خلقكم أشباح نورٍ من نوره.** الأشباح هي غير الظلال، هناك مرتبة الظلال لأهل البيت وهناك مرتبة الأشباح، ومرتبة الأشباح أعلى من مرتبة الظلال – **خلقكم أشباح نورٍ من نوره** – والشبح النوري هو نفس الكلام الذي أشرت إليه المرآة النورية، الشبح هو ماذا؟ هو الصورة المماثلة لذي الصورة، شبحي هو ما هو؟ الصورة المماثلة لصورتي، فهذا الشبح يكون مُظلماً بالقياس لوجودي، أما الحديث هنا عن أشباح نورية –

**خلقكم أشباح نورٍ من نوره** – أنا هنا لست بصدد شرح الرواية فقط أردت أن أبين هذه النقطة أقرأ الروايات ما يظهر من عظمة المعاني فيها أكتفي به – **قلتُ: يا ملائكة ربي هل تعرفونا حق معرفتنا؟! فقالوا: يا نبي الله وكيف لا نعرفكم** – ما قالوا بأننا نعرفكم حق المعرفة، قالوا بأننا نعرفكم – **فقالوا: يا نبي الله وكيف لا نعرفكم وأنتم أول ما خلق الله، خلقكم أشباح نورٍ من نوره** – مَرّ علينا قبل قليل في ما جاء في سورة الفاتحة، من الروايات التي تحدثت عنها في بيان معنى البسملة، ماذا تقول هذه الرواية؟ – **يا نبي الله وكيف لا نعرفكم وأنتم أول ما خلق الله، خلقكم أشباح نورٍ من نوره، في نورٍ من سناء عزه ومن سناء مُلكه** – إذا تتذكرون قبل قليل الإمام الصادق وهو يتحدث عن معنى بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال – **الباءُ بهاء الله، والسينُ سناء الله، والميمُ ملك الله** – الحديث هنا – **خلقكم أشباح نورٍ من نوره، في نورٍ من سناء عزه ومن سناء ملكه ومن نور وجهه الكريم** – هناك ترابط وهناك دلالات واضحة بين هذه الروايات لكن المقام لا يسع لتفصيل كل شيء – **وجعل لكم مقاعد في ملكوت سلطانه وعرشه على الماء** – وتحدثنا عن الماء – **قبل أن تكون السماء مبنية والأرض مدحية ثم خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم رفع العرش إلى السماء السابعة فاستوى على عرشه وأنتم أمام عرشه** – الحديث هنا عن مظاهرهم في عالم العرش، لهم تجليات، العرش من نورهم التجلي الأعظم لهم كان قبل خلق العرش ولكن لهم تجليات في كل عالم من العوالم – **ثم رفع العرش إلى السماء السابعة فاستوى على عرشه وأنتم أمام عرشه تسبحون وتقدسون وتكبرون، ثم خلق الملائكة من بدء ما أراد من أنوار شتى، وكنا نمر بكم وأنتم تسبحون وتُحَمِّدون وتُهَلِّلون وتُكَبِّرون وتمجدون وتقدسون فنسبح ونقدس** – طبعاً هذه المراتب لكل درجة من درجات الملائكة.

هناك ملائكة مسبحة، هناك ملائكة مقدسة، هناك ملائكة مكبرة، هناك ملائكة مهللة هذي تشير إلى أن هؤلاء الملائكة كل ما عندهم من التجليات من ذلك المصدر – **وكنا نمر بكم وأنتم تسبحون وتُحَمِّدون وتُهَلِّلون** – نمر بكم ليس مروراً مادياً، الحديث هنا ليس عن عالم الدنيا والملائكة يمرون بهم كأنهم يمرون بصديقٍ أو بقريب، القضية عميقة جداً، الدلالات عميقة جداً، الملائكة إنما شعت وجوداتهم من أنوار عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه وهذا واضح في الروايات، ومرت علينا بعض الروايات التي تشير إلى هذا المعنى – **وكنا نمر بكم وأنتم تسبحون** – هذا تجلي – **وتُحَمِّدون** – تجلي ثاني – **وتُهَلِّلون** – تجلي ثالث – **وتُكَبِّرون** – تجلي رابع – **وتُمَجِّدون** – تجلي خامس – **وتُقَدِّسون** – هذا تجلي سادس – **فنسبح ونُقَدِّسُ ونُمَجِّدُ ونُكَبِّرُ ونُهَلِّلُ** – بأي شيءٍ؟ – **بتسبيحكم وتحميدكم** – نهلل بهِ، نسبح به، دلالة عميقة جداً، أي أنهم يسبحون بتسبيح أهل البيت، ما المراد من ذلك؟ المراد أن تسبيح الملائكة هو تسبيح أهل البيت

لكن بوجهٍ من الوجوه، بالوجه الذي يتناسب مع عالم الملائكة، كل تسبيحٍ هو رادٌ إلى التسبيح الأول إلى معدن الرحمة، كل هذا يؤول بنا إلى معدن الرحمة – **فنسبح ونُقَدِّسُ ونُمَجِّدُ ونُكَبِّرُ ونُهَلِّلُ بتسبيحكم وتحميدكم وتهليلكم وتكبيركم وتقديسكم وتمجيدكم فما أُنزِلَ من الله فإليكم** – لا ينزل إلى غيركم – **فما أُنزِلَ من الله فإليكم** – لأن فيض الله إليكم ومنكم يصدر الفيض – **يا مُسَبِّبَ الأسباب من غير سبب** – هذه الأسباب هم – **يا مُسَبِّبَ الأسباب من غير سبب** – أول ما خلق الله خلق المشيئة بنفسها، يعني من غير سبب، ثم خلق الأشياء بالمشيئة يعني بسبب المشيئة، هم الأسباب – **يا مُسَبِّبَ الأسباب من غير سبب** – يُوجد الأسباب ولكن من غير سبب، خلق المشيئة بنفسها يعني أنهُ يُوجد الأسباب بالأسباب بنفس الأسباب، أول ما خلق الله المشيئة ثم ماذا؟

خلق المشيئة بنفسها ثم خلق الخلق بالمشيئة، فهم مشيئة الله سبحانه وتعالى – **فما أُنزِلَ من الله فإليكم وما صعد إلى الله فمن عندكم** – وما صعد إلى الله فمن عندكم أيضاً لأنهم هم معدن الرحمة، معدن يعني المركز، من أين نُحَصّل على الذهب؟ من معدنِهِ، من أين نُحَصّل على الفضة؟ من معدنِهِ، من أين نُحَصّل على الحديد؟ من معدنِهِ، وهذا في الشيء المادي في الشيء الترابي، والكون إنما هو طبقات وصور، العالم الأرضي صورة ضعيفة جداً بعيدة جداً عن عالم العرش وما فوق عالم العرش – **فما أُنزِلَ من الله فإليكم وما صعد إلى الله فمن عندكم فَلِمَا لا نعرفكم** – وما صعد إلى الله إشارة إلى الرحمة الرحيمية – **فما أُنزِلَ من الله فإليكم** – هذه الرحمة الرحمانية، رحمانية انبساط الوجود – **وما صعد إلى الله فمن عندكم** – هذه رحيمية الولاية، قلت قبل قليل بأن الرحمة رحمانية وهو الفيض المنبسط، الفيض المنبسط على كل الموجودات، والرحمة الرحيمية هي الولاية هي الرباط، مادة الرباط بين الله وبين أشرف الموجودات – **فما أُنزِلَ من الله فإليكم** – ومنكم يصدر – **وما صعد إلى الله** – الصاعدون إلى الله الموجودات الشريفة أشرف الموجودات – **فمن عندكم فلِمَا لا نعرفكم أقريء علياً منا السلام** – عليٌّ هو المحور، أين ما تذهب في عالم الحقائق تجد علياً ساطعاً – **فلِمَا لا نعرفكم أقريء علياً منا السلام** – إلى أن يقول صلى الله عليه وآله – **ثُمَّ عُرِجَ بي إلى السماء السابعة فسمعت الملائكة يقولون لَمَّا أن رأوني الحمد لله الذي صَدَقَنا وعده** – لَمَّا رأوا النبي كانوا يقولون الحمد الله الذي صَدَقَنا وعده – **ثم تلقوني وسلموا عَلَيَّ وقالوا لي مثل مقالة أصحابهم** – يعني نفس الكلام السابق الذي مر علينا قبل قليل – **وقالوا لي مثل مقالة أصحابهم** – يعني الكلام الذي ذكرتهُ وطلبوا منه أن يُسلم على عليّ – **أقريء علياً مِنا السلام** – قلت بأننا في عالم الحقائق أين ما نذهب نجد علياً واضحاً هناك – **فقلت يا ملائكة ربي سمعتكم تقولون الحمد لله الذي صَدَقَنا وعده فما الذي صَدَقَكم؟ قالوا: يا نبي الله إن الله تبارك وتعالى لَمَّا أن**

**خلقكم أشباح نورٍ من سناء نورهِ ومن سناء عزه وجعل لكم مقاعد في ملكوت سلطانه عَرَضَ ولايتكم علينا ورسخت في قلوبنا فشكونا محبَّتك إلى الله** – شكونا محبتك إلى الله يريدون أن يروا تجلياً من تجلياتهِ، وإلا فهم لا يستطيعون النظر، ولا تستطيع العقول أن تقترب من ذلك الفناء الأقدس – **فشكونا محبَّتك إلى الله فوعد ربنا أن يُريناكَ في السماء معنا** – وعدنا في مقطعٍ من المقاطع أن نراك في السماء – **وقد صَدَقَنا وعده لذلك قلنا الحمد لله الذي صَدَقَنا وعده** – فهم ينتظرون نورهُ، هم منتظرون هناك في عوالمهم وهذه معاني عميقة ومعاني دقيقة جداً، وهذه المعاني لا تنسجم إلا إذا ما استطعنا أن نوائم بين هذه الروايات والروايات الكثيرة الأخرى حتى ترتسم الصورة كاملة، من دون أن ترتسم الصورة كاملة تبقى هذه الروايات وكأنها أجزاء يتيمة وكأنها قطع مبتورة من صورة كبيرة.

رواية ثانية هذه الرواية التي مرت يرويها أبو ذر الغفاري، الرواية الثانية يرويها سلمان الفارسي، سلمان المُحَمَّدي عن النبي: **يا سلمان فهل علمت من نقبائي ومن الإثنى عشر الذين اختارهم الله للإمامة بعدي؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، قال يا سلمان: خلقني الله من صفوة نوره ودعاني فأطعت، وخلق من نوري علياً فدعاه فأطاعه، وخلق من نوري ونور عليٍّ فاطمة فدعاها فأطاعتهُ** – هي النورية الجامعة بين النورية النبوية والولوية – **وخلق مني ومن عليٍّ وفاطمة الحسن والحسين فدعاهما فأطاعاه، فسمانا بالخمسة الأسماء من أسمائهِ الله المحمود وأنا مُحَمَّد، والله العليّ وهذا عليّ، والله الفاطر وهذه فاطمة** – الفاطر يعني الخالق – **والله الفاطر وهذه فاطمة، والله ذو الإحسان وهذا الحسن، والله المحسن وهذا الحسين، ثم خلق منا من صلب الحسين تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوه** – متى؟ – **قبل أن يخلق الله سماءً مبنية وأرضاً مدحيةً أو هواءً أو ماءً** – هذا الماء الأرضي – **أو ماءً أو مَلَكاً أو بشراً وكُنا بعلمهِ نوراً نسبحهُ** – وإلا كما قلت قبل قليل الماء في أصلهِ ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ الماء في أصلهِ الحقيقة المُحَمَّدية، الحديث هنا عن الماء الأرضي – **وكُنا بعلمهِ نوراً نسبحهُ ونسمع ونطيع** – كنا بعلمهِ لا يُقاس علم الله بعلم الإنسان، حينما أقول أنا موجودٌ في علمك يعني عبارة عن صورة، صورة ذهنية، أما في علم الله فذلك هو أرقى مراتب الوجود، أرقى مراتب الوجود هو وجود الموجودات في علم الله، هذه أرقى مرتبة، وهذه المرتبة نحن لا نعرف قيمتها الله يعرفها، هذه أرقى مراتب الوجود وجود المخلوقات في علم الله، ثم بعد ذلك يكون التجلي في المرآة الأولى في الماء الأول، وإلا أرقى مرتبة هي مرتبة الحقيقة المُحَمَّدية في علم الله، ومرتبة الحقيقة المُحَمَّدية في علم الله هي أرقى المراتب ولكن ذلك شأنٌ من شؤونهِ سبحانه وتعالى لا علم لنا بذلك – **كلما ازددتم تفكراً كلما ازددتم تحيراً – وكُنا بعلمهِ نوراً نسبحهُ ونسمع ونطيع** – هذا السمع والطاعة والتسبيح لا تُقاس بما يجري في العالم الأرضي.

رواية أخرى ينقلها الشيخ المجلسي عن المحَدِّث الكراجكي رحمة الله عليه في كتابهِ كنز الفوائد: **عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفرٍ الباقر عليه السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى أحدٌ واحد تفرد في وحدانيته ثم تكلم بكلمة فصارت نوراً ثم خلق من ذلك النور مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وخلقني وذريتي ثم تكلم بكلمة فصارت روحاً فأسكنهُ الله في ذلك النور وأسكنهُ في أبداننا فنحن روح الله وكلماته وبنا احتجب عن خلقه فما زلنا في ظلةٍ خضراء حيثُ لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ولا عينٌ تطرف** – يعني تتحرك – **نعبدهُ ونقدسهُ ونسبحهُ قبل أن يخلق الخلق** – هذه نماذج وأمثلة من كلمات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين التي تحدثنا عن جوانب من مجالي معدن الرحمة، هذه الروايات لا تتحدث عن معدن الرحمة، وإنما تتحدث عن تجليات، تتحدث عن مجالي من مجالي معدن الرحمة، حين تجلى معدن الرحمة فكانت هذه التجليات وكانت هذه المراتب وكانت هذه الصور، هذه الروايات تحدثت عن جهات عن حيثيات عن مقامات عن صور مراتب من مجالي الرحمة في العوالم العلوية.

في الكافي الشريف الحديث الرضوي في أوصاف الإمام المعصوم عليه السلام هذا هو الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف اقتطف منه هذه السطور يقول إمامنا الرضا عليه السلام: **الإمام كالشمس الطالعة المُجللة بنورها للعالم** – فهو منبع الرحمة، هذا الحديث عن أئمتنا في العالم الأرضي عن مجالي معدن الرحمة في العالم الأرضي، الروايات التي مرت قبل قليل كان الحديث فيها عن مجالي الرحمة في العوالم العلوية، الحديث في هذه الكلمات عن مجالي معدن الرحمة في العالم الأرضي في شخوص الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – **الإمام كالشمس الطالعة المُجللة بنورها للعالم** – وهذه التعابير ليس تعابير أدبية كما مثلاً نريد أن نمدح عالماً كبيراً فنقول هو بحرٌ في العلم مثلاً، أو نتحدث عن شخصٍ كريم فنقول إنهُ جوادٌ كريم غطى بكرمهِ الناس مثل ما غطت السماء أو غطت الشمس الناس، وهو كلام لا حقيقة له، حينما نريد أن نحسبهُ بدقة، أما هذه الكلمات تتحدث عن حقائق موجودة في الواقع الخارجي وإن لم يكن الإنسان يتلمسها، والإنسان ماذا يتلمس من طبيعتهِ ومن حقيقة نفسه؟ ماذا نعرف نحن الآن من تراكيب أبداننا؟ ماذا نعرف عن ما يجري في هذه المعدة التي نحشوها ليل نهار بالطعام، ماذا نعرف؟ هل نملك صورة ندري ماذا يجري في هذه المعدة حتى نريد أن نحيط بما يجري في العالم – **الإمام كالشمس الطالعة المُجللة بنورها للعالم** – يعني الإمام فيضهُ واصلٌ إلى الناسِ، إلى الحيوانات، إلى الجن، إلى سكان البحار، إلى التراب، إلى الماءِ، فما شيءٌ منا إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل – **الإمام كالشمس الطالعة المُجللة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار** – فإذاً كيف سنُحيطُ علماً بفيض هذا

الإمام – **الإمام البدر المنير** – هذي مظاهر من مظاهر ومن مجالي معدن الرحمة في العالم الأرضي في شخوص الأئمة – **الإمام البدر المنير** – هذا مظهر من مظاهر رحمته، العبارات هنا ليس أدبية ولو كان المقام يسنح للحديث في تفاصيل هذه العبارات كل عبارة لها دلالتها الخاصة – **الإمام البدر المنير والسراج الزاهر والنور الساطع** – هذه مجالي ومراتب وظهورات لمعدن الرحمة تتجلى في شخوص الأئمة – **الإمام البدر المنير والسراج الزاهر والنور الساطع والنجم الهادي في غياهب الدجى** – غياهب: ظلمات – **وأجواز البلدان والقفار** – أجواز البلدان يعني الأماكن الواسعة الشاسعة البعيدة وتكون من جملتها الصحارى البوادي الواسعة – **وأجواز البلدان والقفار ولُجج البحار** – كما قلت قبل قليل فيضهُ واصلٌ إلى كل هذه الجهات – **الإمام الماء العذبُ على الظمأ والدالُ على الهدى والمنُجي من الردى** – إلى أن يقول عليه السلام – **الإمام السحاب الماطر** – هذه مظاهر الرحمة – **والغيث الهاطل والشمس المضيئة والسماء الظليلة والأرض البسيطة والعين الغزيرة والغدير والروضة الإمام الأنيس الرفيق والوالد الشفيق والأخ الشقيق والأم البرة بالولد الصغيرة** – هذه كلها مظاهر للرحمة، هذه مظاهر للرحمة في جانب الفيض وفي الجانب الأخلاقي والأفعالي للإمام.

الإمام صلوات الله وسلامه عليه هو بابٌ للفيض الوسيع وبابٌ كذلك للفيض الخاص، مثل ما هناك رحمةٌ رحمانية واسعة والتي من مجاليها – **الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم، الإمام البدر المنير والسراج الزاهر والنور الساطع والنجم الهادي، الإمام الماء العذب على الظمأ الدال على الهدى والمنجي من الردى** – هذه معاني تشير إلى أي شيءٍ؟ تشير إلى الرحمة الرحمانية المتجلية في أشخاص الأئمة في العالم الأرضي، وكذلك – **الإمام السحاب الماطر والغيث الهاطل والشمس المضيئة والسماء الظليلة والأرض البسيطة والعين الغزيرة والغدير والروضة** – هناك معاني تشير إلى الرحمة الرحيمية رباط الولاية – **الإمام الأنيس الرفيق والوالد الشفيق والأخ الشقيق والأم البرة بالولد الصغيرة ومفزع العباد في الداهية النئآد** – الداهية النئآد الكبيرة العظيمة يعني، المصيبة الكبيرة، هذه العبارات وهذه العناوين كل عنوان بحاجة إلى شرحٍ أو إلى بيان، لكنها بالجملة هي مجالي للرحمة الرحمانية وللرحمة الرحيمية المتجلية في العالم الأرضي في شخوص الأئمة، وهي صور ومظاهر لمجالي الرحمة التي مرت الإشارة إليها في الروايات السابقة في العوالم العلوية، وكل ذلك من معدن الرحمة من النور الأول، في عالم الآخرة وفي يوم القيامة، أيضاً هناك روايات أخذت بعضاً منها على سبيل النموذج تتحدث عن مظاهر هذه الرحمة عن مجالي هذه الرحمة.

هذا هو الجزء الثامن من بحار الأنوار والرواية ينقلها الشيخ المجلسي عن عيون أخبار الرضا لشيخنا الصدوق رحمة الله عليه، الرواية عن داوود بن سليمان – **عن الرضا عن آبائهِ عن أمير المؤمنين عليهم السلام**

**قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان يوم القيامة وُلينّا حساب شيعتنا** – هم أولياء لحساب كل الخلائق سيأتينا في الزيارة الجامعة – **إيابُ الخلق إليكم وحسابهم عليكم** – هذا من جملة نصوص الزيارة الجامعة الكبيرة، إيابُ الخلق إليكم مئابُ الخلق مرجعهم إليكم، وحسابهم عليكم، لكن هنا الإمام يتحدث عن صورة من صور يوم القيامة في الرحمة الرحيمية – **إذا كان يوم القيامة وُلينّا حساب شيعتنا فمن كانت مظلمتهُ** – يعني معاصيه يعني ذنوبه – **فمن كانت مظلمتهُ فيما بينهُ وبين الله عزَّ وجل** – إذا كان عنده ذنوب فيما بينه وبين الله – **حكمنا فيها فأجابنا**– حكمنا فيها يعني أجزنا له الأمر، يعني رفعنا عنه الحساب، حكمنا فيها، الله هو الذي حَكَّمَنا وأعطانا الاختيار – **حكمنا فيها فأجابنا** – في بعض الروايات – **ذهبنا إلى الله وطلبنا منه أن يعفو عنكم** – نفس المعنى – **ومن كانت مظلمتهُ بينه وفيما بين الناس استوهبناها** – كيف يستوهبها الأئمة؟ إذا كانت المظلمة مع أُناسٍ من أهل الجنان يُعطون درجات أعلى في الجنان، وإذا كانت المظلمة مع أُناسٍ من أهل النيران يُخَفَف عنهم العذاب، يُقال لأهل النيران بأننا نخفف العذاب عنكم فاسقِطوا هذه المظلمة عن هذا الرجل من أشياعنا – **إذا كان يوم القيامة وُلينّا حساب شيعتنا فمن كانت مظلمتهُ فيما بينهُ وبين الله عزَّ وجل حكمنا فيها فأجابنا ومن كانت مظلمتهُ بينه وفيما بين الناس استوهبناها فوهبت لنا ومن كانت مظلمتهُ فيما بينه وبيننا كُنا أحق من عفا وصفح** – نحن نعفو عنكم ونصفح عنكم وهذه مظاهر مجالي من مجالي الرحمة الرحيمية في أشخاص الأئمة في يوم القيامة، وإلا هناك مجالي للرحمة الرحمانية وللرحمة الرحيمية أيضاً في يوم القيامة، لكننا لا نستطيع أن نتحدث عن كل شيءٍ في مثل هذا الوقت الضيق.

الرواية التي أختم بها حديثي رواية جميلة جداً الرواية هذه منقولة في تفسير فرات بن إبراهيم وهو من التفاسير الجميلة التي نقلت نوادر وأجمل الروايات في تفسير القرآن عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الرواية طويلة أخذ منها سطوراً، الرواية ينقلها ابن عباس عن سيد الأوصياء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يتحدث مع فاطمة يحدِّثُها عن مشاهد ومواقف يوم القيامة، النبي هكذا يقول: **ثم يقول جبرئيل** – بعد حديث طويل، أنا فقط أخذ سطوراً، الرواية طويلة وجميلة جداً، لكن المقام لا يسع لقراءتها بتمامها – **ثم يقول جبرئيل: يا فاطمة سلي حاجتكِ، فتقولين: يا ربِّ شيعتي، فيقول الله: قد غفرت لهم، فتقولين: يا ربِّ شيعة وُلدي، فيقول الله: قد غفرت لهم، فتقولين: يا ربِّ شيعة شيعتي، فيقول الله: انطلقي فمن اعتصم بكِ فهو معكِ في الجنة** – انطلقي فمن اعتصم بكِ من لجأ إليكِ من لاذ بكِ، وهؤلاء الذين يتمكنون من الاعتصام بفاطمة هم الذين يعتصمون بها في الدنيا، وإلا ليس كل أحد يستطيع أن يعتصم بفاطمة، أول شيء ماذا طلبت؟ قالت يا ربِّ شيعتي، ثم يا ربِّ شيعة وُلدي، ثم يا ربِّ

شيعة شيعتي، فيقول الله: انطلقي فمن اعتصم بكِ من شيعتك من شيعة وُلدك من شيعة شيعتكِ من اعتصم بكِ، من الذي يستطيع أن يعتصم بفاطمة في ذلك اليوم؟ من كان له قدرة على أن يعتصم بها في الدنيا، من كان معتصماً بها في الدنيا – **فيقول الله: انطلقي فمن اعتصم بكِ فهو معكِ في الجنة، فعند ذلك** – هذه العبارة جميلة جداً في الروايات – **فعند ذلك تودُّ الخلائق أنهم كانوا فاطميين** – وهذا مُرادي أن الذي يعتصم بفاطمة من كان فاطمياً في الدنيا، هؤلاء هم الذين يعتصمون بها، الله يقول لها بالبداية ماذا سألت؟ قالت: يا ربِّ شيعتي، شيعة وُلدي، شيعة شيعتي، قال: انطلقي من يعتصم بكِ، من يتعلق بكِ، من الذين سيتعلقون بفاطمة؟ الفاطميون كل من كان فاطمياً في الحياة الدنيوية هو هذا الذي يستطيع أن يعتصم بها – **فعند ذلك تودُّ الخلائق أنهم كانوا فاطميين** – ويا ليتنا كُنا فاطميين في الدنيا وفي الآخرة – **فعند ذلك تودُّ الخلائق أنهم كانوا فاطميين فتسيرين ومعكِ شيعتكِ وشيعة وُلدك وشيعة أمير المؤمنين** – ماذا تقول الرواية؟ فاطمة تسير والشيعة تسير معها – **آمنةً روعاتهم** – وهذه أجلى معاني الرحمة الرحيمية – **آمنةً روعاتهم مستورةً عوراتهم** – لأنهُ في يوم القيامة العوارت مُكَشّفة – **قد ذهبت عنهم الشدائد وسَهُلت لهم الموارد يخاف الناس وهم لا يخافون ويظمأ الناس وهم لا يظمئون** – من هم هؤلاء؟ هؤلاء الفاطميون هؤلاء الذين يعتصمون بفاطمة في الدنيا.

أيلومنا أحد أن نلهج بذكر فاطمة بعد هذا الكلام؟ حين نلهج دائماً بذكر فاطمة، حين نُزَيِّنُ مجالسنا بذكر فاطمة، حين نرفع أسم فاطمة شِعاراً لنا، حين نجعل حياتنا في مدار خدمة فاطمة، أيلومنا أحدٌ بعد ذلك؟! إنما نبحث عن نجاتنا في ذلك، إنما نبحث عن منافعنا في ذلك، هل يلوم أحدٌ التاجر حينما يحرص على تجارته!! تجارتنا مع فاطمة، رأس مالنا مع فاطمة، حياتنا مع فاطمة، ديننا مع فاطمة صلوات الله وسلامه عليها.

لولا حُبُّكِ تخمد أنفاسي يا بنت رسول الله ...
لولا حُبُّكِ تهدأ أجراسي ...
طاقة أنفاسي من حُبِّكِ يا زهراء ...
لولا حُبُّكِ تخمد أنفاسي ...
لولا حُبُّكِ تهدأ أجراسي ...
يا زهراء يا زهراء يا زهراء ...

**فعند ذلك تودُّ الخلائق أنهم كانوا فاطميين فتسيرين ومعكِ شيعتكِ وشيعة وُلدك وشيعة أمير المؤمنين آمنةً روعاتهم مستورةً عوراتهم** – هنيئاً للفاطميين – **قد ذهبت عنهم الشدائد وسَهُلت لهم الموارد**

**يخاف الناس وهم لا يخافون ويظمأ الناس وهم لا يظمئون فإذا بلغتِ باب الجنة تلقتك اثنا عشر ألف حوراء لم يتلقين أحداً قبلكِ** – هذا للاستقبال – **ولا يتلقينَ أحداً كان بعدكِ** – وفاطمة في الروايات هي أول داخلٍ إلى الجنة، أول شخص يدخل إلى الجنة فاطمة، يُدخلها رسول الله، تدخل قبل رسول الله وقبل سيد الأوصياء، هم يُدخلونها، فاطمة كما قلت قبل قليل هي الحقيقة الجامعة بين النبوة والولاية وفي ذلك سرٌ عظيم، أعود أقرأ هذا النص – **فتسيرين ومعكِ شيعتكِ وشيعة وُلدك وشيعة أمير المؤمنين آمنةً روعاتهم مستورةً عوراتهم قد ذهبت عنهم الشدائد وسَهُلت لهم الموارد يخاف الناس وهم لا يخافون ويظمأ الناس وهم لا يظمئون** – كل ذلك بفضل فاطمة، فاطمة هي صورة الرحمة.

أليس فاطمة هي الأُم؟! فاطمة أمُّ أبيها، فاطمة أمُّ الأئمة، فاطمة هي أمُّ الكتاب، وفاطمة هي أمُّ المؤمنين، أليس عندنا في الروايات إن أطفال المؤمنين الذين يموتون وهم رُضَّع ماذا تقول الروايات؟ إن أطفال المؤمنين أطفال شيعتها إن أطفال الفاطميين، من هم شيعتها؟ شيعتها الفاطميون، إن أطفال الفاطميين الذين يموتون وهم رُضَّع، الروايات تقول الملائكة تحملهم إلى أين؟ تحملهم إلى الجنان، إلى أين؟ إلى جنة فاطمة، هي التي تُشرِفُ عليهم، هناك شجرة في جنتها هؤلاء الأطفال يرضعون منها، هي ترضعهم وهذه روايات فيها إشارات ورموز.

أسألهُ سبحانه وتعالى ونحن في شهر والد فاطمة، أسألهُ بوالد فاطمة بفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسر المستودع فيها أن يوفقنا جميعاً، أن يوفقني وأن يوفقكم لخدمة فاطمة في حياتنا الدنيوية أن نحيا على خدمتها وأن نموت على خدمتها وأن نُحشر تحت رايتها، أن نعيش فاطميين وأن نموت فاطميين، أسألهُ تعالى أن يجعل آخر لفظٍ أتلفظهُ في حياتي وأحبُّ أن يكون ذلك لي ولكل إخواني المؤمنين أن أتلفظ مستغيثاً مستجيراً يا زهراء. وكل ذلك إنما هو من مجالي معنى معدن الرحمة وانقضى الوقت وزاد اليوم شيئاً وما انقضى الكلام، لا زالت القضية طويلة، فحالي أشبهُ بحال ذلك الذي يقرأ قصة ألف ليلة وليلة وفي نهاية كل ليلة يقول الراوي فقد طلع الصباح وسكتت شهرزاد عن الكلام المباح، مهما تحدثنا ومهما قلنا فإن الكلام قليل، وهناك العشرات والعشرات من النصوص التي يمكن أن أوردها في بيان هذه المعاني ولكننا ماذا نصنع بسيف الوقت، أكتفي بهذا القدر وإن شاء الله في طوايا الحلقات القادمة تتبين لنا الكثير من المعاني في فضائل أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ.

والسلام عليكم يا شيعة آل مُحَمَّد ورحمة الله وبركاته، أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

# الحلقة التاسعة

## معنى وخُزّان العِلم

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، أسْعَدَ اللهُ أيامكم وتَقَبَّل الله طاعاتكم في هذه الأوقات الشريفة، هذه الحلقة التاسعة من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، ربما تكون هذه آخر حلقة قبل شهر رمضان المبارك فيوم الخميس القادم إذا كان من شهر شعبان فستكون الحلقة الأخيرة قبل شهر رمضان في يوم الخميس القادم، وإذا كان يوم الخميس القادم هو الأول من شهر رمضان المبارك فإننا ستشرع كما أخبرتكم من قبل في شهر رمضان في اليوم الأول نشرع في برنامج قرآننا وفي اليوم الثاني سيكون الشروع ببرنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، فبين يوم ويوم طيلة الشهر الشريف نعيش بين أجواء الكتاب والعترة.

اليوم وصلنا إلى قول الإمام صلوات الله وسلامه عليه: **وَخُزّانَ الْعِلم**.

وهذا هو مفاتيح الجنان لشيخنا المُحدِّث القُمي رضوان الله تعالى عليه، الزيارة تقول: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلم** – أقفُ اليوم في هذه الحلقة من برنامجنا هذا عند قولهِ صلوات الله وسلامه عليه – **وَخُزّانَ الْعِلم** – هذا العنوان وهذه الفقرة من الزيارة الجامعة الكبيرة لربما هي أهم فقرات وأهم عناوين الزيارة الجامعة، لأن مدار كل الأوصاف ولأن مدار كل الحالات ومدار كل المقامات والمراتب هو العلم – **وَخُزّانَ الْعِلم** – خُزان جمعٌ لخازن والخازن هو الذي يتولى أمر الخزانة، هناك خُزانة، طبعاً هذا الكلام بالنسبة لِمَا هو في حياتنا الدنيوية وبالنسبة للمعاني اللغوية، خُزان جمعٌ لخازن والخازن هو الذي يتولى أمر الخزانة، يحافظ عليها، يُشرف عليها، يدبر أمورها، والخزانة هي الموضع والمحل الذي تحفظ فيه الأسرار، تحفظ فيه الأشياء الثمينة، يحفظ فيها كل ما له قيمة، العلم واضحٌ معناه وهو ضد الجهل، وفي كثيرٍ من الأحيان إنما تُستبان الأشياء بأضدادها، العلم هو أن يكون الإنسان على حالةٍ أو على حالٍ أن يوصف فيها بأن يكون حاملاً مالكاً حاصلاً على ما يسمى بالعلم والذي هو ضدُ الجهل، وخُزان العلم بحسب المعاني اللغوية لهذه التركيبة اللفظية يعني هناك

خزائن ويخزن في هذه الخزائن العلم وهم المشرفون المتولون على ذلك، هذا المعنى اللغوي إذا أردنا أن نفكك هذه الكلمة أو هذه العبارة تفكيكاً لغوياً، خُزان العلم، وإلا سيتضح لنا فيما بعد من خلال الآيات الكريمة ومن خلال النصوص المعصومية أنهم هم خُزانة العلم الإلهي، ولا يوجد هناك شيء اسمهُ خُزانة وهم يشرفون على هذه الخزانة لكنني بينت هذا المعنى لأجل تفكيك الكلمة تفكيكاً لغوياً، فَخُزَّان جمعٌ لخازن والخازن هو الذي يُشرفُ على الخزانة، أما هنا في الزيارة فالمراد أنهم هم خزائن علم الله، فالكلام هنا ليس عن عالم الدنيا، الكلام هنا عن العوالم الإلهية، عن العوالم القادسة، عن العوالم العلوية، فهم خزائن علم الله سبحانه وتعالى في عوالمِهِ العليا وفي عوالمه السفلى، هكذا إذاً نُسلم على ائمتنا:

**اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلم** – أما العلم فما المراد منه؟ العلم قد يُقال في تعريفهُ هو انطباع الصور العلمية أو انطباعُ صور الحقائق الخارجية الموجودة في الخارج، الموجودة في الواقع والمراد من الواقع ربما يكون أعم من الخارج، لأن الموجود في الخارج إنما يُقصد منه ما كان له وجود جسمي، وجود مادي، وجود محسوس، أو ما يقرب من ذلك، وأما حينما أقول ما هو في الواقع في عالم الواقع فإنما هو في عالم الواقع يشمل الوجود الخارجي ويشمل الوجود الذهني، فهناك الكثير من الموجودات الذهنية التي هي قائمة في الوجود الذهني فقط، وعلى أي حالٍ، العلم بشكلٍ مُجمل هو انطباع الصور العلمية انطباع الصور المعلومات في الذهن، هذا بشكلٍ عام معنى العلم، أما كيف يمكننا أن نتصور حقيقة العلم؟ قطعاً الحديث هنا عن حقيقة العلم بالنسبة إلينا، بالنسبة لي وبالنسبة للمشاهدين وليس الكلام هنا عن حقيقة العلم المنسوبة والتي نتحدث عنها بخصوص هذه الفقرة من الزيارة – **وَخُزّانَ الْعِلم** – لكننا نستكشف من خلال معرفتنا لتصوير حقيقة علمنا نستكشف نتلمس شيئاً من معنى علمهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هناك عنوانٌ في كتب الفلسفة يعرفهُ المتخصصون في الفلسفة، يعرفهُ دارسوا الفلسفة، ما تسمى بالمقولات، المقولات الكبرى، ما تسمى بالمقولات العليا بالمقولات العشر، لا أريد أن أتعب المشاهدين والمشاهدات بالمصطلحات الفلسفية وبالنظريات الفلسفية لكنني سَأُبَسِّط الكلام بقدر ما أتمكن لأجل توضيح معنى العلم، المقولات الفلسفية الكبرى، المقولات العشر أو المقولات التسع على اختلاف أراء الفلاسفة في ذلك، المقولات والتي قد يقع التعبير عنها في بعض الأحيان بالأجناس العالية أو بأجناس الأجناس، هذه المقولات هي عبارة عن نوع من

التصنيف، الآن في كل علم من العلوم يوجد هناك نوع من التصنيف وإلا كيف نستطيع أن ندرس أيَّ علم من العلوم ما لم يكن هناك تبويب وتصنيف للمعلومات التي يدرسها ذلك العلم، في كل علم من العلوم، في العلوم المختبرية، وفي العلوم الإنسانية، في العلوم النقلية، في العلوم العقلية، في أي علم من العلوم هناك تبويب وتصنيف على أساسهِ تقسم مسائل العلم أو تُقسم الأمور التي يدرسها ذلك العلم، تحت عناوين معينة، مثلاً حين يأتي الدارسون فيدرسون الأمراض ألا يقسمونها إلى أنواع وإلى أنحاء، هناك الأمراض الجسدية التي تصيب الجسد، وهناك الأمراض النفسية، وهناك الأمراض العقلية، الأمراض العقلية باب واسع، الأمراض النفسية باب واسع، الأمراض الجسدية باب واسع، وهكذا في كل باب من هذه الأبواب أنواع وتصنيفات وهكذا في كل علم من العلوم.

في الفلسفة هناك تصنيف للأشياء التي تدرسها الفلسفة، والفلسفة الإلهية بشكلٍ عام بنحوٍ عام إنما تتناول دراسة الوجود، تتناول دراسة الموجودات، فهناك تقسيم للموجودات بعدة لحاظات، لحاظ من هذه اللحاظات أو نوع من أنواع التبويب نوع من أنواع التصنيف لدراسة الوجود لدراسة الموجودات وطبائع الموجودات وما يرتبط بها وما يؤدي إلى تصنيفها وتنويعها هناك تبويب هناك عناوين تسمى باسم المقولات، ولا أريد أن أخوض كثيراً في هذه المسألة، أحدى هذه المقولات يُصطلح عليها الكيف، مصطلح الكيف، ومصطلح الكيف مشتق في أصلهِ من أداة الاستفهام كيف، مصطلح الكيف في أصله مشتق من أداة الاستفهام كيف، كيفَ عن أي شيءٍ نسأل بها؟! حينما نقول: كيف هو الأمر الفلاني، السؤال يكون عن حالة ذلك الأمر وطبيعته التي يتهيأ منها ويتهيأ بها، فحينما نتحدثُ عن كيفية شيءٍ من الأشياء، ما يقال له كيفية ذلك الشيء يقع تحت هذا العنوان الكيف ويقال الكيفيات، والكيفيات على أنحاء هناك الكيف المحسوس، الكيف المحسوس أيضاً ينقسم بانقسام الحواس بحسب المشهور هناك الحواس الخمس، الإنسان يمتلك حواس كثيرة لكنني لستُ بصدد الدخول في هذا الموضوع، فلنتحدث عن الحواس الخمس، فلنتحدث عن حاسة الذوق مثلاً الآن نحنُ حينما نتحدثُ عن السكر فبأي شيءٍ نَصِفُ السكر؟ حين نتحدث عن كيفية السُكر، عن كيف السكر، عن حالة السكر، عن طبيعة السكر، نَصِفُ السكر بالحلاوة وهذا أول شيءٍ يتبادر إلى أذهاننا حين نتذكر السكر سواء كان هذا التذكر لفظي أو هذا التذكر ذهني، مجرد أن نتذكر السكر يتبادر إلى أذهاننا مباشرةً الحلاوة، هذه الحلاوة توجد لها صورة في ذهن الإنسان وهي

الصورة الذهنية للسكر، السكر شيءٌ حلو هذه الصورة محفوظة في خُزانة الذاكرة العلمية للإنسان، لكن كيف وصلت هذه الصورة إلى الذهن البشري؟

هناك قدرة عند الإنسان، أنا شخصياً أصطلح عليها بالقدرة الانتزاعية، هناك قدرة عند الإنسان أسميها القدرة بالانتزاعية، القدرة الانتزاعية الله سبحانه وتعالى وهبها للإنسان وحتى للحيوان وحتى للنبات، لكن الحديث عن الإنسان والقدرة الانتزاعية عند الإنسان في أعلى درجاتها لو قيست بالنسبة للحيوانات وبالنسبة للنباتات، القدرة الانتزاعية قدرة وقوة عند الإنسان من خلالها يستطيع الإنسان أن ينتزع معاني أن ينتزع صور من الأشياء المحيطة به التي يؤثر فيها أو يتأثر بها، سواء كان الإنسان فاعلاً فيها أو منفعلاً بها، حينما أقرب من فمي قطعةً من السكر وحينما أدخلها في فضاء فمي وتبدأ هذه القطعة بالذوبان في أول عملية هضم لها في جوف الفم تبدأ هذه القطعة من السكر بالذوبان فاستشعر بسبب حاسة الذوق وبسبب القدرة الموجودة في الشعيرات العصبية وفي القدرة العصبية الموجودة في فم الإنسان وفي شفتي الإنسان وفي لسان الإنسان الآلية التي جعلها الله سبحانه وتعالى لتذوق المطعومات والمشروبات عند الإنسان، هذا السكر كيفَ نقل لي طعم حلاوته؟

أنا أملك وسائل لتلمس ولتذوق الحلاوة لكن السكر كيف نقل لي هذا الطعم!! يقولون في الفلسفة بأن هذا السكر، هذا المحسوس الذوقي، هذا السكر فعل في مجاورهِ شيئاً أن نقل إليه بعض خصائصهِ، السكر في طبيعتهِ هو حلو، فحينما وجد في فضاء فمي وبدأ بالذوبان السكر نقل طبيعتهُ شيئاً مشابهاً من طبيعتهِ، وإلا لم ينتقل السكر إلى حاسة الذوق عندي، الذي انتقل إلى حاسة الذوق هو شيء من طبيعة السكر، أنا أخذت السكر فتناولتهُ فذاب السكر في فمي فأحسست بحلاوتهِ، السر في ذلك أن السكر نقل إلى حاسة الذوق عندي شيئاً من طبيعتهِ، ما سميتهُ قبل قليل بالقدرة الانتزاعية، الحقيقة ليس هو السكر الذي نقل لي وأنما قالت الفلسفة في بعض جهاتها هكذا، وإنما إذا أردت أن أصف الأمر بالدقة هناك قدرة انتزاعية موجودة عند الإنسان يستطيع الإنسان أن ينتزع خصائص الأشياء بهذه القدرة، فإذا كان هذا السكر حلواً ووُجد في فضاء الفم قريباً من الملامس الذوقية، هذه الملامس الذوقية الموجودة عند الإنسان، هذه القدرة الذوقية الموجودة عند الإنسان موجودة فيها مودعة في داخلها قدرة انتزاعية لانتزاع صورة مطابقة للأصل السكري، وبعد ذلك هذه الإشارات التي أخذتها هذه اللوامس الذوقية تُنقل عِبرَ الأعصاب في

موجات في إشارات إلى الذهن البشري فتُخزن هناك، هذه العملية هذه الحالة هذه الصورة تسمى في الفلسفة بالكيف المحسوس، يعني أن السكر فعل في مجاورهِ شيئاً يشبه طبيعة السكر، كما هو الحال مع النار، النار حينما تُسَجَّر في مكان فإنها سَتُدفيء ما حولها كيف أدفأت ما حولها؟ أنها نقلت شيئاً من خصائصها إلى الجو الملامس لها، النار نقلت شيئاً من كيفيتها، وهكذا وهناك الكيف المسموع للصوت وهناك الكيف المرئي نحن كيف نرى الأشياء؟ قديماً كانوا يقولون بأن العين هي التي ترى الأشياء ولكن العلم الحديث أثبت أن العين لا تستطيع أن ترى الأشياء من دون النور، النور الضوء هو الذي ينقل صور الأشياء إلى العين، هذا كيفٌ مرئي لا أريد الحديث كثيراً في هذه القضية، إنما أردت أن أقرب المعنى، أين موقع العلم من هذا؟ العلم يقولون عنه بأنهُ كيفٌ نفساني، إذا كان السكر يعطينا كيفاً محسوساً، العلم هو كيفٌ نفساني، الكيف النفساني يعني الذي يكون خارجاً عن الحواس، طبعاً هناك عندنا علم من طريق الحواس، وتلك مسألة أخرى ولا أريد الخوض فيها لا أريد الخوض في كل هذه الجزئيات والتفصيلات، العلم كيفٌ نفساني يعني أن الإنسان عنده قدرة على انتزاع صورة من الأشياء المحيطة بنا، هذه الصورة المنتزعة من الأشياء المحيطة بنا أين تكون؟ تكون في الذهن البشري، تكون في الحافظة، في الذاكر العلمية للإنسان، ما هي طبيعة هذه الصورة؟ طبيعتها أنها كيفٌ نفساني، مثل ما أن السكر نقل لنا بالكيف المحسوس طبيعة حلاوتهِ، الأشياء المحيطة بنا نقلت إلينا صورها بأي طريقة؟

بطريقة الكيف النفساني يعني الأشياء المحيطة بنا نقلت هذه الصور إلى نفوسنا إلى العالم النفسي إلى العالم الروحي إلى العالم العقلي للإنسان، فهذا هو الكيف النفساني، يُقال بأن العلم يقع تحت مقولة الكيف النفساني، باعتبار أن العلم حقيقة موجودة في حياتنا، فحينما تأتي الفلسفة لدراسة هذه الحقيقة تحت أي مقولة تحت أي بابٍ تُصَنِّفُها؟ إنها تُصَنِّف ذلك تحت مقولة الكيف وبالدقة تحت مقولة الكيف من النوع النفساني، إذاً العلم كيفٌ نفساني، وهنا وقع النقاش بين الفلاسفة قديماً ومنذ زمن الإغريق وقع هذا النقاش بأن هذه الصور الموجودة في ذهن الإنسان، هذه الصور هل هي المعلومات بنفسها أم هي خيال وظل للمعلومات، فقالوا لو كانت هذه الصور هي المعلومات بنفسها وبحالها لترتبت الآثار الواقعية والخارجية على هذه الصور في ذهن الإنسان، نحن حينما نتصور الثلج فهل نستشعر ببرودتهِ؟ لا نستشعر ببرودتهِ، يعني لو كان الثلج بنفسهِ موجوداً في أذهاننا لأحسسنا ببرودتهِ لكننا لا نملك في أذهاننا ثلجاً حقيقياً وإنما نملك في

أذهاننا صورة، وهذه الصورة منتزعة وتحمل الحقيقة، ولذلك من هنا حدث الاشتباه في الفكر السفسطي أو السفسطائي الذين قالوا بأن ما هو موجود في ذهن الإنسان لا يمثل الحقائق الخارجية، لماذا قالوا بأن الموجود في ذهن الإنسان لا تترتب عليه الآثار الموجودة في الواقع الخارجي، يعني حينما نتصور النار فإننا لا نستشعر حرارتها ولا نحترق بها وإنما نملك صورةً ظلية، ومن هنا قالوا بأن الموجود في الذهن البشري لا يمثل معرفةً حقيقية، ولذا قالوا بأن الإنسان لا يملك طريقاً للعلم بالواقع، لماذا؟ لأن الواقع لا يدخل في ذهن الإنسان وإنما الذي يدخل في ذهن الإنسان مجرد صور وخيالات، وأنا لا أريد الخوض في هذه القضية، قبل قليل أشرت إلى القدرة الانتزاعية، هذه القدرة الانتزاعية الموجودة عند الإنسان إنما تنتزع الصورة الحقيقية للشيء.

الله سبحانه وتعالى أودع هذه القدرة عند الإنسان وأودعها في جميع جنبات وجهات الإدراك البشري، إن كان هذا الإدراك بالمستوى العقلي والمستوى العقلي على درجات وعلى مراتب، وإن كان هذا الإدراك بالمستوى الوجداني والقلبي وأيضاً الإدراك الوجداني على درجات ومراتب، وإن كان هذا الإدراك بالمستوى الحسي والحواس كثيرة ولا يشتبه عليك إن الحواس فقط هي الخمس، أنا أأتي بمثال مثلاً حينما يتغير الزمان على الإنسان أو يتغير المكان ويحس الإنسان بتغير الزمان والمكان لو نظر الإنسان بدقة لوجد أنهُ يملك حاسةً يستشعر بها تغير الزمان وتغير المكان من غير هذه الحواس المعروفة، حينما نرفع شيئاً ثقيلاً وآخر خفيفاً فنستشعر الفرق في وزن هذه الأشياء بأي حاسةٍ استشعرنا ثقل الشيء وخفته؟

ليس بالحواس الخمس ولا بحاسة إدراك تغير الزمان والمكان هناك حاسة أخرى عندنا نميز بها الشيء الثقيل من الخفيف، هناك العشرات والعشرات والعشرات من الحواس الموجودة عند الإنسان، فهناك الإدراك العقلي بمراتبهِ، وهناك الإدراك الوجداني بمراتبهِ، وهناك الإدراك الحسي بمراتبهِ الكثيرة جداً، وهناك الإدراك البصيرتي الإدراك الذي يرجع إلى البصيرة، وهناك الإدراك المشترك، هناك الإدراك المشترك وهو الإدراك الإنساني، هناك إدراك عند الإنسان تجتمع فيه كل هذه المدارك، قطعاً هناك الإدراك الفطري وهناك معاني أخرى للإدراك ولمراتب الإدراك، هناك الإدراك الإلهامي وقد يكون الحدَس من أوائل مراتب ودرجات الإلهام، وإن كان الإلهام في درجاتهِ العليا لا يشبه الحدَس، حقيقة أخرى، قضية أخرى، فهناك مراتب كثيرة للإدراك البشري هذه المراتب الكثيرة من الإدراك البشري هي التي تعطي للإنسان القدرة بسبب ما فيها من قدرة انتزاعية على معرفة الحقائق في الواقع، سواء كانت هذه الحقائق موجودة بوجودٍ خارجي في العالم الخارجي،

أو موجودة بوجودٍ ذهني في العالم الذهني، وهذه الموجودات الموجودة في الواقع الخارجي سواء كانت مادية أو كانت برزخية أو كانت غير ذلك من المراتب الخلقية الأخرى، فعلم الإنسان إنما يكون تصوره بهذه الهيئة، بهذه الحالة هو كيفٌ محسوس.

أما علم الله سبحانه وتعالى فذلك شيءٌ آخر لا ينطبق عليه هذا الكلام، علم الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يُقال بأنهُ علم انتزاعي، علمي أنا وعلم المشاهد علم انتزاعي، بالقدرة الانتزاعية ننتزع الحقائق الموجودة في الواقع الخارجي، في الواقع بشكل عام، وكل حقيقةٍ إن كانت خارجية أو ذهنية بحسبها، وأساليب الانتزاع المودعة عند الإنسان تختلف ما بين العقل والوجدان، وما بين الحواس وما بين البصيرة، وغير ذلك من قوى الإدراك البشري، علم المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، علم المعصوم أيضاً ليس هو من هذه الرُتبة، والروايات والأحاديث تُحدِّثُنا عن خصائص علم المعصوم، قطعاً أنا لا أنفي وجود القدرة العقلية والقدرة الوجدانية والقدرة الحسية وقدرة البصيرة، ما عند الناس من قدرات عند المعصوم في وجودهِ البشري، هذه القدرات موجودة لأنها من كمال خلقة الإنسان بما هو إنسان في العالم الأرضي، وإن كان المعصوم لا يحتاجُ إلى هذه القدرات لكنها كبقية أعضاء الجسد، علم المعصوم أعلى رتبةً من هذه القدرات ومن هذه المراتب، قد يتعامل المعصوم صلوات الله وسلامه عليه بهذه الأمور وفقاً لحياتهِ في المجتمع البشري ووفقاً للقانون وللقاعدة التي يعمل بها المعصوم مع الناس من أنهُ يعيشُ معهم على أساس المداراة، وهذا موضوعٌ آخر لا أريد الخوض فيه، لأن المداراة أوسع من أن تكون في حدود اللفظ أو في حدود الكلام أو في حدود بيان المطالب العلمية، المداراة موضوع أوسع من هذه القضية، قد أتناولهُ في وقتٍ آخر في بحثٍ آخر وأبين أن المعصوم عليه السلام يعيش مع الناس وفقاً لقاعدة المداراة ووفقاً لقانون المداراة.

فتبين لنا من خلال هذه المقدمة أنَّ حقيقة العلم الذي نملكهُ من الوجهة الفلسفية هو كيفٌ نفساني، مثل ما يؤثر السكر في ألسنتنا في شفاهنا في فضاء الفم فيؤثر فينا بشيء يشبه طبيعة وخصائص السكر، كذلك الأشياء المحيطة بنا حينما نوجه أنظارنا إليها تؤثر فينا تأثيراً بنحو الكيف النفساني فتنتقل إلينا هذه الصور والوسيلةُ عبر القدرة الانتزاعية الموجودة عند الإنسان المودعة في كل مدارك الإنسان، ومع ذلك فهناك تقسيمٌ آخر لعلمي ولعلم المشاهد، هناك ما يسمى بالعلم الحصولي، وهناك ما يسمى بالعلم الحضوري، ولا أريد التفصيل كثيراً في هذه القضية بشكل سريع أقول، ما يسمى بالعلم الحصولي بالنسبة للإنسان لي

ولأمثالي، أن تنطبع صورة المعلوم عند الإنسان، مثل الكثير من المعلومات، مثل هذه المعلومات التي أتحدث الآن إليكم بها، هذه المعلومات قطعاً لا أستطيع أن أذكرها ما لم تكن هناك صور لها موجودة في ذهني، هناك صور للمعلومات، العلم الذي يكون بهذه الحالة بهذه الهيئة صور للمعلومات في ذهن الإنسان يسمى بالعلم الحصولي، وهناك علم آخر وهو العلم الحضوري، العلم الحضوري أن يكون المعلوم حاضراً بنفسهِ، بالنسبة للإنسان كيف يتحقق هذا المعنى؟ علمي بنيتي هذا علم حضوري لأن النية موجودة عندي، علم الإنسان بنفسهِ وبحالاتهِ النفسية هذا علم حضوري، فالمعلوم هنا حاضر بنفسهِ وليس صورة المعلوم، الآن مثلاً حينما أتحدث عن القمر أو عن الشمس، هل الشمس حاضرة عندي موجودة في داخلي، في داخلي الإنساني!! الشمس غير حاضرة إنما الموجود في ذهني هو صورة الشمس، العلم بالشمس بالنسبة لي هو علم حصولي لماذا؟ لأن الحاصل عندي الحاصل في ذهني هو صورة المعلوم، لكن علمي بنيتي نيتي موجودة عندي، علمي بنيتي هو علم حضوري.

علم المعصوم يكون من هذه المرتبة، الأشياء حاضرة عنده، المعلومات حاضرة بنفسها وهذا هو علم الإحاطة أن الأشياء حاضرة بنفسها عنده ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ هذه الرؤية تستند إلى العلم الحضوري ولا تستند إلى العلم الحصولي لأن هذه الرؤية بسبب الإحاطة، يعني أن المعصوم أعطاه الله سبحانه وتعالى قدرة أن يحيط بهذه المعلومات بنفسها لا بصور المعلومات، كما أني قادر على أن أحيط بنيتي، أليس الآن أنا محيط بنيتي ونيتي حاضرة عندي، المعصوم نيات الخلائق أعمال الخلائق حاضرة عنده وإلا ما معنى هذه الرؤية؟ ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ طبعاً هذا التقريب للعلم الحضوري بالنسبة للإنسان يكشف عن حقيقة علم المعصوم بنحوٍ يسير جداً، علم المعصوم أرقى رتبةً من هذا العلم، لكنني كيف أحاول تقريب المعنى لنفسي ولمن يستمع لي، كيف أقرب المعنى، لابد أن أحتاجَ إلى وسائل إيضاح، لابد أن أحتاج إلى آلياتٍ لتوضيح المطلب، لذلك أنا جئت بهذه المقدمة ابتداءاً من الكيف النفساني ومن ثم دخلت إلى العلم الحصولي والعلم الحضوري وكل ذلك إنما هو عن طبيعة علم الإنسان العادي، علمي وعلمك، أما علم المعصوم فهو من نحوٍ آخر، علم المعصوم حتى لا يمكنني أن أقول بأنهُ علم حضوري كالعلم الحضوري الذي هو عندي كعلمي بنفسي، علم المعصوم يمكن أن أصطلح عليه

بالعلم الحضوري بما يناسبهُ هو، حين يقول سيد الأوصياء – **ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعهُ وفيه** – هذا اختراق لحقائق الأشياء، هذا اختراق، ما رأيتُ شيئاً، القضية ليست قضية روحانية كما يريد البعض أن يصورها بأن الإمام عليه السلام يعيشُ في حالةٍ روحانية فهو إذا نظر إلى الأشياء من باب أن الآثار تدل على المؤثر، متى كان أهل البيت يتعاملون مع الآثار!! وأنا أقرأ في أدعيتهم التي علموني إياها في دعاء سيد الشهداء في يوم عرفة – **إلهي ترددي في الآثار يوجب لي بُعد المزار** – إذا كان هذا المعنى يصح لي ولأمثالي فمتى تردد عليٌّ في الآثار؟!

حين يقولها عليٌّ: **ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعهُ وفيه**. هذا اختراق، اختراق لحقائق الأشياء وتلك هي الإحاطة، في دعاء البهاء في دعاء السحر وليالي شهر رمضان قادمة ويستحب قراءتهِ، القراءة لا تكفي – **ألا لا خير في قراءةٍ ليس فيها تدبر** – القراءة تحتاج إلى تدبر – **اللَّهُمَّ إني أسألك من علمك بأنفذهِ** – علم نافذ، علم اختراقي، يقال سهمٌ نافذ، السهم النافذ السهم الذي يخترق الهدف يصيب الهدف ثم يخترقهُ، يقال نفذ السهم، دخل السهم في الهدف في الغرض الذي رُمي إليه فاخترقهُ – **اللَّهُمَّ إني أسألك من علمك بأنفذهِ** – الحديث هنا ليس عن العلم في الذات الإلهية لا يوجد في العلم في الذات الإلهية مراتب – **اللَّهُمَّ إني أسألك من علمك بأنفذهِ** – يعني هناك علم نافذ وعلم أنفذ، الحديث هنا ليس عن علم الذات الإلهية، فعلم الذات الإلهية ليس فيه مراتب، علمهُ واحد، علمهُ ذاتهُ، ذاتهُ علمهُ – **اللَّهُمَّ إني أسألك من علمك بأنفذهِ** – يعني هناك علم نافذ وهناك أنفذ، وهل هناك من علم أنفذ من هذا العلم؟ من علم عليٍّ – **ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعهُ وفيه** – قد أُقَرِّبُ لك المعنى، حينما يكون أمامي قطع من الثلج، أمامي أو أمامك أمام الناس، حينما يكون أمامنا قطع من الثلج نحن نعلم بأن هذا الثلج إنما هو ماء ولكن هذا الماء بسبب انخفاض درجة الحرارة تقلصت المسافات الجزيئية فاقتربت جزيئات الماء من بعضها فحين اقتربت هذه الجزيئات من بعضها ضعفت الحركة الجزيئية، سرعة الحركة الجزيئية تباطأت، المسافات فيما بين الجزيئات قلت بسبب درجة الانخفاض في درجة الحرارة، قلّت المسافات بين الجزيئات مما أدى إلى التباطؤ في سرعة حركة الجزيئات فتماسكت الجزيئات فيما بينها فصار الماء ثلجاً، الثلج ماء، والماء نحن نعلم بأنهُ مؤلفٌ من الهيدروجين والأوكسجين، ورمزهُ معروفٌ لديكم $H_2O$ في كل جزيئةٍ من جزيئات الماء هناك ذرتان من الهيدروجين وذرة من الأوكسجين، ذرة الأوكسجين

كبيرة وذرتا الهيدروجين صغيرتان، فهناك ذرة الأوكسجين الكبيرة وذرتا الهيدروجين الصغيرتان، فحينما يخترق النظر العلمي هذا الثلج أين يصل، الثلج أصلهُ ماء، أصل الماء هيدروجين وأوكسجين، الهيدورجين والأوكسجين ما هما؟ غازات وإنما تكون الأشياء غازات المواد غازات بسبب التباعد بين ذراتها بين جزيئياتها وبسبب الحركة السريعة كلما ازدادت سرعة الجزيئات والذرات وتباعدت فيما بينها تحولت الأشياء إلى غازات، والهيدروجين والأوكسجين يتألف من ذرات، وهذه الذرات فيها نواة، والنواة فيها نوية وهناك الموجودات التي تدور في فلك الذرة هذه الأجزاء الصغيرة من الألكترون البروتون النيوترون وأنواع كثيرة الآن اكتشفت من الجسيمات الصغيرة، الآن في العلوم الحديثة اكتشفت أنواع كثيرة من الجسيمات الصغيرة، هناك من يقول يحتمل أن يُكتشف في هذه الذرات مليارات من الجسيمات الصغيرة في الأزمنة القادمة، الآن يقولون بأن هناك أكثر من 250 نوع من أنواع هذه الجسيمات اكتُشِفت ولم توضع لها أسماء وإنما وضعت لها أرقام، ما حقيقة هذه الجسيمات؟

إنها نحوٌ من أنحاء الطاقة، نحوٌ من أنحاء الطاقة الكهرومغناطيسية، ما حقيقة الطاقة الكهرومغناطيسية؟

لا أحد يعرف ما وراء ذلك لكن لو رجعنا إلى الروايات تقول الروايات بأن أصل الأشياء إنما هو نور ولكن ليس نوراً حسياً، هذا النور تشكل وظهر في ظهورات ومراتب وفي أسفل هذه المراتب ظهرت هذه الوجودات المادية في العالم الطبيعي، فهذه تجليات من هناك، مقصودي إن الناظر إلى قطعة الثلج هذه بالنظر العلمي المحدود يمكن ان يصل إلى تلكم الأبعاد، هذا وعلم الإنسان علم محدود وعلم من النوع الحصولي وهو حصول صورة المعلوم في ذهن الإنسان، ومن النوع الكيفي النفساني، وعلم المعصوم يختلف عن ذلك، المعصوم عنده إحاطة بنفس المعلوم، وهذه الإحاطة ليست إحاطة تمَلُّك وإنما إحاطة نفاذ، ليس فقط يحيط به كي يمتلكهُ كإحاطة المالك للملك في العالم الدنيوي – **اللَّهُمَّ إني أسألك من علمك بأنفذهِ** – حينما نقول بأن القرآن هو تبيانٌ لكل شيء، كل هذه الحقائق التي جاءت في القرآن، القرآن تحدث عن الله وتحدث عن السماوات وتحدث عن الملأ الاعلى وتحدث عن العوالم الطبيعية الأخرى وعن الإنسان وعن كل شيء، المعصوم حين يعلم بهذه الحقائق لا يعلم كعلمي بها بأن تكون هناك صور في الذهن، وإلا ما الفارق إذاً بيني وبينه؟! لماذا صار هو الحجة عَلَيَّ، المعصوم لماذا أعطي الولاية التكوينية؟ إذا كان علمهُ كعلمي مجرد صور في الذهن، إنما نظرهُ نافذ في الأشياء – **اللَّهُمَّ إني أسألك من علمك بأنفذهِ** – وأنا

جئت بهذا المثال حينما نأخذ قطعة من الثلج هذا نوعٌ من النفاذ العلمي ولكن محدود، حينما أنظر إلى الثلج بأنهُ ماء، والماء يحلل إلى كذا وكذا إلى آخر ما ذكرتُ من المثال، المعصوم حينما يحيط بالأشياء فإنما يُدركها هكذا كما قال سيد الأوصياء وبلسان الإشارة – **ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعهُ وفيه** – فإن نظرةُ نافذ، نظرةُ ثاقب، هذا اختراق، هذا هو النفاذ، هذا هو العلم الأنفذ، فهو لا يرى شيئاً إلا ويرى أصل حقيقتهِ، وهذه نظرة لا يمكن أن نتصورها لأننا لا نملكها وإنما كل هذا الكلام أمثلة وعبارات تقرب المعاني لعلنا نتلمس شيئاً من علم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، من علم عليٍّ وآل عليّ، والموضوع طويل، الموضوع عريض، الموضوع لا يمكنني أن أحيط به بعُجالة في ساعةٍ في ساعتين في ثلاث ساعات، هذا الموضوع من أوسع الموضوعات، لكنني سأحاول أن أُلملم أطراف الحديث بعد هذه المقدمة التي بينت فيها جانباً من معنى العلم.

أذهبُ إلى كتاب الله الكريم لأعيش شيئاً ما بين آياتهِ الشريفة، في سورة البقرة وفي الآية الخامسة والخمسين بعد المئتين وهي آية الكرسي، الكرسيُ الذي يحيط بالسماوات والأرض، ماذا تقول هذه الآية؟

﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ** ﴾ من هنا ننطلق في البحث من هذه الآية، العلم هو علم الله وليس من مخلوقٍ أن يحيط بشيءٍ من علمهِ، وليس بعلم الله ﴿ **إِلَّا بِمَا شَاءَ** ﴾ إلا أن يشاء هو سبحانه وتعالى، القاعدة من هنا تبدأ حين نريد الحديث عن علم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد يبدأ الكلام من هنا وينتهي الكلام هنا ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ** ﴾ هذا الكلام يَعمُّ مُحَمَّداً وآل مُحَمَّد ويَعُمُّ غيرهم، إذا دخل فيه مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد فمن غيرهم ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ** ﴾ لكنهُ هو استثنى قال ﴿ **إِلَّا بِمَا شَاءَ** ﴾ ثم تبين الآية جانباً من علمهِ ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ** ﴾ والكرسي تكون إليه السماوات السبع كالقطرة إلى البحر كالحلقةٍ في الفلات الواسعة المتسعة، الكلام هنا عن الآية ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ** ﴾ إذاً كل كلامنا سيتفرع على هذه القاعدة، هذا هو القانون والقاعدة الذهبية التي يبدأ منها الكلام وينتهي عندها الكلام ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ** ﴾ العلم علمهُ وهو المُشيءُ الذي إذا شاء أن

يهب علمهُ لمن يشاء فهو القادر على ذلك، هذه الآية تحتاج إلى تبَصُّر، تحتاج إلى تدبر ولا أجد وقتاً كافياً للوقوف عندها، ولكني أعتقد بأن من يهتم ممن يتابعني بهذه المباحث بهذه الموضوعات سيتدبر في هذه الآية ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء﴾ بدايتنا من هنا ونهايتنا هنا العلم علمهُ فقط، وهو الذي بيدهِ أن يعطي وبيدهِ أن يمنع، والاستثناء واضح، هذه الآية الأولى التي أقف عندها.

الآية الثانية هي في سورة الحجر المباركة الآية الحادية والعشرون ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ هناك خزائن وهناك قَدَرٌ معلوم، والقدر المعلوم مردهُ إلى العلم ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ ونحن نقرأ في الزيارة – **وَخُزّانَ الْعِلم** – وقلتُ الحقيقة تقول بأنهم هم خزائن الله ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ﴾ يعني لا يوجد شيء في هذا الوجود ﴿إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ هناك الخزائن ونُنَزِّله، والتنزيل وهو ظهورات الأشياء، نحن لنا ظهورات في العوالم العلوية وهذه الظهورات تنزلت حتى ظهرت بهذه الصورة الجسمانية في العالم الأرضي، أليس الروايات تحدثنا عن وجود صور لنا في عالم العرش وفي عوالم أخرى، وهذه الصور تنزلت شيئاً فشيئاً، تنزلت، تَنَزُّل، لها ظهورات تتناسب مع كل عالم من عوالم الله سبحانه وتعالى حتى ظهرت في العالم الأرضي ونزلت بِقَدرٍ معلوم ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾.

الرواية يرويها الشيخ المجلسي وهذا هو الجزء الثالث عشر من بحار الأنوار، في الصفحة: 330 ينقلها عن الشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه – **عن ابن محبوب عن مقاتل بن سليمان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لَمَّا صعد موسى عليه السلام إلى الطور فناجى ربه عزَّ وجلّ** – ماذا ناجى ربه؟ إمامنا الصادق يحدثنا – **لَمَّا صعد موسى عليه السلام إلى الطور فناجى ربه عزَّ وجل قال: يا ربي أرِني خزائنك، قال: يا موسى إنما خزائني إذا أردت شيئاً أن أقول له كُن فيكون** – الآية التي بين أيدينا ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهي الآية الحادية والعشرون من سورة الحجر، موسى لَمَّا صعد إلى الطور في الميقات – **يا ربي أرِني خزائنك، قال: يا موسى إنما خزائني إذا أردتُ**

**شيئاً أن أقول له كُن فيكون** – خزائني هي هذه، ومرَّ علينا في الحلقات الماضية كلام سيد الأوصياء الذي ينقلهُ أيضاً الشيخ المجلسي في البحار في الجزء الخامس والعشرين في حديث طارق بن شهاب، كلام سيد الأوصياء واضح وصريح وهو يتحدث عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد فيقول – **فهم سِرُّ الله المخزون وأوليائهُ المُقربون وأمرهُ بين الكاف والنون لا بل هم الكاف والنون** – في نسخةٍ أخرى – **فهم سِرُّ الله المخزون** – مخزون، خزائن، خُزَّانَ العلم – **فهم سِرُّ الله المخزون وأوليائهُ المقربون وأمرهُ بين الكاف والنون لا بل هم الكاف والنون** – هذه هي الخزانة، هذه الخزانة التي يتنزل منها كل شيءٍ وبقدرٍ معلوم، ولذلك قلتُ في أول حديثي بأن المراد من قول الزيارة الجامعة الكبيرة – **وَخُزّانَ الْعِلم** – هم خزائن علم الله، هم نفسهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هم في مقامهم الأول قبل الخلق هم الخزانة الأعظم، وهم في عالمهم الأرضي هم خزائنُ علم الله سبحانه وتعالى. ولذلك ليس غريباً أن نجد القرآن وهو يتحدث عنهم في سورة آل عمران في الآية السابعة وهو يصفهم بعد أن تحدثت الآية عن الكتاب:

﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ ﴾ إلى أن تقول الآية الشريفة ﴿ وَمَا يَعْلم تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلم ﴾ فجعل هناك مجموعة هم الراسخون في العلم، الله سبحانه وتعالى جعلهم خُزانة علمهِ لذلك التأويل ما هو التأويل؟ التأويل ليس كما يفهمه البعض وهو إعطاء معاني بعيدة عن اللفظ، التأويل إنما هو إرجاع المعاني إلى أوليتها – **ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعهُ وفيه** – فهل يعلم ذلك غير عليٍّ وآل عليّ، التأويل أوَّلهُ أرجعهُ إلى أوليتهِ إلى أصلهِ، ذلك النظر النافذ، العلم النافذ – **اللَّهُمَّ إني أسألك من علمك بأنفذهِ وكل علمك نافذ اللَّهُمَّ إني أسألك بعلمك كُلِّه** – التأويل هو ذلك العلم الأنفذ، ولذلك صار الأمر محصوراً بين الله وبينهم ﴿ وَمَا يَعْلم تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلم ﴾ والكلام هو الكلام.

حينما نذهب إلى سورة الرعد المباركة ونقرأ في الآية الثالثة والأربعين ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلم الْكِتَابِ ﴾ والآية واضحة ولا تحتاجُ إلى تفسير، فقط أشير إلى هذه النقطة أن الآية وحدت بين شهادة الله وبين شهادة هذا الذي عنده علم الكتاب، فحينما يؤتى بشهيدين

لابد أن يكون علمهما بالقضية نفسها بنفس العلم وإنما قيل للشاهد شاهد لأنهُ حاضر لأنه حضر القضية، وهذا هو العلم الحضوري، القضية حاضرة عند هذا الذي عندهُ علم الكتاب، لا حاجة للحديث عن علم الله، فعلم الله لا كلام فيه وهو واضحٌ ولا نعرف حقيقته، لكن الكلام عن الذي عندهُ علم الكتاب فالحديث عن خُزَّان العلم وهو سيدهم، هذا الذي عنده علم الكتاب جُعِلت شهادتهُ كشهادة الله، والشهود لابد أن يكونوا قد حضروا كيف حضر هذا الشاهدُ؟ حضر فقال – **ما رأيتُ شيئاً إلا ورأيت الله قبله وبعده ومعهُ وفيه** – هذه شهادة هذا الشاهد، هذا هو العلم الأنفذ، هذا هو علم مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، هذا علم عليٍّ وكفى أن أقول عليّاً.

الرواية في تفسير البرهان لسيدنا هاشم البحراني رضوان الله تعالى عليه، والروايات كثيرةٌ في بيان معنى هذه الآية ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ الرواية ينقلها السيد هاشم البحراني من تفسير علي بن إبراهيم عن عمر بن أذينة، أقتطف فقط هذه الرواية وإلا فالروايات كثيرة والوقت لا يكفي لإيرادها – **عن عمر بن أذينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السلام، وسُئِل عن الذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الذي عندهُ علم الكتاب؟ فقال: ما كان علم الذي عندهُ علم من الكتاب** – يعني آصف – **عند الذي عنده علم الكتاب** – يعني عليّاً – **إلا بقدر ما تأخذ البعوضةُ بجناحها من ماء البحر** – وقال الذي عندهُ علم من الكتاب، ذلك آصف، أنا آتيك به، يسألونهُ ما هو وجه المقايسة؟ الإمام يقول – **ما كان علم الذي عندهُ علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلا بقدر ما تأخذ البعوضةُ بجناحها من ماء البحر** – وهذا فيه إشارة أيضاً إلى حضور المعلوم، فإن البعوضة تأخذ شيئاً من ماء البحر، البعوضة لا تأخذ البحر، وإنما تأخذ شيئاً من ماء البحر، هي الصورة، صورة المعلوم، أما هو عندهُ البحر، المعلوم بنفسهِ، الرواية عميقة جداً فضلاً عن أنها تشير إلى الفارق في المقياس في الرتبة العلمية، لكن فيها إشارة دقيقة جداً، البعوضة أخذت قطرةً مثالاً من البحر.

حينما يسأل سائل فيقول ما هو البحر؟ وهو لم يكن قد رآه وليس قريباً حتى تتمكن أن تأخذهُ إليه تأتيه بقدحٍ من ماء فتقول البحر مكان فيه شيءٌ كثير من هذا السائل، هذه البعوضة أخذت قطرة وأما البحر فهو حاضرٌ عند صاحب البحر عند عليٍّ – **ما كان علم الذي عندهُ علم من الكتاب عند الذي عنده**

**علم الكتاب إلا بقدر ما تأخذ البعوضةُ بجناحها من ماء البحر** – إلى آخر الرواية الشريفة، الوقت لا يكفي حقيقةً لأن أورد الكثير من النصوص والكثير من الروايات لكنني أحاول أن ألملم أطراف حديثي عَلَّني أوفق في أن أعطي المشاهدين والمشاهدات من محبي أهل البيت صورةً عن المعنى ولو كانت هذه الصورة بعيدة، والعذرُ إليكم والعذرُ عند كرام الناس مقبولُ، العذرُ إلى إمام زماني أولاً والعذر إليكم من التقصير والقصور في بيان هذه.

الآية التاسعة والثمانون من سورة النحل المباركة ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ هذا التبيان لكل شيء هل هو في صور المعلومات؟ أو هو في حقائق المعلومات؟ هناك إحاطة بهذه المعلومات، المعلوم هو الشيء الموجود في الواقع كان في الواقع الخارجي في الوجود الخارجي أو في الوجود الذهني، في العوالم السفلية أو في العوالم العلوية ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ لكل شيء، كل شيء يشمل كل موجود، وهذا الكتاب تبياناً، لو رجعنا إلى ألفاظ الكتاب هل في ألفاظ الكتاب هناك تبيانٌ لكل شيء، هذه الألفاظ مفاتيح، مفاتيح توصل إلى حقائق أوسع وأعظم، وقد ذكرت مِراراً بأن الحكماء يقولون بأن هذا الكتاب التدويني هو صورةٌ عن الكتاب التكويني ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ وهذا هو المعنى نفسهُ الذي نجدهُ في سورة يس المباركة حينما نقرأ في الآية الثانية بعد العاشرة ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ المخالفون يفسرون الإمام المبين بالقرآن، هناك أراء أخرى، حتى لو كان هذا الكلام أن الإمام المبين هو القرآن يعني أن كل شيء قد جاء مذكوراً في القرآن، والكلام السابق يأتي مسترسلاً مع هذه الآية. أما في رواياتنا الإمام المبين هو عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه، وعندنا روايات عديدة وكثيرة عن النبي وعن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أن المراد من الإمام المُبين هنا عليٌّ صلوات الله وسلامه عليه ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ .

هناك آية في سورة الأنعام تفسر لنا هذا المعنى، في سورة الأنعام الآية التاسعة والخمسون ماذا تقول هذه

الآية؟ ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمهَا إِلاَّ هُوَ﴾ هذه المفاتح هي مفاتح الخزائن، والخزائن هي المفاتح، هذه خزائن الله، أهل البيت هم خُزَّانُ الله وهم خزائنهُ وهم مفاتحهُ ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمهَا إِلاَّ هُوَ﴾ ثم تبين الآية مصاديق أمثلة لتقرب المعنى ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾ ليس هذا كل الغيب، الدنيا وما فيها لا تعدل عند الله جناح بعوضة، هذا مثال من الأمثلة، الآية تقول ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ كل المفاتح ما قيمة الدنيا في مفاتح الغيب؟ لكن الدنيا هنا جيء بها مثال فالإنسان لا يرى إلا ما بين عينيه، كما يقال، يقول صلى الله عليه وآله صاحب الحاجة أعمى لا يرى ألا حاجته، ونحن أبناء الدنيا حاجتنا في الدنيا نحن عميان لا نرى إلا حاجتنا إلا هذه الدنيا، صاحب الحاجة أعمى لا يرى إلا حاجته، حينما يكون لشخصٍ حاجة عندك فإنهُ سيكون لحوحاً سيلح عليك كثيراً لأنهُ لا يرى إلا حاجته ويريد قضائها، أما الدنيا بالنسبة لنا هي حاجتنا الأولى والأخيرة، فصاحب الحاجة أعمى، نحن عميان في هذه الدنيا، لماذا؟ لأننا لا نراها إلا هي والقرآن يكلمنا بحسب حاجتنا ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ الكتاب المبين هو ذلك الإمام المبين ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ .

الإمام في لغة العرب تعني الجامع، ولذلك يقال أَمَّ الجماعة أي جمعهم، والكتاب أيضاً هو الجامع، يقال الكتيبة في الجيش لأنها مجموعة من الرجال، ويقال للكتابة كتابة لأنها مجموعة حروف وكلمات، الرواية ينقلها الشيخ المجلسي في الجزء الرابع من بحار الأنوار، ينقلها عن تفسير شيخنا العياشي رحمة الله عليه – **عن الحسين بن خالد قال: سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله:** ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُماتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ – الحديث عن هذه الآية أخذ موطن الشاهد – **قال: قلتُ: في كتابٍ مبين ما معناها؟ قال: في إمامٍ مبين** – الرواية نقلها العياشي في تفسيرهِ عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه – **قال: قلتُ: في كتابٍ مبين؟ قال: في إمام مبين** ﴿وَكُلَّ

شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ كما جاء في سورة يس المباركة ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ الكلام عن مفاتح الغيب.

وفي سورة الجن في الآية السادسة والعشرين والآية السابعة والعشرين ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ – والحديث هنا عن غيبٍ خاصٍ بالله الآية السابقة ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ ثم ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ لكن الآية هنا تتحدث عن غيبٍ خاص ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ إلى آخر الآيات الشريفة، فهناك مستثنى هو النبي وآلُ النبي، الله سبحانه وتعالى يُطلعهم على غيبه، هذه الآيات كلها إلى أي حقيقةٍ تشير؟ ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ هذه الآية تتحدث عن كل شيء، لا يوجد استثناء، الآية في سورة الرعد ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ والكتابُ كان تبياناً لكل شيء لا يوجد استثناء، والحديث هنا ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ وهو الغيب الخاص ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ الآيات القرآنية صريحة وواضحة تتحدث عن أي شيءٍ؟

تتحدث عن أن علمهم هو علم الله ولا يوجد هناك استثناء، حينما نتبصر في الآية الثالثة والأربعين من سورة الرعد ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ علم الكتاب يعني كل الكتاب، حينما نتبصر في هذه الآية ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ﴾ غيبهِ يعني على كل غيبهِ، على كل غيبهِ الخاص به ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ والآيات الباقية كلها تشير إلى هذه الحقيقة ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ هذا ليس غريباً وليس بدعاً من القول ونحن نتصفح آيات الكتاب الكريم، مثلاً في الآية الثالثة والأربعين من سورة النحل ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ من هم أهل الذكر؟ الذكر هو القرآن، لا كما يقول المخالفون أهل

الذكر هم اليهود والنصارى، يقول إمامنا صلوات الله عليه إذاً لأضلوكم، إذا سألتموهم إذاً لأضلوكم ولأخبروكم بأن الصواب أن تتبعوا دينهم ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ لا تعلمون يعني مطلق العلم، يعني أن أهل الذكر عندهم مطلق العلم ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ ثم الآية تبين ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ الذكر هنا هو القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ هنا السؤالُ يوجه لأهل الذكر فهل يمكن أن الله يأمر العباد بالرجوع إلى أهل الذكر وهم لا يعلمون، علمهم محدود، لابد أن يكون علمهم مفتوحاً مطلقاً واسعاً.

قد يقول قائل بأن هذه الآيات تتحدث عن العلوم الشرعية، القرآن أعمق وأوسع من أن يكون محصوراً في دائرة العلوم الشرعية، وهذا ما حَدَّثَ القرآنُ عن نفسهِ بذلك فقال هو تبيانٌ لكل شيء وما حدثتنا كلمات النبي والأئمة عن القرآن فوصفتهُ بأعظم الأوصاف، وليس الكلام الآن هنا عن خصوصيات القرآن، هذه هي الآية الثالثة والأربعون والرابعة والأربعون من سورة النحل ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ والآية التي بعدها بينت لنا ما معنى الذكر ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ في الآية السابعة من سورة الأنبياء أيضاً يأتي نفس المعنى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ نفس الكلام الذي مرَّ علينا في الآية السابقة من سورة النحل المباركة، ونفس الشيء في سورة الزخرف في الآية الثالثة والأربعين وفي الآية الرابعة والأربعين ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ – وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ في الروايات المراد من الذكر هنا عليٌّ وهو القرآن الناطق، والمراد في الآيات السابقة القرآن الكتابُ الصامت، ولذلك الذي يتدبر في الآيتين سيجد هذا المعنى واضحاً ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ حيثما جاء ذكر الصراط المستقيم جاء ذكرُ عليٍّ صلوات الله عليه ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ربما أعود مرةً أخرى إلى هذه الآيات الشريفة فأتناول شيئاً من معانيها ومن مضامينها، والحقيقة الأوسع والحقيقة الأكبر والحقيقة

الأوضح في الكتاب الكريم، حينما نقرأ الآية الثمانون بعد المئة من سورة الأعراف ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أقرأ الرواية من الكافي الشريف وهذا هو الجزءُ الأول – **عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجل:** ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ – ماذا قال إمامنا الصادق؟ هذه نفس الآية ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وهي الآية الثمانون بعد المئة من سورة الأعراف، في الكافي الشريف إمامنا الصادق يقول – **نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا** – والرواية في غاية الصحة لو أراد أحد أن يبحث في السند، وإن كنا لسنا بحاجة للدخول في مثل هذه المطالب – **عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزَّ وجل:** ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ **قال: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا** – الأسماء الحسنى هي التي شعت أنوارها في هذا الوجود، والأسماء الحسنى هي التي أشرق منها ومن فيضها كل موجود وهم الأسماء الحسنى، في العالم الأرضي هم مظاهر الأسماء الحسنى، وهم في العوالم الأولى هم حقائق الأسماء الحسنى، فإن الله سبحانه وتعالى حين تجلى فيهم تجلى بكل أسمائِهِ الحسنى، ولَمَّا تجلى بكل أسمائه الحسنى تجلى فيهم باسم العليم وتجلى بكل نورية العليم في حقائقهم الأولى فأعطاهم كل علمهِ، وإلى هذا أشارت الآيات، هم الأسماء الحسنى لله سبحانه وتعالى تجلى فيهم بأسمائِهِ الحسنى ومن اسمائه العليم، وأسمُ العليم حين يتجلى فيهم يتجلى فيهم كل العلم الإلهي، والآيات التي مرت كلها تشيرُ إلى هذه المعاني وكلها تشيرُ إلى هذه الحقائق، والكلام كما قلتُ قبل قليل طويلٌ وعريضٌ جداً في هذا الموضوع، فهذا الموضوع من أوسع الموضوعات، أحاول أن أشير إلى أمثلة أو إلى نماذج من الروايات التي تحدثت عن علم أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، على سبيل المثال مثلاً: هناك بابٌ في الكافي الشريف، وهذا هو الجزء الأول، بابٌ عنوانهُ أن الأئمة عليهم السلام ولاة أمر الله وخَزَنةُ علمه، وقد شرحتُ هذه الروايات في برنامجنا السابق في فناء الكافي الشريف، حيث كان من جملة حلقات ذلك البرنامج أن وصلنا إلى هذا الباب باب أن الأئمة عليهم السلام ولاة أمر الله وخَزَنةُ علمه، اقتطف رواية أو روايتين للتبرك فقط.

**عن عبد الرحمن بن كثير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: نحن ولاة أمر الله وخَزَنَةُ علم الله وعيبة وحي الله.** ورواية أخرى عن علي بن جعفر عن ابي الحسن موسى عليه السلام، علي بن جعفر هو اخو الإمام الكاظم عليه السلام – **عن أبي الحسن موسى عن إمامنا الكاظم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله عزَّ وجل خلقنا فأحسن خلقنا وصورنا فأحسن صورنا وجعلنا خُزَّانهُ في سمائهِ وأرضه ولنا نطقت الشجرة وبعبادتنا عُبِد الله عزَّ وجل ولولانا ما عُبِدَ الله** – لنا نطقت الشجرة شجرة الوجود، الشجرة الزيتونة المباركة التي هي لا شرقية ولا غربية، ومنها نبع زيتُ هذا الوجود ومنها أشرق النور في كل موجود – **وصورنا فأحسن صورنا وجعلنا خُزَّانهُ في سمائهِ وأرضه** – الروايات كثيرةٌ ووفيرةٌ جداً عن أهل بيت العصمة في هذه المضامين وأنهم خُزَّانُ الله وأنهم خزائنُ الله، لكن قد تقول لما جاء التعبيرُ دائماً في الروايات أو في أغلبها بأنهم خُزَّان؟

وأنا قلت بأنهم هم الخزائن، لأن الخُزَّان في لغة الناس وفي فهم الناس هم الذين لهم الولاية على الخزائن، الخُزَّان هم الذين لهم الولاية على الخزائن فهم يعطون وهم يمنعون، فهنا هذا اللسان يريد أن يبين معنى ولايتهم ومعنى قدرتهم ومعنى ما فَوَّض الله إليهم وإلا فهناك في تلكم العوالم لا فارق بين الخُزَّان والخزائن، فهم خُزَّانُ علم الله وهم خزائن علم الله وهم خُزَّانهُ على فيضهِ على سماواته وأرضهِ، هذه الرواية التي قرأتها قبل قليل عليكم – **وجعلنا خُزَّانهُ في سمائهِ وأرضه** – ليس على العلم هنا وإنما على الفيض، وحينما يكون على الفيض فهو على العلم في أصله، فكل شيءٍ في الوجود مَرَدُّهُ إلى العلم وأصلهُ إلى العلم، وحقيقة الوجود هو العلم – **وجعلنا خُزَّانهُ في سمائهِ وأرضه** – هذه خزائن الفيض، بينما الرواية الأولى نحن ولاة أمرهِ – **ولاة أمر الله وخَزَنَة علم الله** – الرواية الأولى كانت تتحدث عن أنهم خُزانة علم الله وخَزَنَة علم الله، والرواية الثانية تتحدث عن أنهم خُزَّانُ الفيض وأنهم خزائن فيض الله سبحانه وتعالى.

قد يُطالع المطالع في الأحاديث مثل هذه الروايات ما جاء في الكافي باب ما أعطي الأئمة من اسم الله الأعظم، الروايات التي تتحدث عن أن الاسم الأعظم هو ثلاثة وسبعين حرف وأُعطي الأئمة، أعطي النبي والأئمة اثنين وسبعين حرف هذه الروايات إنما تحدثت عن جانب وسكتت عن الجانب الآخر، والجانب الآخر تحدّثت عنه رواياتٌ أخرى، لا يصح أن نأخذ قسطاً أو جانباً أو جزءاً من الكلام ونترك بقية الكلام، أخذ مثلاً هذه الرواية، الروايات عديدة لكنني أخذ هذه الرواية – **عن الإمام الصادق عليه السلام يقول:**

**إن عيسى بن مريم أُعطيَ حرفين كان يعمل بهما، وأعطي موسى أربعة أحرف، وأعطي إبراهيم ثمانية أحرف، وأعطي نوح خمسة عشر حرفاً، وأعطي آدمُ خمسةً وعشرين حرفاً وإن الله تعالى جمع ذلك كلهُ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، وإن اسم الله الأعظم ثلاثةٌ وسبعون حرفا أُعطيَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآلهِ وسلم اثنين وسبعين حرفا وحُجِبَ عنه حرفٌ واحد** – حُجِبَ عنه حرفٌ واحد في أي مقام؟ في مقام النبوة، حينما نأخذ الكلام بالقياس إلى الأنبياء.

الكلام هنا عن حروف الاسم الأعظم لا يعني أن هذه الحروف متساوية، الرواية السابقة التي تسبق هذه الرواية والإمام يتحدث فيها عن آصف بن برقيا وكيف أنه كان يملك حرفاً واحداً والإمام يقول – **ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً وحرفٌ واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده** – مرت علينا قبل قليل أنهُ لا يُظهر على غيبهِ أحداً إلا من ارتضى من رسول هذا هو الغيب المقصود هنا – **ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً وحرفٌ واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم** – فهناك حرفٌ واحد استأثر به الله، قطعاً هذا الحرف الذي استأثر به الله سبحانه وتعالى تكون سعتهُ أوسع من الاثنين وسبعين حرف، لذلك أنا قلت بأن هذه الحروف ليست في نحوٍ واحد من المرتبة، وكل نبي أخذ شيئاً من هذه الحروف، وهذه الحروف التي أخذها أيُّ نبيٍ من الأنبياء لا يعني أنها تكون مساوية في المرتبة وفي العمقِ وفي السعة وفي المنزلة مع بقية الحروف، ربما يكون هناك حرف واحد هو أوسع من كل هذه الحروف وذلك الحرف الواسع هو الحرف الذي كان في علم الله المستأثر – **ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً وحرفٌ عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده** – استأثر به أي جعلهُ غيبهُ الخاص، وهذا ما قرأناه قبل قليل في سورة الجن المباركة في الآيات السادسة والعشرين والسابعة والعشرين ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ماذا تقول الرواية هنا؟ – **وحرفٌ واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب** – استأثر به أي جعلهُ خاصاً به والآية هنا تقول ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا* إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ هذا الغيب المستأثر هو الغيب الذي خصهُ الله بمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، هذه الروايات التي تتحدث عن الاثنين وسبعين حرفاً بمقايسة الأنبياء، أما الحرف الأوسع والحرف الأعظم فهو ذلك الذي استأثر به الله، وهذا

الحرف هو الذي أودعهُ عند مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وسيأتينا من الروايات ومن الأحاديث ما يشير إلى هذه المعاني، الله سبحانه وتعالى كان ولم يكن معه شيء ثم تجلى، تجلى في النور الأول حين تجلى في النور الأول تجلى بكل أسمائهِ الحسنى، فهو أجود الأجودين، هل يُعقل للإنسان المخلوق الضعيف أن يجود بنفسهِ، والجود بالنفس أقصى غاية الجود، هل يُعقل لهذا الإنسان أن يجود بنفسهِ فمن أين جاء بهذه القدرة على أن يجود بنفسهِ؟

العرفاء يقولون بأن أجود الجود الإلهي أنه جاد بنفسهِ، ما المراد أنهُ جاد بنفسهِ؟ العبارات مجازية، جاد بنفسهِ أنهُ تجلى بكل أسمائهِ في الحقيقة الأولى، والجود بالنفس أقصى غاية الجود، من أين جاء الإنسان بهذه المقدرة على أن يجود بكل ما عنده، هناك من الناس من عنده المقدرة ومن عنده الحب بأن يجود بكل ما عنده في سبيل من يحب، من أين جاء بهذه القدرة إن لم تكن من الأصل، كل ما عندنا هو من الأصل، هل يمكن أن يكون الإنسان يملك شيئاً في ذاتهِ في وجودهِ في خصائصهِ في طباعهِ في حالاتهِ وهذا الشيء لم يكن قد أتانا من الله سبحانه وتعالى؟! كل ما عندنا فهو من الله وإلى الله، الإنسان يجود بنفسهِ، هذه الخصلة من أين جاءت؟ جاءتنا من الله سبحانه وتعالى، ما المراد أن الله يجود بنفسهِ؟ قطعاً ليس المراد هذا المعنى الساذج المعنى البسيط المعنى المادي وإنما يتجلى هو أجود الأجودين يتجلى بكل أسمائهِ الحسنى في الحقيقة الأولى، فإذا تجلى بكل أسمائهِ الحسنى في الحقيقة الأولى تجلى بكل علمهِ في الحقيقة الأولى ولكن بما يناسب تلك الحقيقة – **لا فرق بينك وبينها** – كما في دعاء شهر رجب – **إلا أنهم عبادك وخلقك** – كما قال صادق العترة نحن الأسماء الحسنى، هم أسماء الله الحسنى، كيف كانوا أو انطبق هذا المعنى عليهم أنهم الأسماء الحسنى؟ لأن الله جاد عليهم أن تجلى في حقائقهم الأولى، أن تجلى عليهم وتجلى بهم وتجلى فيهم بأسمائه الحسنى وبكل أسمائهِ الحسنى، نحن الأسماء الحسنى، لا يوجد هنا استثناء كل الأسماء الحسنى تجلت في الحقائق الأولى لهم صلوات الله وسلامه عليهم، الروايات كثيرة جداً ربما أشير إلى بعض هذه الروايات، مثلاً هذه الرواية التي قد تختصر لنا الحديث، أيضاً في الكافي الشريف وهذا هو الجزء الأول – **عن عمر بن أذينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خلق الله المشيئة بنفسها** – المشيئة هنا عنوان للنور الأول – **خلق الله المشيئة بنفسها** – يعني خلقها متكاملةً، فكيف خلقها بنفسها؟ إنما خلقها بنفسها متكاملةً لأن كل الأسماء الحسنى تجلت فيها – **ثم خلق الأشياء بالمشيئة** – بعد ذلك الأشياء خُلِقت بهذه المشيئة، المشيئة

هنا ليس المراد منها الإرادة الصفة الإلهية، المراد من المشيئة هنا عنوان للنور الأول المتجلي، خلق الله المشيئة بنفسها متكاملةً، كيف كانت متكاملة؟ بحيث أنها لم تحتج إلى سبب – **يا مُسَبِّبَ الأسبابِ من غير سبب** – هذه العبارة تشير إلى هذه الحقيقة أنها كانت متكاملة لا تحتاج إلى سبب ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ من دون سبب ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ إنها تجلي القدرة الإلهية، إنها تجلي الأسماء الحسنى بكل مظاهرها ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ يا مُسَبِّبَ الأسبابِ من غير سبب – **خلق الله المشيئة بنفسها** – لأن الأسماء الحسنى قد تجلت بكلها فيها – **ثم خلق الأشياء بالمشيئة** – وكل الأشياء إنما هي مظاهر لكل الأسماء الحسنى، هذه الأشياء المحيطة بنا هي مظهر القدرة الإلهية، مظاهر القدرة الإلهية هي مظاهر كل أسماء الله الحسنى، فمن أين ظهرت ومن أين جاءت؟ جاءت من المشيئة، فالمشيئة هي مَجْمَعُ كل الأسماء الحسنى واسمُ العليم سيدها وأولها، واسمُ العليم متجلٍ في هذه المشيئة – **خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة** ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلم الْكِتَابِ﴾ مَنْ عِندَهُ عِلم الْكِتَابِ يعني أن عنده العلم المجموع، الكتاب هو المجموع، العلم الحقيقي، التجلي الأكمل، وذلك يظهر واضحاً في مُحَمَّدٍ وعليٍّ وآلهما الأطهار، والنصوص كثيرة، وهناك روايات كثيرة كنت أرغب أن أتلوها على مسامعكم ولكن يبدو أن الوقت قد انقضى منه الشطرُ الكبير لذلك أحاول أن اختصر المطالب المتبقية بقدر ما أتمكن.

المشية هذه هي التي جاء ذكرها في دعاء ليلة المبعث ليلة السابع والعشرين، وفي دعاء يوم المبعث يوم السابع والعشرين، في دعاء ليلة المبعث – **فأسألك به وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم** – هذا التأكيد والتركيز على هذا التقديس لهذا الاسم – **وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم** – الأعظم الأعظم الأعظم هذا الاسم هو مجمع كل الأسماء وإلا لماذا هذا التعظيم، صيغة أفعل التفضيل المُعَرّفة بالألف واللام، يعني لا يوجد شيء فوقه لا يوجد شيء أعظم منه من خلقه سبحانه وتعالى إلا الله – **وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته فاستقرَّ في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك** – فلا يخرج منك إلى غيرك هنا إشارة دقيقة جداً، أي أن هذا الاسم هو خزانة الله الحقيقية، وكل

الأسرار في هذا الاسم، لذلك هو مستقرٌ في ظلهِ فلا يخرج منه إلى غيره، هذا الاسم مخلوق وموصوف بأنهُ الأعظم الأعظم الأعظم بأنهُ جامع لكل الكمالات، وأول الكمالات هو العلم، فحين يوصف بأنهُ الأعظم الأعظم الأعظم يعني أن علم الله بكله قد تجلى فيه لذلك هو استقر في ظلهِ – **فاستقرَّ في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك** – ونفس الكلام في دعاء يوم المبعث – **وباسمك الأعظم الأعظم الأعظم الأجل الأكرم الذي خلقته فاستقَّر في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك** – تأكيد لنفس المعاني التي جاءت في دعاء ليلة المبعث، هناك تأكيد في دعاء آخر يقرأ في يوم المبعث، ومثل هذه المضامين في الأدعية شيءٌ كثير إنما أوردت هذا مثالاً على المعنى الذي أشرت إليهِ قبل قليل إن الله سبحانه وتعالى خلق المشيئة بنفسها، المشيئة هي هذه: الاسم الأعظم الأعظم الأعظم الذي استقر في ظله فلا يخرج منه إلى غيره، كل الأسماء أشرقت فيها، ومنها بعد ذلك أشرق كل فضل وكل خيرٍ في هذا الوجود.

أتناول نماذج من رواياتٍ وردت عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تكشف عن جوانب من معاني ما نحن بصدده، هذه الرواية يرويها الشيخ الصدوق في معاني الأخبار – **عن علي بن يقطين عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: والله أوتينا ما أوتي سليمان** – بالقياس إلى الأنبياء الكلام، وهذا في العالم الأرضي – **والله أوتينا ما أوتي سليمان وما لم يؤتى سليمان** – لماذا هنا أُخِذ سليمان كمثال؟ باعتبار ما صدر من سليمان ومن وصيه من العجائب – **والله أوتينا ما أوتي سليمان** – والناس دائماً مشدودة إلى الأمور الحسية – **والله أوتينا ما أوتي سليمان وما لم يؤتى سليمان** – فسليمان ما أوتي إلا الشيء القليل بالقياس إلى مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد – **والله أوتينا ما أوتي سليمان وما لم يؤتى سليمان وما لم يؤتى أحدٌ من العالمين** – إشارة إلى الحرف المستأثر، لأن هذا لم يؤته أحدٌ من العالمين، الكلام واضح وصريح – **والله أوتينا ما أوتي سليمان وما لم يؤتى سليمان** – وما جاء لبقية الأنبياء ولم يكن عند سليمان – **وما لم يؤتى أحدٌ من العالمين** – ومرت علينا الروايات إن لهم منازل ودرجات لا يحتملها لا نبيٌ مُرسل ولا مَلَكٌ مُقَرَّب، فمن يحتملها يا ابن رسول الله؟ قال: من شئنا، وحدهم هم يحتملونها، هذه رواية.

روايةٌ أخرى، هذا هو الجزء السادس والعشرون من بحار الشيخ المجلسي رحمة الله عليه – **عن عمر بن يزيد قال: قلتُ لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إني سألتُ أباك عن مسألةٍ أريد أن أسألك عنها،**

**قال: وعن أي شيءٍ تسأل؟ قال: قلتُ له عندك علم رسول الله صلى الله عليه وآله وكتبهُ وعلم الأوصياء وكتبهم؟ قال: فقال: نعم وأكثر من ذاك سل عمَّا بدا لك** – مراد الإمام وأكثر من ذاك لا يعني أن علمهُ أكثر من علم رسول الله، لكن لأن السائل حصر علم رسول الله فقط بمستوى علم الأنبياء – **قلت: له عندك علم رسول الله وكتبه وعلم الأوصياء** – يعني أخذ علم رسول الله بعلم الأوصياء يعني هذا المستوى من العلم كما مرَّ علينا قبل قليل في أحاديث الاثنين وسبعين حرف، لَمَّا جاءت الروايات وبينت لنا مقايسة عند آصف حرف واحد، عند عيسى حرفان، عند موسى أربعة، عند إبراهيم ثمانية، عند نوح خمسة عشر حرف، عند آدم خمسة وعشرين حرف، وعند مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد اثنان وسبعين حرف، هذه المقايسة باتجاه الأنبياء، أما الحرف المستأثر فذلك شيءٌ آخر، السائل يسأل بهذا المستوى – **عندك علم رسول الله صلى الله عليه وآله وكتبهُ وعلم الأوصياء وكتبهم؟ قال: فقال: نعم وأكثر من ذلك** – أكثر من ذلك يشير إلى الحرف المستأثر الذي هو عند رسول الله وعندهم – **نعم وأكثر من ذلك** – أكثر مما أنت تتصور – **سل عمَّا بدا لك** – الروايات عديدة وكثيرةٌ في هذا المضمار ومنها مثلاً هذه الرواية:

**عن أبن أبي عمير عن ابن أذنيه عن أبي عبد الله السلام يقول:** – هذه الرواية ومرت علينا قبل قليل – **ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر** – وهي تؤيد نفس المعنى الذي مرت الإشارة إليه قبل قليل، هناك طائفة أخرى من الروايات أو من الأحاديث جاءت مذكورةً في كتاب بصائر الدرجات أذكر نماذج منها، من هذه الروايات:

**عن عمر بن يزيد قال أبو جعفر عليه السلام في قولهِ:** ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ **قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وأهل بيتهِ أهل الذكر وهم المسئولون.**

مرَّ علينا الكلام في آيات الكتاب الكريم بهذا الخصوص وأشرتُ إليها إنما هذا تأييد وتأكيد للمضامين المتقدمة – ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ **قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وأهل بيتهِ أهل الذكر وهم المسئولون.**

رواية ثانية أيضاً عن الإمام الباقر عليه السلام، في قول الله تبارك وتعالى:

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ **قال: إنما عنانا بها نحن أهل الذكر ونحن المسئولون.**

روايات أخرى مثلاً هذه الرواية: **عن مُحمَّد بن مسلم عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: قلت له: إن من عندنا يزعمون أن قول الله تعالى:** ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ **أنهم اليهود والنصارى، قال: إذاً يدعونهم إلى دينهم** – إذا كانوا يسألونهم، هؤلاء المخالفون يقولون بأن أهل الذكر هم اليهود والنصارى – **قال: قلت له: إن من عندنا يزعمون أن قول الله تعالى:** ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ **أنهم اليهود والنصارى قال: إذاً يدعونهم إلى دينهم، ثم أشارة بيدهِ إلى صدرهِ** – الإمام الباقر عليه السلام – **فقال: نحن أهل الذكر ونحن المسئولون.**

رواية أخرى، **عن عبد الحميد بن ابي الديلم عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى:** ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ **قال: كتاب الله الذكر وأهله آلُ مُحَمَّد الذين أمر الله بسؤالهم ولم يؤمروا** – الناس يعني – **بسؤال الجهال** – فهل يُعقل أن الله يأمرهم بأن يسألوا الجهال! الجُهال مبالغ فيها، صفة مبالغة، الجهال يعني الذين لا يعلمون حقائق الأمور – **ولم يؤمروا بسؤال الجهال وسمى الله القرآن ذكراً فقال:** ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

رواية ثالثة، **عن زرارة قال: قلت لأبي جعفرٍ عليه السلام قول الله تبارك وتعالى:** ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ **من المعنيُ بذلك؟ قال: قلت: فأنتم المسئولون؟! قال: نعم** – زرارة يسأل الإمام الباقر – **في قول الله تبارك وتعالى:** ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ **من المعنيُ بذلك؟ قال: قلت فأنتم المسئولون؟! قال: نعم، قلتُ: ونحن السائلون؟!** – يعني الشيعة – **قال: نعم، قال: فقلت: فعلينا أن نسألكم؟! قال: نعم، قلتُ: وعليكم أن تُجيبونا؟ قال: لا، ذاك إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل، ثم قال: هذا عطاءنا فامنُن أو امسك بغير حساب** – الرواية فيها إشارة إلى الولاية المطلقة لأهل البيت في كل شأنٍ من شؤوناتهم، في الشأن الشرعي، في الشأن الديني، في الشأن العلمي، في الشأن التكويني، وهذا شأنٌ من شؤوناتهم.

هناك بابٌ أيضاً موجود في بصائر الدرجات عنوانهُ الأئمة خُزَّانُ الله في السماء والأرض على علمه، وحين

يكونون خُزَّاناً على علمهِ فهم خُزَّانٌ صلوات الله عليهم على كل شيء – **الرواية عن سؤرة بن كليب قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: والله إنا لخزَّانُ الله في سمائهِ وأرضه لا على ذهبٍ ولا على فضة إلا على علمه** – الذهب والفضة من شؤونات الدنيا، أما هم خُزَّانُ الله على علمهِ، وعلم الله هو النافذُ على كل شيءٍ، والنافذ في كل الأرض وفي كل ذهبها وفضتها، هم خُزَّانهُ على علمه هم لهم الولاية المطلقة، لَمَّا كانوا خُزَّاناً على علمهِ كانت لهم الولاية، الولاية إنما هي فرعُ العلم.

رواية أخرى، **عن جابرٍ الجعفي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: والله إنا لخزَّانُ الله في السماء وخُزَّانهُ في الأرض** – الحديث هنا عن أنهم خُزَّانهُ في الفيض وعلى الفيض، الرواية السابقة تتحدث أنهم خُزَّانُ علمهِ وهنا هم خُزَّان فيضهِ – **عن جابرٍ الجعفي قال: قال أبو جعفر عليه السلام والله إنا لخزَّانُ الله في السماء وخُزَّانهُ في الأرض.**

رواية أخرى، **عن سديرٍ عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعتهُ يقول: نحن خُزَّانُ الله في الدنيا والآخرة وشيعتنا خُزَّاننا** – شيعتنا هم موضع علمنا ومرَّ علينا – إن أمرنا صَعِبٌ مستصعب لا يحتملهُ لا نبيٌ مرسل ولا مَلَكٌ مُقَرَّب ولا عبدٌ امتحن الله قلبهُ للإيمان ولا مدينة حصينة ولا أي شيء، فمن يحتملهُ؟ قال: من شئنا، هناك مجموعة هم يشاءون لهم أن يكونوا في هذه المنزلة فيكونون خُزَّاناً لهم – **قال: سمعتهُ يقول: نحن خُزَّانُ الله في الدنيا والآخرة وشيعتنا خُزَّاننا ولولانا ما عُرِفَ الله.**

رواية أخرى، **عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفرٍ عليه السلام في قوله الله تبارك وتعالى** – هذه الآية الثالثة والخمسون من سورة الشورى وهي آخر آية، الآية السابقة ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وأنا قلت قبل قليل حيثما جاء ذكر الصراط المستقيم جاء ذكرُ عليٍّ عليه السلام ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ الإمام يتحدث عن هذه الآية – **في قوله الله تبارك وتعالى:** ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ **الإمام يقول: يعني عليّاً أنهُ جعل عليّاً خازنهُ على ما في السماوات وما في الأرض من شيءٍ وائتمنهُ عليه** ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ هذه مجرد نماذج من روايات كثيرة جداً جداً وردت عن الأئمة في بيان هذه

الحقائق.

هذه الرواية عن ضريس، **عن ابي جعفرٍ عليه السلام قال: إن لله علمين علماً مبذولاً** – وهو العلم الذي أعطاهُ للأنبياء وللملائكة وللرسل – **إن لله علمين علماً مبذولاً وعلماً مكفوفاً فأمَّا المبذول فإنهُ ليس من شيءٍ تعلمهُ الملائكة والرسل إلا نحن نعلمه** – هذا المبذول وهو الذي بُذِل للأنبياء وللرسل وللملائكة – **إن لله علمين علماً مبذولاً وعلماً مكفوفاً فأما المبذول فإنهُ ليس من شيءٍ تعلمهُ الملائكة والرسل إلا نحن نعلمه فأما المكفوف** – الذي كُفْ مُنِع – **فهو الذي عند الله في أمِّ الكتاب** – وأمُّ الكتاب أين هي؟ في قلب رسول الله، وأمُّ الكتاب حقيقة عليٍّ صلوات الله وسلامه عليه ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ هذه الرواية صريحة وواضحة وجميلة جداً، الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام – **إن لله علمين علم تعلمهُ ملائكتهُ ورسله، وعلم لا يعلم غيره** – هذا العلم الأول وهو الذي مرت الإشارة إليه في الرواية السابقة العلم المبذول – **وعلم لا يعلم غيره** – يعني لا يعلم غير الله بهذا العلم – **فما كان مما يعلمهُ ملائكتهُ ورسله فنحن نعلمه، وما خرج من العلم الذي لا يعلم غيره فإلينا يخرج** – وهي واضحة جداً في أن الحرف المستأثر إنما يخرج إليهم، أقرأ الرواية مرة ثانية – **إن لله علمين علم تعلمهُ ملائكتهُ ورسله وعلم لا يعلم غيره به، فما كان مما يعلمهُ ملائكتهُ ورسله فنحن نعلمه وما خرج من العلم الذي لا يعلم غيره فإلينا يخرج** – وقد تجلى عليهم بكل أسمائهِ الحسنى فإليهم خرج.

هناك كلمة جميلة للإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه، هذه الكلمة قالها في آخر شيءٍ كتبهُ في حياتهِ وهي وصيتهُ، وصيتهُ المعروفة، في مقدمة الوصية كتب السيد الخميني هذه الكلمة يقول:

**الحمد لله وسبحانك اللَّهُمَّ صلي على مُحَمَّدٍ وآله مظاهر جمالك وجلالك وخزائن** – العبارة دقيقة جداً كما قلت قبل قليل هم الخزائن، وهذا المعنى هو الذي يتجلى من الآيات ومن الروايات – **اللَّهُمَّ صلي على مُحَمَّدٍ وآله مظاهر جمالك وجلالك وخزائن أسرار كتابك الذي تجلى فيه الأحدية بجميع أسمائك حتى المستأثر منها الذي لا يعلمهُ غيرك** – حتى المستأثر قد تجلى في هذا الكتاب وهم خزائنُ هذا الكتاب والعبارة واضحةٌ وجليةٌ وصريحة، وهي موافقةٌ تماماً لِمَا في هذه النصوص الشريفة ولِمَا في هذه الحقيقة التي تحدثت عنها من أنهم في حقائقهم القادسة الأولى هم مرآة فيض الباري سبحانه وتعالى وهم

مرآة أسمائهِ الحسنى.

هذه رواية أخرى وفي نفس السياق، **عن سماعة بن سعد الخثعمي أنهُ كان مع المفضل عند أبي عبد الله عليه السلام فقال له المفضل: جُعِلتُ فِداك يفرض الله طاعة عبدٍ على العباد ثم يحجب عنه خبر السماء؟ قال: لا، الله أكرم وأرأف بالعباد من أن يفرض عليهم طاعة عبدٍ يحجب عنه خبر السماء صباحاً ومساءاً** – وهذا هو الكلام الذي مرَّ علينا قبل قليل من أنهم حينما أمروا بالسؤال وبأنهم أمروا أن يسألوا أهل الذكر فلابد أن يكون أهل الذكر عندهم علم كل شيء.

هذه الرواية **عن الإمام الصادق عليه السلام يقول: والله إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وما في الجنة وما في النار وما كان وما يكون** – هذا الحديث هنا عن علم إحاطي ليس الحديث هنا عن صور المعلومات، الكلام هنا عن إحاطة، عن رؤية إحاطية – **والله إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وما في الجنة وما في النار وما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة، ثم قال: أعلمهُ من كتابٍ أنظر إليه هكذا ثم بسط كفيه ثم قال: إن الله يقول:** ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب فيه تبيانُ كل شيء﴾ – وقطعاً ليس المراد الحديث عن الألفاظ القرآنية بما هي ألفاظ وإنما الكلام عن الحقائق التي هي خلف هذه الألفاظ، لأن هذه الألفاظ القرآنية إنما هي مفاتيح ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ مفاتح الغيب أين أودعها؟ أودع هذه المفاتح في خُزانة الأسرار، وخُزانة الأسرار هم مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أُقَرِّبُ الأمر بمثال الإنسان يمتلك قدرة الخيال، الله سبحانه وتعالى أعطانا قدرة الخيال، هذه القدرة التي نستطيع أن نستفيد منها بنحوٍ أوسع مما موجود في قدرات الإدراك الأخرى، الله سبحانه وتعالى أعطانا هذه المساحة وأعطانا أيضاً عليها ولايةً تكوينية، لكن أعطانا هذه الولاية التكوينية وفقاً لساحة الخيال بقدر حكمتنا لأن الله سبحانه وتعالى لم يُعطنا علماً يتفرع عليه الولاية التكوينية، والولاية التكوينية لابد أن تكون محكومة بالحكمة، فبما أن حكمتنا محدودة فأعطانا ولايةً تكوينية لا نسبب فيها ضرراً لا على أنفسنا ولا على أحد، فنحن بإمكاننا أن نؤسس الدول في عالم الخيال وأن نسقطها، بإمكاننا أن نخلق الأشياء العجيبة الغريبة، نوجد هذه الأشياء في عالم الخيال ثم نعدم هذه الأشياء، وهذه مساحةٌ للخلق وللإبداع وأيضاً نحو درجةٍ من درجات الولاية التكوينية، نحن في عالم الخيال نستطيعُ أن نحيط بخيالاتنا، نحن نستطيع أن نخلق

خيالاً صورةً لمخلوقٍ في عالم الخيال نركبهُ من أجزاء نحن نخلقها في عالم الخيال، ويكون لنا علم كامل بكل دقائق هذا المخلوق الذي صنعناه من قدراتنا، وأيضاً لنا ولاية كاملة أن نغير شكله، أن نوجدهُ بشكلٍ آخر، أن نُعدمهُ ثم نوجده مرة ثانية، أن نبعدهُ، أن نُقربهُ، هذا كلهُ يجري في عالم الخيال لماذا؟

لأننا لا نمتلك الحكمة التي يمكن أن نتصرف فيها في الأشياء أما آلُ مُحَمَّد يمتلكون الحكمة المطلقة، نحن نمتلك هذا الخيال خيالُ آل مُحَمَّد هو الواقع هو الحقيقة، كما نحن نعلم بجزئيات صور الخيال، والخيال علمنا فيه علم حضوري فهو موجودٌ في داخلنا كذلك علم مُحَمَّدٍ وآلُ مُحَمَّد بحقائق الأشياء كعلمنا بهذا الخيال، إحاطتهم كإحاطتنا بهذا الخيال، ولايتهم وقدرتهم على الواقع كولايتنا وقدرتنا على هذا الخيال، والقضية أعمق من ذلك بكثير، ولكنني ماذا أصنعُ لعجزي ولعجز الكلمات والمطالب واسعةٌ وعميقة والروايات كثيرة جداً، والحقيقة هذا المطلب بحاجة إلى أكثر من حلقة لكنني حاولت أن أجمع شتات الكلام وأن أمر على جملة من آيات الكتاب الكريم وأن أتناول نماذج مختلفة من كلمات أهل البيت وأن أشير إلى قول عالم واحد من علماء الأُمَّة من علماء شيعة أهل البيت، حاولت أن أخذ نموذج من بعض الأدعية، حاولت أن أجمع تشكيلة من النصوص القرآنية من الأدعية من أقوال العلماء ومن الروايات على اختلاف مراتبها، وأن أبين بعضاً من المعاني الفلسفية، وأن أورد بعضاً من الأمثلة لتقريب هذه الحقيقة، ولكن مع ذلك يبقى الكلام قاصراً، ويبقى حديثي قاصراً، ويبقى كلامي وهذه المعاني في غاية البُعد عن الهدف وعن المرمى، ولكن هذا ما استطعت أن أبينهُ بحسب الوقت وبحسب المقام وبحسب ما أتمكن أن أبينهُ بحدود هذه البضاعة المزجاة، بحدود هذه البضاعة القليلة الكاسدة التي هي بضاعتي فما كان من حُسنٍ ومن صوابٍ ومن دقةٍ فهو منهم، وما كان من نقصٍ ومن سوءٍ ومن تقصيرٍ فهو مني، وأختم حديثي أن أسلم عليهم:

**اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلم.**

والعذر إليك سيدي صاحب الأمر من القصور ومن التقصير ومن ضعف العقيدة ومن قلة العلم في معرفتكم وأقول السلام عليكم يا شيعة خُزَّان العلم ويا شيعة أهل البيت ويا شيعة أسرار الله يا شيعة عليٍّ وآل عليّ أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

# الحلقة العاشرة

## معنى وَمُنْتَهَى الحلم وأصول الكرم

هذه الحلقة العاشرةُ من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، وهي أول حلقةٍ من حلقات شهر رمضان المبارك وبينت سلفاً بأن برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة سيكون إن شاء الله تعالى طيلة أيام شهر رمضان بين يومٍ ويوم، هذا هو مفاتيح الجنان لشيخنا المُحدِّث القُمي رضوان الله تعالى عليه، وهذه الزيارة الجامعة الكبيرة، مر علينا في الحلقات الماضية: **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلم.**

كانت آخر حلقةٍ من حلقات هذا البرنامج حيث وقفنا عند قوله صلوات الله وسلامه عليه: **وَخُزّانَ الْعِلم.** في هذا اليوم أتناول هذه الفقرة وربما أتناول غيرها أيضاً فإنني سأحاول أن أختصر المطالب بقدر ما أتمكن، لأجل أن نتمكن من أخذ أكبر قدرٍ من ألفاظ ومن عبارات الزيارة الجامعة الكبيرة: **وَمُنْتَهَى الحلم،** هذا العنوان الذي أبدأ به كلامي، منتهى يعني الغاية، المكان الذي تكون عنده نهاية النهاية، نهاية النهاية هي المنتهى – **وَمُنْتَهَى الحلم** – الحلم بنحوٍ عام يأتي في معنيين، يأتي الحلم بمعنى العقل ويأتي الحلم بمعنى الحكمة، وكما يقال بأن الأمور أو بأن المعاني تستبان من أضدادها في كثيرٍ من الأحيان، فهناك استعمالٌ للحلم في مقابل الجهل، وهناك استعمالٌ للحلم في مقابل الجهالة، والذي يقابل الجهل هو العقل، والذي يقابل الجهالة هي الحكمة، ومن هنا قلت بأن الحلم إذا جاء مُضاداً للجهل فإنه العقل، وإذا جاء مُضاداً للجهالة فإن الحلم هو الحكمة، كذلك الجهل في بعض الأحيان يأتي مضاداً للعلم، وفي بعض الأحيان يأتي مضاداً للعقل، والجهلُ الذي يضادُ العلم غير الجهل الذي يضاد العقل، فالجهل الذي يضاد العلم هو المراد منه عدم العلم، أما الجهل الذي يضاد العقل فالمراد منه عدم العقل وفارقٌ بين المعنيين بين عدمية العلم وبين عدمية العقل، لا أريد الخوض كثيراً في كل هذه الجزئيات وفي كل هذه التفاصيل، ولكن كما قلت بشكلٍ مجمل الحلم يأتي بمعنى العقل والحلم يأتي بمعنى الحكمة، والحكمة هي الأخرى إنما هي في حقيقتها تجلٍّ من تجليات العقل، مرتبةٌ من مرتبات ومن مراتب العقل، إذاً الحلم بشكلٍ عام وبنحوٍ عام وبنحوٍ مجمل الحلم هو العقل، نحن هنا نسلم على الأئمة صلوات الله عليهم – **وَخُزّانَ الْعِلم، وَمُنْتَهَى الحِلم** – فهناك اقترانٌ

دائمٌ بين العلمِ والحِلم، لا ينفك العلم عن الحلم، ولا ينفك الحلم عن العلم، وهذه حقيقةٌ واضحةٌ من أعلى المراتب إلى أدناها، فعلى سبيل المثال ونحن الآن في أيام شهر رمضان نقرأُ في دعاء الافتتاح الدعاء الذي يستحبُ قراءته عند الإفطار من جملة العبائر الموجودة في هذا الدعاء الشريف قولُ الدعاء:

**الحمد لله على حِلمهِ بعدَ عِلمه** – والدعاءُ مرويٌ عن إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه – **الحمد لله مالك الملك مجري الفُلك مُسخِّر الرياح فالق الإصباح ديان الدين ربّ العالمين الحمد لله على حِلمهِ بعدَ عِلمه** – فهناك اقترانٌ بين الحلم وبين العلم، قد يتجلى الحلم قبل العلم، وقد يتجلى العلم قبل الحلم، ولكن هناك اقتران بين الحلم وبين العلم – **الحمد لله على حلمه بعد علمه** – هذا في الدعاء، هذا في المراتب العالية، وأما في المراتب الدانية نجدُ في أحاديثنا المعصومية الشريفة حين يتحدثُ أئمتنا عن العلم عن العلماء دائماً يقرنون بين صفة الحلم وبين صفة العلم، أخذ نماذج من كتاب الكافي الشريف لتوضيح هذه الصورة أو لتوضيح هذه الفكرة، في كتاب الكافي الشريف مثلاً في الجزء الأول وفي باب صفة العلماء، مثلاً الرواية الأولى، **عن معاوية بن وهب قال: سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: أطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار** – هناك مقارنة مُلازمة، ذكرتُ مثالاً لأعلى المراتب كما جاء في دعاء الافتتاح الشريف – **الحمد لله على حلمه بعد علمه** – وهذا في المراتب الدانية، في مراتبنا نحن، الإمام يقول – **أطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تُعلِّمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم** – وكل هذه المعاني هي متفرعةٌ عن الحلم، لَمَّا يقول الإمام صلوات الله وسلامه عليه: تزينوا بالحلم والوقار، الوقار هو من مظاهر الحلم أيضاً – **وتواضعوا لمن تُعَلِّمونهُ العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم** – والتواضع بهذين الرتبتين هو من الحلم أيضاً – **ولا تكونوا عُلماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم** – وهذه أيضاً من مظاهر الحلم، العلم والحلم قرينان في كل مراتب الصفات في هذا الوجود.

حديثٌ آخر، **عن صفوان بن يحيى عن أبي الحسن الرضا عليه السلام** – أيضاً لا زالت الروايات من الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف – **عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: إن من علامات الفقه** – والفقه هنا ليس المراد منه الحديث في دائرة الفتوى في الأحكام التكليفية، هذا إنما هو جزءٌ من الفقه، المراد هنا من الفقه المعرفة العامة المعرفة الكاملة – **إن من علامات الفقه الحلمَ والصمت** – والصمتُ هو أيضاً مظهرٌ من مظاهر الحلم، إذا أردنا أن نبحث عن جذور الصمت من أين خرج الصمت، ومن أين أكتسب الإنسان هذه الصفة وهذه الخصلة؟ إذا بحثنا عن جذورها في أعماق النفس الإنسانية فإن الجذر الأساس لهذه الصفة ولكثيرٍ من الصفات هو الحلم.

روايةٌ أخرى، **عن سيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه: لا يكون السَفهُ والغِرّةُ في قلب العالم** – والسَفهُ والغِرّةُ معانٍ مناقضة للحلم، السَفَه قلة العقل والغرةُ أيضاً، الغرةُ هي الأخرى قلة العقل، لذا أمير المؤمنين يقول: **لا يكون السفهُ والغرّةُ في قلب العالِم**.

روايةٌ أخرى، **عن إمامنا الصادق عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: يا طالب العلم إن للعالِم ثلاث علامات** – ما هي هذه العلامات؟ – **العلم والحلم والصمت** – والصمت كما قلتُ قبل قليل هو مظهرٌ آخر من مظاهر الحلم – **يا طالب العلم إن للعالِم ثلاث علامات: العلم، والحلم، والصمت، وللمتكلف** – المتكلف هو الذي يدّعي العلم – **وللمتكلف ثلاث علامات: يدافع من فوقه بالمعصية، ويظلم من دونه بالغلبة، ويظاهرُ** – يظاهر يعني يعاون ينصر – **ويظاهرُ الظَلَمة** – وكل هذه الصفات هي في أصلها مناقضةٌ للحلم، ما هي علامات العالم؟ العلم والحلم، والصمت، لا يكون السَفَهُ والغِرّةُ في قلب العالِم، إذاً ماذا يكون؟!! سيكون هناك الحلم، هذه نماذج من نصوص ومن أحاديث وردت عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تُحدِّثُنا عن الاقتران وعن التقارن بين صفة العلم والحلم في مراتب البشر العاديين، حينما نتصفُ بصفة العلم لا يكون هذا العلم قد أكتسب بعده الكمالي إلا بالاتصاف بصفة الحلم، والحلم هنا التؤدة، والتؤدة تعني الاتزان، الاتزان في أي شيء؟ الاتزان في التفكير، فليس من عجلةٍ في التفكير، حينما يفكر الإنسان في أمرٍ من الأمور لابد أن يكون متأكداً من صحة مقدماته، من صحة الأسس التي يبني عليها تفكيره، هذا هو المراد من التؤدة وهو الاتزان، الاتزان الفكري وكذلك الاتزان الأخلاقي، المراد من الاتزان الأخلاقي أن الإنسان لا يبادر إلى الغضب لأي قضيةٍ، وكذلك لا يستعجل في إصدار أحكامه، فهناك الكثير من الأمور في هذه الحياة الدنيوية ظاهرها شيء وباطنها شيء، الحليم هو الذي لا يستعجل في إصدار الأحكام فلا يحكم بالحُسن عاجلاً ولا يحكم بالقُبح عاجلاً، لربما يتراءى للإنسان الكثير من المعاني التي يمكن أن توصف بالقبح وهي ليست قبيحة في واقعها، وربما يتراءى للإنسان الكثير من المعاني التي يمكن أن توصف بالحسن وهي ليست حسنة في واقعها، لذلك لابد من الاتزان لابد من التؤدة، ولذلك الأمير عليه السلام ماذا قال؟

قال: لا يكون السَفَهُ والغِرّةُ في قلب العالم، والسَفَه والغِرَة هو عدم الاتزان، العجلة، إصدار الأحكام بسرعة، إصدار الأحكام على الأشخاص، إصدار الأحكام على الأفكار، إصدار الأحكام على أي مظهرٍ من مظاهر الحياة الإنسانية، وبالجملة فأني هنا لا أريد الحديث عن صفة الحلم التي لابد أن تكون مُقارنةً لصفة العلم عند العلماء من البشر العاديين، لكنني كما قلت قبل قليل الزيارة قرنت في تركيبتها اللفظية بين العلم وبين الحلم – **وخزان العلم، ومنتهى الحلم** – فقلتُ بأن الحلم قرينٌ للعلم في كل مراتب الصفات

الظاهرة في طبقات الوجود، من أعلى المراتب إلى أدونها، وبينتُ مثالاً من دعاء الافتتاح، وبينتُ مثالاً من النصوص التي تحدثت عن صفات أهل العلم، إذاً ما هي حقيقة الحلم؟! حقيقة الحلم كسائر الحقائق الأخرى في هذا الوجود، لكل حقيقة من الحقائق أصلٌ يتجلى في العوالم العلوية، ولهذه الحقيقة مظاهر، الحلم في أصله مرده إلى اسم الحليم وهو من أسمائهِ سبحانه وتعالى، إذا أردنا أن نبحث عن هذا المعنى في أصله فمردُ ذلك إلى اسم الحليم، فأين تجلى الحلم في أصله؟! تجلى الحلم في أصله في الكلمة الأولى، في النور الأول، في الماء الأعذب، في الماء الأطهر، في الماء الأبيض، هناك تجلى اسم الحليم في الحقيقة المُحَمَّدية التي هي مجْمَعُ مجالي الأسماء، ثم تجلت الحقيقة المُحَمَّدية فكانت مجاليها في كل عالم وفي كل طبقةٍ من طبقات هذا الوجود، وما التعبير هنا في الزيارة ونحن نخاطب أئمتنا – **وَمُنْتَهَى الحلم** – أي أن الحلم بكل مظاهره في هذا الوجود إلى أين ينتهي؟

ينتهي هذا الحلم إلى أصله، والأصل هنا الحقيقةُ المُحَمَّدية ومن هنا هم منتهى العلم ومنتهى الحلم أيضاً، هم منتهى العلم ومنتهى الحلم، وهم منتهى كل كمالٍ من الكمالات، وهذا هو الذي نقرأه في دعاء السحر – **أجملُ الجمال** – يعني منتهى الجمال – **أجلُّ الجلال** – يعني منتهى الجلال – **أنفذُ العلم** – يعني منتهى العلم – **أكملُ الكمال** – يعني منتهى الكمال – **أتم الكلمات** – يعني منتهى الكلمات التامة، ولذلك التعبير هنا بمنتهى الحلم ليس خاصاً بهذه الصفة، يمكن أن أقول: ومنتهى الكرم، ومنتهى الطهارة، ومنتهى العصمة، لكن بحسب ما جاء من التركيب العبائري في الزيارة الشريفة وبحسب الحديث في هذه الزيارة عن المظاهر والتجليات جاءت العبارةُ هكذا – **وَخُزّانَ الْعِلم، وَمُنْتَهَى الحلم**.

الروايةُ في الكافي الشريف وهي تُحدِّثنا عن منتهى الحلم والحلم هو العقل، الروايةُ في الكافي الشريف في الجزء الأول من هذا الكتاب، **عن سماعة بن مهران قال: كنتُ عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده جماعةٌ من مواليه** – يعني من أشياعه، من أتباعه – **فجرى ذكر العقل والجهل** – الجهل الذي هو في مقابل العقل – **فجرى ذكر العقل والجهل، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا** – أعطانا هذه القاعدة – **أعرفوا العقل وجنده** – فهناك عقلٌ وهناك له جنود – **والجهل وجنده تهتدوا، قال سماعه: فقلتُ: جعلتُ فداك لا نعرف إلا ما عرفتنا، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله عزَّ وجلَّ خَلَقَ العقل وهو أول خلقٍ من الروحانيين عن يمين العرش من نوره** – هذا مظهر العقل في عالم العرش، والعرشُ كما مر علينا هو من تجليات الحقيقة المُحَمَّدية، عالم العرش هو عالم نوريٌ من العوالم العلوية الراقية من تجليات الحقيقة المُحَمَّدية، وعالم العرش عالم محيطٌ بعالم الكرسي، وعالمُ الكرسي عالم محيطٌ بكل السماوات وبكل الأرضين، العرشُ هو الوعاء الأعظم، الروايةُ هنا تتحدث عن تجلٍ

للحقيقة المُحَمَّدية، وهذا التجلي هو في عالم العرش – **إن الله عزَّ وجلَّ خلق العقل وهو أول خلقٍ من الروحانيين عن يمين العرش من نوره** – يعني أن هذا الخلق خلق بعد أن وجد العرش، والعرشُ إنما وجد من نور مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، ونورُ محَمَّدٍ كان ولم يكن هناك شيءٌ من عالم الخلق الثاني، كان الله ولم يكن معه شيء ثم تكلم بكلمة فخلق نوراً وهو نورُ الحقيقة المُحَمَّدية، فكانت الحقيقة المحَمَّدية ولم يكن معها شيء من عالم الخلق الثاني، ثم شاء الله أن يشتق من نور هذه الحقيقة بكل مراتبها، لهذه الحقيقة مراتب وتجليات في الأنوار القادسة الأولى، من هذه الأنوار أشتق الخلق الثاني والعرش من المراتب العليا ومن أعلى المراتب في عالم الخلق الثاني، وبعد ذلك كانت التجليات فكان هذا التجلي الروحاني للعقل – **إن الله عزَّ وجلَّ خلق العقل وهو أول خلقٍ من الروحانيين** – والكلامُ هنا في الترتيب حينما أقول فخلق بعد ذلك ليس الحديث هنا عن بُعدٍ زماني، الزمان الذي نعرفه والذي نعيشه هو منتفٍ في تلكم الطبقات.

قد أقرب المثال بشيءٍ، نحن الآن في العالم الدنيوي حينما أقول حركتُ يدي فتحرك المفتاح، حينما أريد أن أفتح الباب حركتُ يدي فتحرك المفتاح، يدي هي العلةُ وهي السبب في تحريك المفتاح، والعلةُ والسببُ متقدمةٌ رتبةً على المعلول، يعني أن حركة يدي وأن يدي أعلى رتبةً من المفتاح ومن حركة المفتاح، الحديث هنا عن حركة المفتاح، فحركة يدي أعلى رتبةً من حركة المفتاح لأنها هي العلة، لكن إذا أخذناها باللحاظ الزماني فإن حركة يدي وحركة المفتاح كانتا في لحظةٍ واحدة، حركتُ يدي فتحرك المفتاح، في الواقع إن حركة يدي وحركة المفتاح في نفس اللحظة لكن حتى في الكلام أقول حركتُ يدي فتحرك المفتاح وهذه الفاء هي فاء الترتيب، يعني أن حركة يدي سابقة على حركة المفتاح، فهذا لسبق ليس سبقاً زمانياً وإنما سبقاً وجودياً، السبق الوجودي في المرتبة، لأن حركة يدي هي الحركة الفاعلة والمؤثرة، وأما حركة المفتاح فهي الحركة المنفعلة والمتأثرة، والأمثلة قد تُقرِّب من وجهٍ وقد تبعدُ من وجهٍ آخر.

فحين أقول بأن الحديث في تلكم العوالم هو منّزهٌ عن القيود الزمانية لأن هذا القيد الزماني هو قيدٌ من قيود عالم الطبيعة ومن قيود عالم الأفلاك ناتجٌ من حركتها، أما في تلكم العوالم فهناك تنزيهٌ وتطهيرٌ وتقديسٌ لتلكم العوالم من كل هذه القيود ومن كل هذه الإضافات – **إن الله عزَّ وجلَّ خلق العقل** – وأنا هنا الحقيقة لا أريد أن أقف عند هذا الحديث فأشرحه، فشرح هذا الحديث يحتاج إلى وقتٍ طويل لكنني أبين معناه بشكلٍ مجمل لأنني أوردته لإيضاح حقيقة معنى منتهى الحلم – **إن الله عزَّ وجلَّ خلق العقل وهو أول خلقٍ من الروحانيين عن يمين العرش من نوره** – هو هذا أيضاً مخلوقٌ من نوره، ونور الله هو نور الحقيقة المُحَمَّدية، كما قال صلى الله عليه وآله: ونوري أفضل وأشرف من نور العرش، لأي شيءٍ؟! لأن العرش من نور مُحَمَّد قال: وأما نوري وأما أنا فمن نور الله سبحانه وتعالى – **فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال**

**له: أقبل فأقبل** – هذه الروايات تأتي بلسان الرمز لا تأتي بلسان الحكاية التأريخية، هذا الحديث لا يتحدث عن واقعةٍ تأريخية عن ملكٍ قال لجنديٍ من جنوده أو لوزيرٍ من وزرائه أدبر فأدبر وأقبل فأقبل، حديث عميق جداً هذا – **فقال له: أدبر فأدبر** – وهي تجليات العقل في العوالم السفلية، إدبار العقل هنا، مظاهر العقل في العوالم السفلية، مظاهر العقل في العالم الأرضي وهذا من مظاهر الإدبار العقلي – **ثم قال له: أقبل فأقبل** – مظاهر العقل وظهورات العقل في العوالم العلوية، فهناك إدبارٌ وإقبال، إدبار العقل هو ظهوره في المراتب السفلية لهذا الوجود، وإقبال العقل هو ظهوره في المراتب العلوية، المراتب السفلية هي المراتب المنفعلة، المراتب العلوية هي المراتب الفاعلة، فالعقل هنا تجلى في المراتب الفاعلة وتجلى في المراتب المنفعلة – **فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبل فأقبل، فقال الله تبارك وتعالى: خلقتك خلقاً عظيماً وكرمتك على جميع خلقي** – فمن هو هذا الخلق الذي كُرم على جميع الخلق، المعاني واضحة، هذا هو التجلي الذي ظهر من تجليات الحقيقة المُحَمَّدية التجلي الأكمل، هذا التجلي الأكمل من تجليات الحقيقة المُحَمَّدية الذي أشرق وشعَّ في كل العوالم – **خلقتك خلقاً عظيماً وكرمتك على جميع خلقي، قال: ثم خلق الجهل من البحر الأجاج** – الأجاج يعني من البحر المالح، الأُجاج هو المالح – **ثم خلق الجهل من البحر الأُجاج ظُلمانياً** – نسبةً إلى الظلمة أو ظَلمانياً نسبةً إلى الظلام والمعنى واحد، الفرق فقط في اللفظ – **ثم خلق الجهل من البحر الأجاج** – من البحر المالح يعني من البحر الذي لا يستساغ ماءه، فهناك بحرٌ يستساغ ماءه وهو الماء الأول، الماء الأعذب، الماء الأطهر، وهناك ماءٌ وهو الماء الأجاج البحر الأجاج – **ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظُلمانياً فقال له: أدبر فأدبر ثم قال له: أقبل فلم يقبل** – العقل قال له أدبر فأدبر أقبل فأقبل، أما الجهل قال له أدبر فأدبر فهو يتناسبُ مع العالم الطبيعي، مع العالم السفلي – **ثم قال له: أقبل فلم يقبل** – وهذي رموز.

قلتُ قبل قليل بأن العوالم السفلية هي عوالم الانفعال، والعوالم العلوية هي العوالم الفاعلة، وهذا العنوان البحرُ الأجاج الذي هو أصلُ الجهل هذا العنوان إنما هو من آثار تجليات العقل بمراتب مختلفة، أقرب المعنى حينما يقول الفلاسفة بأن الشرور هي حدود عدمية، يمكن أن أقرب المعنى من خلال هذه الصورة التي يذكرها الفلاسفة، حين يقولون بأن الخير وبأن الخيرات حدودٌ وجودية، لكن الشرور حدودٌ عدمية، أقرب المعنى بهذه الصورة وإن كانت هذه المسألة معقدة وفيها شيء من التعقيد، لكن أقرب الكلام هكذا، حينما يكون مثلاً عند الإنسان من الصدق بنسبة عشرين بالمئة، وقلت هذه أمثلة تقرب من وجه وتبعد من وجهٍ آخر، حينما يكون عند الإنسان نسبة من الصدق مقدار من الصدق بنسبة عشرين بالمئة، بقيت هناك مساحة بنسبة ثمانين بالمئة، هذه المساحة ماذا سيظهرُ فيها؟ سيظهرُ فيها الكذب، لماذا؟ لأنه لا يوجد

الصدق، فحيثما لا يوجد الصدق آثارُ انعدام الصدق يتولد الكذب، لذلك يقولون بأن الكذب حدٌ عدمي، الكذب إنما منشأه من عدم الصدق، فحين لا صدق آثارُ انحسار الصدق ينشأ الكذب، آثارُ انحسار الخيرية تنشأ الشرور، من هنا يقولون بأن الشرور إنها حدود عدمية، لذلك هذا الجهل الذي خُلق من البحر الأجاج إنما هو يمثل آثار تجليات العقل، يعني حين يتجلى العقل بأكمل مراتبه في العالم الذي يتجلى فيه العقل بأكمل مراتبه فلا وجود للجهل هناك، لذلك قال له أقبِل فلم يُقبِل لا وجود للجهل في العوالم العلوية، قال له أدبر فأدبر لأن العقل المتجلي في العوالم السفلية يتناسب بحسب هذه العوالم، حينما نملكُ مقداراً من العقل، حينما يتجلى فينا من العقل بنسبة خمسين بالمئة بقيت هناك مساحة بنسبة خمسين بالمئة، بسبب انحسار العقل عن هذه المساحة ستظهرُ آثار الجهل، الجهل الذي هو في مقابل العقل، أنا قلت قبل قليل لستُ بصدد شرح الحديث، هذا الحديث يحتاج إلى كلامٍ طويل في شرحه، وأنا هنا لم أورد الحديث لأجل شرحه، ربما أشرحه في وقتٍ آخر، لكنني أوردت الحديث لأن لهذا الحديث ارتباط بموضوع الحلم، وارتباط بالفقرة التي أن بصدد بيان معانيها – **وَمُنْتَهَى الحلم** – أكتفي بهذه العجالة من بيانات معاني هذه الفقرات من الحديث الشريف واستمرُ في قراءة الحديث.

**ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظُلمانياً أو ظَلمانياً فقال له: أدبر فأدبر، ثم قال له: أقبِل فلم يُقبِل** – فلا وجود للجهل في العوالم العلوية – **فقال له: أستكبرت فلعنه** – وهذه ليست قصةً تأريخية، هذه ليست قصةً تأريخية وإنما القضيةُ تتحدث عن رموزٍ في أصل التجليات في العوالم الأولى – **فقال له: أستكبرت فلعنه** – الاستكبار المراد منه هنا الاستكبار هو الاستمناع في العوالم الطبيعية، يبقى مُقيداً مشدوداً في العوالم الطبيعية – **أستكبرت فلعنه، ثم جعل للعقل خمسةً وسبعين جنداً** – وهي مجالي من مجالي العقل – **خمسةً وسبعين جنداً فلمَّا رأى الجهلُ ما أكرم الله به العقل وما أعطاه أضمر له العداوة، فقال الجهل: يا ربي هذا خلقٌ مثلي خلقتهُ وكرمتهُ وقويتهُ وأنا ضده ولا قوة لي به، فأعطني من الجند مثلما أعطيتهُ، فقال: نعم فأن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي** – والرحمة هنا الحديث عن الفيض المنبسط – **قال: قد رضيتُ فأعطاه خمسةً وسبعين جنداً فكان مما أعطى العقل من الخمسة والسبعين الجند** – هذه المقدمة، لأن هذه المقدمة تحتاجُ إلى شرحٍ وشرحتُ بعضها، ولا أريد أن أطيل الوقوف عندها، فما هي جنود العقل؟ – **فكان مما أعطى العقل من الخمسة والسبعين الجند الخيرُ وهو وزيرُ العقل** – الخير هو القاعدة والأساس – **الخيرُ وهو وزيرُ العقل وجعل ضده الشر وهو وزيرُ الجهل** – طبعاً الخير هنا إذا أردنا أن نقف عنده المراد من الخير هنا هو الحلم وإن كان سيأتي في ذكرِ جنود العقل أن هناك الحلم الذي هو مضادٌ للسَفَه ولكن هذه رتبةٌ من رتب الحلم، أما الخير هنا هو الحلم،

مادةُ العقل، مادة العقل هي الحلم – **الخيرُ وهو وزيرُ العقل وجعل ضده الشر وهو وزيرُ الجهل والإيمانُ وضده الكفر، والتصديقُ وضده الجحود، والرجاء وضده القنوط، والعدلُ وضده الجور، والرضاءُ وضده السخط، والشكرُ وضده الكفران، والطمعُ وضده اليأس، والتوكلُ وضده الحرص، والرأفةُ وضدها القسوة، والرحمةُ وضدها الغضب، والعلم وضده الجهل، والفهمُ وضده الحُمقُ أو الحمَق، والعفةُ وضدها التهتك، والزهدُ وضده الرغبة، والرفقُ وضده الخرق، والرهبةُ وضدها الجرأة** – الجرأة على المعصية هنا المقصود منها، الرهبةُ، الرهبةُ من الله – **والرهبةُ وضدها الجرأة، والتواضعُ وضده الكِبر، والتؤدة وضدها التسرع، والحلم وضده السَفَه** – وقبل قليل قلتُ بأن الحلم هو التؤدة والاتزان ولذلك جاء الحديث عن هذه المراتب هنا – **والتؤدة وضدها التسرع، والحلم وضده السفه، والصمتُ** – أيضاً هو من الحلم كما قلتُ قبل قليل – **والصمتُ وضده الهذر، والاستسلامُ وضده الاستكبار** – الاستسلامُ لحكمة الله للحكمة – **وضده الاستكبار، والتسليمُ وضده الشك، والصبرُ وضده الجزع، والصفحُ وضده الانتقام، والغنى وضده الفقر، والتذكرُ وضده السهو، والحفظُ وضده النسيان، والتعطفُ وضده القطيعة، والقنوعُ وضده الحرص، والمؤاساة وضده المنع، والمودةُ وضدها العداوة، والوفاءُ وضده الغدر، والطاعةُ وضدها المعصية، والخضوعُ وضده التطاول، والسلامةُ وضدها البلاء، والحبُ وضده البغض، والصدقُ وضده الكذب، والحقُ وضده الباطل، والأمانةُ وضدها الخيانة، والإخلاصُ وضده الشَوب وهو خلاف الإخلاص، والشهامةُ وضدها البلادة، والفهم وضده الغباوة، والمعرفةُ وضدها الإنكار، والمداراة وضدها المكاشفة، وسلامة الغيب وضدها المُمَاكرة، والكتمانُ وضده الإفشاء، والصلاة وضدها الإضاعة** – يعني الاهتمام بالصلاة – **والصومُ وضده الإفطار، والجهادُ وضده النكول** – النكول هو الفرار والتكاسل والعجز – **والحجُ وضده نبذ الميثاق، وصونُ الحديث وضده النميمة، وبر الوالدين وضده العقوق، والحقيقةُ وضدها الرياء، والمعروفُ وضده المنكر، والسترُ وضده التبرج، والتقيةُ وضدها الإذاعة، والإنصاف وضده الحمية** – وهذا السترُ وضده التبرج هذا له معانٍ يناسب منها ما يناسب الرجال ويناسب منها ما يناسب النساء، وهكذا كل إنسانٍ من الرجال أو من النساء أيضاً بحسب رتبته.

فالتبرجُ والسترُ يختلفُ باختلاف مراتب الناس – **والسترُ وضده التبرج، والتقيةُ وضدها الإذاعة، والإنصاف وضده الحمية** – الحمية يعني العصبية – **والتهيئة وضدها البغي، والنظافةُ وضدها القذر، والحياءُ وضدها الجلع** – وفي نسخٍ أخرى – **الخلع، والقصدُ وضده العدوان، والراحةُ وضدها التعب، والسهولةُ وضدها الصعوبة، والبركةُ وضدها المحق، والعافيةُ وضدها البلاء، والقوامُ وضده المكاثرة،**

**والحكمةُ وضدها الهواء** – يعني الهوى – **والوقارُ وضده الخفة، والسعادةُ وضدها الشقاوة، والتوبةُ وضدها الإصرار، والاستغفارُ وضده الاغترار، والمحافظةُ وضدها التهاون، والدعاء وضده الاستنكاف، والنشاطُ وضده الكسل، والفرحُ وضده الحزن، والألفةُ وضدها الفرقة، والسخاءُ وضده البخل** – هذه جنود العقلِ وجنود الجهل.

وحديثنا هنا عن منتهى الحلم، وهذه من معاني انتهاء الحلم انتهاء العقل، لأن هذه الأوصاف من أين تجلت؟ تجلت من العقل الذي كان عند العرش، وهذا هو منتهى الحلم في مرتبةٍ من المراتب، وإلا نقطة انتهاء الحلم إنما هو في الحقيقة المُحَمَّدية، ثم تستمر الرواية فماذا تقول؟

**فلا تجتمع هذه الخصال كلها من أجناد العقل إلا في نبيٍ أو وصي نبي أو مؤمنٍ قد امتحن الله قلبه للإيمان** – هذه الخصال لا تجتمع كلها إلا في نبيٍ أو وصي نبي، مر علينا من جملة هذه الخصال مثلاً، مر علينا – **والتذكرُ وضده السهو** – يعني أن الأنبياء أن الأوصياء منزهون عن السهو – **والحفظُ وضده النسيان** – أي أن الأنبياء أن الأئمة منزهون عن النسيان وعن كل هذه المعاني التي مرت – **فلا تجتمع هذه الخصال كلها من أجناد العقل إلا في نبيٍ أو وصي نبي أو مؤمنٍ قد امتحن الله قلبه للإيمان** – وهذا الوصف مؤمنٌ امتحن الله قلبه للإيمان لا ينطبق على كل من يدعي الإيمان، هذا الوصف ينطبق على سلمان الفارسي وأمثاله – **وأما سائر ذلك من موالينا** – سائر ذلك من موالينا ماذا يقصد الإمام؟ لأن الأنبياء أيضاً من مواليهم، ولأن أوصياء الأنبياء من مواليهم، ولأن المؤمنين الذين امتحن الله قلوبهم للإيمان أيضاً من مواليهم – **فلا تجتمع هذه الخصال كلها من أجناد العقل إلا في نبيٍ أو وصي نبي أو مؤمنٍ قد أمتحن الله قلبهُ للإيمان وأما سائرُ ذلك من موالينا** – يعني المجموعات السابقة هي من جملة مواليهم، الباقي من مواليهم – **وأما سائر ذلك من موالينا فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود** – مواليهم من الأنبياء ومن الأوصياء ومن المؤمنين الذين امتحن الله قلوبهم للإيمان تجتمع فيهم هذه الخصال الخمسة والسبعون ولكن كلٌ بحسبهِ – **وأما سائر ذلك من موالينا** – البقية من الموالين البقية من الشيعة من غير الأصناف التي ذُكرت – **فإن أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتى يستكمل** – إذا كان يسعى في طريق الكمال، يستكمل يعني هو يطلب الكمال، يستفعل – **حتى يستكمل وينقى من جنود الجهل، فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء وإنما يُدرك ذلك بمعرفة العقل وجنوده وبمجانبة الجهل وجنوده، وفقنا الله وإياكم لطاعته ومرضاته** – الرواية جميلة جداً، الرواية هنا تتحدث عن جنود العقل وعن جنود الجهل وهي تخبرنا بأن الأنبياء وبأن أوصياء الأنبياء وبأن الذين أمتحن الله قلوبهم من المؤمنين أولئك تكون فيهم هذه الأوصاف، تكون فيهم أوصاف

العقل، ويكونون بعيدين عن أوصاف الجهل، أما سائر أشياعهم من أمثالنا فكل واحدٍ منا يملك شيئاً لكن عليه أن يستكمل، فهل نستكمل أو لا نستكمل ذلك أمرٌ يعود إلى واقع الحياة، هذه الصفات، هذه الأوصاف هي مظاهر وظهورات لذلك العقل المتجلي في عالم العرش، وذلك العقل يعني منتهى هذه الصفات أين؟ تنتهي عند ذلك العقل المتجلي عند عالم العرش، وذلك العقل المتجلي في عالم العرش أين منتهاه؟ منتهى ذلك العقل عند الحقيقة الأولى، عند الحقيقة المُحَمَّدية، إذا كانت هذه الأوصاف هي في أوصاف أشياعهم، إذاً كيف نتصور أوصافهم؟ لذلك نحن نخاطبهم في الزيارات، وبالذات في الزيارة الجامعة الكبيرة نحن نخاطبهم: **مَوالِيَّ لا أُحْصى ثَنائَكُمْ وَلا اَبْلُغُ مِنَ المدْحِ كُنْهَكُمْ وَمِنَ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ** – هذه العبارات هي عبارات الزيارة الجامعة الكبيرة التي بين أيدينا – **مَوالِيَّ لا أُحْصى ثَنائَكُمْ** – ثنائكم خارجٌ عن حد الإحصاء – **وَلا اَبْلُغُ مِنَ المدْحِ كُنْهَكُمْ وَمِنَ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ** – هذه الرواية العظيمة التي قرأتها على مسامعكم، حديث جنود العقل وجنود الجهل، هذه الأوصاف العظيمة التي لو تصورنا مخلوقاً يتصف بهذه الأوصاف بهذه الكمالات يعني جميع جنود العقل موجودة عندهُ وهو بعيدٌ عن جميع جنود الجهل، ما هي صفته هذه؟ هل نستطيع أن نتصورهُ؟ قطعاً لا نستطيع أن نتصورهُ، لأن هذا يقتضي أن نتقمص شخصيتهُ، هل نستطيع أن نتقمص شخصية بهذه الأوصاف! هذه أوصاف أولياء أهل البيت فما بالنا بأوصاف أهل البيت، لذلك نحن لا نستطيع أن نصفهم، القضية أكبر وأعظم وأعمق، منتهى الحلم قضية أعمق وأعظم من كل ما قلتهُ ومن كل ما سأقوله، هذه مظاهر العقل، مظاهر الحلم، جنود العقل في أوليائهم من الأنبياء من أوصياء الأنبياء، نحن لا نستطيع أن نتصورها لأننا لا نعيشها ولا نملكها فكيف نتمكن أن نتصورها، الإنسان إذا لم يكن مالكاً ومحيطاً وعارفاً بمعنىً من المعاني كيف يمكن أن يتصورهُ، تصور هذه المعاني يحتاج إلى آليات إلى مقدمات، هذه الآليات وهذه المقدمات نحن لا نملكها، نحن فقط نرددها بلقلقةٍ لسانية، فأنى لنا أن نتصور هذه الأوصاف التي هي في أولياءهم، فكيف هم! هذا الحديث هنا عن خمسةٍ وسبعين من صفاتٍ إيجابية جنود العقل في أوليائهم، وعن خمسة وسبعين من صفاتٍ سلبية تنزه قلوب أوليائهم عنها، حينما أقول أوليائهم يعني الأنبياء وأوصياء الأنبياء والذين امتحنت قلوبهم وهؤلاء قلةٌ قليلة، هذا الكلام لا يقال لي ولأمثالي ولكل من يدّعي بأنه من شيعة أهل البيت، فإذا كنا عاجزين عن تصور هذه المعاني في أوليائهم فأنى لنا أن نتصوره هذه المعاني في أتم صورها في ذواتهم القدسية.

عندنا رواية أيضاً في الكافي الشريف تقول هذه الرواية، الحديث **عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، يقول: ما قَسَمَ الله للعبادِ شيئاً أفضل من العقل** – وهل هناك أفضلُ من مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد؟!! هم حقيقة العقل والعقل في عالم العرش من تجلياتهم، كما أن القرآن هو صورةٌ لهم، أليس القرآن هو العقل الكتبي،

العقل المكتوب الكامل في العالم الأرضي، عالم العقل المكتوب هو القرآن، أليس هو الصامت وهم الناطق؟ هم العقل الناطق كما أن القرآن صورة كتبية لعالم العقل الأعلى، عالم العقل الأعلى هذا المخلوق العقلي في عالم العرش هو صورةٌ لتلكم الحقيقة المُحَمَّدية تَنَزُّل – **ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل فنوم العاقل أفضلُ من سهر الجاهل** – من سهر الجاهل في العبادة يعني – **وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل** – أيضاً من شخوص الجاهل في العبادة، كشخوصهِ إلى الحج مثلاً، كشخوصهِ إلى الزيارة مثلاً – **فنوم العاقل أفضلُ من سهر الجاهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل** – من سفرهِ وسعيه – **ولا بَعَثَ الله نبياً ولا رسولاً حتى يستكمل العقل** – العقل الذي مرَّ علينا ذكر جنودهِ – **حتى يستكمل العقل ويكون عقله أفضل من جميع عقول أُمَّتهِ وما يُضمر النبي في نفسه** – يعني الحالة النفسية للنبي، الحالة المعنوية – **وما يُضمر النبي في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين** — المجتهدين يعني الذين يواصلون العبادة، أفضلُ من عبادة العابدين في غاية ما يتعبدون به، المجتهد الذي يبذل أقصى ما يمكن في العبادة – **وما يُضمر النبي في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين وما أدى العبدُ فرائض الله حتى عَقَلَ عنه** – يعني حتى عرف الله بعقلهِ – **ولا بلغ جميعُ العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل** – إذا كان هذا العاقل عقلهُ أعلى رتبةً من عقولهم – **والعقلاء هم أولوا الألباب الذين قال تعالى:** ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ – والأحاديث متعاضدة لذلك نبينا وأئمتنا ماذا يقولون؟ إمامنا الصادق ماذا يقول؟ **ما كَلَّمَ رسول الله صلى الله عليه وآله العباد بكنه عقله قط** – فإن العباد لا يحتملون ذلك – **وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنا معاشر الأنبياء أُمِرنا أن نُكَلِّمَ الناس على قدر عقولهم** – الأنبياء مرَّ علينا قبل قليل بأن عقولهم بهذا النحو المتكامل، والنبي هنا حينما يقول إنّا معاشر الأنبياء يتحدث في الأفق النبوي لأنبياء الأرض، لأنبياء هذا العالم الذين هم أشياعه، إنّا معاشر الأنبياء، لا يتحدث بمستوى العقل المُحَمَّدي يتحدث بمستوى العقل النبوي في أفق الأنبياء – **إنا معاشر الأنبياء أُمِرنا أن نُكَلم الناس على قدر عقولهم** – فالذين يملكون عقولاً بهذه الأوصاف التي أشار إليها حديث العقل وجنودهِ والجهل وجنوده هؤلاء هم الذين يأتي الحديث عنهم هنا بأنهم يكلمون الناس على قدر عقولهم وإلا فالعقل المُحَمَّدي له أفق آخر، ليس الكلام هنا للحديث عن أفق العقل المُحَمَّدي، الروايات والأحاديث كثيرة عن أهل بيت العصمة في هذا المضمون.

رواية هنا أذكرها لها علقة بالذي نحن فيه، رواية عن إمامنا الباقر عليه السلام أيضاً في الكافي الشريف في الجزء الأول في كتاب العقل والجهل، **إمامنا الباقر يقول: إذا قام قائمنا وضع الله يدهُ على رؤوس العبادة**

**فجمع بها عقولهم وكَمُلت به أحلامهم** – كَمُلت به يعني كَمُلت بظهور الإمام كَمُلت بالإمام تُجمع به العقول وتكمل به الأحلام لأي شيءٍ؟ لأن الإمام صلوات الله وسلامه عليه يأتي لإكمال هذا العالم، يأتي لبعث العقل الذي أرادهُ الله سبحانه وتعالى أن يكون خليفةً على هذه الأرض، ولا يستطيع أحد ما لم يكن يملك القدرة العقلية المُطلقة حتى يستطيع أن يبعث العقول، حتى يستطيع أن يُكَمِّل العقول والأحلام، الرواية هنا لها علقة بالذي في أيدينا من جهةٍ من الجهات، الروايات في هذا المضمون كثيرة جداً.

هناك رواية يرويها شيخنا ابن شعبة الحراني رحمة الله عليه في كتابهِ تحف العقول عن آل الرسول، رواية منقولة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول في جملة خبرٍ طويل ومسائل كثيرة سألهُ عنها راهبٌ يُعرف بشمعون بن لاوي بن يهوذا من حواريي عيسى – يعني أن نَسَبَهُ ينتهي إلى حواريي عيسى – من حواريي عيسى عليه السلام فأجابهُ عن جميع ما سأل عنه على كثرتهِ فآمن به وصدقه، وكتبنا منه موضع الحاجة إليه ومنهُ – من هذا الحديث – قال: – هذا الرجل شمعون بن لاوي يسأل النبي الأعظم – **أخبرني عن العقل وما هو؟ وكيف هو وما يتشعب منه وما لا يتشعب وصف لي طوائفهُ كلها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن العقل عقال من الجهل والنفس مثل أخبث الدواب** – العقال يعني الرباط الذي يربط به الشيء – **إن العقل عقال من الجهل والنفس مثل أخبث الدواب فإن لم تُعقل** – لم تُربط – **حارت تاهت، فالعقل عقالٌ من الجهل وإن الله خلق العقل فقال له: أقبِل فأقبل، وقال له: أدبر فأدبر، فقال الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعظم منك ولا أطوع منك بك أبدأ وبك أعيد** – ونحن نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة وإيابُ الخلق إليكم وهو الفاتِحُ وهو الخاتم – **بك أبدأ وبك أعيد لك الثواب وعليك العقاب فتشعب من العقل الحلم** – وقبل قليل قلت أن المراد من الخير في حديث جنود العقل والجهل هو الحلم، هذه الرواية وتلكم الرواية جعلت مادة العقل الحلم، الحلم هنا وعُبِّر عنه في رواية الكافي بالخير، والخير والحلم في هاتين الروايتين بمعنىً واحد – **فتشعب من العقل الحلم ومن الحلم العلم ومن العلم الرُشد ومن الرُشد العفاف ومن العِفاف الصيانة** – تُقرأ العَفاف والعِفاف – **ومن الرُشد العفاف ومن العِفاف الصيانة ومن الصيانة الحياء ومن الحياء الرزانة ومن الرزانة المداومة على الخير ومن المداومة على الخير كراهية الشر ومن كراهية الشر طاعة الناصح فهذه عشرة أصناف من أنواع الخير ولكل واحدٍ من هذه العشرة الأصناف عشرة أنواع** – يعني هناك مئة نوع من أنواع التجليات، هناك مئة مظهر من مظاهر العقل، وهذه المظاهر تظهر في كل عالم بحسبهِ، في كل طبقةٍ من طبقات الوجود بحسبهِ، ابتداءاً من عالم العرش وانتهاءاً بالعالم الأرضي فتظهر فينا وتظهر في غيرنا، فهذه عشرة أصناف هي الأصول ولكل أصلٍ فروع – **فأما الحلم فمنه ركوب الجميل وصُحبة الأبرار ورفعٌ من الضَعة ورفعٌ من**

**الخساسة وتشهي الخير ويُقرِّب صاحبهُ من معالي الدرجات والعفو والمَهل والمعروف والصمت فهذا ما يتشعبُ للعاقل بحلمه** – هذه عشرة أبواب وللبقية لكل أصلٍ عشرة أبواب.

**وأما العلم فيتشعب منه الغنى وإن كان فقيراً والجود وإن كان بخيلاً والمهابة وإن كان هيناً والسلامة وإن كان سقيماً والقربُ وإن كان قصياً والحياء وإن كان صَلِفاً والرفعة وإن كان وضيعاً والشرف وإن كان رَذِلاً والحكمة والحظوة فهذا ما يتشعب للعاقل بعلمه فطوبى لمن عَقَل وعَلم، وأما الرشد فيتشعب منه السداد والهدى والبر والتقوى والمنالة والقصد والاقتصاد والثواب والكرم والمعرفة بدين الله فهذا ما أصاب العاقل بالرشد فطوبى لمن أقام به على منهاج الطريق، وأما العفاف فيتشعب منه الرضا والاستكانة والحظ والراحة والتفقد والخشوع والتذكر والتفكر والجودُ والسخاء فهذا ما يتشعب للعاقل بعفافه رضاً بالله وبقِسَمه، وأما الصيانة فيتشعب منها الصلاح والتواضع والورع والإنابة والفهم والأدب والإحسان والتحبب والخير واجتناء البِشر فهذا ما أصاب العاقل بالصيانة فطوبى لمن أكرمه مولاه بالصيانة، وأما الحياءُ فيتشعب منه اللينُ والرأفة والمراقبة لله في السر والعلانية والسلامة واجتناب الشر والبشاشة والسماحة والظَفَر وحسن الثناء على المرء في الناس فهذا ما أصاب العاقل بالحياء فطوبى لمن قَبِل نصيحة الله وخاف فضيحته، وأما الرزانة فيتشعب منها اللطف والحزم وأداء الأمانة وترك الخيانة وصدق اللسان وتحصين الفرج واستصلاح المال والاستعداد للعدو والنهيُ عن المنكر وتركُ السَفَه فهذا ما أصاب العاقل بالرزانة فطوبى لمن توقر ولمن لم تكن له خفة ولا جاهلية وعفا وصفح، وأما المداومة على الخير فيتشعب منها ترك الفواحش والبُعد من الطيش والتحرُّج واليقينُ وحب النجاة وطاعة الرحمن وتعظيم البرهان واجتناب الشيطان والإجابة للعدل وقول الحق فهذا ما أصاب العاقل بمداومة الخير فطوبى لمن ذكر أمامه** – وفي نسخةٍ – **إمامهُ وذكر قيامه واعتبر بالفناء.**

**وأما كراهية الشر فيتشعب منه الوقار والصبر والنصر والاستقامة على المنهاج والمداومة على الرشاد والإيمان بالله والتوفر والإخلاص وترك ما لا يعنيه والمُحافظة على ما ينفعه فهذا ما أصاب العاقل بالكراهية للشر فطوبى لمن أقام بحق الله وتمسك بعرى سبيل الله، وأما طاعة الناصح فيتشعب منها الزيادة في العقل وكمال اللب ومَحمَدة العواقب والنجاة من اللوئم والقبول والمودّةُ والانشراحُ والإنصاف والتقدم في الأمور والقوة على طاعة الله فطوبى لمن سَلم من مصارع الهوى فهذه الخصال كلها تتشعب من العقل** – والحديث طويل أكتفي بهذا المقدار الذي ذكر فيه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم جانباً من مظاهر العقل، جانباً من كمالات العقل، هذه مئة باب عشرة أصول لكل

أصلٍ من هذه الأصول عشرة أبواب فهذه مئة بابٍ من أبواب العقل، مرَّ علينا قبل قليل في حديث الكافي الشريف في جنود العقل وجنود الجهل هناك خمسة وسبعون نوع من أنواع جنود العقل بالنحو الإيجابي، وهناك خمسة وسبعون أيضاً من النحو السلبي، الأنبياء منزهون عن الجانب السلبي وجامعون لأي شيءٍ؟ للجانب الإيجابي، وهذه الرواية وهذا الكلام الذي جاء مروياً في تحف العقول عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله إنما هو حديثٌ يعضد الحديث الذي ذكرتهُ قبل قليل من كتاب الكافي الشريف، وهناك روايات أخرى كثيرة في هذا المضمون نحن هنا لسنا في مقام الاستقصاء وإنما أوردت هذه النصوص نماذج وأمثلة لتقريب الصورة ولتقريب المعنى، هذه مجالي العقل وللعقل مجالي تبدأ من منتهى الحلم وتنتهي في هذه العوالم الأرضية، هذه الأوصاف التي جاءت في حديثِ جنود العقل والجهل وجاءت في حديث رسول الله مع شمعون هذا الذي هو من ذراري الحواريين، مع شمعون بن لاوي كل هذه وغير ذلك من النصوص إنما تتحدث عن مظاهر وعن مراتب العقل في العالم الأرضي وفي المخلوق البشري.

بعض من هذه النصوص تتحدث عن المراتب الكاملة في الأنبياء في أوصياء الأنبياء في الذين امتحنت قلوبهم للإيمان من المؤمنين، في عامة الناس من أمثالنا تتجلى بعض هذه المعاني، إذا كانت هذه المعاني نحن لا نستطيع الإحاطة بها، الآن أي حديث من هذه الأحاديث إذا أردنا أن نشرحهُ فقط، فقط في الجانب اللغوي معاني الكلمات كل حديث يحتاج إلى وقت طويل، فقط الشرح اللغوي لهذه الأوصاف ولهذه الصفات، فقط شرح لغوي نحتاج إلى وقت طويل فما بالك بالمعاني الحقيقية والتي نحن لا نملكها ولا نملك الإحاطة بها، هذا كله من مجالي العقل في العالم الأرضي، أما عقل مُحَمَّدٍ حتى في العالم الأرضي، عقل مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فذلك شيءٌ لم تأتي الإشارة إليه في هذه الروايات، هذه الروايات تتحدث عن عقول الأنبياء من سائر الأنبياء، وليس في هذه الأحاديث شيءٌ للحديث عن عقل مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فأنى لنا أن نتصور هذا المعنى، وكل ذلك يعود في منتهاه إلى أين؟

إلى عالم العقل في عالم العرش، وعالم العقل في عالم العرش يعود في منتهاه إلى الحقيقة المُحَمَّدية، ومُحَمَّدٌ هنا في عالم الأرض هو الحقيقة المُحَمَّدية كما أن الحقيقة المُحَمَّدية هي مُحَمَّدٌ إلا أن مُحَمَّداً هو مُحَمَّد وأن الحقيقة المُحَمَّدية هي الحقيقة المُحَمَّدية، مُحَمَّدٌ في الأرضِ هو الحقيقة المُحَمَّدية بوجهٍ من الوجوه مع هذا العالم الأرضي، وإلا كيف نفهم هذه الروايات الكثيرة جداً المنقولة عن النبي الأعظم وعن الأئمة في أنهم وجدوا قبل الخلق، وفي أن كل الخلق إنما أشتق من أنوارهم، كيف تُفهم هذه النصوص الكثيرة والتي تحدثت بلسان الرمز بلسان الإشارة لأننا أصلاً لا نملك التصور الكامل عن تلكم الحقائق، وإنما نتلمس المعاني هنا وهناك في كلمات المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فها نحن نقرأ زيارتنا الجامعة الكبيرة ونسلم عليهم صلوات الله وسلامه عليهم – **اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ**

**الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلم، وَمُنْتَهَى الحلم** – يمكن من خلال هذه الجولة السريعة في هذه النصوص في هذه الروايات يتجلى لنا بعضُ شيءٍ من معنى قولنا منتهى الحلم، الحقيقة أنني وأمثالي لا ندرك حقائق المعاني في هذه الزيارة الجامعة الكبيرة، لأن هذه الزيارة كما جاء في وصفها هي قولٌ بليغٌ كامل فأنى لي أن أحيط بحقائق معاني هذا القول البليغ الكامل، هذه الزيارة هكذا وصفت بأنها قولٌ بليغٌ كامل، السائل سأل هذا السؤال فجاء الجواب من إمامنا الهادي على قدر هذا السؤال، فهذا قولٌ بليغٌ كامل، فأنى لي أن أحيط بمضامينه وبفحواه وبدلالتهِ، وإنما كما قال سيد الأوصياء مخاطباً كميل: **يا كميل إن القلوب أوعية وخيرها أوعاها.** إنما أغترف بوعائي وكلما كبر الوعاء كلما كان الاغتراف أكثر، إنما أغترف بوعائي فما اغترفه بقدر وعائي وما يغترفهُ الآخرون بقدر أوعيتهم، فهل يمكن أن نجعل البحر بكله في قدحٍ واحدٍ في وعاءٍ واحدٍ، إنما نحن نغترفُ شيئاً من هذا البحر، إنما نحن نغترف شيئاً من هذا الشلال المنهمر من هذا الماء العذب الصافي الزلال، هذه اغترافةٌ بوعاءٍ صغير، يا كميل إن القلوب أوعية وخيرها أوعاها، خير القلوب أوعاها يعني أكبرها، الذي يسع أكبر قدرٍ من المعنى يسع أكبر قدرٍ من المعرفة – **وَخُزّانَ الْعِلم، وَمُنْتَهَى الحلم** – ثم تقول الزيارة الشريفة:

**وَأُصُولَ الْكَرَمِ،** أصول جمعٌ لأصل والأصل معناه واضح لا يحتاج إلى شرحٍ وإلى توضيح، أصول جمع لأصل والأصل هو الجذر، يقال أصل الشجرة هو جذرها الذي تنبت منه، وأصل الشجرة وأصل النبتة البذرة التي جاءت منها تلكم النبتة أو تلكم الشجرة، وهكذا أصل كل شيءٍ الجهة التي جاء منها ذلك الشيء، كل جهةٍ تكون هي البداية لأي شيءٍ فتلك الجهة هي الأصل – **وَأُصُولَ الْكَرَمِ** – يعني أن الكرم يأتي وينبع من تلكم الجهات، الخطاب هنا مع تلكم الجهات هم صلوات الله وسلامه عليه أجمعين – **وَأُصُولَ الْكَرَمِ** – الكرم، ما المراد من معنى الكرم؟ قد يأتي الكرم بمعنى الجود بمعنى السخاء وهذا المعنى واضح لديكم، وقد يأتي الكرم بمعنى الشرف حين يقال فلان كريم النسب يعني شريف النسب، والجود إنما هو مظهرٌ من مظاهر الشرف، الكرم بمعنى الجود بمعنى السخاء هو مظهر من مظاهر الشرف، الشرف والجود متلازمان إن لم يكن الجود هو الشرف والشرف هو الجود – **وَأُصُولَ الْكَرَمِ** – يعني أصول الشرف، وحينما يقال شيءٌ كريم شيءٌ شريف، الشيء الشريف، الكائن الشريف، الموجود الشريف هو الموجود الذي لا يلحق به عيب، لا يلحق به نقص، فهم خُزان العلم وهم منتهى الحلم وهم أصول الكرم، إليهم كل مكرمةٌ تؤوب، إليهم كل مكرمة تعود، هم أصل الكرم لأن الكرم الإلهي تجلى فيهم، نحن حين نقرأ في الكتاب الكريم مثلاً في سورة العلق، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الأكرم هنا صيغة أفعل التفضيل ومعرفة بالألف واللام ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ أي لا كريم فوقه، الأكرم هو الذي صدر منه حقيقة الكرم، حقيقة الكرم أين

تجلت هذه؟ ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ربك هو الأكرم ومنه صدر الكرم فأين تجلت حقيقة الكرم؟ نحن حين نذهب مثلاً إلى سورة الرحمن على سبيل المثال، في الآية السادسة والعشرين وفي الآية السابعة والعشرين ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ذو الجلال والإكرام هنا وصفٌ للوجه، ويبقى وجه، وجهُ فاعل وهو مضاف، ربك مضاف إليه، ذو الجلال صفة لوجه، الوجه هنا وصفتهُ الآية بالإجلال وبالإكرام، هذا في الآية السابعة والعشرين من سورة الرحمن، في نفس السورة في سورة الرحمن في آخر آية من آيات سورة الرحمن ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ اسْمُ هنا فاعل وهو مضاف، ربك مضاف إليه، ذي الجلال صفة لربك، يعني هناك في سورة الرحمن جاء وصف الوجه بالجلال والإكرام وجاء وصف الرب بالجلال والإكرام، ماذا تريد أن تقول السورة؟

تريد أن تقول بأن الوجه هو الرب، وبأن الرب هو الوجه، لكن يبقى الوجهُ وجهاً ويبقى الرب رباً، في الآية السابعة والعشرون ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ذو الجلال صفة لوجه، الآية الأخيرة وهي الثامنة والسبعون ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ فالرب جاء موصوفاً بالجلال والإكرام، والوجه جاء موصوفاً بالجلال والإكرام ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ كما مرَّ علينا قبل قليل في سورة العلق المباركة، هذا المعنى نفسه أين يتجلى؟ يتجلى في سورة الواقعة، يتجلى في الوجه الكتبي، في العقل الكتبي، في الآية السابعة والسبعين وما بعدها ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ القرآن هنا كما قلت قبل قليل هو الوجود الكتبي للعالم العقلي، والعالم العقلي إنما هو مظهرٌ لمن؟ للوجه الأكرم، لوجه ربك ذي الجلال والإكرام، ربك ذو الجلال والإكرام ووجه ربك أيضاً هو ذو الجلال والإكرام، والحقيقة المُحَمَّدية هي وجه الله الظاهر في كل هذا الوجود. ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ *فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ وهذا تجلٍ من التجليات وهذا ينعكس أيضاً علينا، كما قلت بأن الحلم له مظاهر، الكرم له مظاهر، إلى أن يأتي الكلام في سورة الحجرات الآية الثالثة بعد العاشرة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى﴾ خطاب للعالم الأرضي ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ التقوى ولاية عليٍّ، أتقاكم هو أكثركم ولايةً لعليٍّ، فولاية عليٍّ هي الكرامة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ هم أصول الكرم وهذا الكرم يتجلى في كل مرتبةٍ من مراتب هذا العالم، في كل مرتبةٍ من مراتب هذا الوجود ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ثم وصلنا إلى سورة الرحمن

﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ وفي الآية الأخيرة ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ فربك ذو الجلال والإكرام ووجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ والقرآن حقيقة الولاية ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ الأتقى الأكثر ولايةً هو هذا الأكرم – **وَمُنْتَهَى الحلم، وَأُصُولَ الْكَرَمِ** – القرآن يشد بعضهُ بعضاً والحديث يشد بعضه بعضاً والقرآن والحديث يشد بعضهُ بعضاً.

وهذه حقائق واضحة لمن تدبر أو تفكر في كلام القرآن وفي كلام المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن هنا كانت الوصية النبوية الخالدة بالكتاب والعترة، ومن أراد أن يقترب من فناء منتهى الحلم ومن فناء أصول الكرم عليه أن يتفيأ أفياء الكتاب والعترة، عليه أن يتمسك بعروة الكتاب والعترة، في الجزء الخامس والعشرين من بحار الأنوار والحديثُ وإن مرَّ علينا لكنني أعيد بعضاً من عباراتهِ لعلاقتهِ بهذا الموضوع، الحديث هنا عن أصول الكرم، والكرم هو الشرف، الحديثُ عن شرفهم وعن أنهم أصول الشرف، في حديث الإمام الرضا صلوات الله وسلامه عليه في وصف الإمام المعصوم ماذا يقول؟

**والإمام عالمٌ لا يجهل، داعي لا ينكل، معدن القدس والطهارة والنسك الزهادة والعلم والعبادة، مخصوصٌ بدعوة الرسول وهو نسل المطهرة البتول لا مغمز فيه في نسب ولا يدانيه ذو حسب** – وهذا هو أصل الكرم المتجلي في العالم الأرضي – **وهو نسل المطهرة البتول لا مغمز فيه في نسب ولا يدانيه ذو حسب، في البيت من قريش والذروة من هاشم والعترة من آل الرسول والرضا من الله شرف الأشراف والفرع من عبد مناف، نامي العلم، كامل الحلم، مُطلع بالإمامة، عالم بالسياسة ،مفروض الطاعة، قائم بأمر الله، ناصحٍ لعباد الله، حافظٌ لدين الله** – كل هذه الأوصاف كل هذه الصفات تتحدث عن كرم الأصل وعن أصل الكرم، وكرم الأصل في أهل البيت، وأصل الكرم هم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعلى نفس هذا النَغَم، على نفس هذا النسق، على نفس هذا اللحن في حديث أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه في وصف الإمام المعصوم:

**والإمام يجبُ أن يكون عالِماً لا يجهل وشجاعاً لا ينكل لا يعلو عليه حَسب ولا يُدانيه نسب فهو في الذورة من قريش والشرف من هاشم والبقية من إبراهيم والنهج من النبع الكريم** – فهو كريم الأصل وهو أصل الكرم – **والنفس من الرسول، والرضا من الله، والقول عن الله، فهو شرف الأشراف، والفرعُ من عبد مناف، عالم بالسياسة، قائمٌ بالرئاسة، مفترض الطاعة إلى يوم الساعة، أودع الله قلبهُ سره وأطلق به لسانه، فهو معصوم موفق ليس بجبانٍ ولا جاهل، فتركوه يا طارق** – طارق هو طارق بن شهاب الذي يحدِّثهُ أمير المؤمنين – **فتركوه يا طارق واتبعوا أهوائهم ومن أضلُ ممن أتبع هواه بغير هدىً**

**من الله، والإمام يا طارق بشرٌ ملكي وجسد سماوي** – وهذه هي معاني أصول الكرم – **والإمام يا طارق بشرٌ ملكي وجسد سماوي وأمرٌ إلهي وروحٌ قدسي ومقامٌ عَليّ ونورٌ جلي وسرٌ خفي فهو ملكي الذات إلهي الصفات زائد الحسنات عالم بالمُغيَّبات خصاً من رب العالمين ونصاً من الصادق الأمين وهذا كله لآل مُحَمَّدٍ لا يشاركهم فيه مُشارك** – لماذا؟

لأنهم هم الأصل، هم أصول الكرم – **وهذا كله لآل مُحَمَّدٍ لا يشاركهم فيه مُشارك** – فالفروع لا يمكن أن تشارك الأصول – **وهذا كله لآل مُحَمَّدٍ لا يشاركهم فيه مُشارك لأنهم معدن التنزيل ومعنى التأويل وخاصة الرب الجليل ومهبط الأمين جبرئيل، صفوة الله وسره وكلمته، شجرة النبوة** – هم الأصل، هم الشجرة والشجرة الأصل – **شجرة النبوة ومعدن الصفوة عين المقالة ومنتهى الدلالة ومُحكم الرسالة ونور الجلالة جنب الله ووديعته وموضع كلمة الله ومفتاح حكمته ومصابيح رحمة الله وينابيع نعمته، السبيل إلى الله والسلسبيل والقسطاس المستقيم والمنهاج القويم والذكر الحكيم والوجه الكريم ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ والوجه الكريم والنور القديم أهل التشريف والتقويم والتقديم والتعظيم والتفضيل خلفاء النبي الكريم وأبناء الرؤوف الرحيم** – أبناء الرؤوف الرحيم هي أوصاف النبي – **وأُمناء العليِّ العظيم ذريةٌ بعضها من بعض والله سميعٌ عليم** – هذا غيضٌ من فيض، الأحاديث طويلة والكلمات كثيرة للحديث عن كرم الأصل وعن أصول الكرم، قد يتجلى بعض شيءٍ من معاني عبارات الزيارة الشريفة التي بين أيدينا من طوايا هذه الكلمات، نحن نبقى نعيش في أجواء الزيارة الجامعة الكبيرة وما أبينهُ من معانٍ ومن مضامين هذه إنما هي من شاطئ معاني الزيارة الجامعة الكبيرة، وإلا فالقضية أعمق وأعمق وأعمق من كل هذه البيانات، الحلقة القادمة إن شاء الله تعالى ستكون بعد يوم غد، في يوم غد برنامج قرآننا وبعد يوم غد نعود لنلتقي لنتحدث عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد في أجواء زيارتهم الجامعة الكبيرة، أختم كلامي بما تقوله الزيارة الشريفة:

**اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ، وَمُخْتَلَفَ الملائِكَةِ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ، وَخُزّانَ الْعِلمِ، وَمُنْتَهَى الحلم، وَأُصُولَ الْكَرَمِ.**

والسلام عليكم يا أشياعهم ويا أحبائهم ويا أوليائهم ويا من تعلقت قلوبهم بهم ويا من تمسكت عقولهم وأبصارهم ومشاعرهم بعروتهم الوثقى، هنيئاً لكم أسألكم الدعاء أتمنى لكم صياماً مقبولاً ودعاءاً مستجاباً ولقاءنا سيتجدد إن شاء الله على المودة وفي ضِلال مودّة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وفي أمان الله.

**وفي الختام :**

**لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.**

**مع التحيات**

**المُتابَعة**

**زهرائيون**

**1433 هـ**

# الفهرست


شرح الزيارة الجامعة الكبيرة : القسم الأول ..... 1

يا زهـراء ..... 3

الحلقة الاولى : مقدمة أولى لبيان معاني الزيارة الجامعة ..... 5

الحلقة الثانية : مقدمة ثانية لبيان معاني الزيارة الجامعة ..... 25

الحلقة الثالثة : معنى السَّلامُ عَلَيكُمْ ..... 42

الحلقة الرابعة : معنى أهْلَ بَيْتِ النُّبُـوَّةِ ..... 63

الحلقة الخامسة : معنى وَمَوْضِعَ الرِّسالَةِ ..... 84

الحلقة السادسة : معنى ومُختَلفَ الملائكةِ ..... 113

الحلقة السابعة : معنى وَمَهْبِطَ الوَحَيِ ..... 139

الحلقة الثامنة : معنى وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ ..... 165

الحلقة التاسعة : معنى وخُزّان العِلم ..... 189

الحلقة العاشرة : معنى وَمُنْتَهَى الحلم وأصول الكرم ..... 219

الختام ..... 237

الفهرست ..... 238